لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، ابراهيم الابيارى ، عبد السلام هارون

الجزء السادس

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، ابراهيم الابيارى ، عبد السلام هارون

الجزء السادس

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السادس من كتاب العقد الفريد

كتاب الياقوتة الثانية

فى الغناء[1] واختلاف الناس فى ذلك

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد رَبّه : قد مَضى قولُنا فى أعاريض الشعر ، وعِلل القوافى ، وفَسّرنا جميع ذَلك بالمَنظوم والمَنثور ، ونحن قائلون بعون الله و إذنه فى علم الغناء[2] واختلاف الناس فيه ، ومَن كرهه ولأىّ وَجه كَرِهه ، ومن استحسنه ولأى وجه استَحسن .

وكرهنا أن يكون كتابُنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال ، عُطْلا من هذه الصناعة التى هى مَراد السّمع ، ومَرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأُنس الوحيد ، وزاد الراكب ؛ لعظم موقع[3] الصوت الحسن من القَلب ، وأَخْذِه بمَجامع النفس .

بين ابن مسلم وابن دأب فى الغناء

قال أبو سعيد بن مسلم : قلتُ لابن دأب : قد أخذتَ من كل شىء بطَرَف غير شىء واحد ، فلا أدرى ما صنعتَ فيه ؟ فقال : لعلك تريد الغناء ؟ قلت : أجل . قال : أما إنك لو شهدتَنى وأنا أترنّم بشعر كُثيّر عزّة حيث يقول :

وما مَرّ من يوم علىّ كيومها و إن عَظُمت أيامُ أخرى وجلّتِ

---

(١) فى بعض الأصول : « فى الألحان » .

(٢) فى بعض الأصول : « فى علم الألحان »

(٣) فى بعض الأصول : « موضع » .

لأسترخَتْ تِكّتك . قال : قلت : أتقول لى هـذا ؟ قال : إى والله ، والمهدى أمير المؤمنين كنت أقوله .

فضل الصوت الحسن

لبعض المفسرين ثم للنبي صلى الله عليه وسلم فى إعجابه بصوت أبى موسى

قال بعض أهل التفسير فى قول الله تبارك وتعالى : (يَزِيد فى الخَلْق ما يَشاء) : هو الصوت الحسن . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبى موسى الأشعرى ، لمّا أعجبه حُسن صوته : لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود .

لأهل الطب

وزعم أهلُ الطبّ أن الصوت الحسن يَسرى فى الجسم ويجرى فى العروق ، فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهش[1] له النفس ، وتهتزّ الجوارح ، وتخفّ الحركات . ومن ذلك كرهوا للطفل أن يُنَوَّم على أثر البُكاء حتى يُرقص ويطرب .

بين الحجاج وليلى الأخيلية

وقالت ليلى الأَخيليّة للحجاج حين سألها عن ولدها ، وأعجبه ما رأى من شَبابه : إنى والله ما حملته سَهوا ، ولا وضعتُه يَتْنا ، ولا أرضعته غَيلا ، ولا أنمته[2] مَئِقاً . يعنى لم أنومه مُستوحشاً باكياً . وقولها : « ما حملته سهوا » . تعنى فى بقايا الحيض . ويقال : حملت المرأة وُضْعاً وتُضْعا ، إذا حملت فى أستقبال الحيض . وقولها « ولا وضعته يتنا » تعنى مُنكّسا . وقولها : « ولا أرضعته غَيلا » تعنى لبنا فاسدا .

للفلاسفة ثم لأفلاطون

وزعمت الفلاسفة أنّ النّغم فضلٌ بَقِى من المَنطق لم يقدر اللسانُ على أستخراجه ، فأُستخرجتْه الطبيعةُ بالألحان على التّرجيع لا على التّقطيع ، فلما ظَهر عشقتْه النفسُ ، وحَنّ إليه الروح . ولذلك قال أفلاطون : لا ينبغى أن تُمنع النفس من مُعاشقة بعضها بعضا . ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفُتور على أبدانهم ترنّموا بالألحان فاستراحتْ لها أنفسُهم . وليس من أحد كائناً من كان إلا وهو يَطرب من صوت نفسه ، ويُعجبه طنين رأسه . ولو لم يكن من

(١) فى بعض الأصول : « وتنمو » .
(٢) فى بعض الأصول : « أبته » .

فَضل الصوت إلا أنه ليس فى الأَرض لذة تُكتسب من مأكل أو مَلبس أو مشرب أو نكاح أو صيد ، إلاَّ وفيها معاناة على البَدن وتَعب على الجوارح ، [ما خلا السماع ؛ فإنه لا معاناة فيه على البدن ولاتعب على الجوارح][1] .

وقد يُتوصّل بالألحانِ الحِسان إلى خيرالدنيا والآخرة . فمن ذلك أنها تَبعث على
٢٣٠/٣ مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف ، وصلة الأرحام ، والذّب عن الأعراض ، والتّجاوز عن الذُّنوب . وقد يَبكى الرجلُ بها على خَطيئته ، ويرقّ القلب من قَسوته ، ويتذكّر نعيم الملكوت ويُمثله فى ضَميره .

أبو يوسف فى مجلس الرشيد

وكان أبو يوسف القاضى ربما حَضر مجلس الرشيد وفيه الغناء ، فيجعل مكانَ السرور به بكاء ؛ كأنه يتذكّر به نعيمَ الآخرة .

ابن أبى دواد فى مجلس المعتصم

وقال أحمد بن أبى دُواد : إن كنتُ لأسمع الغناء من مُخارِق عند المُعتصم فيقع علىّ البكاء . حتى إن البهائم لتحنّ إلى الصوت الحسن وتعرف فضلَه .

العتابى فى رجل

وقال العتّابى وذكر رجلا فقال : والله إنّ جليسه لِطيب عِشْرته لأطربُ من الإبل على الحُداء ، والنّحْل على الغناء .

لصاحب الفلاحة فى النحل

وكان صاحبُ الفِلاحات يقول بأنّ[2] النحل أطربُ الحيوان كله إلى الغناء ، وأن أفراخها لا تستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن . قال الراجز :

والطّير قد يسوقه للمَوتِ ... إصغاؤه إلى حَنين الصّوتِ

أثر الغناء فى النفوس

وبعد : فهل خلق الله شيئاً أوقَع بالقلوب ، وأشد اختلاساً للعقول من الصوت الحسن ، لا سيما إذا كان من وجه حَسن ، كما قال الشاعر :

رُبّ سَماع حَسنٍ ... سمعتُه من حَسَنِ
مُقرِّب من فَرح ... مُبعِد من حَزَنِ
لا فارقانى أبداً ... فى صِحّة من بدنى

(١) مكان هذه العبارة فى بعض الأصول : « غيره لكنى » .
(٢) فى بعض الأصول : « وقال صاحب الفلاحة : إن » .

وهل على الأرض رِعديد مُستطار الفؤاد يُغنَّى بقول جرير بن الخَطَفى :

قُل للجَبان إذا تأخَّر سرجُه هل أنتَ من شَرَكِ المنيّة ناجي

إلا ثاب إليه رُوحه، وقَوِى قلبُه. أم هل على الأرض بخيل قد تَقفّعت[1] أطرافُه لؤماً؟ ثم غُنّى بقول حاتم الطائى:

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً إنّ الجواد يَرى فى ماله سُبُلاَ

إلاّ انبسطت أناملُه، ورشحت أطرافُه؟ أم هل على الأرض غريبٌ نازح الدار بَعيد المحلّ يُغنَّى بشعر علىّ بن الجهم:

يا وحشتَا للغريب فى البلد النَّـــازح ماذا بنَفْسه صَنَعَا

فارق أحبابَه فما أنتفعوا بالعَيْش من بعده ولا أنتفعا

يقول فى نَأْيه وغُربته عَدْلٌ من الله كُلّ ما صَنعا

إلا أنقطعت كبده حنيناً إلى وطنه، وتشوّقا إلى سَكَنه.

اختلاف الناس فى الغناء

حجة من أجازه

اختلف الناسُ فى الغناء، فأجازه عامةُ أهل الحِجاز، وكَرِهه عامة أهل العِراق. فمن حُجة مَن أجازه أنّ أصله الشّعر الذى أمر النبىُّ صلى الله عليه وسلم به، وحَضّ عليه، وَندب أصحابه إليه، وتَجنّد[2] به على المشْرِكين. فقال لحسّان: شُن الغارَة على بنى عبد مَناف، فوالله لشعركَ أشدّ عليهم من وَقع السِّهام فى غَلَس الظلام.

وهو ديوان العَرب، ومقيِّد أحكامها، والشاهد على مَكارمها. وأ كثرُ شعر حسان بن ثابت يُغنى به.

حسان وابنه على مائدة الأنصار

قال فَرج بن سلاّم: حدّثنى الرياشىّ عن الأصمعى قال: شَهِد حسانُ بن ثابت مَأدُبة لرجل من الأنصار، وقد كُفّ بصره، ومعه ابنُه عبدُ الرحمن، فكلما

(١) فى بعض الأصول: «تعقفت».
(٢) فى بعض الأصول: «وتجنى» تحريف.

قُدِّم شىء من الطعام قال حسّان لابنه : أطعام يَد أم طعام يدَين ؟ فيقول له : طعام يد . حتى قُدم الشواء . فقال له : هذا طَعام يدَين . فقبض الشيخُ يده . فلما رُفع الطعام اندفعت قينةٌ لهم تُغنّى بشعر حسان : ٢٣١/٣

انظُر خليلى بباب جِلَّقَ هل(١) تُبصر(٢) دون البَلْقاء من أحدِ(٣)
جِمالُ شَعْثاء قد هبطن من الـ ـمَحْبس بين الكُثبان فالسَّند(٤)

قال : فجعل حَسان يبكى ، وجعل عبدُ الرحمن يُومِئ إلى القَينة أن تُردده . قال الأصمعى : فلا أدرى ما الذى أعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه .

لعائشة فيما يعلمه الأولاد

وقالت عائشة ، رضى الله عنها : علِّموا أولادكم الشعر تَعْذُب ألسنتهم .

استنشاد النبى صلى الله عليه وسلم الشريد

وأردف النبىُّ صلى الله عليه وسلم الشريدَ ، فاستنشده من شعر أمية ، فأنشده مائة قافية وهو يقول : هيه ، استحساناً لها .

فلما أعياهم القَدْح فى الشّعر والقولُ فيه ، قالوا : الشعر حسن ولا نرى أن يُؤخذ بلحن حسن . وأجازوا ذلك فى القرآن وفى الأذان . فإن كانت الألحان مكروهةً ، فالقُرآن والأذان أحق بالتنزيه عنه . وإن كانت غيرَ مكروهة فالشعرُ أحوجُ إليها لإقامة الوزن وإخراجه عن حَد الخبر . وما الفرق بين أن يُنشد الرجلُ :

* أتعرف رسماً كاطراد المذانب *

مُترسلاً ، أو يرفع بها صوتَه مرتجلا . وإنما جعلت العربُ الشعرَ موزوناً لمدّ الصوت فيه والدندنة . ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور .

مما يحتج به من قول النبى صلى الله عليه وسلم

واحتجّوا فى إباحة الغناء واستحسانه بقول النبىّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : أهديتم الفتاة إلى بَعلها ؟ قالت : نعم . قال : وبعثتُم معها مَن يُغنى ؟ قالت : لا ، قال : أو ما علمتِ أن الأنصار قومٌ يُعجبهم الغَزل ؟ ألا بعثتم معها من يقول :

(١) جلق : اسم دمشق .
(٢) فى بعض الأصول : « تنظر » والرواية فى الديوان : « تؤنس » .
(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ووادى القرى .
(٤) شعثاء : امرأة

أتيناكمْ أتيناكم نُحَيِّيكم[١] نحيِّيكم
ولولا الحَبَّة السمرا ء لم نَحْلُل بواديكم

واحتجّوا بحديث عبد الله بن عبدالله بن أُويس، ابن عم مالك، وكان من أفضل رجال الزُّهرى قال: مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بجارية فى ظلّ فارع[٢] وهى تُغنى:

هــل علىّ وَيْحكم إنْ لهوتُ من حَرَج

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا حَرج إن شاء الله. والذى لا يُنكره أكثر الناس غناء النَّصْب، وهو غِناء الرُّكبان.

ابن عمر وعاصم ابن عمر مع ابن الخطاب

حدّث عبدُ الله بن المُبارك عن أُسامة بن زَيد[٣] عن زَيد بن أسلم، عن أبيه عن عَبد الله بن عُمر عن أبيه، قال: مرّ بنا عمرُ بن الخطّاب وأنا وعاصم بن عمر نُغنّى غِناء النَّصب، فقال: أَعِيدَا علىّ. فأعدنا عليه. فقال: أنتما كحمارى العِبَادىّ، وقيل له: أىّ حمارَيك شر؟ قال: هذا ثم هذا.

بين أنس وأخيه البراء حين سمعه يغنى

وسمع أنسُ بن مالك أخاه البَراء بن مالك يُغنِّى، فقال: ما هــذا؟ قال: أبيات عربية أُنصبها نَصبا.

بين ابن يسار وابن أبى وقاص

ومن حديث الحِمّانى[٤] عن حَمّاد بن زيد عن سُليمان بن يَسار قال: رأيتُ سعد بن أبى وقّاص فى منزل بين مكة والمدينــة قد أُلقى له مُصلّى، فاُستلقى عليه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يتغنّى. فقلتُ: سبحان الله أبا إسحاق، أتفعل مثلَ هذا وأنت مُحرم؟ فقال: يابن أخى، وهل تسمعنى أقول هُجرا؟

بين ابن الخطاب والنابغة الجعدى

ومن حديث المُفضل عن قُرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى، قال: قال عُمر ابن الخطّاب للنابغة الجعدىّ: أَسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك[٥].

---

(١) فى بعض الأصول: «فحيونا». (٢) فارع: حصن بالمدينة.
(٣) هو أبو زيد المدنى أسامة بن زيد بن أسلم العدوى مولى عمر. روى عن أبيه عن جده. وعنه ابن المبارك. (تهذيب التهذيب (١ : ٢٠٧).
(٤) هو أبو زكريا يحى بن عبد الحميد الحمانى. (السمعانى). وفى بعض الأصول: «الجمانى».
(٥) فى بعض الأصول: «غنائك».

فأسمعه كلمة له . قال : وإنك لقائلُها ؟ قال : نعم . قال : لطالما غَنّيت بها خلف جِمال الخَطّاب .

بين ابن جريج وعطاء فى التغنى بالقرآن

عاصم عن ابن جُريج قال : سألتُ عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغِناء والحُداء . قال : وما بأس ذلك يابن أخى ؟

معزفة داود عليه السلام

٢٣٢/٣ قال : وحدّث عبيد بن عُمير اللَّيثى أنّ داود النبيّ عليه السلامُ كانت له مِعزفة يَضرب بها إذا قرأ الزَّبور ، لتجتمع عليه الجنّ والإنس والطير ، فيبكى ويُبكى من حوله . وأهلُ الكتاب يجدون هذا فى كُتبهم .

حجة من كره الغناء

ومن حُجة من كَره الغناء أن قال : إنه يُنفِّر القلوب ، ويَستفز العقول ، ويستخفّ الحليم ، ويَبعث على اللهو ، ويَحُض على الطَّرب ، وهو باطل فى أصله . وتأوّلوا فى ذلك قولَ الله عزّ وجل : (ومِنَ النّاسِ مَن يَشْتَرِى لهْوَ الحدِيث لِيُضِلّ عَن سَبِيل اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ويَتّخِذَها هُزُوا) وأخطأوا فى التأويل . إنما نزلت هذه الآيةُ فى قوم كانوا يَشترون الكُتب من أخبار السَّمَر[1] والأحاديث القديمة ويُضاهون بها القرآن ، ويقولون إنها أفضلُ منه . وليس مَن سمع الغِناء يتخذ آياتِ الله هُزوا . وأعدلُ الوجوه فى هذا أن يكون سبيله سبِيلَ الشعر ، فحَسَنُه حَسن وقَبِيحه قبيح .

سفيان بن عيينة وعجيب له من ابن جامع

وقد حدّث إبراهيمُ بن المُنذر الحِزامى[2] أنّ ابن جامع السَّهمى قَدِم مكة بمال كثير ، ففرّقه فى ضُعفاء أهلها ، فقال سُفيان بن عُيينة : بلَغنى أن هذا السّهمى قدم بمال كثير . قالوا : نعم . قال : فعلام يُعطَى ؟ قالوا : يُغنِّى الملوك فيُعطونه . قال : وبأى شىء يُغنّيهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول ؟ فقال له فتى من تلاميذه : يقول :

أطوّفُ بالبَيت مَع من يَطوف ... وأرفعُ من مِئزرى المُسبل

(١) فى بعض الأصول : « السير » .

(٢) فى بعض الأصول : « الخزاعى » تحريف . وانظر التهذيب (١ : ٣٨٥ — والسمعانى)

قال: بارك الله عليه ، ما أحسنَ ما قال ! قال : ثم ماذا ؟ قال :

وأسْجُد باللَّيـل حتى الصَّباح وأتلو من المُحكم المُنزَل

قال : وأحسَن أيضا ، أحسنَ الله إليه ؛ ثم ماذا ؟ قال :

عَسى فارجُ الهَمّ عن يُوسف يُسخّـر لى ربّةَ المَحْمِل

قال : أمسكْ أمْسِكْ . أفسد آخرًا ما أصلح أولا .

ألا ترى سُفيان بن عُيينة رحمه اللهَ حسّن الحسن من قوله وقبّح القبيح .

وكره الغناء قومٌ على طريق الزُّهد فى الدُّنيا ولذاتها ، كما كره بعضُهم المَلاذ ولُبس العباء ، وكره الحُوَّارَى[1] وأكل السكشكار ، وترك البُر وأكل الشعير ، لا على طريق التحريم ، فإنَّ ذلك وجه حسن ومذهب جميل . فإنما الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حـرّم الله . يقول الله تعالى : (وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُم الكَذِبَ هذا حَلالٌ وهذا حَرَامٌ لتفتَروا على الله الكَذِب. إنَّ الذين يَفترونَ على الله الكَذِبَ لا يُفلِحُون) .

بين سائل والحسن البصرى فى الغناء

وقد يكون الرجل أيضاً جاهلاً بالغناء أو متجاهلا به ، فلا يأمر به ولا يُنكره. قال رجل للحَسن البَصرى : ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد ؟ قال : نِعم العَونُ على طاعة الله ! يصل الرجلُ به رحمَه ، ويواسى به صديقه . قال الرجل : ليس عن هذا أسألك . قال : وعَمّ سألتنى ؟ قال : أن يُغنِّى الرجل . قال : وكيف يغنِّى ؟ فجعل الرجُل يلوى شِدقيه ويَنفُخ مِنخـريه . قال الحسنُ : والله يابن أخى ، ما ظننتُ أنّ عاقلاً يفعل هذا بنفسه أبدا .

وإنما أنكر عليه الحسنُ تشويهَ وجهه وتعويج فَمه ، وإن كان أنكر الغناء فإنما هو من طريق أهل العراق ، وقد ذكرنا أنهم يكرهونه .

ابن جريج وابن عبيد ورأيهما فى الغناء

قال إسحاقُ بن عِمارة[2] : حدّثنى أبو المُفَلّس عن أبى الحارث ، قال: أُختُلف

(١) الحوارى : لباب الدقيق .

(٢) فى بعض الأصول : « عمار » .

فى الغناء عند محمد بن إبراهيم والى مكة ، فأرسل إلى ابن جُريج وإلى عمرو ابن عُبيد فأتياه فسألهما ، فقال ابنُ جريج : لا بأس به ، شهدتُ عطاء بن أبى رَبَاح فى خِتان ولده ، وعنده ابنُ سُريج المُغنى ، فكان إذا غنّى لم يقُل له : اسكت ، وإذا سكت لم يقُل له : غَنِّ ، وإذا لَحَن ردَّ عليه . وقال عمرو بن عُبيد : أليس
٢٣٣/٣ الله يقول : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾ . فأيهما يكتب الغناء؟ الذى عن اليمين أو الذى عن الشمال ؟ فقال ابنُ جُريج : لا يكتبه واحد منهما ، لأنه لغو كحديث الناس فيما بينهم ، من أخبار جاهليتهم وتناشُد أشعارهم .

بين الزهرى وأبى يوسف

وقال إسحاق : وحدّثنى إبراهيم بن سعد الزُّهرى ، قال : قال لى أبو يوسف القاضى : ما أعجَب أمركم يأهلَ المدينة فى هذه الأغانى ! ما منكم من شَريف ولا دنِىّ يتحاشَى عنها . قال : فغضبتُ وقلت : قاتَلكم الله يأهل العِراق ! ما أوضحَ جهلَكم وأبعَد من السَّداد رأيكم ! متى رأيت أحداً سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سُفهائكم هؤلاء الذين يَشربون المُسكر ، فيترك أحدهم صلاتَه ، ويطلِّق امرأته ، ويَقذف المُحصنة من جاراته ، ويكفُر بربّه ، فأين هذا من هذا ؟ من اختار شعراً جيّدا ثم اختار له جرْما حسنا فردّده عليه ، فأطربه وأبهجه ، فعفا عن الجرائم ، وأعطى الرغائب . فقال أبو يوسف : قطعتَنى ، ولم يُحر جوابا .

بين الرشيد والزهرى

قال إسحاق : وحدّثنى إبراهيم بن سعد الزُّهرى قال : قال لى الرشيد : مَن بالمدينة ممّن يُحرم الغِناء ؟ قال : قلت : مَن أتبعه[1] الله خِزيته . قال : بلغنى أن مالك بن أنس يُحرمه . قلت : يا أمير المؤمنين ، أو لمالك أن يحرّم ويُحلّل ! والله ما كان ذلك لابن عمّك محمد صلّى الله عليه وسلّم إلاّ بوَحى من ربه ، فمَن جعل هذا لمالك ؟ فشهادتِى على أبى أنه سَمع مالكاً فى عُرس ابن حَنظلة الغَسيل يتغنّى :

(١) فى بعض الأصول : « أمتعه » .

سُلَيمى أزمعت بَيْنَا فأين تظنها[1] أينا

ولو سمعتُ مالكاً يحرّمه ويَدى تناله لأحسنتُ أدبه . قال : فتبسّم الرشيد .

بين ابن عمر وابن جعفر

وعن أبي شُعيب الحرّانى عن جَعفر بن صالح بن كَيسان عن أبيه ، قال : كان عبدُ الله بن عمر يُحب عبدَ الله بن جعفر [حُبًّا شديدا . فدخل عليه يوما وبين يديه جارية فى حجرها عُود ، فقال : ماهذا يا أبا جعفر ؟] . قال : وماتظُن به ياأبا عبد الرحمن ؟ فإن أصاب[2] ظنُّك فلك الجارية . قال : ما أراني إلا قد أخذتها ، هذا ميزان رومىّ . فضحك ابنُ جعفر ، وقال : صدقتَ . هذا ميزان يُوزَن به الكلام ، والجاريةُ لك . ثم قال : هاتى . فغنَّت :

أيا شوقاً إلى البَلد الأمين وحىّ بين زَمزم والحجون

ثم قال : هل تَرى بأسا ؟ قال : هل غيرُ هذا ؟ قال : لا . قال : فما أرى بهذا بأسا .

بين ابن عمر وابن محرز

وسمع عبدُ الله بن عُمر ابنَ محرز يُغنّى :

لو بُدّلت[3] أعلى مَنازلها سُفلاً وأصبح سفلُها يَعلُو
لعرفتُ مَغناها بما احتملت[4] منّى الضُّلوع لأهلها قَبْلُ

فقال عبد الله بن عمر : قُل : إن شاء الله . قال : يَفسُد المعنى . قال : لاخير فى كل معنى يُفسده « إن شاء الله » .

بين عمر بن عبد العزيز وراكب يغنى

حدث محمد بن زكريّا الغَلَابى بالبَصرة ، قال : حدّثنى الشَّرقى[5] عن الأصمعىّ ، قال . سمع عمرُ بن عبد العزيز راكباً يغنّى فى سفره :

فلولا ثلاثٌ هُنّ مِن عِيشة الفَتَى وَجدِّك لم أحْفِل متَى قام عُوَّدِى[6]

(١) فى بعض الأصول : « بوصلها » .
(٢) فى ا ، ج : « فإن أصابه » . (٣) فى بعض الأصول : « بدت » .
(٤) فى ج : « شهدت » . (٥) فى بعض الأصول : « ابن الهمرقى » .
(٦) الأبيات من معلقة طرفة بن العبد .

فمنهن سَبْقُ العاذلات بشَرْبة كُمَيتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِد
وكَرِّى إذا نادى المُضاف مُحَنّبا كسِيد الغَضا فى الطَّخية(١) المُتورِّد
وتَقصير يوم الدَّجن والدَّجنُ مُعْجِب ببَهْكَنة تحت الطِّراف المُمَدَّد

فقال عمرُ بن عبد العزيز: وأنا لولا ثلاث لم أحْفِل متى قام عُوَّدى: لولا أن أنفِر فى السرِيّة، وأقسم بالسويّة، وأعدل فى القضية.

بين جرير المدنى والأسلمى العابد

٢٣٤/٣ قال جرير المَدنىّ: مررت بالأسلمى العابد، وهو فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم يُصلِّى، فسلّمتُ عليه، فأومأ إلىّ وأشار بالجلوس، فجلست. فلما سلّم أخذ بيدى، وأشار إلى حلْق، وقال: كيف هو؟ قلت: أحسن ما كان قطّ. قال: أما والله لوددتُ أنه خَلا لى وجهُك وأنك أسمعتَنى:

يا لَقَومى لحبْـلك المَصْروم يومَ شَطُّوا وأنت غير مَلُوم
أصبح الربع من أمامة قفراً غير مَغْنى معارفٍ ورُسوم

قلت: إذا شئت. قال: فى غير هذا الوقت إن شاء الله.

ابن المبارك وسكران يغنى

وحدّث أبو عبد الله المَروزىّ، بمكة فى المسجد الحرام، قال: حدّثنا حِبّان ابن موسى(٢) وسُويد، صاحبا ابن المُبارك، قالا: لما خرج ابنُ المبارك إلى الشام مُرابطاً خرجنا معه، فلما نظر القومُ إلى ما فيه من النَّفير والغزو والسَّرايا فى كل يوم ألتفت إلينا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها، وأيام وليالٍ قد قطعناها فى علم الشّعر، وتركنا هاهنا أبواب الجنة مفتوحة. قال: فبينما هو يمشى ونحن معه فى أزقة المَصيصة إذا نحن بسكران قد رفع صوتَه يغنى:

أذلَّنىَ الهَوى فأنا الذليـلُ وليس إلى الذى أهوى سبيلُ

فأخرج رُزْنامجا(٣) من كُمّه، فكتب البيت. فقلنا له: أتكتب بيتَ

(١) الطخية: الظلمة. ويروى: «نبهته».
(٢) فى بعض الأصول: «حسان» وانظر التهذيب (٥ ٣٨٣).
(٣) فى غير ى: «برنامجا».

شعر سمعته من سكران ؟ قال : أما سمعتم المثلَ : رُبّ جوهرة فى مَزْبلة ؟

الأوقص المخزومى وسكران يتغنى

قال : وولى الأوقص المَخزوميّ قضاء مكة ، فما رُئى مثلُه فى العفاف والنُّبل . فبينما هو نائم ذاتَ ليلة فى عُلّيّة له ، إذ مَرّ به سكران يتغنى و يلحن فى غنائه . فأشرف المخزوميّ عليه ، فقال : يا هـذا ، شربتَ حراماً ، وأيقظت نياما ، وغَنّيت خطأً ، خُذه عنّى ، فأصلحه عليه .

للأوقص فى نصيحة أمه له

قال : الأوقص المخزومى : قالت لى أُمى : أى بُنى ، إنك خُلقت فى صورة لا تَصلح معها لمُجامعة الفِتيان فى بيوت القِيان ، فعليك بالدِّين فإن الله يَرفع به الخسيسةَ ويُتم به النَّقيصة . فنَفعنى الله بقولها .

الشعبى وبشر بن مروان فى جارية عنده تغنى

وحدث عبّاس بن المُفضّل قاضى المدينة ، قال : حدثنى الزُّبير بن بكّار : قاضى مكّة عن مُصعب بن عبد الله ، قال : دخل الشّعبى على بِشر بن مَروان ، وهو والى العِراق لأخيه عبد الملك بن مَروان ، وعنده جارية فى حِجرها عُود . فلما دخل الشعبيّ أمرها فوضعت العُود . فقال له الشعبى : لا ينبغى للأمير أن يَستحى من عَبده . قال : صدقتم . ثم قال للجارية : هاتى ما عندك ، فأخذت العود وغَنّت :

ومما شَجانى أنها يومَ ودّعتْ ... تولّت وماءُ العَين فى الجَفن حائرُ
فلمّا أعادت مِن بعيد بنَظرة ... إلىّ ألتفاتاً أسلمتْه المَحاجر

فقال الشعبيّ : الصغير أكيسهما ، يريد الزِّير . ثم قال : يا هذه ، أرخِى من بَمّك ، وشُدّى من زِيرك . فقال له بشر بن مروان : وما عِلْمك ؟ قال : أظن العمل فيهما . قال : صدقت ، ومن لم ينفعه ظَنُّه لم ينفعه يقينه .

قصة قرشى مع رجل غنى بجواره وهو يصلى فى المسجد

وحُدِّث عن أبى عبد الله البَصرىّ قال : غنّى رجل فى المسجد الحرام ، وهو مُستلقٍ على قفاه صوتاً ، ورجلٌ من قُريش يُصلّي فى جواره ، فسمعه خُدّام المسجد ، فقالوا : يا عدوّ الله ، أتغنّى فى المسجد الحرام ! ورفعوه إلى صاحب الشُّرطة . فتجوّز القُرشى فى صلاته ، ثم سلّم وأتبعه ، فقال لصاحب الشرطة :

كَذبوا عليه أصلحك الله ، إنما كان يَقرأ . فقال : يا فُسّاق ، أتأتونى برجل قرأ القرآن تَزْعمون أنه غَنّى ! خلُّوا سبيلَه . فلما خلَّوه ، قال له القُرشى : والله لو لا أنك أحسنت وأجدت ما شهدتُ لك ، اذهبْ راشدا .

أبو حنيفة وجار له كان يديم الشراب والغناء

٢٣٥/٣ وكان لأبى حَنيفة جارٌ من الكَيّالين مُغرم بالشراب . وكان أبو حَنيفة يُحيِى الليل بالقيام ويُحييه جارُه الكَيّال بالشراب ويُغنّى على شرابه :

أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا ليوم كَريهـــة وسَداد ثَغرِ

فأخذه العَسس ليلةً فوقع فى الحَبس ، وفقد أبو حَنيفة صوتَه ، واستوحش له . فقال لأهله : ما فَعل جارُنا الكَيّال ؟ قالوا : أخذه العَسس فهو فى الحَبس . فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطَّويلة على رأسه وخَرج حتى أتى باب عِيسى ابن موسى ، فاستأذن عليه . فأَسْرع فى إذنه . وكان أبو حَنيفة قليلاً ما يأتى المُلوك . فأقبل عليه عيسى بوَجهه ، وقال : أمرٌ ما جاء بك يا أبا حَنيفة ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، جارٌ لى من الكَيّالين أخذه عَسس الأمير ليلة كذا ، فوقع فى حَبسك . فأمر عيسى بإطلاق كُل مَن أُخذ فى تلك الليلة إكراماً لأبى حَنيفة . فأقبل الكَيّال على أبى حَنيفة متشكّرا له . فلما رآه أبو حنيفة ، قال : أضعناك يا فَتى ؟ يُعرِّض له بقَصيدته . قال : لا والله ، ولكنّك بَررت وحَفِظت .

احتيال الدارمى فى بيع خمر سود لعراقى

الأصمعى قال : قَدم عراقىٌّ بعِدْل من خُمر العراق إلى المدينة فباعها كُلها إلّا السُّود . فشكا ذلك إلى الدّارمىّ ، وكان قد تنسّك وتَرك الشِّعر ولزم المَسجد . فقال : ما تَجعل لى على أن أحتال لك بِحيلة حتى تَبيعها كُلها على حُكمك ؟ قال : ما شئتَ ، قال : فعَمد الدارمىّ إلى ثِياب نُسكه ، فألقاها عنه وعاد إلى مِثل شأنه الأول ، وقال شعراً ورَفعه إلى صديق له من المُغنين فغنّى به ، وكان الشعر :

قُل للمَليحة فى الخِمار الأسودِ ماذا فَعلتِ بزاهـــدٍ مُتعبِّدِ
قد كان شَمَّر للصلاة ثيابَه حتى خَطرتِ له بباب المَسجد

رُدِّی علیه صلاتَه وصیامَه ... لا تَقْتُلیه بحقّ دین محمد

فشاع هذا الغناء فی المدینة وقالوا : قد رجع الدارمیّ وتعشّق صاحبةَ الخمار الأسود . فلم تَبق ملیحةٌ بالمدینة إلا اشترت خِماراً أسود ، وباع التاجرُ جمیعَ ما کان معه . فجعل إخوانُ الدارمیّ من النُّسّاك یلقَوْن الدّارمی فیقولون : ماذا صنعتَ ؟ فیقول : ستعلمون نبأه بعد حین . فلما أنفد العراقیّ ما کان معه رَجع الدارمیّ إلی نُسکه ولبس ثیابه .

عروة بن أذینة وامرأة

وحَدث عبدُ الله بن مَسلمة بن قُتیبة ببغداد قال : حدّثنی سَهل عن الأصمعیّ قال : کان عُروة بن أُذینة یُعدّ ثقةً ثَبتاً فی الحدیث ، رَوی عنه مالك ابن أنس ، وکان شاعراً لَبِقاً فی شعره غَزِلا ، وکان یَصوغ الألحان والغناء علی شعره فی حَداثته وینحلها المغنِّین ، فمن ذلك قولُه ، وغنی به الحجاز یون :

یا دیارَ الحیّ بالأَجمه ... لم یُبین رَسْمُها کَلِمَه

وهو موضع صوته . ومنه قولُه :

قالت وأبثثتها وَجدی وبُحتُ به ... قد کُنتَ عندیَ تحت السّتر فاستتِر

ألستَ تُبصر منْ حولی فقلتُ لها ... غَطّی هَواك وما أَلقیَ علی بَصری

قال : فوقفتْ علیه أمرأة وحوله التلامذة ، فقالت : أنت الذی یقال فیك الرجل الصالح ؟ وأنت القائل :

إذا وجدتُ أُوار الحُبِّ فی کَبِدی ... عَمَدْتُ نحوَ سِقاء القوم أبْترِدُ

هَبْنِی بَردت بِبَرد الماء ظاهره ... فمن لنارٍ علی الأحشاء تَتّقد

لا والله، ما قال هذا رجل صالح قطّ .

عبد الرحمن القس وسلامة

٢٣٦/٣ قال : وکان عبد الرحمن بن عبد الله الملقّب بالقَس عند أهل مکة بمنزلة عطاء ابن أبی رَباح فی العبادة ، وأنه مرّ یوماً بسلاّمة وهی تُغنی ، فقام یستمع غناءها . فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتَسمع ؟ فأبَی . فلم یزل به حتی دخل . فقال له : أُوقفك فی موضع بحیث تراها ولا تراك ، فغنّته فأعجبته ، فقال له مولاها :

هل لك فى أن أحوِّلها إليك ؟ فأبَى ذلك عليه ، فلم يَزل به حتى أجابه . فلم يزل يَسمعها ويُلاحظها النَّظرَ حتى شُغف بها . ولما شعرت لِلَحْظه إياها غنَّته :

رُبَّ رسولَين لنا بَلَّغا رسالةً من قبل أن يَبرحا
لم يُعمِلا خُفًّا ولا حافرا ولا لساناً بالهَوى مُفْصِحا
حتى أستقلاَّ بجوا بَيْهما بالطائر المَيمون قد أنْجحا
الطَّرف والطَّرف بعشناها(١) فقَضَّيا حاجًا وما صَرَّحا

قال : فأغمى عليه وكاد أن يَهلك . فقالت له يوما : إنى والله أُحبك . قال لها : وأنا والله أُحبك . قالت : وأُحب أن أضع فمى على فمك . قال : وأنا والله . قالت : فما يَمنعك من ذلك ؟ قال : أخشَى أن تكون صداقةُ ما بينى و بينك عداوةً يوم القيامة ، أما سمعت الله تعالى يقول : (الأخلاَّء يومئذ بعضُهم لِبَعض عَدوّ إلا المُتقين) . ثم نهض وعاد إلى طريقته التى كان عليها ، وأنشأ يقول :

قد كنتُ أعذل فى السَّفاهة أهلَها فأعجَبْ لِمَا تأتى به الأيامُ
فاليومَ أعذرهم وأعلم أنما سُبُل الضَّلالة والهُدى أقْسام(٢)

وله فيها :

إنَّ سلاَمة التى أفقَدَتنى تجلُّدى
لو تَراها وعُودَها حين يبدو وتَبتدى
لجرير وللغريض وللقَرْم مَعْبد
خِلْتَهم بين عُودها والدَّساتين واليَد

أخبار عبد الله بن جعفر

معاوية وعبد الله ابن جعفر وابن صياد المغنى

حدَّث سَعيدُ بن محمد العِجْلىّ بعُمان ، قال : حدَّثنى نصرُ بن علىّ عن الأصمعى ، قال : كان مُعاوية يَعيب على عبد الله بن جَعفر سماعَ الغناء . فأقبل معاويةُ عاماً من ذلك حاجًّا ، فنزل المدينة ، فمرّ ليلةً بدار عبد الله بن جَعفر ،

(١) فى ج : « بعينهما » . (٢) الخبر فى مجالس ثعلب ٦ — ٧ .

فسمع عنده غناء على أوتار ، فوقف ساعةً يَستمع ثم مَضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله. فلما انصرف من آخر الليل مرّ بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يُصلِّى ، فوقف ليستمع قِراءته ، فقال : الحمدُ لله ، ثم نهض وهو يقول : (خَلَطوا عَملاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهم) . فلما بلغ ابنَ جعفر ذلك أعدّ له طعاما ، ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابنَ صَيّاد المغنى ، ثم تقدّم إليه يقول : إذا رأيتَ مُعاوية واضعاً يده فى الطعام فحرِّك أوتارك وَغنِّ . فلما وضع معاويةُ يدَه فى الطعام حرّك ابنُ صَياد أوتاره وغنّى بشعر عدىّ ابن زيد ، وكان معاوية يُعجَب به :

يا لُبَيْنى أوقِدى النارَا إنَّ مَن تَهوين قد حارَا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أرمُقها تَقضِم الهِندىّ والغَارا
ولها ظَبْىٌ يُؤَجِّجها عاقدٌ فى الخَصر زُنّارا

قال : فأعجب معاويةَ غناؤُه حتى قَبض يده عن الطعام ، وجعل يَضرب برجله الأرض طربا . فقال له عبدُ الله بن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، إنما هو مُختار الشعر يركَّب عليه مُختار الألحان ، فهل ترى به بأسا ؟ قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان . ٢٣٧/٣

معاوية وفاختة زوجه وابن جعفر

قال : وقدم عبدُ الله بن جعفر على معاوية بالشام ، فأنزله فى دار عياله ، وأظهر من إكرامه وبرّه ما كان يَستحقُّه . فغاظ ذلك فاختةَ بنتَ قَرَظَة ، زوجة معاوية ، فسمعت ذاتَ ليلة غناء عنـد عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية فقالت : هَلُم فاسمع ما فى منزل هذا الذى جعلته بين لحمك ودمك ، وأنزلته فى دار حرمك . فجاء معاويةُ فسمع شيئاً حَرّكه وأطربه ، وقال : والله إنى لأسمع شيئاً تكاد الجبال تَخِرّ له ، وما أظنُّه إلاّ من تَلقين الجن ، ثم انصرف . فلما كان من آخر الليل سمع مُعاويةُ قراءةَ عبد الله وهو قائم يصلّى . فأنبه فاختةَ ، وقال لها : أسمعى مكانَ ما أسمعتِنى ، هؤلاء قومى ، مُلوك بالنهار رُهبان بالليل .

معاوية وابن جعفر وبديح

ثم إن معاوية أرِق ذاتَ ليلة فقال لِخادمه خُديج : أذهب فانظُر مَن عند عبد الله ، وأخبِره بخُروجي إليه فذهب فأخبره . فأقام كُلَّ من كان عنده ، ثم جاء معاوية ، فلم يَرَ فى المجلس غيرَ عبد الله . فقال : مجلسُ مَن هذا ؟ قال : مَجلس فلان . قال مُعاوية : مُرْه يَرْجع إلى مجلسه ثم قال : مَجلس من هذا ؟ قال : مجلس فلان . قال : مُره يرجع إلى مجلسه ، حتى لم يبق إلا مجلس رجل . فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس رجل يُداوى الآذان ، يا أمير المؤمنين . قال له معاوية : فإنّ أذنى عليلة ، فَمُرْه فَلْيرجع إلى موضعه ، وكان موضع بُديح المغنى . فأمره ابنُ جعفر ، فَرجع إلى موضعه . فقال له معاوية : داوِ أذنى من عِلّتها . فتناول العود ثم غَنّى :

أمِن أمّ أوْفَى دِمْنةٌ لم تَكلّمِ　　بحَوْمانةِ الدَّراج فالمُتثلَّمِ

فحرّك عبدُ الله بن جعفر رأسَه . فقال معاوية : لِمَ حرّكت رأسكَ يابن جعفر ؟ قال : أرْيحية أجدها ياأميرَ المؤمنين ، لو لُقيت[1] عندها لأبليتُ ، ولئن سُئلت عندها لأعطيت . وكان معاوية قد خَضب فقال ابن جعفر لبُديح : هات غير هذا ، وكانت عند معاوية جارية أعزّ جواريه عنده ، كانت متولّية خِضابه . فغناه بُديح :

أليس عِنْدك شُكر للتى جَعلت　　ما أبيضَ من قادمات الشَّعر كالحُمَم
وجَدّدت منك ما قد كان أخلقه　　صَرْفُ الزّمان وطُول الدّهر والقِدَم

فطرب مُعاوية طرباً شديداً ، وجعل يُحرّك رجلَه . فقال ابنُ جعفر : ياأمير المؤمنين ، سألتَنى عن تَحريك رأسى ، فأخبرتُك . وأنا أسألك عن تحريك رجلك . فقال معاوية : كُل كَريم طَروب . ثم قام وقال : لا يَبرح أحدٌ منكم حتى يأتيَه إذنى . فبعث إلى ابن جَعفر بعشرة آلاف دينار ، ومائة ثَوبٍ من خاصّ ثيابه ، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب .

(١) فى بعض الأصول : « لاقيت » .

دخوله بيتاً لسماعه جارية تغنى فيه وحديث ذلك

وعن ابن الكلبى والهيثم بن عدىّ ، قالا : بينا عبدُ الله بن جعفر فى بعض أزقّة المدينة إذ سمع غِناء ، فأصغى إليه ، فإذا بصوت شجىّ رقيق لقَيْنة تُغنّى :

قُل للكِرام ببابنا يَلِجُوا ... مافى التّصابى على الفتى حَرَجُ

فنزل عبدُ الله عن دابّته ودخل على القوم بلا إذن . فلما رأوه قاموا إليه إجلالاً له ورفعوا مجلسه . ثم أقبل عليه صاحبُ المنزل ، فقال : يابن عمّ رسول الله ، دخلتَ منزلَنا بلا إذن وما كُنت لهذا بخليق . فقال عبدُ الله : لم أدخل إلا بإذن . قال : ومَن أذن لك : قال : قَيْنتك هذه سمعتُها تقول :

* قل للكرام ببابنا يلجوا *

فولجنا ، فإن كُنا كراماً فقد أُذن لنا ، وإن كُنّا لئاما خَرجنا مَذْمومين . ٢٣٨/٣ فضحك صاحبُ المنزل ، وقال : صدقتَ جُعلت فداك ، ما أنت إلا من أكرم الأكرمين . ثم بعث عبدُ الله إلى جارية من جواريه فجاءت ، فقال لها : غنّى . فغنّت . فَطرب القومُ وطَرب عبدُ الله . فَدعا بثياب وطيب ، فكسا القومَ وصاحبَ المنزل وطيّبهم ، ووَهب له الجارية ، وقال له : هذه أحذق بالغِناء من جاريتك .

أخبار ابن أبى عتيق

هو وعائشة حين غنى فى حجرها

ذكر رجل من أهل المدينة أنّ ابن أبى عَتيق — وهو عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق — دخل على عائشةَ أم المؤمنين ، وهى عمّته ، فوضع رأسَه فى حِجرها أو على رُكبتها ، ثم رفع عقيرتَه يتغنّى :

ومُقَيَّدٍ حَجِل جَررتُ برجله ... بعد الهدوء له قوائم أرْبع[1]
فاطرب زمانَ اللّهو من زَمن[2] الصِّبا ... وأنزع إذا قالُوا أبى لك مَنْزع[3]

(١) فى بعض الأصول : « ومعير خجل » .
(٢) فى بعض الأصول : « جنب » .
(٣) فى بعض الأصول : « قالوا أبىّ ينزع » .

فليأتينْ عليــك يوماً مرةً ... يُبكَى عليـك مُقَنَّعا لا تَسمع

قالت له عائشة : يا بُنى ، فاتَّق ذلك اليومَ .

كثير ومعاذ المغنى فى بيت ابن أبى عتيق

حدَّث أبو عبد الله محمد بن عَرَفة بواسط قال : حدَّثنى أحمدُ بن يحيى عن الزُّبير بن بكَّار عن سُليمان بن عبّاس السعدىّ عن السائب راوية كُثَيِّر ، قال : قال لى كُثَير يوماً : قُم بنا إلى ابن أبى عَتيق نتحدَّث عنده . قال : فجئناه ، فوجدنا عنـده ابنَ مُعاذ المُغنِّى ، فلمّا رأى كُثيِّرا قال لابن أبى عَتيق : ألاَ أُغنِّيك بشعر كُثيِّر ؟ فاُندفع يُغنى بشعره حيث يقول :

أبائنـــــة سُعْدَى نعم سَتَبِين ... كما أنبتَّ من حَبلِ القَرِين قَرِينُ
أإنْ ذُمّ أجمال وفارق جِيرةٌ ... وصاح غُراب البيْن أنتَ حَزِين
فأخْلفن مِيعادى وخُنَّ أمانتى ... وليس لمن خَان الأمانةَ دِين

فالتفت ابنُ أبى عَتيق إلى كُثير فقال : وللدِّين صَحِبتهنّ يا بن أبى جُمعة ؟ ذاك والله أشبه بهن ، وأدعَى للقُلوب إليهن ؛ وإنما يُوصفن بالبُخل والاُمتناع ، وليس بالأمانة والوفاء . وابن قيس الرُّقيّات أشعر منك حيث يقول :

حَبّـــذا الإدلالُ والغَنَجُ ... والتى فى طَرْفها دَعَجُ
والتى إنْ حَدَّثت كَذَبت ... والتى فى ثغــــرها فَلَج
خَبِّرونى هل على رَجُـل ... عاشق فى قُبــــلة حَرَج

فقال كُثير : قُم بنا مِن عند هذا ، ثم نَهض .

بين ابن جعفر وابن أبى عتيق

وقال عبدُ الله بن جَعفر لابن أبى عَتيق : لو غَنّتك فلانة جاريتى صوتاً ما أدركْتَك ذَكاتك[1] . قال ابن أبى عتيق : قُل لها تفعل وليس عليك إن مِتّ ضَمان . فأخذ بيده عبدُالله بن جعفر وأدخله منزله ، ثم أمر الجارية فخرجت ، وقال لها : هات ، فغنَّت :

بهواكِ صيَّرنى العَـذول نَـكالاَ ... وجـد السبيلَ إلى المَقال فقالاَ

(١) فى بعض الأصول : « أدركت ذكاتك » .

ونهيت نَومى عن جُفونى فانتهى وأمرتُ لَيلى أن يَطول فطالا

قال : فرمى بنفسه ابنُ أبى عتيق إلى الأرض وقال : (فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وأَطْعِمُوا القَانِعَ والمُعْتَرّ) .

حديث ابن جعفر لعبد الملك عن ابن أبى عتيق وما كان فى ذلك

أبو القاسم جعفر بن محمد قال : لمّا وصف عبدُ الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابنَ أبى عَتيق وحدّثه عن إقلاله وكثرة عياله ، أمره عبدُ الملك بن مروان أن يَبعث به إليه . فأعلمه[1] ابنُ جعفر بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه . ٢٣٩/٣ فدخل ابنُ أبى عَتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليه يَميسان كغُصنَىْ بانٍ ، بيد كُل جارية مِروحة تُروّح بها عليه ، مكتوب بالذّهب على المروحة الأولى[2] :

إنّنى أجلب[3] الرِّيا حَ وبى يَلعب الخَجَل[4]
وحِجابٌ إذا الحبيبُ ثَنى الرأسَ للقُبَل
وغِياث إذا النَّديم تغنّى أو ارْتجل

وفى المروحة الأخرى :

أنا فى الكَفّ لَطيفه مَسْكنى قَصْرُ الخَليفه
أنا لا أصْلُح إلاّ لِظَريف أو ظَريفه
أو وَصيف حَسن القَدّ شبيهٍ بالوَصيفه

قال ابنُ أبى عَتيق : فلما نظرتُ إلى الجاريتين هوّنتا الدنيا علىّ ، وأنستَانى سوء حالى ، وقلت : إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلا من البهائم . فكلما كررتُ بصرى[5] فيهما تذكّرت الجنة ، فإذا تذكرت أمرأتى ، وكنتُ لها مُحبًّا ، تذكرت النار .

---

(١) فى بعض الأصول : « فأتاه » .
(٢) فى بعض الأصول : « الواحدة » .
(٣) فى جـ : « يبعث » .
(٤) فى جـ : « جلابة » .
(٥) فى جـ : « نظرت »

قال : فبدأ عبدُ الملك يتوجَّع إلىَّ بما حكى له ابنُ جعفر عنّى ويُخبرنى بما لى عنده من جميل الرأى . فأ كذبتُ له كُلَّ ما حكاه له ابنُ جعفر عنى ، ووصفتُ له نَفسى بغاية المِلَاء والجِدَة . فامتلأ عبدُالملك سروراًبما ذكرتُ له ، وغمًّا بتكذيب أبن جعفر . فلما عاد إليه ابنُ جعفر عاتبه عبدُ الملك على ما حكاه عنى وأخبره بما حلّيتُ به نفسى . فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، وإنه أحوجُ أهل الحجاز إلى قليل فَضلك ، فضلاً عن كثيره . ثم خرج عبدُ الله فلقينى فقال : ما حملكَ أن كذَّبتنى عند أمير المؤمنين ؟ قلت : أفسكنتَ تُرانى تُجلسنى بين شمس وقمر ، ثم أتفاقر عنده ! لا والله ما رأيتُ ذلك لنفسى وإن رأيتَه لى . فلما أُعلم بذلك عبدُ الله بن جعفر عبدَ الملك بن مروان ، قال : فالجاريتان له . قال : فلما صارتا إلىّ زُرت عبدَ الله بن جعفرفوجدتُه قد أُمتلأ فرحاً ، وهو يشرب وبين يديه عُسٌّ فيه عَسل ممزوج بمسك وكافور . فقال : مَهْيم . قلت : قد والله قبضتَ الجاريتين . قال : فأشرب . فتناولت العُسّ فجرعت منه جَرعة . فقال لى : زِد . فأبيتُ عليه . فقال : لجارية له عنده تُغنيه : إنّ هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين ، فخُذى فى نَعتهما ، فإنهما كما فلَكت صُدورُها . فحرّكت الجارية العود ثم غنّت :

عَهدى بها فى الحَىّ قد جُرّدت ... زهراء مثل القمر[1] الضامرِ
قد حجَّم الثَّـدىُ على نَحْرها ... فى مُشْرف[2] ذى بَهجة ناضرِ
لو أسندت مَيْتاً إلى صـدرِها ... قام ولم يُنقَـــل إلى قابرِ
حتى يقول النـاسُ مما رأوا ... يا عجباً للميّت النــــاشرِ

قال : فلمـا سمعتُ الأبياتَ طربتُ ، ثم تناولتُ العُسّ فشربت عَللا بعد نهل ، ورفعت عَقيرتى أُغنى :

سقَوْنى وقالوا لا تُغنّى ولو سقَوْا ... جبـالَ حُنين ما سقَونى لغنَّتِ

(١) فى بعض الأصول : « صفراء مثل المهرة » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى مشرق » .

أبو السائب وابن أبي عتيق وبر الشيطان

قال : وخرج أبو السائب وابنُ أبي عتيق يوماً يتنزّهان في بعض نواحي مكة ، فنزل[1] أبو السائب ليبول وعليه طويلته ، فانصرف دونها . فقال له ابنُ أبي عتيق : ما فعلت طويلتُك ؟ قال : ذكرت قولَ كثيِّر :

٢٤٠/٣

أرى الإزَار على لُبنى فأحسده إنّ الإزار على ماضمّ محسودُ

فتصدّقت بها على الشيطان الذى أجرى هذا البيتَ على لسانه . فأخذ ابنُ أبي عتيق طويلتَه فرمى بها وقال : أتسبقنى أنت إلى برّ الشيطان ؟

سليمان بن عبد الملك ومغن

سمع سليمانُ بن عبدالملك مُغنّيا فى عسكره فقال: اطلُبوه . فجاءوا به . فقال : أعِدْ علىّ ماتغنيتَ به . فغنّى واحتفل . وكان سليمانُ أغير الناس ، فقال لأصحابه : وكأنها والله جَرجرة الفَحل فى الشّول . وما أحسب أنثى تَسمع هذا إلا صَبَت . وأمر به فخُصى .

الفرزدق والأحوص فى شأن جرير

وقالوا : إن الفرزدق قدم المدينةَ فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، صاحب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حمت لحمه الدّبْر ، فقال الأحوص : ألا أُسمِعك غِناء ؟ قال : تغَنّ . فغنّاه :

أتنسى إذ تُودِّعنا سُليمى بعُود[2] بَشامة سُقِى البَشامُ
بنفسى مَن تجنُّبه عزيزٌ علىّ وَمن زيارتُه لِمَـام
ومَن أُمسى وأُصبح لا أراه ويَطْرُقنى إذا هَجع النِّيام

فقال الفرزدق : لمن هذا الشعر ؟ قال : لجرير . ثم غنّاه :

إنّ الذين غَدوا بلُبِّك غادروا وشَلاً بعَينك ما يزال مَعِينا
غَيَّضن من عَبراتهن وقُلن لى ماذا لقيتَ من الهَوى ولَقِينا

فقال : لمن ذا الشعر ؟ فقال ؟ لجرير . ثم غنّاه :

أَسَرَى لخالدة الخَيال ولا أرى شيئا[3] ألذّ من الخَيال الطارق

(١) فى بعض الأصول : « فبال » .
(٢) في ديوان جرير : « بفرع » .
(٣) فى الديوان : « طللا » . وطلل الإنسان : شخصه .

إنّ البليّة مَن يُمَل حــديثُه ... فانقَع(١) فؤادك من حديث الوامق

فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لجرير . فقال : ما أحوجَه مع عَفافه إلى خُنوثة شعرى ، وما أحوجنى مع فُسوقى إلى رقّة شعره .

وقال جرير : والله لولا ما شُغلت به من هذه الـكلاب لشبّبت تَشبيباً تحنّ منه العجوز إلى أيام شبابها ، حَنينَ الجَمل إلى عَطَنه .

حديث دخول معبد ومعاذ وابن صياد على عقيلة دون الأحوص

وقال : الأحوص يوماً لمعبد : أمضِ بنا إلى عَقيلة حتى نتحدّث إليها ونَسمع من غنائها وغناء جواريها . فمَضيا فألفيا على بابها مُعاذاً الأنصاريّ ، وابن صياد . فاستأذنوا عليها ، فأذنت لهم إلا الأحوص ، فإنها قالت : نحن على الأحوص غِضاب . فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابَه على استبدادهم بها ، وقال :

ضَنّت عَقيلةُ عنك اليومَ بالزادِ ... وآثرتْ حاجةَ السارِى على الغادِى

قُولا لِمنزلها حُيِّيتَ من طَلَل ... وللعَقيق ألاَ حُيِّيت مِن وادى

إذاً وهبتُ نَصيبى من مودّتها ... لِمَعبد ومُعاذ وابنِ صيّاد

مغن فى مسجد المدينة إلى جوار مصل وحديث ذلك

وجعل رجل يترنّم فى مسجد المدينة ورجل من قُريش يسمع ، فأخذه بعضُ القَوَمَة ، فقالوا : يا عدوّ الله ، أتغنى فى المَسجد الحرام ! وذَهبوا به إلى صاحب الحُـكم . وأتبعهم القرشى ، فقال لصاحب الحـكم : أصلحك الله ، إنما كان يقرأ . فأطلق سبيلَه . فقال له القرشى : والله لولا أنك أحسنتَ فى غنائك ، وأقمت دارات معبد لـكنتُ عليك أشد من الأعوان .

دارات معبد

والصوت المنسوب إلى دارات معبد قولُ أعشى بكر :

٢٤١/٣ هُرِيرة وَدّعها وإنْ لام لائم ... غداة غدٍ أم أنت للبين واجمُ

ويروى أنّ معبدًا دخل على قُتيبة بن مسلم والى خراسان ، وقد فتح خمس مدائن ، فجعل يَفخر بها عند جلسائه . فقال له مَعبد : والله لقد صُغت بعدك خمسةَ أصوات

(١) فى الديوان : « فانشع » .

إنها لأكثر من خمس المدائن التي فتحت . والأصوات هي :

الأول :

وَدِّع هُرَيرة إن الركبَ مُرتحل وهل تُطيق وداعاً أيها الرجلُ[١]

والثاني :

هُرَيرة وَدِّعْها وإن لام لائمُ غداةَ غدٍ أم أنت للبين واجم

والثالث :

وَدِّع لُبانة قبل أن تترحَّلا واسأل فإنَّ سبيلَه أن يُسألا

والرابع :

لعمرى لئن شَطَّت بعَثْمة[٢] دارُها لقد كِدْتُ من وَشْك الفِراق أُليح

والخامس[٣] :

تُغذ بِيَ[٤] الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلُها ونهارُها[٥]

(١) البيت للأعشى .

(٢) عثمة : امرأة . وأليح : أشفق وأجزع . والبيت لعبيد الله بن عبدالله بن عتبة الفقيه .

(٣) ويقال إن مدائن معبد سبعا لا خمسا ، وأنها تسمى أيضا حصون معبد . وعدها أبو الفرج :

* لعمرى لئن شطت بعثمة دارها *

و * هريرة ودعها وإن لام لائم *

و * رأيت عرابة الأوسى يسمو *

و * كم بذاك الحجون من حى صدق *

و * لو تعلمين الغيب أيقنت أننى *

و * يادار عبلة بالجواء تكلمى *

و * ودع هريرة إن الركب مرتحل *

(انظر الأغانى ٨ : ٩١) .

(٤) فى بعض الأصول : « تقد بى » ولا وجه له . ويروى : « تقدت بى » . تقدى به بعيره : أسرع .

(٥) فى ن : بعد هذا : « تم الجزء التاسع والثلاثون . وهو الأول من كتاب الياقوتة الثانية فى الغناء واختلاف الناس فيه ، يتلوه الموفى أربعين وهو الثانى من كتاب الياقوتة فى باقى الغناء إن شاء الله عز وجل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم تسليما » .

أصل الغناء ومعدنه

لابن الكلبي

قال أبوالمُنذر هشام بن الكَلبى : الغِناء على ثلاثة أوجه : النَّصب والسِّناد والهَزج . فأمّا النَّصب فغِناء الرُّكبان والقَينات . وأما السِّناد فالثقيلُ التَّرجيع الكثير النغمات . وأما الهَزج فالخفيف كُله ، وهو الذى يُثير القلوب ويَهيج الحليم . وإنما كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشيا ، وهى المدينة والطائف وخيبر ووادى القرى ودَومة الجندل واليمامة ، وهذه القرى مجامع أسواق العرب .

أول من صنع العود

وقيل إن أول مَن صنع العود لامك بن قابيل بن آدم ، وبكى به على ولده . ويقال : إنّ صانعه بطليموس صاحب كتاب المُوسيقى ، وهو كِتاب اللحون الثمانية .

أول من غنى فى العرب

وكان أول من غَنّى فى العرَب قَينتان لعاد ، يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما :

ألا يا قَيل ويحك قم فهَيْنم　　　لعلّ الله يُصبحنا غَماماَ

وإنما غَنّتا بهذا حين حُبس عنهما المطر . وكانت العربُ تُسمِّى القينةَ الكَرِينة ، والعود الكِرَان . والمِزْهر أيضاً هو العود ، وهو البَربط ، وكان أول من غَنى فى الإسلام الغناء الرقيق طُويس ، وهو علَّم ابن سُريج ، والدلال ، ونَوْمة الضحى ، وكان يكنى أبا عبد النَّعيم ، ومن غِنائه وهو أول صوت غنّى به فى الإسلام :

قد بَرانى الشوقُ حتّى　　　كِدتُ من شوقى أذُوبُ

أخبار المغنين

طويس

أولهم : طُويس ، وكان فى أيام عُثمان رضى الله عنه .

هو وأبان حين ولى المدينة

حدّثنا جعفرُ بن محمد قال : لما وَلى أبانُ بن عُثمان بن عفان المدينةَ لمُعاوية بن

أبي سُفيان قَعد في بَهوٍ له عظيم ، وأصطفّ له الناس ، فجاءه طويس المُغنى ، وقد خَضب يديه غَمسًا واشتمل على دُف له ، وعليه مُلاءة مَصقولة ، فسلَّم ، ثم قال : بأبي وأمي يا أبان ، الحمدُ لله الذي أرانيك أميراً على المدينة ، إني نذرتُ لله فيك نذراً إنْ رأيتُك أن أخضب يديّ غَمسا وأشتمل على دُفي وآتي مجلسَ إمارتك وأُغنيك صوتا . قال : فقال : يا طُويس ، ليس هـذا موضع ذاك . قال : بأبي أنت وأمي يا بن الطيب ، أَبِحْني(١) . قال : هات يا طويس . فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومَشى بين السِّماطين وغَنّى :

ما بال أَهْلك يا رَبابْ   خُزراً كأنهمُ غِضابْ

قال : فصفّق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه ، فاحتضنه وقبّل بين عينيه ، وقال : يلومونني على طُويس ! ثم قال له : من أسنّ ، أنا أو أنت ؟ قال : وعيشِك لقد شهدتُ زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . انظر إلى حذقه ورقّة أدبه ، كيف لم يقُل : أمك الطيبة إلى أبيك المبارك .

٢٤٢/٣

هو وبكر بن إسماعيل وسعيد ابن عبدالرحمن

وعن ابن الكلبي قال : خرج عمرُ بن عبد العزيز إلى الحج ، وهو والى المدينة ، وخرج الناس معه ، وكان فيمن خرج بكر بن إسماعيل الأنصارى وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت ، فلما انصرفا راجعين مرّا بطُويس المغنى ، فدعاهما إلى النزول عنده . فقال بكر بن إسماعيل : قُد البعير إلى منزلك . فقال له سعيد بن عبد الرحمن : أتنزل على هـذا المُخنَّث ؟ فقال : إنما هو منزل ساعة ثم نذهب . فاحتمل طويس الكلام على سعيد . فأتيا منزلَه ، فإذا هو قد نَظفه ونَجده ، فأتاهما بفاكهة الشام ، فوضعها بين أيديهما ، فقال له بكر بن إسماعيل : ما بقى منك يا طويس ؟ قال : بقى كُلِّي يا أبا عمرو . قال : أفلا تُسمعنا من بقاياك ؟ قال : نعم . ثم دخل خيمته فأخرج خَريطة ، وأخرج منها دُفًّا ، ثم نقر وغنى :

---

(١) في بعض الأصول : « أتحفني »

يا خليلىّ نابنى سُهُـدى   لم تَنَم عينى ولم تَكَدِ
كيفَ تَلْحونى على رجل   مُؤْنِس تَلتذُّه كبدى
مثل ضَوءِ البدر صورتُه   ليس بالزُّمَّيْلة النَّكِد
مِن بنى آل المُغيرة لا   خامل نِكْسٍ ولا جَحِد
نَظرتْ عينى فلا نظرت   بعـده عينى إلى أحد(١)

ثم ضربَ بالدُّف الأرضَ والتفت إلى سعيد بن عبد الرحمن ، فقال : يا أبا عثمان ، أتدرى من قائل هـذا الشعر ؟ قال : لا . قال : قالته خَوله بنت ثابت عمّتك فى عُمارة بن الوليد بن المُغيرة ، ونهض . فقال له بكر : لو لم تَقُل ما قلته لم يُسمعك ما أسمعك . وبلغت القصة عمرَ بن عبد العزيز فأرسل إليهما فسألهما فأخبراه ، فقال : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

هو والنعمان بن بشير

الأصمعىّ قال : حدثنى رجل من أهل المدينة قال : كان طويس يتغنّى فى عُرس رجل من الأنصار ، فدخل النُّعمان بن بشير العُرس وطُويس يتغنّى :

أجَـدَّ بعَمرة غُنيانُها   فتَهجُرَ أم شاننا شانُها(٢)
وعمرة من سَروات النسا   ء تنفح بالمسك أردانُها

فقيل له : اسكت اسكت — لأنّ عمرة أم النُّعمان بن بَشير — فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا ، إنما قال :

وعمرة من سروات النّسا   ء تَنفح بالمسك أردانُها

من تلامذته

وكان مع طُويس بالمدينة ابن سُريج والدَّلال ونَومة الضُّحى ، ومنه تعلّموا . ثم نجم بعد هؤلاء سَلْم الخاسر ، وكان فى صُحبة عبد الله بن جعفر . وعنه أخذ معبد الغناء .

ابن أبى السمح

ثم كان ابن أبى السَّمح الطائى ، وكان يتيماً فى حجر عبد الله بن جعفر ،

(١) الرواية فى الأغانى :
نظرت يوما فلا نظرت   بعده عينى إلى أحد

(٢) الشعر لقيس بن الخطيم ، والبيت مطلع القصيدة .

وأخذ الغناء عن مَعبد ، وكان لا يضرب بعود ، إنما يغنى مرتجلاً . فإذا غنّى لمعبد صوتاً حقّقه ، ويقول : قال الشاعر فلان ، ومطّطه معبد وخففتُه أنا . ومن غنائه :

نام صَحبى ولم أنم لِخَيـــال بنا ألَمّ
إنّ فى القصر غادةً كحلت مُقلتى بدَم

سكينة ومعبد والغريض

وكان معبد والغَريض بمكة . ولمعبد أكثرُ الصناعة الثقيلة . ولما قدمت سكينةُ بنت الحُسين عليهما السلام مكةَ أتاها الغريضُ ومعبد فغنّياها[1] : ٢٤٣/٣

عُوجى علينا ربةَّ الهودج إنك إلاّ تَفعلى تَحرجى[2]

قالت : والله ما لكما مَثَل إلا الجَدْى[3] الحار والبارد ، لا يُدرى أيهما أطيب .

غناء الغريض فى ختان بعض أهله

قال إسحاق بن إبراهيم : شَهِد الغريضُ ختانا لبعض أهله ، فقال له بعض القوم: غَنّ . فقال : هو ابنُ الزانيةِ إن غنّى . قال له مولاه : فأنت والله ابنُ الزانية ، فغنّ . قال : أكذلك أبا عَبدل ؟ قال : نعم . قال : أنت أعلم . فغنَّى :

وما أنس م الأشياءِ لا أنس شادناً بمكة مَكحولاً أسيلاً مدامِعُه
تشرّب لونَ الرّازقىّ بياضُه وبالزّعفران خالط المسك رادعُه

فلوت الجنّ عنقه فمات . وقال غير إسحاق : بل غنى :

أمن مَكتومة الطّللُ يلوح كأنه خَـلَلُ
لقد نَزلوا قريبا منـــك لو نفعوك إذ نزلوا
تحـــاولنى لتقتلَنى وليس بعينها حَوَل

ابن طنبورة

ثم نَجم ابن طُنبورة ، وأصله من اليمن ، وكان أهزج الناس وأخفَّهم غناء ، ومن غنائه :

وفتيانٍ على شَرف جميعاً دَلفتُ لهم بباطيــة تَدُور
كأنى لم أصِدْ[4] فيهم ببازٍ ولم أُطْعم بِعَرْصتهم صُقورى

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر (٢ : ١٣١) وذكر فيه ابن سريج مكان معبد .
(٢) البيت للعرجى . (انظر الأغانى ١ : ١٠٦ بلاق) .
(٣) فى الأغانى : « ما أشبهكما إلا بالجديين » .
(٤) فى بعض الأصول : « لم أقم » .

فلا تَشرب بلا لهوٍ فإنى   رأيتُ الخيلَ تَشْرب بالصَّفير

ويقال إنه حضر مجلساً لرجل من الأشراف إلى أن دخل عليهم صاحبُ المدينة . فقيل له : غَنّ ، فغنّى :

ويلى مِن الحية ويلٌ لِيه   قد عَشَّش الحية فى بيتيه

فضحك صاحبُ المدينة ووصله .

حكم الوادى

ومنهم : حكم الوادى ، وكان فى صُحبة الوليد بن يزيد ويُغنى بشعره ، ومن غنائه[1] :

خَفّ من دار جيرتى   يا بنَ داود أُنْسُها

قد دنا الصبحُ أو بدا   وهى لم يُقْضَ لُبسها

فمتى تخـــرج العَرو   س لقد طال حَبْسها

خرجتْ بين نسوةٍ   أكرمُ الجنسِ جنسُها[2]

أبو كامل الغزيل

وكان بالشام أيام الوليد بن يزيد مُغَنٍّ ، يقال له الغُزَيِّل ، ويكنى أبا كامل ، وفيه يقول الوليد بن يزيد :

مَن مُبلغ عنّى أبا كامل   أنى إذا ما غاب كالهامل

ومن غنائه :

أمدح الكأس ومَن أعملها   وأهجُ قوماً قتلونا بالعَطَش[3]

إنما الكأس ربيعٌ باكر   فإذا ما لم نَذُقها لم نَعِش

مغنو الرشيد وزامره

وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين ، منهم إبراهيم الموصلى ، وابنُ جامع السهمى ، ومخارق ، وطبقة أخرى دونهم ؛ منهم . زلزل ، وعمرو الغَزّال ، وعلويه . وكان له زامر يقال له بَرصوما . وكان إبراهيم أشدهم تصرّفا فى الغناء ، وابنُ جامع

(١) الشعر للوليد بن يزيد . (انظر الأغانى ٦ : ١١٥) .

(٢) فى الأغانى :

بين خمس كواعب   أكرم الخمس جنسها

(٣) الشعر لنابغة بنى شيبان . (انظر الأغانى ٦ : ١٥٣) .

أحلامهم نغمة. فقال الرشيد يوماً لابرصوما: ما تقول فى ابن جامع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أقول فى العَسل الذى من حيثما ذقته فهو طيّب؟ قال: فإبراهيم الموصلى؟ قال: هو بستان فيه جميع الثمار والرياحين. قال: فعمرو الغزال؟ قال: هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين. ٢٤٤/٣

بين إسحاق ويوسف فى أحسن الناس غناء

قال إسحاق: قلت ليوسف: من أحسنُ الناس غناء؟ قال: ابن مُحرز. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن شئتَ أجملتُ وإن شئت فصلت. قلت: أجمل. قال: كان يغنى كُلَّ إنسان بما يشتهى، كأنه خُلق من قلب كل إنسان.

إبراهيم الموصلى

وكان إبراهيم أول من وقّع الإيقاع بالقضيب.

فى بيت إبراهيم الموصلى

وحدث يحيى بن محمد قال: بينا نحن على باب الرشيد ننتظر الإذن إذ خرج الآذن، فقال لنا: أمير المؤمنين يقرئكم السلام. قال: فانصرفنا. فقال لنا إبراهيم: تصيرون إلى منزلى؟ قال: فانصرفنا معه. قال: فدخلت داراً لم أر أشرفَ منها ولا أوسع، وإذا أنا بأفرشة خزّ مظهّرة بالسنجاب. قال: فقعدنا، ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ، وقال:

اسقِنى بالكَبير إنى كبيرُ إنما يَشرب الصغيرَ صَغيرُ

ثم قال:

اسقِنى قهوةً بكُوب كَبير ودَع الماء كُلَّه للحَمير

ثم شرب به، وأمر به فمُلِئ، وقال لنا: إنّ الخيل لا تَشرب إلا بالصَّفير. ثم أمر بجوارٍ، فأحطن بالدار. فما شبّهت أصواتَهن إلا بأصوات طير فى أَجمة يتجاوَبْن.

إسحاق الموصلى والمأمون

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: لما أفضتْ الخلافة إلى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء، ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى. ثم واظب على السماع وسأل عَنّى، فجرحنى عنده بعضُ مَن حَسدنى، فقال: ذلك رجل يتيه على الخلافة. فقال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئاً، وأمسك عن ذكرى. وجفانى كُلُّ من كان يَصلنى، لما ظَهر من سوء رأيه. فأضرّ ذلك بى، حتى

جاءنى يوماً عَلّويه فقال لى: أتأذن لى اليوم فى ذكرك؟ فإنى اليوم عنده. فقلت: لا، ولكن غنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: من أين هـذا؟ فينفتح لك ما تريد، ويكون الجواب أسهلَ عليك من الابتداء. فمضى عَلّويه. فلما استقرّ به المجلسُ غنّاه الشعرَ الذى أمرتُه به، وهو:

يا مَشرع الماء قد سُدَّت مَسالكُه أمَا إليك سبيلٌ غيرُ مَسدودِ
لحائمٍ(١) حارَ حتى لا حياةَ به مُشرَّد عن طريق الماء مَطرودِ

فلما سمعه المأمون قال: ويلك! لمن هذا؟ قل: يا سيدى، لعبد من عَبيدك جفوتَه واطّرحته؟ قال: إسحاق؟ قلت: نعم. قال: ليحضُر الساعة. قال إسحاق: فجاءنى الرسول، فصرتُ إليه. فلما دخلت، قال: ادنُ، فدنوت. فرفع يديه مادّهما، فاتكأتُ عليه، فاحتضننى بيديه، وأظهر من إكرامى وبرّى ما لو أظهره صديقٌ لى مواسٍ لسرّنى.

الرشيد وعبثر المغنى

قال: وحدّثنى يوسف بن عمر المدنى قال: حدّثنى الحارث بن عُبيد الله قال: سمعت إسحاق الموصلى يقول: حضرت مسامرةَ الرشيد ليلةً عَبْثراً المغنى، وكان فصيحاً متأدبا، وكان مع ذلك يُغنّى(٢) الشعر بصوت حسن. فتذاكروا رقة شعر المدنيين، فأنشد بعضُ جلسائه أبياتا لابن الدُّمينة حيث يقول:

وأذكُر أيام الحِمى ثم أنثنى على كَبدى مِن خَشيةٍ أن تَصدّعَا
وليست عشيّات الحِمَى برواجعٍ عليك ولكنْ خَلِّ عينيك تَدْمعا
بكتْ عينىَ اليُمنى فلما زجرتُها عن الجهل بعد الحِلم أسبلتا معا

٢٤٥/٣ فأعجب الرشيد برقة الأبيات. فقال له عَبْثر: يا أمير المؤمنين، إنّ هـذا الشعر مدنى رقيق، قد غُذى بماء العَقيق؛ حتى رقّ وصفا، فصار أصفى من الهوا؛ ولكن إن شاء أميرُ المؤمنين أنشدته ما هو أرقّ من هذا وأحلى، وأصلب وأقوى، لرجل من أهل البادية. قال: فإنى أشاء. قال: وأترنّم به يا أميرَ المؤمنين؟ قال: وذلك لك. فغنّى لجرير:

(١) فى بعض الأصول: «لحائر». (١) فى بعض الأصول: «يكمد على».

إن الذين غَــدَوْا بلُبّك غادرُوا ... وشَــــلا بعينك لا يزال مَعِينَا
غَيّضن من عَبَراتهنّ وقُلْن لى ... ماذا لقيتَ من الهَوَى ولَقِينا
رُوحُوا العشية روحةً مذكورة(١) ... إن حِرْن حِرْنا أو هُدِين هُدِينا
فرمَوْا بهن سَــواهماً عَرْضَ الفلا ... إن مِتن مِتْنا أو حَيِين حَيِينا

قال : صدقت يا عبثر ، وخَلع عليه وأجازه .

زرياب وابن الأغلب

وكان لإبراهيم الوصلى عبدٌ أسود يقال له زِرياب ، وكان مطبوعا على الغناء ، علّمه إبراهيم ، وكان ربمـا حضر به مجلسَ الرشيد يُغنى فيه . ثم إنه أنتقل إلى القَيْروان إلى بنى الأغلب ، فدخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، فغنّاه بأبيات عَنترة الفوارس ، حيث يقول :

فإن تكُ أُمّى غُرابيّـــةً ... من أبنـاء حام بها عِبْتَنى
فإنّى لطيفٌ بِبِيض الظبا ... وسُمـــر العَوالى إذا جئْتنى
ولولا فِرارك يوم الوَغَى ... لقدتُك فى الحرب أو قُدْتنى

فغضب زيادة الله ، فأمر بصَفع قفاه وإخراجه ، وقال له : إن وجدتك فى شىء من بلدى بعد ثلاثة أيام ضربتُ عنقك . فجاز البحرَ إلى الأندلس ، فكان عند الأمير عبد الرحمن بن الحـكم .

قند المغنى وشىء من أخباره

وكان فى المدينة فى الصدر الأول مُغن يقال له : قَند ، وهو مولى سَعد بن أبى وقّاص . وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تَستظرفه ، فضربه سعد ، فحلفت عائشة لا تُـكلمه حتى يَرضى عنه قَند . فدخل عليه سَعد وهو وَجِــع من ضربه ، فاسترضاه ، فرضى عنه ، وكلّمته عائشة .

وكان مُعاوية يُعقِب بين مروان بن الحـكم وسَعيد بن العاص على المدينة . يستعمل هــذا سنةً وهذا سنة ، وكانت فى مروان شدّة وغِلظة ، وفى سعد لِين

(١) فى بعض الأصول : « راحوا العشية راحة مشكورة » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان .

عَريكة وحِلْم وصَفح . فلقى مروان بن الحكم قَنداً المغنى ، وهو مَعزول عن المدينة وبيده عُكّازة ، فلما رآه قال :

قُل لقَند يُشيِّع الأظعانا ربما سَرّ عَيننا وكَفانا

قال له قند : لا إله إلا الله ، ما أسمجك واليًا ومعزولا .

من أخبار ابن عائشة

وروى ابن الكلبى عن أبيه قال : كان ابنُ عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وأضيقهم خلقا ، إذا قيل له غَنِّ يقول : أوَ لمثلى يُقال هذا ؟ علىّ عِتْقُ رقبة إن غنيتُ يومى هذا . فإن غَنّى وقيل له : أحسنت . قال : لمثلى يُقال أحسنت ؟ علىّ عِتق رقبة إن غنيتُ سائر يومى هذا . فلما كان فى بعض الأيام سال وادى العقيق ، فجاء بالعَجب ، فلم يبق بالمدينة مُخَبَّأة ولا شابّة ولا شاب ولا كَهل إلا خرج يُبصره ، وكان فيمن خرج ابنُ عائشة المُغنى ، وهو مُعتجر بفضل ردائه ، فنظر إليه الحسنُ بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وكان فيمن خرج إلى العقيق ، وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان ، يَمشيان بين يديه أمام دابته ، فقال لهما : أنتما حُران لوجه الله . إن تفعلا ما آمركما به ، وإلاّ أقطعكما إرْبا إرْبا ، أذهبا إلى ذلك الرجل المُعتجر بفضل ردائه ، فخُذا بضَبْعيه ،
٢٤٦/٣ فإن فعل ما آمره به ، وإلا فاقذفا به فى العَقيق . قال : فمضيا والحسن يَقفوهما . فلم يشعر ابنُ عائشة إلا وهما آخذان بضَبْعيه . فقال : مَن هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يا بن عائشة . قال : لبّيك وسَعديك ، وبأبى أنت وأمى . قال : اسمع منى ما أقول ، واعلم أنك مأسور فى أيديهما ، هما حُران إن لم تُغن مائة صوت إن لم يَطرحاك فى العَقيق ، ولئن لم يفعلا ذلك لأقطعنّ أيديهما . فصاح ابنُ عائشة : ياويلاه ! واعظم مُصيبتاه ! قال : دَع من صياحك وخُذ فيما ينفعنا . قال : اقترح وأقم مَن يُحصى ، وأقبل يغنى . فترك الناسُ العقيق وأقبلوا عليه . فلما تمّت أصواته مائة كبّر الناسُ بلسان واحد تكبيرةً واحدة ارتجّت لها أقطار المدينة ، وقالوا للحسن : صلّى الله على روحك حيًّا وميتا ، فما أجتمع لأهل المدينة

سُرور قطّ إلا بكم أهلَ البيت . فقال له الحسن : إنما فعلت هذا بك يا بن عائشة لأخلاقك الشَّكِسة . قال له ابنُ عائشة : والله مامرّت علىّ مصيبة أعظم منها . لقد بلغتْ أطرافَ أعضائى . فكان بعد ذلك إذا قيل له : ما أشد مامرّ عليك ؟ قال : يوم العقيق .

شىء عن إبراهيم ابن المهدى

وكان إبراهيم بن المَهدى : وهو الذى يقال له ابن شَكلة ، داهيًا عاقلا عالما بأيام الناس، شاعرا مُفلقا ، وكان يصوغ فيُجيد .

هو والمأمون

ويروى عن إبراهيم أنه قد كان خالف على المأمون ودعا إلى نفسه ، نظفر به المأمونُ فعفا عنه ، وقال لما ظَفر به المأمون :

ذهبتُ من الدُّنيا كما ذَهبت منِّى   هَوى الدَّهر بى عنها وأهوى بها عنّى
فإن أبكِ نَفسى أبْك نفساً عزيزةً   وإن أحتسبها أحتسبها على ضَنّ

فلما فُتحت له أبوابُ الرضا من المأمون غنّى بهما بين يديه . فقال له المأمون : أحسنت والله يا أمير المؤمنين . فقام إبراهيم رهبةً من ذلك ، وقال : قَتلتنى والله يا أمير المؤمنين ، لا والله لا أجلس حتى تُسمِّينى بأُسمى . قال : أجلس يا إبراهيم . فكان بعد ذلك آثَر الناس عند المأمون ، ينادمه ويسامره ويُغنيه . فحدّثه يوماً فقال : بينا أنا مع أبيك يوماً يا أمير المؤمنين بطريق مكة إذ تخلّفتُ عن الرُّفقة وانفردت وحدى وعطشت ، وجعلتُ أطلب الرُّفقة ، فأتيت إلى بئر فإذا حبشىّ نائم عندها ، فقلت له : يا نائم ، قُم فاسقنى . فقال : إن كنت عطشان فانزل واستق لنفسك . فخطر صوتٌ ببالى ، فترنّمت به وهو :

كَفّنانى إن مِتّ فى دِرْعِ أروَى   وأسقيانى[(1)] من بئر عُروة مائى

فلما سمعنى قام نشيطاً مسرورا وقال : والله هذه بئر عُروة ، وهذا قبره . فعجبت يا أمير المؤمنين لِمَا خطر ببالى فى ذلك الموضع . ثم قال : أسقيك على أن تُغنينى ؟ قلت : نعم . فلم أزل أُغنيه وهو يجبذ الحبل ، حتى سقانى وأروى دابّتى ،

(1) فى الأغانى (٩ : ٦٣) : « وامتحالى » .

ثم قال : أدلّك على موضع العسكر على أن تُغنيني ؟ قلت : نعم . فلم يزل يعدو بين يدى وأنا أُغنيه حتى أشرفنا على العسكر فانصرف . وأتيت الرشيدَ فحدّثته بذلك فضحك. ثم رجعنا من حَجِّنا ، فإذا هو قد تلقّانى وأنا عَديل الرشيد ، فلما رآنى قال : مُغن والله ! قيل له : أتقول هذا لأخى أمير المؤمنين ؟ قال : إى لعمر الله ، لقد غنّانى ، وأهدى إلىّ أقطا وتمرا . فأمرتُ له بصلة وكُسوة ، وأمر له الرشيد بكُسوة أيضا. فضحك المأمون ، وقال : غنّنى الصوت . فغنيتُه ، فافتتن به . فكان لا يقترح علىّ غيرَه .

مخارق وعلويه

وكان مُخارِق وعلّويه قد حرّفا القديم كُله ، وصيّرا فيه نغما فارسية ، فإذا أتاهما الحجازىّ بالغناء الأول الثقيل قالا : يحتاج غناؤك إلى قصّار . واسم علّويه علىّ بن عبد الله بن سيف[1] بن يوسف ، مولى لبنى أمية .

زلزل

٢٤٧/٣ وكان زَلزل أضرب الناس بوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله . ولم يكن يُغنّى ، وإنما كان يضرب على إبراهيم وابن جامع وبَرْصوما .

ومن غنائه فى المأمون :

ألا إنما المأمون للناس عِصْمة ... مُميِّزة بين الضّلالة والرُّشْدِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه والله أعلم بالعبدِ

يزيد بن عبد الملك وحنظلة الشرقى

حدّث سعيد بن محمد العِجلى عن الأصمعى قال : كان أبو الطَّمحان القَينى ، حَنظلة بن الشَّرقى شاعراً مجيدا ، وكان مع ذلك فاسقا ، وكان قد انتجع يزيدَ ابن عبد الملك ، فطلب الإذنَ عليه أياما ، فلم يصل ، فقال لبعض المُغنين : ألاَ أعطيك بيتين من شعرى تُغنى بهما أميرَ المؤمنين ؟ فإن سألك مَن قائلهما فأخبره أنّى بالباب ، وما رَزقنى الله منه فهو بينى و بينك . قال : هاتَ . فأعطاه هذين البيتين :

يكاد الغَمام الغُرّ يُرعد إن رأى ... مُحيّا ابنِ مَروان ويَنهلّ بارقُه

(١) فى بعض الأصول : « على بن يوسف » . وما أثبتنا من الأغانى وسائر الأصول .

يظلّ فَتيتُ المِسْكِ فى رَونق الضُّحى تَسيل به أصداغُه ومَفارقه

قال: فغُنِّى بهما فى وقت أَرْيحية، نطرب لهما طرباً شديدا، وقال: لله دَرّ قائلهما، مَن هو؟ قال: أبو الطَّمحان القَيْنى، وهو بالباب ياأمير المؤمنين. قال: ما أعرفُه فقال له بعض جلسائه: هو صاحب الدَّير يا أمير المؤمنين. قال: وما قِصة الدير؟ قال: قيل لأبى الطَّمحان: ما أيسر ذنوبك؟ قال: ليلةالدَّير. قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت ذات ليلة بدير نَصرانية فأكلت عندها طَفَيْشَلًا(١) بلحم خِنزير. وشربت من خمرها، وزَنيت بها، وسرقت كساءها ومضيت. فضحك يزيد وأمر له بألفى درهم، وقال: لا يدخل علينا. فأخذها أبو الطَّمحان وانسلّ بها وخَيَّب المُغنى.

السدود وزنين ودبيس

أبو جعفر البغدادى قال: حدّثنى عبد الله بن محمد كاتب بُغَا عن أبى عِكرمة قال: خرجتُ يوماً إلى المَسجد الجامع ومعى قرطاس لأكتب فيه بعض ماأستفيده من العلماء. فمررتُ بباب أبى عيسى بن المتوكّل، فإذا ببابه المسدودُ، وكان من أحذق الناس بالغناء، فقال: أين تُريد ياأبا عكرمة؟ قلت: إلى المسجد الجامع لعلّى أستفيد فيه حكمةً أكتبها. فقال: أُدخل بنا على أبى عِيسى. قال: فقلتُ: مثل أبى عيسى فى قَدره وجلالته يُدخل عليه بغير إذن! قال: فقال للحاجب: أعلِم الأميرَ بمكان أبى عِكرمة. قال: فما لبث إلا ساعةً حتى خرج الغلمان فحملونى حَملاً. فدخلت إلى دارٍ لا والله ما رأيتُ أحسن منها بناء، ولا أطرفَ فرشا، ولاَ صباحة وجُوه. فحين دخلنا نظرتُ إلى أبى عيسى. فلما أبصرنى قال لى: يا بغيض، متى تَحتشم؟ أُجلس، فجلست. فقال: ماهذا القرطاس بيدك؟ قلت: ياسيدى حملتُه لأستفيد فيه شيئا، وأرجو أن أُدرك حاجتى فى هذا المجلس. فمكثنا حيناً، ثم أُتينا بطعام ما رأيتُ أكثر منه ولا أحسن، فأكلنا. وحانت منى التفاتة، فإذا أنا بزنين(٢) ودُبيس، وهما من أحذق الناس بالغناء، قال: فقلت:

---

(٢) الطفيشل، كسميدع: نوع من المرق.

(١) فى بعض الأصول: « بدنين ».

هذا مجلس قد جمع الله فيه كل شىء مَليح . قال : ورُفع الطعام وجئ بالشراب ، وقامت جارية تَسقينا شرابا ما رأيتُ أحسن منه ، فى كأس لا أقدر على وصفها . فقلت : أعزّك الله. ما أشبه هذا بقول إبرهيم بن المهدى يصف جارية بيدها خمر :

حَمْراء صافية فى جَوف صافية ... يَسعى بها نحوَنا خَود من الُحورِ
حَسناء تحمل حَسناوين فى يدها ... صافٍ من الراح فى صافى القواريرِ

٢٤٨/٣ وقد جلس المسدود وزنين ودبيس . ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء ، فابتدأ المسدود فغنّى :

لما أستقلّ بأردافٍ تُجاذبه ... وأخضرّ فوق نظام[1] الدُّر شاربُه
وتَم فى الحسن والتأمت محاسنُه ... ومازجتْ بِدَعاً فيها غرائبُه
وأشرقَ الوردُ فى نَسرين وَجْنته ... واهتزّ أعلاه وارتجّت حَقائبه
كلّمته بجفون غيرِ ناطقةٍ ... فكان من رَدّه ما قال حاجبه

ثم سكت فغنّى زنين :

الُحبّ حُلْو أمرّته عواقبُه ... وصاحبُ الُحب صَبٌّ القَلْب ذائبُه
أستَودع الله مَن بالطّرف ودّعنى ... يومَ الفِراق ودَمعُ العَين ساكبه
ثم أنصرفتُ وداعِى الشّوقِ يهتِف بى ... أرفُق بقَلبك قد عَزّت مَطالبه

ثم سكت وغنى دبيس :

وعاتبتُه دهراً فلمّا رأيتُه ... إذا أزداد ذُلاً جانبى عَزّ جانبُه
عقدتُ له فى الصّدر منّى مودةً ... وَخلّيت عنه منهما لا أعاتبه

ثم سكت فغنّى زنين :

بَدْر من الإنس حَفّته كواكبُه ... قد لاح عارضُه وأخضر شاربُه
إن يَعِد الوعدَ يوماً فهو مُخلفه ... أو يَنطق القول يوماً فهو كاذبه

(١) فى بعض الأصول : « حجاب » .

عاطيتُه كدَم الأوداج[1] صافيةً … فقام يَشدو وقد مالت جوانبه

قال أبو عكرمة : فعجبتُ أنهم غنَّوا بلحن واحد وقافية واحدة . قال أبو عيسى : يُعجبك من هذا شيء يا أبا عكرمة ؟ فقلت : ياسيدى ، الُمنى دون هذا . ثم إن القوم غنّوا على هذا إلى انقضاء المجلس ، إذا ابتدأ المسدود بشيء تبعه الرجلان بمثل ما غنَى . فكان مما غنى المسدود :

يادير حَنّة من ذات الأُكيراح … مَن يَصْحُ عنك فإنّى لستُ بالصّاحى[2]

يَعتاده كُلُّ مَحْفوّ[3] مَفارقُه … من الدّهان عليها سَحْق أمساح

ما يَدْلُفون إلى ماء بآنيةٍ … إلا اغترافاً من الغدران بالرّاح

ثم سكت فغنّى زنين :

دَع البساتين من آسٍ وتُفاح … واعدل هُديت إلى ذات الأُكيراح[4]

وأعدل إلى فِتية ذابت لحومهم … من العِبادة إلا نِضوَ أشباح

وخمرة عُتقت فى دَنّها حِقَباً … كأنها دَمعة من جَفن سيّاح[5]

ثم سكت فغنى دبيس :

لا تحفلن بقول اللائم اللاحى … واشرب على الوَرد من مَشمولة الرّاح

كأساً إذا انحدرت فى حَلق شاربها … أغناك لألاؤُها عن كل مِصْباح

مازِلت أسْقى نَديمى ثم ألثمه … والليلُ مُلتحفٌ فى ثَوب سَيّاح[6]

فقام يَشدو وقد مالت سوالفُه … يادير حنّة من ذات الأكيراح

ثم ابتدأ المسدود فغنّى :

يا احورار العين والدّعج … وابيضاض الثغر والفَلج[7] ٢٤٩/٣

(١) فى بعض الأصول : « الأرواح » .

(٢) الشعر لأبى نواس . والأكيراح : موضع بظاهر الكوفة بالقرب منه ديران : دير مرعبدا ودير حنة .

(٣) فى بعض الأصول : « محنى » .

(٤) الشعر لبكر بن خارجة (انظر معجم البلدان فى رسم الأكيراح) .

(٥) السياح : الراهب المتعبد . وفى بعض الأصول : « فى جفن » .

(٦) فى بعض الأصول : « أمساح » .

(٧) فى بعض الأصول : « واحمرار الخد فى الدرج » .

وبتفّاحِ الخُــدود وما ضَمَّ من مسك ومن أرَجِ
كُن رقيق القلب إنك مِن قَتْل مَن يَهواك فى حَرج

ثم سكت وغنّى زنين :

كِسْروىّ التّيه مُعتــدل هاشمىّ الدّلّ والغَنَج
وله صُـدْغان قد عُطفا ببياضِ الخدّ كالسَّبج
وإذا ما افـترّ مُبتسما أطلق الأسرى من المُهج
ما لمابى منك من فَرج لا ابتَـلانى الله بالفرج

ثم سكت وغنّى دبيس :

يُعمل الأجفان بالدَّعج عَمـل الصهباء بالمُهج
بأبى ظَبى كلِفتُ به واضح الخـدّين والفَلَج
مرّ بى فى زىّ ذى خَنث بين ذات الضالِ من أمج(١)
قلتُ قلبى قد فتكتَ به قال ما فى الدّين من حَرج

ثم سكت وغنّى المسدود :

ما يُبالى اليومَ مَن صَنَعا مَن بقلبى يُبدع البِدَعا
كُنت ذا نُسك وذا وَرع فتركتُ النُّسك والوَرعا
كم زجرتُ القلب عنك فلم يُصغ لى يوماً ولا نَزَعا
لا تَدعنى للهــوى غَرضاً إنْ وِرْد الموت قد شَرعا

ثم سكت وغنّى دبيس :

أَسقِنى كأساً مُصرّدة(٢) إنّ نجم الليل قد طَلعا
قد شربتُ الحبَّ شُربَ فتًى لم يَدَعْ فى كأسه جُرعا

ثم ابتدأ أيضا دبيس فغنى :

يقولون فى البُستان للعَين لذةٌ وفى الخمر والماء الذى غير آسِنِ
إذا شئتَ أن تلقى المحاسن كُلَّها ففى وَجه مَن تهوى جميعُ المحاسن

(١) أمج : بلد من أعراض المدينة . (معجم البلدان) .
(٢) التصريد : الشرب دون الرى .

فغضب المسدود لما قطع عليه دبيس، وقال: غَنِّ على غير هذه القافية واللحن، ثم نرجع إلى حالنا الأولى. فقال أبو عكرمة: قد أصبتَ.

فابتدأ المسدود نغنى:

أَدعوك مِن قلبى إذا لم أرك ... يا غايةَ الطَّرف إذا أبصرك
قَضى لك الله فسُبحان مَن ... أحلَّك القلبَ ومن قَدَّرك
لستُ بناسيك على حالةٍ ... ياليتَ ما تَذْكرنى أذكرك
صَيّرنى الله على ما أرى ... منك من الهَجر كما صَيَّرك

قال: فقال زنين: وأنا فلا بُد أن أسْلك سبيلكما. قال أبو عِكْرمة: ثم التفت إلىّ، فقال: ما تَرى؟ فقلت: أحسنتَ والله. فابتدأ يغنى:

ياهائمَ القَلب عاصٍ مَن عَذلك ... ما نِلْتَ ممّن هويته أملك
٢٥٠/٣ دعاك داعِى الهَوى بخُدعته ... حتى إذا ما أجبته خَذلك
فاحتلْ لداء الهوى وسَطْوته ... إنك إنْ لم تُداوه قَتلك

ثم ابتدأ المسدود يغنى:

شَققت جَيْبى عليك شقًّا ... وما لجيبى أردتُ شَقّا
أردت قلبى فصادفته ... يداى بالجيب قد تَوقَّى
مالِكَ رِقّى أبيتَ عِتْقى ... لولاك ما كُنت مُسترقا

ثم سكت وغنّى زنين:

قد ذُبتُ شوقًا ومِتّ عِشْقا ... يا زَفراتِ المحب رِفْقا
ثَكِلتُ نَفسى وزُرْتُ رَمْسى ... إن كنتُ للهَجر مُستحقا

ثم سكت وغنى دبيس:

ظمئتُ شوقًا وبَحْر عِشْقى ... يَفيض عَذبًا ولستُ أُسقَى
أنا الذى صِرت مِن غَرامى ... على فِراش السَّقام مُلقَى
فمِن زَفير ومِن شَهيق ... ومن دُموع تجود سَبْقا

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

ماذا على نُجل العُيون لو أنهم أوْمَوْا إليك فسلَّموا أو عرَّجوا
أَمِنُوا مُقاساة الهُموم وأيقنوا أن المُحب إلى الأحبة يُدْلِج

ثم سكت وغنّى دبيس :

هيّا فقد بدأ الصَّباح الأبلج[(1)] قد ضَمَّ مُشبهةَ الغزالِ الهودجُ
بانُوا ولم أقض اللُّبانة مِنهمُ وكذا الكريمُ إذا تَصابى يَلْهج

ثم سكت وغنى زنين :

السِّحر والغُنج فى عَينيك والدَّعجُ والشمسُ والبدرفى خدَّيك والضَّرجُ
الدُّر ثَغرك لولا أنّ ذا بَرَدٌ والحِبْر صُدغك لولا أن ذا سَبِج
أنضجت قلبى ولو أنّ الورى لقيتْ قلوبُهم منك مالاقيتُ ما لَجِو

ثم سكت وابتدأ المسدود فغنى :

يا صاحبَ المُقَل المِراضِ انظُر إلىّ بعين رَاض
إنْ تجفُنى مُتعمِّداً لِتُذيقنى جُرَع الحِياض
فلطالما أمكنتنى منك المراشفَ عن تَراض

ثم سكت وغنى زنين :

هائم مُذْنِف من الإعراض لا سبيلٌ له إلى الإغماض
مُوثَق النوم مُطلق الدَّمع ما يَعْرف مَلجأ من الحتوف القَواضى
ما يرَى جسمَه سوى لحظاتٍ أمرضتْه من العيُون المِراض

ثم سكت وغنى دبيس :

كن ساخطاً وأظْهِر بأنك راضِى لا تُبدينّ تَكرُّه الإعراض
٢٥١/٣ وانظُر إلىّ بمُقلة غَضبانةٍ إن كنتَ لم تَنظر بمُقلة راض

(1) فى ا :
* هيا بدا وضح النهار الأبلج *

وارحم جُفوناً ماتجفّ من البُكا ... في ليلةٍ مسلوبة الإغماض
واحكُم فديتُك بين جِسمي والهوى ... فالحُكم منك على الجوارح ماضِ

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

ياذا الذى حال عن العهدِ ... ومَن برانى منه بالصدّ
بسُمرة الخال وما قد حوى ... من حُمرةٍ فى سالف الخدّ
ألاَ تعطّفت على عاشقٍ ... مُنفرد بالبثّ والوَجد

ثم سكت وغنى زنين :

أظلّ بكتمان الهوى وكأنما ... ألاقى الذى لاقاه غيرى من الوَجد
فلا الدمع أطفى حُرقة البَين والبُكا ... ولا أنا بالشّكوى أنفّس من جَهدى

ثم سكت وغنى دُبيس :

تَهزّأتَ بِيَ لما خلوتَ من الوَجد ... ولم ترْثِ لى لا كان عندك ما عِندى
وعِبتَ علىّ الشوق والوَجْد والبُكا ... وأنتَ الذى أجريتَ دَمعى على خَدّى
صددتَ بلا جُرم إليك أتيتُه ... أكان عجيباً لو صددتَ عن الصدّ
ألا إننى عبدٌ لطَرْفك خاضِع ... وطَرْفُك مولًى لا يَرِقّ على عَبْد

ثم غنى المَسدود :

أقمتُ ببلدةٍ ورحلتَ عنها ... كلانا عند صاحبه غَريبُ
أقلُّ الناس فى الدُّنيا نَصِيبا ... مُحِبٌّ قد نأى عنه الحبيب

ثم سكت وغنى زنين :

خليلى ما للعاشقين قلوب ... ولا للعُيون الناظرات ذنوب
فيا معشر العشاق ما أوجع الهوى ... إذا كان لا يلقى المُحِبَّ حبيب

ثم سكت وغنى دبيس :

[ذَلّت لوجهك أعين وقلوب ... بين المخَافة والرجاء تذوب]
يا واحدَ الحسن الذى لحظاتُه ... تَدعو النفوسَ إلى الهوى فتُجِيب

مَن وجهُه القمرُ المُنير وقَدُّه[1] … غُصْن نَضِيرٌ مُشرق وكَثِيب
ألناظرَيْك على العُيون رَقِيب … أم هل لطَرْفك فى القُلوب نَصِيب

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

قَلَق لم يَزُل وصَبر يَزُول … ورِضًى لم يَطُل وسُخط يَطُول
لم تَسِل دَمْعتى علىَّ من الرَّحـ … ـمة حتى رأيتُ نَفسى تَسِيل
جال فى جِسْمىَ السقامُ فجِسْمى … مُدْنَف ليس فيه رُوح تَجُول
يَنْقضى للقَتيل حَوْل فيُنْسى … وأنا فِيك كُلَّ يوم قَتِيل

ثم سكت وغنى زنين :

ويُقنعنى مِمَّن أحب كِتابُه … ويَمْنعنيه إنه لَبَخِيل
كفى حَزَنًا ألاَّ أُطيق وَداعكم … وقد حان منى يا ظلوم رَحِيل

ثم سكت وغنى دبيس :

ليس إلى تَرْكك مِن حِيلة … ولا إلى الصَّبر لقَلْبى سَبِيل
فكيفما شِئت فكُن سيِّدى … فإنَّ وجدى بك وجدٌ طويل
٢٥٢/٣ إنْ كنتَ أزمعتَ على هَجْرنا … فحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل

قال أبو عكرمة : فأقبل أبو عيسى على المَسدود ، فقال له : غَنِّ صوتاً . فغنى :

ما حِيلتى وفُؤادى هائمٌ أبدا … بعَقْرب الصُّدغ مِن مولاى مَلْسوع
لا والذى تَلِفَت نَفْسى بفُرْقته … فالقلبُ من حُرق الهجران مصدوع
ما أرّقَ العينَ إلا حُبُّ مُبتدع … ثوبُ الجَمال على خَدَّيه مَخْلوع

قال أبو عكرمة : فوالله الذى لا إله إلا هو لقد حَضرت من المجالس ما لا أحصى ، ما رأيتُ مثل ذلك اليوم . ثم إنّ أبا عيسى أمر لكل واحد بجائزة وانصرفنا . ولولا أنّ أبا عيسى قَطعهم ما انقطعوا[2] .

---

(١) فى بعض الأصول : « وحسنه » .

(٢) فى ا بعدهذا : « آخر الجزء الأول من الياقوتة الثانية فى الألحان . واختلاف الناس فى ذلك » .

من سمع صوتا فوافقه معناه واستخفه الطرب(١)

إبراهيم الموصلى والرشيد

حكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن أبيه ، قال : دخلت على هارون الرشيد ، فلما رأيتُه قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهنّ على الرجال ، غنّيتُه بأبياته التى يقول فيها :

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانى   وحَلَلْن مِن قلبى بكُل مَكان
مالِى تُطاوعنى البريّة كُلّها   وأُطيعهن وهُن فى عِصْيانى
ما ذاكَ إلا أنّ سُلطان الهوَى   وبه قوِين أعزُّ من سُلطانى

فارتاح وطَرب وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

إبراهيم الموصلى والأمين

وغنى إبراهيم الموصلى محمّد بن زُبيدة الأمينَ بقول الحسن بن هانئ فيه :

رشأ لولا محاسنُه(٢)   خلَت الدُّنيا من الفِتَنِ
كُلّ يوم يَسْترِقّ له   حُسنُه عبداً بلا ثَمن
يا أمينَ الله عِشْ أبدا   دُم على الأيام والزّمن
أنت تَبقى والفَناء لنا   فإذا أفنيتَنا فكُن
سَنّ للناس القِرى فقَرَوْا(٣)   فكأنّ البُخل لم يَكُن

قال : فاستخفّه الطرب حتى قام من مجلسه ، وأكبّ على إبراهيم يُقبل رأسه . فقام إبراهيم من مجلسه يُقبل أسفل رجليه ، وما وَطِئتا من البساط . فأمر له بثلاثة آلاف درهم . فقال إبراهيم : يا سيدى ، قد أجزتنى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم . فقال الأمين : وهل ذلك إلاّ خراج بعض الكُور ؟!

بين جرير وأشعب

الرياشىّ عن الأصمعى ، قال : قدم جرير المدينةَ فأتاه الشعراء وغيرهم ، وأتاه أشعب فيهم . فسلّموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا ، وبقى أشعب . فقال له

(١) قبل هذا العنوان فى ا : الجزء من الياقوتة الثانية من كتاب العقد . بسم الله الرحمن الرحيم . ربى يسر وأعن » .
(٢) فى بعض الأصول : « ملاحته » .
(٣) فى ا : « سن للناس الندى فبدا » .

جرير : أراك قبيحاً وأراك لئيم الحسب ، ففيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له : أصلحك الله ، إنه لم يدخل عليك اليومَ أحدٌ أنفع لك منّى . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى آخذ رقيق شِعرك فأزيّنه بحُسن صوتى . فقال له جرير : فقُل . فاندفع يغنيه :

ياأختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ   قبل الرّحيل وقبل لَوْم العُذّلِ
لو كنتُ أعلم أنّ آخر عَهدكم   يوم الرّحيل فعلتُ مالم أفعل

قال : فاستخفّ جريراً الطربُ لغنائه بشعره حتى زَحف إليه وأعتنقه . وقَبّل بين عينيه ، وسأله عن حوائجه فقضاها له .

بين المسور بن مخرمة وزوجه

٢٥٣ / ٣ الزبير بن بكّار قال : كان المِسْور بن مَخْرمة ذا مال كثير ، فأسرع فيه على إخوانه ، فذهب . فسأل أمرأته ، وكانت موسرة ، فمنعته وبَخلت عليه . فخرج يريد بعضَ خلفاء بنى أمية مُنتجعا . فلما كان ببعض الطريق نزل ماء يقال له بَلاكِث . فقال له غُلامه : كيف يقال لهذا الماء ؟ قال : يقال له بَلاكث . فقال :

بينما نحنُ من بلاكث بالقا   ع سراعاً والعِيس تَهْوِى هُوِيّا
خَطرت خطرة على القلب مِن ذِكـ   ـراكِ وَهْناً فما أستطعتُ مُضيّا
قلتُ لبّيك إذ دعانى لك الشو   قُ وللحادِيَيْن كُرّا المَطِيّا

فقال : هُن بُدُن إن لم تكرّها رواجع . قال له : قد أشرفن على أمير المؤمنين . قال : هن بُدن إن لم تكرّها رواجع . فانصرف ودخل المصلّى ليلا . فوجد رجال قريش حَلَقا يتحدثون ، فقالوا له : زاد خير . فقال : زاد خير . حتى انتهى إلى داره . فقالت له امرأته : زاد خير . فأنشدها الأبيات . قالت : كل ما أملك فى سبيل الله إن لم أشاطرك مالى . فشاطرته مالها .

عمر الوادى وعبد مغن

وروى أبو العبّاس قال : حُدّثت أن عُمر الوادى قال : أقبلتُ من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صَمْد[1] من الأرض ، فسمعت غِناء من الهواء لم أسمع مثلَه ،

(١) الصمد : المكان المرتفع الغليظ .

فقلت : والله لأتوصلن إليه . فإذا هو عبد أسود . فقلت له : أعِدْ ما سمعتُ . فقال : والله لو كان عندى قِرى أقْرِيكه مافعلت ، ولكن أجعله قراك . فإنى والله ربما غنّيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى . ثم ابتدأ فغنى :

وكنتُ متى مازُرْت سُعدى بأرضها أَرى الأرضَ تُطوى لى ويَدنو بعيدُها
مِن الخَفِرات البيض وَدَّ جَلِيسها إذ ما انقضت أُحدوثة لو تُعيدها

قال عمر : فحفظتُه منه . ثم تغنّيت به على الحالات التى وَصف ، فإذا هو كما ذكره .

خالد صامة والوليد بن يزيد

وتحدث الزبيريون عن خالد صامة بأنه كان من أحسن الناس ضربا بعود ، قال : قدمتُ على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به مجلساً ، فألفيتُه على سريره وبين يديه مَعبد ومالك بن أبى السَّمح وابن عائشة وأبو كامل غُزَيِّل الدمشقى ، فجعلوا يغنّون حتى بلغت النوبة إلىّ . فغنيتُه :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرء يَسْرِى وغاب النَّجم إلا قِيدَ فِتْرِ
لِهَمِّ ما أزال له قَرينا كأنَّ القلبَ أُودع[1] حَرَّ جَمْر
على بَكْرٍ أخى فارقْت بكراً وأىّ العيشِ يَصلُح بعد بكر

فقال : أعِدْ ياصام . ففعلت . فقال لى : مَن يقول هذا الشعر ؟ قلت : يقوله عُروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا . قال الوليد : وأىّ عيش يصلُح بعد بكر . والله لقد حَجّر واسعا . هذا والله العيش الذى نحن فيه يصلح على رَغم أنفه .

سكينة وشعر لعروة بن أذينة

وقد قيل إن سُكينة بنت الحُسين غُنيت[2] بهذا الشعر فقالت : ومن بكر هذا ؟ [فو صف لها . فقالت] : هو ذاك الأُسَيِّد[3] الذى كان يأتينا ، لقد طاب كل شىء بعده حتى الخُبز والزيت .

(١) فى الكامل ٣٨٦ : « أبطن » .
(٢) فى الكامل : « أنشدت هذا الشعر » .
(٣) الأسيد : تصغير الأسود . وفى بعض الأصول : « الأسد » . وما أثبتنا من سائر الأصول والكامل .

اسحاق الموصلى ورجل آخاه بالمدينة يغنى

وعن عبد الصمد بن المُعذل قال : سمعتُ إسحاق الموصلى يتحدّث قال : حججتُ مع الرشيد ، فلما نزلت المدينة آخيتُ بها رجلا كانت له مُروءة ومعرفة وأدب ، وكان يغنى . فإنى ذاتَ ليلة فى منزلى إذا أنا بصوته يستأذن علىّ ، وظننت أمراً قد حدث ففزع فيه إلىّ . فأسرعتُ نحو الباب ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : دعانى صديق إلى طعام عتيد ومجلس شراب قد ألتقى طرفاه ، وشِواء رَشراش[1] ، ٢٥٤/٣ وحديث مُمتع وغناء مُشبع ، فأجبتُه وأقمت معه إلى هـذا الوقت ، فأخذتْ منى حُميا الكأس مأخذها ، ثم غنّيت بقول نُصيب :

نُوَيْنب ألمم قبل أن يَرْحل الرَّكبُ ... وقُل إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

فكِدْتُ أطير طربا . ثم وجدت فى الطرب تنغيصا إذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمتُه . ففزعتُ إليك لأصف لك هـذه الحال ، ثم أرجع إلى صاحبى . وضرب بغلته مولّيا . فقلت : قِف أكلمك . فقال : مابى إلى الوقوف إليك من حاجة .

نصيحة معاوية لابنه يزيد بير سائب خاثر

وحدّث أن معاوية بن أبى سفيان أستمع على يزيد ذات ليلة فسمع عنده غِناء أعجبه ، فلما أصبح قال له : مَن كان مُلهيك البارحة ؟ قال : سائب خاثر ، قال : فأكثر له من العطاء .

ابن أبى عتيق وعثمان المرى فى تحريم الغناء بالمدينة

وكان ابن أبى عَتيق من نُبلاء قريش وظرفائهم . فمن ظريف أخباره أن عثمان بن حَيّان المُرى لما دخل المدينة والياً عليها أجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، فقالوا له : إنك لاتعمل عملاً أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا . ففعل وأجّلهم ثلاثا . فقدم ابنُ أبى عتيق فى الليلة الثالثة وكان غائباً . فحطّ رحلَه بباب سَلّامة الزّرقاء ، وقال لها : بدأتُ بك قبل أن أصير إلى منزلى . قالت : أو ماتدرى ما حَدَث بعدك ؟ وأخبرته الخبر . فقال: أقيمى إلى السَّحر حتى ألقاه . فلقيه فأخبره أنّه إنما أقدمه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له : إن أفضل ماعملتَ تحريم

(١) الرشراش : المخضل الندى الذى يقطر دسمه .

الغناء والزنا . فقال : إن أهلك أشاروا عليّ بذلك . فقال : إنهم وُفّقوا ووُفّقت ، ولكني رسولُ امرأة إليك تقول : قد كانت هذه صناعتي فتُبت إلى الله منها . وأنا أسألك أيها الأمير ألاّ تحول بينها و بين مُجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . فقال عثمان : إذاً أدَعَها . فقال : إذاً لا يَدعك الناس ، ولكن تدعو بها فتنظر إليها ، فإن كان يجوز تَركها تركتها . قال : فادْع بها . فأمر بها ابنُ أبي عتيق . فتنقّبت وأخذت سُبحة في يدها وصارت إليه ، فحدّثته عن مآثر آبائه ، ففكِه بها . فقال ابنُ أبي عتيق : أريد أن أسمع الأمير قراءتها . ففعلت ، فحرّكه حُداؤها . ثم قال له ابنُ أبي عتيق : فكيف لو سمعتَها في صناعتها التي تركتْها . فقال له : قل لها فلتُغن . فغنّت :

سَددن خَصاص البيت لما دخلنَه بكل بَنَان وَاضــــح وجَبين

فنزل عثمان عن سَريره ثم جلس بين يديها ، وقال : لا والله ما مِثلك يَخرج عن المدينة . فقال ابنُ أبي عتيق : يقول الناس أذن لسلّامة ومَنع غيرها . فقال له : قد أذنت لهم جميعا .

ابن أبي عتيق وقد بلغه أن مغنيا خصى

وذُكر لابن أبي عتيق أنّ المخنّثين خُصوا . وأنه خُصى فلان فيهم ، لواحد منهم كان يعرفه . فقال ابنُ أبي عتيق : إنا لله! لئن خُصى لقد كان يُحسن :

لمَن رَبْع بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

ثم استقبل ابنُ أبي عَتيق القبلة ، فلما كَبّر سَلّم ، ثم قال لأصحابه : أما إنه كان يُحسن خفيفَه ، فأما ثقيله فلا والله ، ثم كَبّر[1] .

سليمان بن عبد الملك ومغن أمر بخصائه

وكان سليمان بن عبد الملك مُفرط الغَيْرة ، فسَمع مُغنّيا في عسكره ، فقال : اطلبوه ، فجاءوا به . فقال له : أعِد ماتغنّيت به . فأعاد واحتفل. فقال : لأصحابه : والله لكأنها جَرجَرة الفحل في الشّول ، وما أحسب أنثى تَسمع هذا إلا صَبت إليه . ثم أمر به فخُصى .

(١) في ن : « فلا . الله أكبر » .

حديث رجل سمع شعرا فى مجلس ابن هشام

وقال أبو العبّاس محمد بن يزيد النحوى : رُوى لنا أن رجلا من الصالحين كان عند إبراهيم بن هشام ، فأنشده إبراهيمُ قول الشاعر :

إذ أنتِ فينا لمن يَنهاكِ عاصيةٌ وإذ أجُرُّ إليكم سادراً رَسَنى

٢٥٥/٣ فقام الرجل فرمى بشِق ردائه وأقبل يَسحبه حتى خرج من المجلس ، ثم رَجع إلى موضعه فجلس . فقال له إبراهيم : ما بالك ؟ قال : إنى كُنت سمعتُ هذا الشعر فاستحسنتُه ، فآليتُ ألاّ أسمعه إلا جررتُ ردائى كما جرّ هـذا الرجل رَسنه .

بين شاعر ومغن

ووقف رجل من الشعراء على رجل من المغنين فأنشده :

إنى أتيتُ إليك من أهلى فى حاجةٍ يسعَى لها مِثْلِى

لا أبتغِى شيئاً لديك سِوَى حَىِّ الُحمول بجانب الرَّمل

قال له : انزل [فلك ما طلبت] .

بين دحمان وقوم سألوه عن ثمن ثوبه

مر دحمان الُمغنى بقوم وعليه رداء عَدَنىّ يثربىّ . فقالوا له : بكم أخذت الرداء ؟ فقال :

* ما ضر جيراننا إذا انتجعوا *

نصيحة إسحاق للمغنين وأخذ أشعب بها

وحدث أبو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : كان يُقال قديماً : إذا قسا عليك قلبُ القُرشى من تِهامة فغنّه بشعر عمرَ بن أبى ربيعة وغناء ابن سُريج . وكذا فعل أشعب برجل من أهل مكة من بنى هاشم ، وكان أشعب قد انتجع أهلَ مكةَ من المدينة . قال أشعب : فلما دخلتُ عليه غنيتُه بغناء أهل المدينة وأهل العقيق . فلم ينجع ذلك فيه ولم يُحرك من طِيبه ولا أريحيته . فلما عِيل صَبرى غنيتُه بغناء ابن سُريج المكى وقول ابن أبى ربيعة القرشى :

نظرتُ إليها بالُمحصَّب من مِنى ولى نَظَــر لولا التحرّج عارمُ

فقلت أشمسٌ أم مَصابيح راهبٍ بدت لك تحت السَّجْف أم أنت حالم

بعيدة مَهْوَى القُـــرط إمّا لنَوفل … أبوها وإما عبد شمس وهاشم

قال : فحرّكت والله من طَربه . وكان الذى أردتُ . ثم غنّيته لابن أبى رَبيعة القرشى أيضا :

ولولا أن تقول لنـا قريش … مَقَال النّاصح الأدنى الشّفيق
لقلتُ إذا التقينا قبِّلينى … وإن كُنّا بقَارعة الطَّريق

فقال : أحسن والله . هكذا يطيب التلاقى ، لا بالخوف والتوقِّى . قال : فلما رأيتُه قد طرب للصوتين ولم يَنْفَدَ لى بشىء . قلت : هو الثالث وإلا فعليه السلام . قال : فغنيته الثالث من غناء ابن سُريج وقول عُمر بن أبى ربيعة ، ويقال إنها لجميل :

مازلتُ أمتحن الدَّسـاكر دونها … حتى ولجتُ على خَـفِىّ المَوْلِج
فوضعتُ كفِّى عند مَقطع خَصْرها[1] … فتنفَّست نَفَسًا ولم تتلهَّـج[2]
قالت وحقِّ أخى وحُرمة والدى … لأُنبهنّ الحىّ إن لم تخْرج
فخرجتُ خِيفـة قولهـا فتبسّمت … فعلمتُ أن يمينَهـا لم تحرَج[3]
فرشفتُ فاها آخِـــذاً بقُرونها … رَشْفَ النَّزيف ببرد ماء الحشْرج

فصاح الهاشمىّ : أواه ! أحسن والله وأحسنت ! وأمر لى بألف درهم وثلاثين حُلة وخِلعة كانت عليه .

ابن سريج وهاشمى

وغنى ابنُ سُريج رجلاً من بنى هاشم بقول جرير :

بَعثْن[3] الهوَى ثم ارْتمين قلوبنَا … بأسهم[4] أعداء وهُنّ صديقُ
وما ذُقت طَعم العَيش منذ نأيتمُ … وما ساغ لى بين الجوانح ريق[5]

قال : فخَطف من ثوبه ذراعا ، وقال : هذا والله العِقْيان فى نحُور القِيان .

ناسك وشاب وجارية تغنى

قال : وصَحب شيخٌ من أهل المدينة شابًّا فى سفينة ، ومعهم جارية تُغنى ،

(١) فى بعض الأصول : « كفها » . (٢) فى بعض الأصول : « ولما تلهج » .
(٣) فى ن : « لم تلجج » . (٤) فى الديوان : « دعون » .
(٥) فى بعض الأصول : « بأمين » .
(٦) رواية البيت فى الديوا :

وما ذقت طعم النوم إلا مفزعا … وما ساغ لى بين الحيازم ريق

٢٥٦/٣ فقال له : إن معنا جارية تُغنى ونحن نُجلّك ، فإذا أذِنت لنا فَعلنا ؟ قال : فأنا أعتزل وافْعلوا ما شئتم . فتنحّى وغَنت الجارية :

حتى إذا الصبحُ بدا ضوؤه وغابت الجـــوزاء والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوَطء خَـــفِيّ كما يَنْساب من مَـكْمَنه الأرْقم

فرمى النـاسكُ بنَفسه فى الفرات وجعل يخبط بيديه طربا ويقول : أنا الأرقم . فأخرجوه وقالوا : ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : والله إنى أعلم مِنْ تأويله مالا تعلمون .

حديث قاض سمع جارية تغنى

وقال أحمد بن جعفر : حَضر قاضى مكة مأدُبةً لرجل من الأشراف . فلما انقْضى الطعام اندفعت جاريةٌ تُغنى :

إلى خالد حـــتى أنخْنا بخالد فنِعْم الفَتى يُرْجى ونِعم المُؤمّلُ

فلم يدر القاضى ما يَصنع من الطرب حتى أخذ نَعليه نعلّقهما فى أذنيه ، ثم جَثى على رُكبتيه ، وقال : اهدُونى فإنى بَدنة .

بين هاشمى ومغن

كان رجل من الهاشميّين يُحب السماع ، فبعث إلى رجل من المغنّين فاقترح عليه صوتاً كان كَلِفاً به ، فغنّاه إياه . نطرب الهاشمى وشَقّ ثوبا كان عليه ، ثم قال للمغنى : أفعل بنفسك مثلَ ما فعلتُ بنفسى . قال : أصلحك الله ، إنك تجد خَلفا من ثَوبك ، وإنى لا أجد خلفاً من ثوبى . قال : أنا أُخلف لك . قال: فافعل ونفعل . قال : أخرجتنا من حَدّ الطيب إلى حد الشّوم .

من قرع قلبه صوت فمات منه أو أشرف

حديث مغنية ليزيد بن عبد الملك

حدث أبو القاسم إسماعيل بن عبدالله المأمونَ فى طريق الحج من العراق إلى مكة قال : حدّثنى أبى ، قال : كانت بالمدينة قَينة من أَحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأفضلهم أدبا ، قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلّمت العربية ، فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم : ويحك ! أمالك

قرابةٌ أو أحد يَحسن أن أصطنعه أو أُسدى إليه معروفا ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، أمّا قرابة فلا ، ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاى ، كنت أحب أن ينالهم شيء مما(1) صرتُ إليه . فكتب إلى عامله بالمدينة فى إشخاصهم وأن يُعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ، وأن يُعجّل بسراحهم إليه . ففعل عاملُ المدينة ذلك . فلما وصلوا إلى باب يزيد أُستُؤذن لهم ، فأذن لهم وأكرمهم وسألهم حوائجهم . فأمّا الاثنان فذكرا حوائجهما ، فقضاها لهما . وأما الثالث فسأله عن حاجته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مالى حاجة . قال : ويحك ! ولِمَ ؟ ألستُ أقدر على حوائجك ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حاجتى لا أحسبك تقضيها . قال : ويحك ؟ فسلنى فإنك لا تسألنى حاجة أقدر عليها إلا قضيتُها . قال : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وكرامة . قال : إن رأيتَ أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتَنا لها أن تُغنينى ثلاثة أصوات ، أشرب عليها ثلاثة أرطال ، فافعل . قال : فتغيّر وجه يزيد وقام من مجلسه ، فدخل على الجارية فأعلمها . قالت : وما عليك يا أمير المؤمنين ، افعل ذلك . فلما كان من الغد أمر بالفتى فأُحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فأُلقيت . فقعد يزيد على أحدها ، وقعدت الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث ، ثم دعا بطعام فتغدَّوا جميعا ، ثم دعا بصُنوف الرياحين والطيب فوُضعت ، ثم أمر بثلاثة أرطال فمُلئت . ثم قال للفتى : قُل ما بدالك وسَل حاجتك . قال : تأمرها تُغنى :

لا أستطيع سُلوًّا عن مودّتها ... أو يَصنع الحبُّ بى فوق الذى صَنعا
أدعو إلى هَجرها قَلبى فيُسعدنى ... حتى إذا قلتُ هذا صادِق نَزَعا

فأمرها فغنّت . فشَرِب يزيد وشرب الفَتى ثم شربت الجارية . ثم أمر ٢٥٧/٣
بالأرطال فمُلئت ، ثم قال للفتى : سَلْ حاجتكَ ، قال : تأمرها تُغنى :

تخيرتُ من نَعمان عُود أراكة ... لِهند ولكن مَن يبلّغه هِندَا(2)

(1) فى بعض الأصول : « من خيرما » .
(2) فى بعض الأصول : * لهند فمن هذا يبلغنى هندا *

ألا عَرِّجا بى بارك الله فيكما وإن لم تكُن هِنْد لأرضكما قَصْدا

قال : فغنّت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية . ثم أمر بالأرطال فمُلئت ، ثم قال للفتى : سَل حاجتَك . قال : يا أمير المؤمنين ، مرُها تغنى :

منّا الوِصال ومنكمُ الهَجرُ حتى يُفرّق بيننا الدّهرُ
والله ما أسلوكمُ أبداً ما لاح نجمٌ أو بدا فجْر

قال : فلم تأت على آخر الأبيات حتى خرّ الفتى مَغشيًّا عليه . فقال يزيد للجارية : انظُرى ما حالُه . فقامت إليه فحرّكته فإذا هو ميّت . فقال لها : أبكيه . قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حىّ . قال لها : أبكيه ، فوالله لو عاش ما انصرف إلا بك . فبكته ، وأمر بالفتى فأحسن جهازه ودَفْنه .

عبد الملك بن مروان وابن جعفر وحديث جارية لابن جعفر

قال : وحدث أبو يوسف بالمدينة قال : حدّثنا إبراهيم بن المُنذر الحزامى عن أبيه ، أنّ عبد الله بن جعفر وَفَد على عبد الملك بن مَرْوان ، فأقام عنده حيناً . فبينا هو ذاتَ ليلة فى سَمَره إذ تذاكروا الغِناء . فقال عبد الملك : قبّح الله الغناء ، ما أوضعه للمروءة ، وأجرحه للعِرْض ، وأهدمه للشرف ، وأذهبه للبهاء . وعبد الله ساكت ، وإنما عَرض لعبد الله ، وأعانه عليه مَن حضر من أصحابه . فقال عبدُ الملك : مالك أبا جعفر لا تتكلّم ؟ قال : ما أقول والحمى يتمزّع وعِرْضى يتمزق . قال : أما إنى نُبئت أنك تُغنى ؟ قال : أجل يا أمير المؤمنين . قال : أفٍّ لك وتُف . قال : لا أُف ولا تُف ، فقد تأتى أنت بما هو أعظم من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : يأتيك الأعرابىّ الجافى يقول الزُّور ويَقذف المُحصنات ، فتأمر له بألف دينار ، وأشترى أنا الجارية الحسناء من مالى فأختار لها من الشعر أجودَه ، ومن الكلام أحسنه ، ثم تردّده علىّ بصوت حَسن ، فهل بذلك بأس ؟ قال : لا بأس ، ولكن أخبرنى عن هذه الأغانى ما تَصنع ؟ قال : نعم ، اشتريتُ جارية باثنى عشر ألف درهم مطبوعة ، فكان بديح وطُويس يأتيانها فيَطرحان عليها أغانيهما ، فعلقتْ منهما حتى غلبتْ عليهما ، فوُصفت ليزيد بن معاوية ، فكتب إلىّ : إمّا أهديتَها

إلىّ وإما بعتَها بحكمك . فكتبتُ إليه : إنها لا تخرج عن مِلْكى ببيع ولاهبة . فبذل لى فيها ما كنتُ أحسب أنّ نفسه لاَ تَسخو به ، فأبيتُ عليه . فبينما هى عنـدى على تلك الحال إذ ذَكرت لى عجوز من عجائزنا أنّ فتى من أهل المدينة يَسمع غناءها ، فعلقها وشُغف بها ، وأنه يجىء فى كل ليلة مستتراً يقف بالباب حتى يَسمع غناءها ثم ينصرف . فراعيت مجيئه ، فإذا الفتى قد أقبـل مُقنَّع الرأس ، فأشرفتُ عليه وقد قعد مُستخفيا . فلم أدعْ بها تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعه . فبات مكانَه الذى هو فيه . فلما أنشق الفجر أطلعت عليه فإذا هو فى موضعه ، فدعوت قيّمة الجوارى فقلتُ لها : أنطلقى الساعة فزَيّنى هذه الجارية وأعجلى بها إلىّ . فلما جاءت بها نزلتُ وفتحت الباب وحرّكته . فانتبه مذعورا ، فقلت له : لا بأس عليك ، خذ بيد هذه الجارية فهى لك ، وإن هممت ببيعها فرُدها إلىّ . فدَهِش وأخذه الخبـل ولُبط به[1] . فدنوت من أذنه فقلت : ويحك ! قد أظفرك الله ببُغيتك ، فقم فانطلق بها إلى منزلك . فإذا الفتى قد فارق الدنيا . فلم أر شيئاً ٢٥٨/٣ قطُّ أعجب منه .

قال عبد الملك : وأنا والله ما سمعتُ شيئا قطُّ أعجب من هـذا ، ولولا أنك عاينتَه ماصدّقت به ، فما صنعت بالجارية ؟ قال : تركتُها عندى وكنت إذا ذكرت الفتى لم أجد لها مكاناً من قلبى ، وكرهتُ أن أوجه بها إلى يزيد فيبلغه حالها فيحقد علىّ ، فما زالت تلك حالُها حتى ماتت .

طريفة وأيوب المغنى

ووقف رجل يقال له طريفة على أيوب المُغنى[2] فقال :

إنى قصـدتُ إليك من أهلى   فى حاجة يَسعى لهـا مِثْلِى
لا أبتغى شيئاً لديك سِـوى   حىّ الحـول بجانب الرّمل

فقال له انزل فلك ما طلبت[3] . فنزل . فأخرج عوده ثم غنّاه ، بقول أمرئ القيس :

---

(١) لبط به : صرع .   (٢) فى بعض الأصول : « أيوب الشعبى »
(٣) مر هذا الخبر ص ٥١ من هذا الجزء .

حىٌّ الُحمولَ بجانب العَزْلِ(١) إذ لا يلائم شكلُها شَكلى

فلُبِط(٢) بطريفة، فإذا هو فى الأرض مُنجدل. فلمّا أفاق قام يَمسح التراب عن وجهه. فقيل له: ويحك! ما كانت قصّتك؟ قال: أرتفع والله من رجلى شىء حارّ وهَبط من رأسى شىء بارد فالتقيا وتصادما، فوقعتُ بينهما لا أدرى ما كانت حالى.

أخبار عنان وغيرها من القيان

خبر شراء الرشيد لعنان

حدّث محمد بن زكريا الغلابى بالبصرة: قال: حَدثنا إبراهيم بن عمر قال: كان هارون الرشيد قد استعرض عِنان جارية الناطفى ليشتريها، وقال لها: أنا والله أحبك. ثم أمسك عن شرائها. فجلس ليلةً معه سُماره، فغنّاه بعضُ مَن حضر من المغنين بأبيات جرير حيث يقول:

إنّ الذين غدوا بلُبّك غادَروا وَشَلاً بعَيْنك لا يزال مَعينا

قال: فطرب الرشيد لها طرباً شديدا وأُعجب بالأبيات، وقال لجلسائه: هل منكم أحد يُجيز هذه الأبيات بمثلهن، وله هذه البَدرة؟ وبين يديه بَدرة من دنانير. فقالوا فلم يصنعوا شيئا. فقال خادم على رأسه: أنا بها لك يا أمير المؤمنين. قال: شأنك. فاحتمل البدرة ثم أتى الناطفى، فقال له: استأذن لى على عِنان. فأذنت له. فدخل وأخبرها الخَبر. فقالت: ويحك! وما الأبيات؟ فأنشدها إياها. فقالت له: اكتب:

هَيّجت بالقَول الذى قد قُلتَه داءً بقَلبى ما يزال كَمِيناً

قد أينعت ثمـــــراته فى حِينها(٣) وسُقين من ماء الهَوَى فرَوِينا

كَذَب الذين تَقوّلوا ياسيدى إنّ القلوب إذا هَوِين هَوِينا

---

(١) العزل: ماء بين البصرة واليمامة. وفى بعض الأصول: «الرمل». وما أثبتناه من سائر الأصول وديوان امرىء القيس ومعجم البلدان (عزل).

(٢) يقال: لبط به، بالبناء للمجهول، إذا ضرب بنفسه الأرض من داء أو أمر يغشاه مفاجأة. (٣) فى بعض الأصول: «فى طينها».

فقالت له : دونك الأبيات ، فدَفع إليها البدرة ورجع إلى هارون. فقال له : ويحك! من قالها ؟ قال: عِنان ، جارية الناطفى. فقال : خَلعت الخلافة من عنقى إن باتت إلا عندى. قال : فبعث إلى مولاها فاشتراها منه بثلاثينَ ألفا ، وباتت بَقية تلك الليلة عنده .

الرشيد وبيت شعر لعنان سأل الشعراء أن يجيزوه

وقال الأصمعى : ما رأيت الرشيد مُتبذلا قط إلا مرةً ، كتبتْ إليه عنان ، جارية الناطفى رقعة فيها :

كنتُ فى ظِلّ نِعْمة بهـواكا   آمنًا منـكَ لا أخاف جَفا كا[1]
فسَعى بَيننا الوشـــــاةُ فأقرزْ   تَ عيونَ الوُشاة بى فَهَنا كا
ولعَمرى لِغَـير ذا كان أولى   بك فى الحقّ يا جُملت فدا كا

قال : فأخذ الرقعة بيده، وعنده أبوحفص[2] الشِّطرنجى ، فقال : أيكم يُشير إلى المعنى الذى فى نفسى فيقول فيه شعرا ، وله عشرة آلاف درهم ؟ فظننت أنه وقع بقلبه أمرُ عنان ، فبدر أبو حفص[2] فقال : ٢٥٩/٣

مجلس يُنسب السرور إليه   لمُحبّ رَيحانُه ذِكرا كا

فقال : ياغلام ، بدرة .

فقال جرير :

كلما دارت الزُّجاجـة والـكا   س أعارته صَبوةً فبكا كا[3]

فقال : ياغلام ، بدرة . قال الأصمعى : فقلت :

لم ينلك الرّجاء أن تحضُرينى   وتجافت أُمنيتى عن سِوا كا

قال : أحسنت والله يا أصمعى ، لها ولك بهذا البيت عشرون ألفا .

وقال : غير أنى أشعرُكم حيث أقول :

قد تمنّيت أن يُغشّينى اللـــه نُعاساً لعـلّ عينى تَرا كا

قلنا له : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين .

بكر الباهلى والناطفى وعنان

وقال بكر بن حمّاد الباهلى : لما انتهى إلىّ خبرُ عِنان وأنها ذُكرت لهارون ،

(١) فى ن : « فى هنا كا » . (٢) فى بعض الأصول : « أبوجعفر » .
(٣) فى ا : «فصبا كا» .

وقيل له إنها أشعر الناس ، خرجتُ متعرضا لها ، فما راعنى إلا الناطفى مولاها قد ضَرب على عَضُدى ، فقال لى : هل لك فِيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عِنان ؟ فقلت : ما بعد عِنان مَطلب . ومضينا حتى أتينا منزله. فعقل دابَّته ثم دخل ، فقال : هذا بَكر شاعر باهلة يريد مجالستَك اليوم . فقالت : لا والله ، إنى كَسلانة . فحَمل عليها بالسوط ، ثم قال لى : ادخُل ، فدخلت ودمعُها يتحدّر كالجُمان فى خدها ، فطمعتُ بها فقلت :

هــذى عنان أسبَلتْ دمعَها كالدُّر إذ ينسلّ من خَيطه

ثم قلت لها : أجيزى . فقالت :

فليت مَن يَضربهـا ظالمًا تَجِفّ يُمناه[1] على سَوطه

فقلت لها : إنّ لى حاجة . فقالت : هاتِها ، فمن سَببك أُوذِينا[2] . قلت لها : بيت وجـدته على ظهر كتابى لم أقرضه ولم أقدر على إجازته . قالت : قل . فأنشدتها :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسبتُه تنفَّس فى أحشائه أو تكلّما[3]

قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :

ويَبــكى فأبكى رحمةً لبُكائه[4] إذا مَا بكى دمعاً بكيتُ له دمَا

قلت لها : فما عندك فى إجازة هذا البيت :

بَديع حُسن بديع صَـدّ جَعلت خــدِّى له ملاذَا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فعاتَبـــوه فمَقّتــوه فأوعـــدوه فكان ماذا

أبو نواس وعنان

وجلس أبو نواس إلى عِنان فقالت : كيف عِلمك بالعَروض وتَقطيع الشعر يا حَسَن ؟ قال : جيِّد . قالت : قَطِّع هذا البيت :

---

(١) فى بعض الأصول : « كفاه » . (٢) فى بعض الأصول : « أتينا »

(٣) فى بعض الأصول : « فتكلما » .

(٤) فى ن : * فأبكى لديه رحمة لبكائه *

أكلت الخردل الشامــــيّ في قصعة[1] خبّاز

فلما ذهب يقطّعه ضحكت به وأضحكت . فأمسك عنها وأخذ في ضروب من الأحاديث ، ثم عاد سائلا لها ، فقال : كيف علمك بالعروض ؟ قالت : حَسن يا حَسن . فقال : قطعى هذا البيت :

حوّلوا عنا كنيستكم   يا بنى حَمّالة الحطب

فلما ذهبت تقطعه ضحك أبو نواس . فقالت له : قبّحك الله ! ما برحت حتى أخذت بثأرك .

المأمون ومغنيه سوسن

٢٦٠/٣ حدث أبو عبد الله بن عبد البر المدنى قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : كان للمأمون جماعة من المُغنين وفيهم مُغن يسمى سَوسناً ، عليه وَسْم جمال . قال : فبينما هو عنده يغنى إذ تطلّعت جارية من جواريه فنظرت إليه فعلقته . فكانت إذا حضر سوسن تُسوى عودها وتغنى :

ما مررنا بالسّوسن الغضّ إلا   كان دَمعى لمُقلتىّ نَديما

حبّذا أنت والمُسمَّى به أنــــت وإن كُنت منه[2] أذكى نسيما

فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت فى غيره . فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون . فدعا بها ودعا بالسّيف والنّطع ، ثم قال : اصدُقينى أمرَك . قالت : يا أمير المؤمنين ، يَنفعنى عندك الصّدق ؟ قال لها : إن شاء الله . قالت : يا أمير المؤمنين ، أطّلعتُ من وراء الستارة فرأيته فعلقتُه . فأمسك المأمون عن عقوبتها ، وأرسل إلى المُغنى فوَهبها له ، وقال : لا تقرَبنا .

الواثق وحديث مغن مع جارية له

قال أبو الحسن : كان الواثق إذا شرب وسَكر رقد فى موضعه الذى سكر فيه ، ومن سكر من نُدمائه تُرك ولم يخرج . فشرب يوماً فسَكر ورقد وانقلب أصحابه ، إلا مغنياً أظهر التراقد ، وبقيت معه مغنّية للواثق . فلما خلا المجلس وقّع المُغنى فى سِحاءة[3] ودفعها إليها :

إنى رأيتُك فى المَنام كأنّنى   مُترشّف مِن رِيق فيـكِ البارِدِ

(١) فى بعض الأصول : « فى صحفة » . (٢) فى ن : « وإن كان منك » .

(٣) السحاءة ، بالكسر : سحي من القرطاس وأخذ .

وكأنّ كفّك فى يدى وكأنما ... بِتْنا جميعاً فى فِراش واحد
ثم انتبهتُ ومَنْكِباك كلاهما ... فى راحتىّ وتحت خدّك ساعدى

فأجابته :

خيراً رأيتَ وكُلّ ما أبصرتَه ... ستنالُه منّى برغم الحاسِد
وتَبيت بين خلاخلى ودَمالجى ... وتحل بين مَراشفى[1] ومَجاسدى
فنكون أنعمَ عاشقَيْن تَعاطَيا ... مُلَح الحديث بلا مَخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى إليه بالسّحاءة ، رفع الواثق رأسه فأَخذ السّحاءة من يدها ، وقال لها : ماهذه ؟ فحَلفا له أنه لم يَجْر بينهما قبلَ هذا كلامٌ ولا كتاب ولا رسول غير اللّحظ ، إلا أنّ العشق قد خامرها . فأعتقها وزوجها منه . فلما أشهد له وتم النكاح ، أقامها الواثق بمحضر المغنى إلى بَيت من بعض البُيوت ، فوقع عليها ثم خرج إليه ، فقال له : أردتَ أن تُكَشِّخَنى[2] فيها وهى خادمى ، فقد كَشّختك فيها وهى زوجتك .

يزيد وحبابة ونصيحة أخيه مسلمة له

قال : ولمّا كَلِف يزيد بحَبابة واشتغل بها وأضاع الرعيّة ، دخل عليه مسلمة أخوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهور للعامّة والشهود للجُمعة وأضعت أمر المسلمين واحتجبت مع هذه الأَمة . فارعوى قليلا وظهر للناس . فأوحت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً يُهوِّن فيها على يزيد ما قال مَسلمة . فقال ، وغنّت بها حَبابة :

ألا لا تلُمْه اليومَ أنْ يتبلّدا ... فقد مُنع المَحزون أن يتجلّدا
إذا أنتَ لم تَعشَق ولم تَدْرِ ماالهَوى ... فكُن حجراً من يابس الصَّخر جَلْمدا
هل العيشُ إلا ما تلذّ وتَشتهى ... وإنْ لام فيه ذو الشّنان وفنّدا

فلما سمعها ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقت ! صدقت ! على مَسلمة لعنةُ الله . ثم عاد إلى سيرته الأولى .

(١) فى بعض الأصول : « وتجول بين مراسلى » .
(٢) الكشخان : الديوث ، معرب . ويقال للشاتم : لا تكشخ فلانا .

موت حبابة ثم موت يزيد

وحدث ابن الغاز(١) قال : حدّثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثنا الهيثم ابن أبى بكر قال : كان يزيد بن عبد الملك كَلِفاً بحبابة كلفاً شديدا. فلما توفّيت أكبّ عليها أياماً يترشّفها ويتشمّمها حتى أنتنت ، فقام عنها وأمر بجهازها ، ثم خرج ٢٦١/٣ بين يدى نعشها ، حتى إذا بلغ القبر نزل فيه ، حتى إذا فرغ من دفنها وانصرف ، لصِق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه . فلما أكثر عليه قال له : قاتل الله ابنَ أبى جُمعة(٢) حيث يقول :

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدع الهوى ... فباليأس تَسلو عنك لا بالتجلّدِ
وكُل خليل زارنى فهو قائلٌ ... مِن أجلك هذا هامةُ اليوم أو غد

قال : وطُعن فى جنازتها ، فدفنّاه إلى سبعة عشرَ يوما .

المعتصم وجارية غلبت عليه

وذكر المُعتصم جاريةً كانت غَلبت عليه وهو بمصر ، ولم يكن خرج بها معه ، فدعا مغنّيا له فقال له : ويحك ! إنى ذكرت جارية ، فأقلقنى الشوق إليها ، فهات صوتاً يُشبه ما ذكرتُ لك . فأطرق مليّا ثم غنّى :

وَدِدْتُ من الشوق المُبرِّح أننى ... أعار جناحَىْ طائر فأطير
فما لنَعيم لستِ فيه بشاشةٌ ... وما لسُرور لستِ فيه سُرور
وإنّ أمرأ فى بلدة نِصْفُ قلبه ... ونِصْفٌ بأخرى غيرِها لصَبور

فقال : والله ما عدوتَ ما فى نفسى ، وأمر له بجائزة ، ورَحل من ساعته . فلما بلغ الفرَما قال :

غَريبٌ فى قُرى مِصْر ... يُقاسى الهمّ والسَّدَمَا
لَليلُك كان بالمَيْدا ... ن أقصرُ منه بالفَرما

للمأمون فى قينة له

وقال المأمون فى قَينة له :

لها فى لَحظها لَحظاتُ حَتْف ... تُميت بها وتُحيى مَن تُريدُ
فإنْ غضبت رأيتَ الناس قَتْلَى ... وإن ضحكت فأرواحٌ تعود

(١) هو محمد بن الغاز . وقد اضطرب فى بعض الأصول بين « الغاز » و « الفار » .
(٢) هو كثير عزة ، نسب إلى أبى والدته ، وهى جمعة بنت الأشيم .

وتَسبى العالمين بمُقلتيها … كأنّ العالَمين لها عَبيد

البحترى فى مثله

وأنشد البُحترى فى قَينة له :

أُمازحها فتغضَب ثم تَرْضى … وجُلّ فعالها[1] حَسَن جَميل
فإن تَغضب فأحْسنُ ذات دلّ … وإن رضيت فليس لها عَديل

لابن المعتز فى مثله

وقال ابن المعتز فى قَينة له :

[سقَتْنِيَ فى ليل شبيه بشَعرها … شبيهةَ خدّيها بغير رقيب]
فأمسيتُ فى ليلين للشَّعر والدُّجا … وشَمْسين من كأس ووجه حَبيب

الرشيد فى مثله

وقال هارون الرشيد فى قَينة له :

تُبدى صُدودا وتُخفى تحته مِقَةً … فالنفسُ راضيةٌ والطَّرف غضبانُ
يامَن وضعتُ له خدّى فذلّله[2] … وليس فوقى سوى الرّحمن سُلطان

لإبراهيم الشيبانى ثم ما كان بين ابن الجهم وقينة

وقال إبراهيم الشَّيبانى : القَينة لا تُخلص محبة لأحد ، ولا تُؤتى إلا من باب الطمع . وقال علىّ بن الجَهم : قلتُ لقَينة :

هل تَعلمين وراء الُحب منزلةً … تُدنى إليك فإنّ الُحبَّ أقصانى[3]

فقالت : تأتى من باب الذّهب ، وأنشدتْ :

اجعل شفيعَك مَنقوشاً تُقدّمه … فلم يزل مُدْنياً من ليس بالدّانى

بين أشعب وقينة له

وكان أشعب يختلف إلى قَينة بالمدينة ، فجلس عندها يوماً يطارحها الغناء ، فلما أراد الخروج قال لها : ناولينى خاتَمك أذكرك به . قالت : إنه ذَهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن خُذ هذا العود فلعلك تعود . وناولته عُودامن الأرض . ٢٦٢/٣

بين أشعب وقينة بالمدينة

وكان أشعب يختلف إلى قَينة بالمدينة يَكْلَف بها وينقطع إليها إذا نظر إليها . فطلبت منه أن يُسلفها دراهم . فانقطع عنها وتجنّب دارها ، فعملت له دواء ولقيتْه

---

(١) فى بعض الأصول : « فتغضب دون … وكل فعالها » .

(٢) فى بعض الأصول : « فذللنى » .

(٣) البيت لأبى عمارة المكى أحمد بن أبى مرة ، وقيل ليعقوب بن عبد الرحمن المخزومى ، صاحب عمر بن ابى ربيعة . (انظر المرزبانى ٤٣٨ — والمختار من شعر بشار ٤٩) .

به . فقال لها : ما هذا ؟ قالت : دواء عملتُه لك تَشرب به لهذا القَزَع الذى بك . قال : أشربيه أنت للطَّمع ، فإن أنقطع طمعك انقطع فَزَعى ، وأنشأ يقول :

أنا والله أهــــواكِ ولــكن ليس لى نَفَقَه
فإمّا كنتِ تَهْوَيني فقد حَلَّت لىَ الصدقه

بين جيز وقينة

وقعد أبو الحارث جُمَّيز(١) إلى قَينة بالمدينة صدرَ نهاره ، فجعلت تُحَدِّثه ولا تذكر الطعام . فلما طال ذلك به ، قال : مالى لا أسمع للطعام ذكرا ؟ قالت : سبحان الله ، أما تَستحى ، أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا ؟ فقال لها : جُعلت فداك ، لو أنّ جميلا وبُثينة قَعدا ساعة واحدة لا يأكلان لبَصق كُل واحد منهما فى وجه صاحبه وأفترقا .

أبو نواس وقينة بالعراق

وقال الشيبانى : كانت بالعراق قَينة وكان أبو نُواس يختلف إليها ، فتُظهر له أنها لا تُحب غيره ، وكان كلما جاءها وَجد عندها فتًى يجلس عندها و يتحدّث إليها ، فقال فيها :

ومُظهرةٍ لخَلْق الله وُدًّا وتلقى بالتحيّة والسّــــلامِ
أتيتُ فؤادَها أشكو إليه فلم أخلُص إليه من الزِّحام
فيامَن ليس يَكْفيها صديقٌ ولا خمسون ألفاً كلَّ عام
أراكِ بقيةً من قوم مُوسى فهم لا يَصْبِرون على طعام

بين أبى نواس وقيان

وقال الشَّيبانى : حضر أبو نُواس مجلساً فيه قِيَان ، فقلن له : ليتنا بناتك . قال : نعم ، ونحن على المجوسيّة .

قينة بين شيخين

وقال العُتبى : حضرتُ قينةٌ مجلسا فغنّت فأجادتْ ، فقام إليهـا شيخ من القوم فجلس بين يديها وقال : كُل مملوك لى حُر ، وكل أمرأة لى طالق ، لو كانت الدنيا كُلها صُرراً فى كُمى لقطعتُها لك ، فأمّا إذ لم يكن ، فجعل الله كلَّ حسنة لى لك ، وكلَّ سيئة عليك علىّ . قالت : جزاك الله خيراً ، فوالله ما يقوم الوالد

(١) فى الأصول : « جبير » وفى الكامل (٤٢٠) والمشتبه (١٧٥) : « جبن » . وأورده القاموس (مادة جمز) وقال : « وأبوالحارث جمّيز كقبيط المديني . ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . وأنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا قد أوتى الحكمة والميزا »

لولده بما قُمتَ به لنا . فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها : كل مملوك لى حُر وكل امرأة لى طالق، إن كان وهب لك شيئاً ولا حمل عنك ثقلا ، لأنه ماله حسنة يهبها لك ، ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فلأى شىء تحمدينه ؟

[حدث أحمد بن عمر المكى قال حدثنى أبى قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلى يقول : كان بالمدينة رجل جعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب ، وكان يحب الغناء ، وكان بالمدينة قينة يقال لها بصبص ، وكان الجعفرى يتعشقها فقال يوماً لإخوانه : قوموا معى إلى هذه الجارية حتى نكاشفها فقد والله أيتمت ولدى وأرملت نسائى وأخربت ضيعتى . فقاموا معه حتى إذا جاءوا إلى بابها دقّه، فخرجت إليه ، فإذا هى أملح الناس دلًّا وشكلا ، فقال لها : يا جارية ، أتغنين :

وكنت أحبكم فسلوت عنكم ... عليكم فى دياركم السلام

فاستحيَتْ وخجلت وبكت وقالت : ياجارية ، هاتى عودى . والله ما أحسن هذا ولكن أحسن غيره ، فغنت :

تحمّل أهلها منها فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء

قال : فاستحيا والله صاحبنا حتى تصبّب عرقاً ثم قال لها : ياسيدتى أفتحسنين أنْ تغنى :

وأخضع للعُتبى إذا كنتُ ظالما ... وإن ظلموا كنت الذى أتفضل ؟

قالت : والله ما أعرف هذا ولكن غيره ، فغنّت :

فإن تُقبلوا بالود أُقبِلْ بمثله ... وأنزلكم منّا بأكرم منزل

قال : فدفع الباب ودخل وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه . وقال : لعن الله الأهل والولد والضيعة] .

خبر الدلفاء

خبرها مع سليمان ابن عبد الملك

قال أبو سُوَيد : حدَّثني أبو زيد الأسدي قال : دخلتُ على سليمان بن عبد الملك بن مَروان ، وهو جالس على دكّان مبلّط بالرخام الأحمر ، مفروش بالدِّيباج الأخضر ، في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع ، وإذا بإزاء كل شق من البُستان ميدان بنبتِ الربيع قد أزهر . وعلى رأسه وصائف ، كُل واحدة منهن أحسنُ من صاحبتها . وقد غابت الشمسُ فنضّرت الخضرة ، وأضعفت في حُسنها الزُّهرة ، وغنّت الأطيار فتجاوبت ، وسَفت الرياح على الأشجار فتمايلت ، بأنهار فيه قد شُقِقت ، ومياه قد تدفّقت . فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وكان مُطرقا ، فرفع رأسه وقال : أبا زيد ، في مثل هذا الحين يُصاب أحد حيّا[1] ؟ قلت : أصلح الله الأمير ، أو قد قامت القيامة بعد . قال : نعم ، على أهل المَحبة سرًّا والمراسلة بينهم خِفْية[2] . ثم أطرق مليا ، ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، ما يَطيب في يومنا هذا ؟ قلت : أعزّ الله الأمير ، قهوة صَفراء في زجاجة بيضاء ، تُناولها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفّاء دَعْجاء . أشربها من كفّها ، وأمسح فمي بفمها . فأطرق سُليمان مليًّا لا يُحير جوابا ، تنحدر من عينه عبرات بلا شَهيق . ٢٣٦ / ٣

فلما رأى الوصائف ذلك تنحّين عنه . ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، حللتَ في يوم فيه انقضاء أجلك ، ومُنتهى مدتك ، وتَصرُّم عمرك ، والله لأضربن عُنقك أو لتُخبرنّي ما أثار هذه الصّفة من قلبك . قلت : نعم أصلح الله الأمير ، كنت جالساً عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجتْ إلى باب القصر كالغَزال أُنفلت من شَبكة الصيّاد ، عليها قميصٌ سَكَبٌ[3] يتبيّن منه بياضُ بَدنها ، وتَدوير سُرّتها ، ونَقْش تِكّتها ، وفي رجليها نَعلان صَرّاران ، قد أشرق بياض قدميها على حُمرة نَعليها ، مَضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حِقويها ،

(١) في ن : « تصاب حيا » .
(٢) في ن : « خفيا » .
(٣) السكب : ضرب من الثياب رقيق كأنه الغبار من رقته كأنه سكب ماء من الرقة . وفي بعض الأصول : « اسكندراني » .

وتسيل كالعثاكيل على مَنْكِبيها ، وطُرة قد أُسبلت على مَتْنى جبينها ، وصُدغان قد زُيِّنا كأنهما نُونان على وجنتيها ، وحاجبان قد قُوِّسا على محجرى عينيها ، وعينان مملوءتان سِحرا ، وأنف كأنه قَصبة دُرّ ، وفم كأنه جُرح يَقطر دما . وهى تقول : عباد الله ، مَن لى بدواء ما لا يُشتكى ؟ وعلاج ما لا يسمّى[1] ؟ طال الحجاب ، وأبطأ الجواب ، فالفؤاد[2] طائر ، والقلب[3] عازب ، والنّفس والهة ، والفُؤاد مُختلس ، والنوم مُحتبس ، رحمة الله على قوم عاشوا تجلّداً ، وماتوا تبلّدا . ولو كان إلى الصبر حِيلة ، وإلى العزاء سبيل ، لكان أمراً جميلا . ثم أطرقتْ طويلا ، ثم رفعت رأسها . فقلت : أيتها الجارية ، إنسيّة أنت أم جنيّة ؟ سمائية أم أرضية ؟ فقد أعجبنى ذَكاء عقلك ، وأذهلنى حُسن منطقك . فسترت وجهها بكمّها كأنها لم تَرَنى ، ثم قالت : أعذر أيها المُتكلم الأريب ، فما أوحش الساعة بلا مُساعد ، والمُقاساة لصبّ مُعاند ، ثم انصرفت . فوالله ، أصلح الله الأمير ، ما أكلتُ طيّبا إلا غَصصت به لذكراها ، ولا رأيتُ حُسنا إلا سَمج فى عينى لحسنها . قال سُليمان : أبا زيد ، كاد الجهل أن يستفزّنى ، والصِّبا أن يُعاودنى ، والحِلْم أن يعزب عنى ؛ لحُسن ما رأيت وشجو ما تَيمت ، تلك هى الذّلفاء التى يقول فيها الشاعر :

إنما الذّلفاء ياقوتة أُخرجت من كِيس دِهْقان

شراؤها على أخى ألفُ ألف درهم . وهى عاشقة لمن باعها ، والله إنى من لا يموت إلا بحزنها ، ولا يدخل القبر إلا بغُصتها ، وفى الصبر سَلوة ، وفى توقّع الموت نُهية ، قُم أبا زيد فاكتُم المفاوضة . ياغلام ثقِّله ببَدرة . فأخذتُها وانصرفت . قال أبو زيد : فلما أفضت الخلافةُ إلى سُليمان صارت الذّلفاء إليه ، فأمر بفُسطاط ، فأُخرج على دَهناء الغوطة وضُرب فى روضة خَضراء ، مُونقة زهراء ، ذات حدائق

(١) فى بعض الأصول : « من لا يشتكى وعلاج من لا يشتهى » .
(٢) فى ن : « فالقلب » .
(٣) فى ن : « والصبر » .

بهجة ، تحتها أنواع الزّهر الغَضّ ، من بين أصفر فاقع ، وأحمر ساطع ، وأبيض ناصع ، فهى كالثوب الحَرَمى[(١)] ، وحواشى البرد الأتحمى[(٢)] ، يثير منها مَرّ الرياح نسيما يربى[(٣)] على رائحة العنبر، وفَتِيت المسك الأذفر. وكان له مُغنٍّ ونديم وسمير يقال له سنان ، به يأنس وإليه يسكن . فأمر أن يَضرب فُسطاطه بالقُرب منه . وقد كانت الذّلفاء خرجت مع سُليمان إلى ذلك المتنزه ، فلم يزل سِنان يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور ، وأتم حُبور ، إلى أن انصرف مع الليل إلى فُسطاطه . فنزل به جماعةٌ من إخوانه فقالوا له : قِرانا، أصلحك الله . قال : وما قِراكم ؟ قالوا : أكل وشُرب وسَماع . قال : أمّا الأكل والشُّرب فمُباحان لكم ، وأمّا السَّماع فقد عرَفتم شدة غَيرة أمير المُؤمنين ونَهيه إياى عنه ، إلا ما كان فى مجلسه . قالوا : لا حاجة ٢٦٤/٣ لنا بطَعامك وشَرابك إن لم تُسمعنا . قال : فاختاروا صوتاً واحدا أغنّيكموه . قالوا : غَنّنا صوتَ كذا . قال : فرفع عقيرته يتغنّى بهذه الأبيات :

محجوبة سمعتْ صَوتى فأرّقها ... من آخر اللَّيل لما طَلّها[(٤)] السَّحرُ
تَثْنى على الخدِّ منها من مُعَصْفرة ... والحَلْى بادٍ على لَبّاتها خَصِر
فى ليلة النّم لا يَدرى مُضاجعها ... أوجُهها عنده أبهى أم القَمر
لم يَحجب الصوتَ أحراسٌ ولا غَلَق ... فدمعها لطُروق الصوت مُنحدر
لو خُلّيت لَمشت نحوى على قَدم ... تكاد من لِينها للمَشى تَنفطر

فسمعت الذّلفاء صوتَ سِنان فخرجت إلى وسط الفُسطاط تَستمع ، فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خَلق ولطافة قدّ إلى الذى وافق المَعنى ، من وقت الليل واستماعها الصّوتَ إلا رأت ذلك كُله فى نَفسها وهيئتها[(٥)] . فحرّك ذلك ساكنا فى قلبها، فهَملت عيناها وعلا نَشيجها . فانتبه سليمان فلم يجدها معه ، فخرج إلى صحن الفُسطاط فرآها

(١) نسبة إلى الحرم . قال ابن منظور : والنسبة فى الناس إلى الحرم حرمىّ ، بكسر الحاء وسكون الراء . فإذا كان فى غير الناس قالوا : ثوب حرمى ، بالتحريك .
(٢) الأتحمى : ضرب من البرود .
(٣) فى ن : « تعنى » . (٤) فى ن : « بلها » .
(٥) فى بعض الأصول : « وبهيها » .

علىَ تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا رُب صَـوت رائع من مُشَوَّه قبيح المُحيَّا واضع الأب والجدِ
يَروعك منه صـــوتُه ولعلَّه إلى أمَة يُعـــزى معاً وإلى عَبدِ

فقال سليمان : دَعِينى من هذا ، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر . يا غلام ، علىّ بسنان . فدعت الذَّلفاء خادماً لها فقالت : إن سبقت رسولَ أمير المؤمنين إلى سنان فحذِّره ولك عشرة آلاف درهم ، وأنت حُر لوجه الله . فخرج الرسول[1] . فسبق رسولَ سليمان . فلما أُتى به قال : ياسنان ، ألم أنهك عن مِثل هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، حملنى الثمل وأنا عبدُ أمير المؤمنين وغذىّ نعمته ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يُضيع حظَّه من عبده فليفعل . قال : أما حظِّى منك فلن أُضيعه ، ولـكن ويلك ! أمَا علمت أن الرجل إذا تغنَّى أصغت المرأة إليه ، وأن الفرَس إذا صهل استودقت[2] له الحصان ، وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة ، وأن التَّيس إذا نبَّ أستحرمت له الشاة ؟ إياك والعَوْد إلى ما كان منك فيطول غمّـك .

أبو السمراء وامرأة تبيع الطرائف

قال إسحاق : حدَّثنى أبو السَّمراء قال : حججتُ فبـدأت بالمدينة ، فإنى لمُنصرف من قبر رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم وإذا أُمرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة ، وإذا هى فى ناحية وحدها وعليها ثوبان خَلَقان ، وإذا هى تُرَجِّع بصوت خفىّ شجىّ ، فالتفتُّ فرأيتها . فوقفتُ فقالت : هل من حاجة ؟ قلت : تَزيدين فى السماع ، قالت : وأنت قائم ؟ لو قعدت . فقعدتُ كالخجل . فقالت : كيف عِلْمك بالغناء ؟ قلت: عِلْمٌ لا أحمده . قالت : فعلام أنفخُ بغير نار ، ما مَنعك من معرفته ؟ فوالله أنه لسَحُورى وفطورى ، قلت : وكيف وضعته بهذا الموضع العالى ؟ قالت : يا هذا ، وهل له مَوضع يوضع به وهو من علوه فى السماء الشاهقة ؟ قلت : فـكُل هؤلاء النّسوة اللاتى أرى على مثل رأيك وفى مثل

(١) فى ن : « فخرج الرسولان » . (٢) استودقت : اشتهت .

حالك ؟ قالت : فيهن وفيهن ، ولى بينهن قصّة . قلت : وما هى ؟ قالت : كنتُ أيام شبابى وأنا فى مثل هذه الخِلقة التى ترى من القُبح والدّمامة ، وكنت أشتهى الجماع شهوة شديدة ، وكان زوجى شابًّا وضيئا ، وكان لا يَنتشر علىّ حتى أُتحفه وأُطيبه وأُسكره . فأضرّ ذلك بى ، وكان قد عَلِقته أُمرأة قصّار تجاورنى ، فزاد ذلك فى غمّى . فشكوت إلى جارة لى ما أنا فيه وغَلبة أُمرأة القصّار على زوجى . ٢٥٦/٣ فقالت : أدلك على ما يُنهضه عليك ويردّ قلبه إليك ؟ قلت : وابأبى أنت ، إذاً تكونين أعظم الخلق منّةً علىّ . قالت : اختلفى إلى مجمع مولى الزُّبير ، فإنه حسن الغناء ، فاعلقى من أغانيه أصواتا عشرة ثم غنّى بها زوجك ، فإنه سيجامعك بجوارحه كُلها . قالت : فألْظَظْتُ[1] بمَجمع ، فلم أُفارقه حتى رضِيَنى حَذَاقةً ومعرفة . فكنت إذا أقبل زوجى اضطجعتُ ورفعتُ عقيرتى ثم تغنّيت . فإذا غنيت صوتا بتُّ على زُبِّ[2] ، و إن غنيت صوتين بت على زُبَّين[3] ، و إن غنيت ثلاثة فثلاثة .

فكُنا كَندْمانى جَذِيمة حِقْبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

قال : فضحكتُ والله حتى أمسكتُ على بطنى ، وقلت : ياهذه ، ما أظن الله خَلق مثلك . قالت : اخفض من صوتك . قلت : ما كان أعظَم مِنّة صاحبة[4] المَشورة . قالت : حسبك بها مِنّة وحسبك بى شاكرة . قلت : ففى قلبك من تلك الشهوة شىء ؟ قالت : لَذع فى الفؤاد ، وأما تلك الغُلمة التى كانت تُنسينى الفريضة وتَقطعنى عن النافلة فقد ذهب تسعةُ أعشارها . فوقفت عليها وقلت : ألك حاجة أن أرمّ بعضَ حالك ؟ قالت : لا ، أنا فى فائت من العيش . فلما نهضتُ لأقوم ، قالت : على رِسْلك ، لا تنصرف خائبا ، ثم ترنمت بصوت تُخفيه من جاراتها :

(١) كذا فى ن . وألظ : لزم . والذى فى سائر الأصول : « التطت » .
(٢) فى بعض الأصول : « نيف » .
(٣) فى بعض الأصول : « نيفين » .
(٤) فى بعض الأصول : « منة من المشورة » .

ولى كبدٌ مقروحــة مَن يَبيعنى بهــا كبداً ليست بذات قُروح
أبى الناسُ كُل الناس لا يَشترونها ومَن يشترى ذا علّة[١] بصَحيح

بين ابن الجهم وقينة تعشقها

أبو بكر بن جامع عن الُحسين بن موسى قال : كتب علىّ بن الجهم إلى قَينة كان يتعشّقها :

خَفِى الله فيمن قد تَبلّتِ فؤادَه وتيّمته دهراً كأنّ به سِحْرًا
دعى الهَجر لا أسمع به منك إنما سألتُك أمراً ليس يُعْرِى لكم ظَهرا

فكتبت إليه : صدقت ، جُعلت فداك . ليس يُعرى لنا ظهرا ، ولكنه يملأ لنا بطنا .

أبو بكر الكاتب وقينة ابن حماد

وكان أبو بكر الكاتب مُفتتنا بقينة محمد بن حمّاد ، فأهدى إليها قميصا[٢] ، فقال فيه بعض الكتّاب :

أهدى إليها قميصاً يَنيكها فيــه غيرُه
فللسعادة جــِـرُها وللشّقــاوة أيرُه

هاشمى ومضحك

حدّث أبو عبد الله بن عبد البرّ المدنى بمصر قال: حدثنى إسحاق بن إبراهيم عن الهيثم بن عدى قال : كان بالمدينة رجل من بنى هاشم وكان له قَينتان يقال لإحداهما رشأ وللأخرى جُؤذر ، وكان يُحب الغناء[٣] . وكان بالمدينة مُضحك لا يكاد يغيب عن مجالس المتظرفين[٤] . فأرسل الهاشمى إليه ذات يوم ليَضحك به . فلما أتاه قال : ما الفائدة فيك[٥] وفى لذّتك ولا لذة لى ؟ قال له : وما لذّتك ؟ قال : تُحضر لى نبيذا ، فإنه لا يَطيب لى عيش إلا به . فأمر الهاشمىّ بإحضار نَبيذ وأمر أن يُطرح فيه سكّر العُشَر . فلما شربه المُضحك تحرّكت عليه بَطنه ، وتناوم الهاشمىّ وغمز جواريه عليه . فلما ضاق عليه الأمرُ واُضطر إلى التبرّز قال فى نفسه : ما أظن هاتين المُغنيتين إلاّ يمانيتين ، وأهلُ اليمن يُسمون الكُنف المراحيض .

(١) فى ن : « عرة » . (٢) فى بعض الأصول : « ممسكا » .
(٣) فى ن : « يعجبه السماع » .
(٤) فى بعض الأصول : « عن مجلس أحد » .
(٥) فى ن : « إنك فى لذتك ولا لذة لى » .

فقال لهما : يا حبيبتىّ ، أين المرحاض ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت يقول غنِّيانى :

رَحضتِ فُؤادى فخلَّيتنى أهيم من الُحب فى كُل واد

فاندفعتا تغنّيانه . فقال فى نفسه : ما أراهما فَهِمتا عنّى ، أظنهما مكّيتين وأهل مكة يسمونها المَخارج . قال : يا حبيبتى ، أين المَخرج ؟ قالت إحداهما للأُخرى : ٢٦٦/٣
مايقول ؟ قالت : يقول غنّيانى :

خرجتُ بها من بَطن مكة بعدما أصاتَ المُنادى للصلاة فأعْتما[1]

فاندفعتا تغنيانه . فقال فى نفسه . لم يفهما والله عنى ، أظنّهما شاميتين وأهل الشام يُسمونها المَذاهب . فقال لهما : ياحبيبتى ، أين المذهب ؟ قالت إحداهما لصاحبتها: ما يقول ! قالت : يقول غنّيانى :

ذهبتَ من الهِجران فى غير مذهب ولم يكُ حقًّا كُل هــذا التجنّب

فغنتاه الصوت . فقال فى نفسه : لم يفهما عنى ، وما أظنهما إلا مدنيتين ، وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء ، فقال لهما : ياحبيبتى . أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغنى :

خلّى علىّ جَوى الأشواق إذ ظَعنا من بطن مكّة والتسهيد والحـزَنا

قال : فغنّتاه . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسب الفاسقتين إلا بَصْرِيتين ، وأهل البصرة يسمونها الحُشوش ، فقال لهما : أين الحش ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت يسأل أن نغنيه :

أوحَش الحِشّانُ فالرّبع منها[2] فمُناها فالمَـنزل المَعْمور

فاندفعتا تُغنيانه . فقال : ما أراهما إلا كوفيتين ، وأهل الكوفة يسمونها الـكُنف . قال : ياحبيبتى ، أين الـكنيف ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : يعيش سيدنا هل رأيت أكثر أقتراحا من هذا الرجل ! مايقول ؟ قالت : يسأل أن نغنى : —

(١) فى ن : « أقام للمنادى بالعشاء فأعتما »

(٢) الحشان ، بكسر الحاء : هو فى أصله جمع حش ، بالضم ، وهى اطام اليهود بالمدينة .

تــكنّفنى الهوى طِفْلاَ   فشيّبنى وما أكتهلا

قال : فغلبه بطنُه وعلم أنهما تُولعان به ، والهاشمى يتقطّع ضحكا . فقال لهما : كذبتما يازانيتان ، ولكنى أعلمكما ماهو ، فرفع ثيابه فسلح عليهما ، وانتبه الهاشمى، فقال له : سبحان الله ! أتسلح على وطائى ! قال : والذى خرج من بطنى أعزّ علىّ من وطائك ، إن هاتين الزّانيتين إنما حَسِبتا أنى أسأل عن الُحش للضُّراط ، فأعلمتهما ما هو .

قولهم فى العود

وصف عبيد الله فى البربط ليزيد ابن عبد الملك

قال يزيد بن عبد الملك يوماً ، وذكر عنده البَربط فقال : ليت شعْرى ماهو؟ فقال له عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود : أنا أُخبرك ما هو ، محدودب الظهر ، أرسح البَطن ، له أربعة أوتار ، إذا حُركت لم يسمعها أحد إلا حَرّكَ أعطافه وهزّ رأسه .

إسحاق وناحت عود

مَرّ إسحاق بن إبراهيم الموصلى برجل يَنْحت عودا فقال له : لمن تُرهف هذا السيف ؟

[وقال بعض الكتاب فى العود :

وناطق بلسان لا ضمير له   كأنه فَخِذٌ نيطت إلى قدم
يُبدى ضميرسواه فى الكلام كما   يبدى ضمير سواه منطق القلم]

شعرلابن عبدربه فى العود

ومن قولنا فى هذا المعنى :

يا مجلساً أينعتْ منه أزاهرُه   يُنسيك أوّلَه فى الُحسن آخرُه
لم يَدْر هل بات فيه ناعماً جَذِلا   أو بات فى جَنة الفِردوس ساهرُه
والعُود يَخْفِق مَثْناه ومَثلثــه   والصُّبح قد غَرّدت فيه عَصافره
وللجِجــــارة أهزاج إذا نَطقت   أجابها من طيور البَرّ ناقره[(١)]

(١) فى بعض الأصول : « أحيا بها الكبير المحق ناقره » .

وحَنّ من بينها الـكُثبان عن نَغَم ... تُبدى عن الصَّب ما تُخفى ضمائره
كأنما العود فيما بيننا^(١) مَلِكٌ ... يَمْشى الهُوَينى وتتلوه عساكره
كأنه إذ تَمطَّى وهى تتبعـــه ... كِسْرى بن هُرمز تقفوه أساوره
ذاك المَصون الذى لو كان مُبتذلا ... ما كان يَكْسِر بيتَ الشِّعر كاسره ٢٦٧/٣
صوتٌ رَشيق وضَرب لو يُراجمه ... سَجْعِ القَريض إذا ضلّت أساطره
لو كان زِرْياب حَيًّـا ثم أسمعه ... لمـات من حَسـد إذ لا يُناظره

لبعض الكتاب فى مثله

وقال بعضُ الـكُتّاب فى العود :

وناطِق بلسانٍ لا ضَمير له ... كأنّه فَخِذٌ نِيطت إلى قَدم
يُبدى ضَميرَ سواه فى الـكلام كما ... يُبدى ضَميرَ سِواه مَنْطِقُ القلم

للحمدونى

وقال الحَمْدونى فيه :

وسَجّعت رَجْع عُودٍ بين أربعة ... سِرّ الضمائر فيما بينهـا عَلَن^(٢)
فولّدت للنـدامى بين نغمتها ... وكفّها فَرَحا تفصيله حَـزَنُ
فما تلعثَم عنهـا لفظُ مِزْهرها ... ولا تحيَّـر فى ألحانها لَحَن
تُهدى إلى كُلّ جزء^(٣) من طَبائعها ... بنانُهـا نغماً^(٤) أثمارها فِتَن
وترتعى^(٥) العينُ منها روضَ وَجنتها ... طوراً وتَسرح فى ألفاظها الأذن

لعكاشة بن الحصين

وقال عكّاشة بن الحصين^(٦) :

من كفّ جارية كأنّ بنانَها ... مِن فِضّـة قد طُرِّفت عُنّابا
وكأنّ يمناها إذا ضَربت بها ... تُلقِى على يدها الشِّمالُ حِسابا

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى العود :

(١) فى ن : « بينها » .
(٢) فى بعض الأصول : « وسجعت رجع صوت بين أربعة » .
(٣) فى بعض الأصول : « حر » تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « أترتق » . تحريف .
(٥) فى بعض الأصول : « تنم » .
(٦) فى ن : « عكاشة اليحصبى » .

يارُب صــوتٍ بصوغه عَصبٌ   نيطت بساق من فوقها قَدَمُ
جَوفاء مَضمومةٌ[1] أصابعُها   فى ساكنات[2] تحريكها نغم
أربعــة جُزِّئت لأربعة   أجزاؤها بالنفوس تلتحم
أصغرها فى القلوب أكبرُها   يُبعث منــه الشفاء والسَّقم
إذا أرنَّت بغَمــز لافظها   قلتَ حمام يجيبهن حَمَ
لها لسان بكفِّ ضاربها   يُعرب عنهـا وما لهنّ فم

قولهم فى المبردين فى الغناء

لأبى نواس

قال أبو نواس :

قُل لزُهير إذا شَدا وحدَا   أقلِل أو أكثر فأنت مِهذار
سَخُنتَ من شدة البُرودة حتى   صرت عندى كأنك النار
لا يَعجب السامعون من صِفتى   كذلك الثلج باردٌ حار

وقال أيضا :

قد نَضجنا ونحن فى الجيش طُرًّا   أنضجتْنا كواكبُ الجوزاء
فأصيبوا لنــا حُسينا ففيه   عوضٌ من جَليد برد الشتاء
لو يغنِّى وفُوه ملآن خمـراً   لم يَغيره من برد ذاك الغناء

وله :

كأن أبا المفلس إذ يُغــنى   يحاكى عاطساً فى عين[3] شَمْس
يَميل بشــدقه طوراً وطورا   كأنَّ بشدقه[4] ضَرَبانَ ضرس

٢٦٨/٣

لدعبل

وقال دِعبل :

(١) فى ن : « مخطومة »
(٢) فى بعض الأصول : « سكنانا » :
(٣) فى بعض الأصول : « فى ضوء » .
(٤) فى ن : « بلحيه » .

ومُغنٍّ إنْ تغنّى أورث النّـدمان همّا
أحسن الأقوام حالاً فيه من كان أصمّا

للحمدونى

وقال الحمدونى :

بينما نحن سالمون جميعاً إذ أتانا ابنُ سالم مُختالا
فتغنّى صوتاً فكان خطاء ثم ثنّى أيضا فكان مُحالا
سالَنا خِلعةً(١) على ما تغنّى فخلعنا على قفاه النّعالا

لعباس الخياط

ولعبّاس الخياط :

رأيت يوما سائباً(٢) يضربُ فقمت من مجلسنا أهربُ
لأنه ينبح من عُـــوده عليك من أوتاره أكلبُ
كأنما تَسمع فى حَلْقه دَجاجــةً يخنُقها ثَعلب
ما عَجبى منه ولكنّنى مِن الذى يَسمعه أعجب

لبعضهم

وقال آخر :

ومُغنٍّ يَخْزى على جُلسائه ضَرب الله شِــدْقَه بغِنائه

لمؤمن فى ربيع المغنى

وقال مُؤمن فى ربيع المغنى وكان يتغنى و ينقُر فى الدواة :

غناؤك يا رَبيع أشــدّ برداً إذا حَمِى الهجير من الصّقيع
ونَقْرك فى الدّواة أشــدّ منه فما يَصْبو إليك سوى رقيع
أغِثْنا فى المَصيف إذا تلظّى ودَعْنا فى الشّتاء وفى الرّبيع

باب من الرقائق

قد جُبل أكثر الناس على سُـوء الاختيار وقِلّة التحصيل والنّظر ، مع لُؤم الغَرائز ، وضَعف(٣) الهمم ، فقَلّ مَن يختار من الصنائع أرفعها ، ويطلب من العلوم أنفعها ، ولذلك كان أثقل الأشياء عليهم وأبغضها إليهم ، مؤنة التحفظ ،

---

(١) فى بعض الأصول : « حاجة » . (٢) فى بعض الأصول : « نصراً شادياً » .
(٣) فى بعض الأصول : « وضفة » .

وأخفها عندهم وأسهلها عليهم إسقاطُ المروءة .

لبعضهم

وقيل لبعضهم : ما أحلى الأشياء كلها ؟ قال : الأرتكاس . وقيل لعبد الله ابن جعفر : ما أطيب العيش ؟ قال : هَتك الحيـاء وأتباع الهوى .

لابن العاص

وقيل لعمرو بن العاص : ما أطيب العيش ؟ قال : ليقم مَن هنا من الأحداث . قال : فلما قاموا . قال : العيش كله إسقاط المروءة ، وأى شىء أثقل على النفس من مجاهدة الهوى ومكابدة الشهوة . ومن ذلك كان سوء الاختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار .

المبرد واختياره

ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوى ، على علمه باللغة ومعرفته باللسان ، وضع كتابا سمّاه بالروضة وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يختر لكل شاعر إلاّ أبرد ما وجد له ، حتى أنتهى إلى الحسن بن هانئ ، وقلّما يأتى له بيت ضعيف لرقّة فِطنته وسُبوطة بِنيته وعُذوبة ألفاظه ، فاستخرج له من البرد أبياتا ما سمعناها ولا رويناها ، ولا ندرى من أين وقع عليها ، وهى :

ألا لاَ تَلُمنى فى العُقار جَليسى ‏ ‏ ‏ ولاَ تَلْحَنِى فى شربها بعُبوس

٢٦٩/٣ تعشّقها قلبى فبغّض عشقها ‏ ‏ ‏ إلىّ من الأشيـاء كُلّ نفيس

اختيار الجاحظ

وأين هـذا الأختيار من أختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين أجتلب ذكره فى كتاب الموالى ، فقال : ومن الموالى الحسنُ بن هانئ ، وهو من أقدر الناس على الشعر ، وأطبعهم فيه . ومن قوله :

فجاء بهـا صَفـراء بكراً يزُفّها ‏ ‏ ‏ إلىّ عروساً ذات دلّ معشّق

فلما جَلَتْها الـكأس أبدت لناظرى ‏ ‏ ‏ محاسنَ ليثٍ بالجُمانِ مُطوّقِ

ومن قوله :

ساعٍ بكأس إلى ناس على طَرب ‏ ‏ ‏ كلاهما عَجب فى مَنظـر عَجب

قامت تُريك وشَمْلُ الليـل مُجتمع ‏ ‏ ‏ صُبحا تولّد بين المـاء والعِنَب

كأنّ صُغرى وكُبرى من فقاقعها ‏ ‏ ‏ حَصْبَاء دُرٍّ على أرض من الذهب

وجُل أشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها ، فخطر بها كلها وتخطاها إلى التى جانسته فى برده ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم أعنى المُبرد ، إلا ابرده . وقد تخيّر لأبى العتاهية أشعارا تقتل من بَردها ، وَشنَّفها وقرطها بكلامه ، فقال : ومن شعر أبى العتاهية المُستظرف عند الظرفاء المُخيَّر عند الخلفاء قوله :

يا قُرة العين كيف أمسيت أعزز علينا بما تَشكّيت

وقوله :

آه من وجدى وكَربى آه من لَوعة حُبِّى
ما أشدَّ الحب يا سُبحانك اللهم ربِّى

من سوء الاختيار

ونظير هذا من سوء الاختيار ما تَخيره أهل الحِذق بالغناء والصانعون الألحان من الشعر القديم والحديث ، فإنهم تركوا منه الذى هو أرق من الماء ، وأصفَى من رقة الهواء ، وكُل مدنىّ رقيق ، قد غُذى بماء العقيق ، وغنّوا بقول الشاعر :

فلا أنسى حياتى ما عَبدت الله لى ربّا
وقلتُ لها أنيلينى فقالت أفرق الدُّبّا[(١)]
ولو تَعلم مانِىَ لم تَهب دُبًّا ولا كلبا[(٢)]

وأقلّ ما كان يَجب فى هذا الشعر أن يُضرب قائله خمسمائة سوط ، وصانعه، أربعمائة ، والمغنى به ثلثمائة ، والمصغى إليه مائتين . ومثله :

كأنما الشّمس إذا ما بَدتَ تلك التى قلبى لها يَضرب
تلك سُليمى[(٣)] إذا ما بدتْ وما أنا فى وُدّها أرغب
كأنّ فى النفس لها ساحِراً ذاك الذى علّمه المُذهَبُ

يعنى بالمذهب الجنى . ومثله :

يا خليلىّ أنتما عَلّلانى بين كرم ومزهَرٍ وجِنان[(٤)]

---

(١) فى بعض الأصول : « فقالت تعرف الدنيا » .
(٢) فى بعض الأصول : « تر الذنب ولا العتبا » .
(٣) فى بعض الأصول : « سلماى » .
(٤) فى ى : يا خليلى عللانى * بين البستان وكرم وجنان

خبِّرانى أين حلّت مناىَ   يا عباد الله لا تكتُمانى
إنما حلّت بواد خَصيب   يُنبت الوَرْس مع الزعفران
أحلف بالله لو وَجِدانى   غَرِقا فى البَحر ما أنقذانى

٢٧٠ / ٣

ومثله :

أبصرت سَلْمى مِن مِنى   يوماً فراجعت الصِّبا
يا دُرة البَحر مَتى   تَشهد سُوقا تشترى

ومثله :

يا معشر الناس هذا   أمرٌ ورَبّى شديد
لا تَمْنُنى يا فُلانه   فإننى لا أريد

ومثله :

أرِقتُ فأمسيت لا أرقدُ   وقد شفنى البيضُ والخُرَّدُ
نصِرْت لظبى بنى هاشم   كأنىَ مكتحل أرمد
أقلِّبُ أمرى لدى فكرتى   وأهبط طورًا فما أصعد
وأصعد طوراً ولا علمَ لى   على أننى قبلكم أرشد

ومثله :

ما أرجّى من حبيب   ضَنَّ عنى بالمداد
لو بكفّيه سَحاب   ما ارتوت منه بلادى
أنا فى وادٍ ويُمسى   هو لى فى غير واد
ليتَه إذ لم يَجُد لى   بالهوَى ردَّ فؤادى

ومثله :

ما لسَلمى تجنَّبت   ما لها اليومَ ما لها
إن تكُن قد تغضَّبت   أصلح الله حالَها

باب من رقائق الغناء

بين ابن بكار وإسحاق فى شعر الراعى

قال الزُّبير بن بكّار : سألت إسحاق هل تُغنى من شعر الرّاعى شيئاً ؟ قال : وأين أنت من قوله :

فلم أر مظلوماً على حال عِزّة أقلّ أنتصاراً باللّسان و باليَدِ
سوى ناظرٍ ساجٍ بعين مَريضة جرتْ عبرةٌ منها ففاضت بإثمد

من شعر ابن الدمينة

ومن شعر ابن الدُّمينة وهو عُبيد الله بن عبد الله ، والدُّمينة أُمه ، وهو من أرق شعراء المدينة بعد كُثير عزّة ، وقيس بن الخطيم :

بنفسِى وأهـلى مَن إذا عرضوا له ببعض الأذى لَم يدْر كيف يُجيب
ولم يَعتـذر عُـذر البرئ ولم تَزل له بهتــــة حتى يُقال مُريب
جرى السيلُ فاستبكانى السيلُ إذ جَرى وفاضت له من مُقلتىّ غُـــروب
وما ذاك إلّا أنْ تيقّنت أنه يَمُر بوادٍ أنت منــــه قريب
يكون أجاجاً قبلكم فإذا أنتهى إليكم تلـــــقّى طِيبكم فيَطيب
أيا ساكِنى شَرْقىّ دَجلة كُلّكم إلى القَلب من أجل الحبيب حَبيب

مما غنى به ابن صياد فى قول ابن الطثرية

ومن قول يزيد بن الطَّثْرِيّة ، وغنّى به ابنُ صيّاد المَدنى[1] وغيره :

بنفسىَ مَن لو مَرّ بَرْدُ بنانه على كَبدى كانت شِفاء أناملُه
ومَن هابنى فى كُل شىء وهِبتُه فلا هو يُعطينى ولا أنا سـائله

٢٧١/٣

مما يغنى به فى قول جرير

ومما يُغنى به من قول جرير :

أتذكُر إذ تُوَدّعنا سُليمى بعُود بَشامة سُقِى البَشام
بنفسى مَنْ تَجنُّبـه عزيزٌ علىّ ومن زِيارته لِمَــام
ومَن أمسى وأُصبح لا أراه ويَطرقنى إذا هَجع النِّيام

(١) فى بعض الأصول : « المدنى » .

متى كان الخِيام بذى طُلوح   سُقيتِ الغيث أيتها الخِيام

مما غنى به نومة الضحى

ومما غَنّى به نُوّمة الضحى :

يا مُوقد النّار قد أعيت قَوادحه   أَقْبس إذا شئتَ من قلبى بمقباس

ماأوحش الناسَ فى عَينى وأقبحَهم   إذا نظرت فلم أُبصرك فى النـاسِ

مما يغنى به من شعر ذى الرمة

ومما يُغنى به من شعر ذى الرمّة . وهو من أرقّ شعر يغنى به قولهُ :

لئن كانت الدُّنيا علىّ كما أرى   تَباريح مِن ذكراك فالموتُ أَرْوحُ

مما غنى به معبد فى شعر الأحوص

وأكثرُ ما كانَ يُغنى معبد بشعر الأحوص ، ومن جيِّد ما غَنى به له قولُه :

كأنّى من تذكّر أمّ حَفص   وحَبـلُ وِصالهـا خَلَق رِمَام

صريعُ مُدامة غَلبت عليـه   تموت لهـا المَفاصل والعظام

سـلامُ الله يا مَطرٌ عليها   وليس عليك يا مطرُ السلام

فإن يكن النّـكاح أحلّ شيئًا   فإنّ نِـكاحَها مطراً حـرام

من شعر المتوكل النهشلى

ومن شعر المتَوكل بن عبد الله بن نَهشل وكان كوفيًا فى عصر معاوية ، وهو القائل : * لاَ تنه عن خُلق وتأتى مثله * :

قِفى قبـل التفرّق يا أُماما   ورُدِّى قبـل بَيْنِـكم السَّلامَا

تُرجيها وقد شَطَّت نَواها   وَمنَّتـك المُنى عاماً نعاما

فلا وأبيـك لا أنساك حتى   تُجاوب هامتى فى القَبر هاما

مما غنى به من شعر ابن الرقاع

ومما يُغنى به من شعر عدىّ بن الرقاع :

تُزجى أغنّ كأنّ إبرة رَوْقه   قَـلمٌ أصاب مِن الدواة مِدَادَها

ولقد أصبتُ من المَعيشة لذةً   ولَقيت مِن شَظف الخُطوب شِدادها

وعلمتُ حتى ما أسائل عالمًا   عن حرف واحدةٍ لـكى أزدادها[1]

(١) فى ن بعد هذا : « تم الجزء الموفى أربعين بكمال كتاب الياقوتة الثانية فى الغناء والاختلاف فيه . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد نبيه الـكريم وآله وسلامه . يتلوه فى الحادى والأربعين أول كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن إن شاء الله تعالى » .

كتاب المرجانة الثانية[1]

فى النساء وصفاتهن

لابن عبدربه — قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه رحمه الله : قد مَضى قولُنا فى الغناء واختلاف الناس فيه ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النساء وصفاتهن ومايحمد ويُذم من عشرتهنّ ، إذ كان العيش كله مقصورا على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة ، والبلاء كله موكَّلا بالقَرينة السوء التى لا تسكن النفسُ إلى كريم عِشرتها ، ولا تقرّ العين برؤيتها .

للأصمعى — قال الأصمعىّ : حدثنى ابنُ أبى الزّناد عن عُروة بن الزبير قال : مارفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ، ولا وضع أحدٌ نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء . ثم قال : لعن الله فلانة ، ألِفتْ بنى فلان بيضا طوالاً فقلبتهم سودا قصارا .

لسليمان عليه السلام — وفى حكمة سُليمان بن داود عليهما السلام : المرأة العاقلة تَبنى بيتها والسفيهة تهدمه . 272/3

وقال : الجمال كاذب والحسن مخلف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة .

بين النبى صلى الله عليه وسلم وعكاف — مكحول ، عن عطية بن بشر ، عن عَكَّاف بن وَدَاعة الهلالى ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ياعَكَّاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا . قال : فأنت إذاً من إخوان الشياطين ، إن كنت من رُهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منّا فانكح فإنّ من سُنتنا النكاح .

لعائشة — وقالت عائشة : النِّكاح رقّ فلينظر أحدكم عند من يُرِقُّ كريمته .

للنبى صلى الله عليه وسلم — وقال صلى الله عليه وسلم : «أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عوان» ، يعنى أسيرات .

---

(1) فى ن قبل « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم »

قولهم فى المناكح

خطبة صعصعة إلى عامر بن الظرب ابنته

خَطب صَعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظَّرب حكيم العرب ابنتَه عمرة ، وهى أم عامر بن صعصعة فقال : يا صعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كبدى ، فارحم ولدى قبلتك أو رددتك . والحسيب كُفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب . وقد أنكَحتك خشية أن لا أجد مثلك أفرّ من السر إلى العلانية . يا معشر عَدْوان ، خرجتْ من بين أظهركم كريمتكم من غير رَغبة ولاَ رهبة ، أقسم لولا قَسم الحظوظ على الجُدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به .

خطبة عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم

العباس بن خالد السهمى قال : خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلِّم الشَّيبانى ابنته أم إياس ، فقال : نعم ، أزوّجها على أن أسمى بنيها وأزوج بناتها . فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنُسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فينكحهن أكفاؤهن من الملوك ، ولكنى أصدقُها عقارا فى كندة وأمنحها حاجات قومها ، لا تُرد لأحد منهم حاجة . فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها . فلما كان بناؤه بها خَلت بها أُمها فقالت : « أى بنية . إنك فارقت بيتَك الذى منه خرجت ، وعُشك الذى فيه درجت ، إلى رجل لم تَعرفيه ، وقَرِين لم تألفيه ، فكُونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذُخرا . أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة . وأما الثالثة والرابعة : فالتفقّد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح . وأما الخامسة والسادسة : فالتفقّد لوقت مَنامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع مَلهبة ، وتَنغيص النوم مَغضبة . وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله[1] ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ولا تُفشين

(١) الاحتراس : التحفظ .

له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره . ثم إياك والفرحَ بين يديه إذا كان مُهتما ، والـكآبة بين يديه إذا كان فرحا » . فولدت له الحارث بن عمرو ، جد أمرئ القيس الشاعر .

خطبة لقيط لبنت ذي الجدين

الشيبانى قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بنَ عدس نظر إلى أبنه لقيط فقال : مالى أراك مختالا كأنك جئتنى بابنة ذى الجدّين ، أو مائة من هجائن النعمان ؟ فقال : والله لا يمسُّ رأسى دُهنٌ حتى آتيك بهما ، أو أبلى عذرا . فانطلق حتى أتى ذا الجدّين ، وهو قيس بن مسعود الشيبانى ، فوجده جالساً فى نادى قومه من شيبان ، فخطب إليه بنته علانية ، فقال له : هلّا ناجيتَنى ؟ قال : علمتُ أنى إن ناجيتُك لم أخدعك ، وإن عالنتك لم أفضحك ، قال : ومَن أنت ؟ قال : لقيط ابن زرارة . قال : لاَجرم ، لا تبيتنّ فينا عَزبا ولا محروما . فزوّجه وساق عنه المهر ، وبنى بها من ليلته تلك . ثم خرج إلى النعمان فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه ، وقد وَفّى نذره . فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقّاها فى الطريق ومعه ابنُ عم له ، يقال له قُراد ، ٢٧٣ / ٣
فقال لقيط :

هاجت عليك ديارُ الحى أشجانا … واستقبلُوا من نَوى الجيران[1] قُربانا
تامتْ فؤادَك[2] لم تقضِ التى وعدت … إحـــدى نساء بنى ذُهل بن شيبانا
فانظر قُراد وهل فى نَظرة جزع[3] … عُرض الشقائق هل بَيَّنْتَ أظعانا[4]
فيهن جارية نَضْح العبِـــير بهـا … تُكْسى تَرَائبُهـا دُرًّا ومَرْجانا
كيف اهتديت ولا نَجم ولاَ علم … وكنت عندى نَؤوم الليـل وَسْنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مُرّوا بى على أبى أُودّعه ، فلما ودّعته

(١) فى ن : « لوى حران » . (٢) فى ن : « لو تقضى » .
(٣) فى ن : « وما فى نظرة خرعا » .
(٤) التبيين : التبيّن . قال النابغة : * إلا الأوارى لأيا ما أبينها *
وفى بعض الأصول : « تنبت أجفانا » .

قال لها : يا بُنية ، كونِي له أمةً يكن لك عبدا ، وليكن أطيبَ طِيبِك الماء ، ثم لا أذكَرْتِ ولا أيسَرتِ[1] ، فإنك تلدين الأعداء وتُقرِّبين البعداء ، إنّ زوجك فارس من فرسان مُضر ، فإذا كان ذلك فلا تَخْمشى وجهاً ولا تَحْلقى شعرا فلما قُتل لَقيط تحمّلت إلى أهلها ثم مالت إلى مجلس عبد الله بن دارم ، فقالت : نعم الأحماء كنتم يابنى دارم ، وأنا أُوصيكم بالقرائب خيرا ، فلم أر مثل لَقيط ، ثم لحقت بقومها . فتزوّجها ابنُ عم لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط . فقال لها زوجُها : أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسنَ فى عينك ؟ قالت : خرج يوماً يصطاد ، فطرد البقر فصَرع منها ، ثم أتانى مُختضبا بالدماء ، فضمّنى ضَمة ، ولثمنى لثمة ، فليتنى مِتُّ ثمة . فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ، ثم أتاها ، فضمّها ولثمها ، ثم قال لها : مَن أحسن أنا أم لَقيط عندك ؟ قالت : « مَرعًى ولا كالسَّعدان » .

زواج قيس بن زهير

أبو الفضل : عن بعض رجاله قال : قدم قيسُ بن زُهير بعد ما قَتل أهلَ الهباءة على النّمر بن قاسط فقال : يا معشر النّمر ، نزعتُ إليكم غريبا حزينا فانظروا لى أمرأة أتزوّجها ، قد أذلّها الفقر ، وأدّبها الغنى ، لها حسب وجمال . فزوّجوه على هيئة ما طلب . فقال : إنى لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى : إنى غيور فَخور ضجور ، ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف حتى أُظلم . فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سمّاه خَليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم ، فجمعهم ثم قال: يا معشر النمر ، إنّ لكم علىّ حقا ، وأنا أُريد أن أُوصيكم . فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال : بالإبل ، فإن بها تُنال الفُرصة ، وسوِّدوا من لا تُعابون بسُؤدده ، وعليكم بالوفاء فإن به عيش الناس ، وإعطاء ما تُريدون إعطاءه قبل المَسألة ، ومَنْع ما تريدون مَنعه قبل القَسم ، وإجارة الجار على الدهر ، وتَنفيس المنازل . وأنهاكم عن الرِّهان ، فإنّ بها ثكلتُ مالكاً ، وأنهاكم عن البَغى فإنه صَرع زُهيرا ، وعن السَّرف فى الدماء فإن يوم الهَباءة أوْرثنى الذُّل ، ولا تُعطوا فى الفُضول فتَعْجِزوا عن الحُقوق ، ولا تردُّوا الأكفاء عن النِّساء

(١) الإذكار : أن تلد الذكور . وأيسرت : ولدت فى سهولة .

فتُحوجوهن إلى البَـلاء ، فإنْ لم تجدوا الأكفاء فخَير أزواجهنّ القُبور . واعلموا أني أصبحتُ ظالمًا مَظلوما ، ظَلمني بنو بدر بقَتلهم مالكاً ، وظَلمت بقتلى من لا ذنب له .

هند والفاكه بن المغيرة

كان الفاكه بن المُغيرة المَخزوميّ أحدَ فتيان قُريش ، وكان قد تزوّج هند بنت عُتبة ، وكان له بيت للضِّيافة يَغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال يوماً فى ذلك البَيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعضُ مَن كان يَغشى البيت ، فلما وَجد المرأة نائمةً ولّى عنها . فاستقبله الفاكه بن المُغيرة ، فدَخل على هند وأنبهها ، وقال : مَن هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتبهتُ حتى أنبهتنى ، وما رأيتُ أحداً قط . قال : الحقِي بأبيك . وخاض الناسُ فى أمرهم . ٢٧٤/٣ فقال لها أبوها : يا بُنية : أنبئينى شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دسستُ عليه مَن يقتله فينقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمتُه إلى بعض كُهّان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب . فخرج عُتبة ، فقال : إنك رميتَ ابنتى بشىء عظيم ، فإمّا أن تُبيِّن ما قلت ، وإلاّ فحاكِمْنى إلى بعض كُهان اليمن . قال : ذلك لك . فخرج الفاكه فى جماعة من رجال قريش ، ونِسْوة من بنى مَخزوم ، وخرج عُتبة فى رِجال ونِسوة من بنى عبد مناف ، فلما شارفوا بلادَ الكاهن تغيّر وجهُ هند ، وكَسَف بالُها . فقال لها أبوها : أى بُنية ، ألّا كان هذا قبل أن يَشتهر فى الناس خروجُنا ؟ قالت : يا أبت ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلى ، ولكنّكم تأتون بَشراً يُخطىء ويُصيب ، ولعله أن يَسِمنى بِسمة تَبقى على ألسنة العرب . فقال لها أبوها : صدقتِ ، ولكنى سأَخْبُره لك . فصفَر بفرسه ، فلما أَدْلَى[1] ، عَمد إلى حَبة بُر فأدخلها فى إحليله ، ثم أوكَى عليها وسار . فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونَحر لهم . فقال له عُتبة : إنّا أتيناك فى أمر وقد خبأنا لك خَبيِّة ، فما هى ؟ قال : ثمرة فى كَمَرة . قال : أُريد أبْين من هذا .

(١) أدلى الفرس وغيره : أخرج جردانه ليبول أو يضرب .

قال : حَبة بُر فى إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر فى أمر هؤلاء النِّسوة ، فجعل يَمسح رأس كلِّ واحدة منهن ، ويقول : قُومى لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مَسح يده على رأسها ، وقال : قُومى غيرَ رَسْحاء[1] ولا زانية ، وستَلدين ملكاً يسمى مُعاوية . فلما خرجتْ أخذ الفاكهُ بيدها فنترت[2] يدَه من يدها ، وقالت : والله لأحرصنَّ أن يكون ذلك الولدُ من غيرك . فتزوّجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

خبر زواج هند من أبي سفيان

وذكروا أن هند بنت عُتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبت ، إنك زوّجتنى من هذا الرجل ولم تؤامرنى فى نفسى ، فعَرض لى معه ما عرض ، فلا تزوجنى من أحد حتى تعرضَ علىّ أمره ، وتُبين لى خصاله . فخطبها سهيلُ بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ، فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاكِ سُهيل وابنُ حرب وفيهما رِضاً لكِ يا هندَ الهُنود وَمَقنَعُ
وما منهما إلا يُعاش بفَضْله وما منهما إلا يَضُر ويَنفع
وما منهما إلا كريم مُرَزَّأ وما منهما إلا أغرّ سَمَيْدع
فدونكِ فاختارى فأنت بصيرةٌ ولا تُخْدعى إنَّ المُخادع يُخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسِّر لى أمرَهما وبيِّن لى خصالَهما ، حتى أختار لنفسى أشدَّهما مُوافقة لى . فبدأ بذكر سُهيل بن عمرو ، فقال : أما أحدهما ففى سِطَةٍ من العشيرة[3] ، وثروة من العيش ، إن تابعتِه تابعك ، وإن مِلْت عنه حطَّ إليك ، تحكمين عليه فى أهله وماله . وأما الآخر فموسَّع عليه مَنظور إليه ، فى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، مِدْره أَرُومته ، وعزّ عشيرته ، شديد الغَيرة ، كثير الطِّيَرة ، لا ينام على ضَعة[4] ، ولا يرفع عصاه عن أهله . فقالت : يا أبت ، الأول سيِّد مِضْياع للحُرة ، فما عَسَت أن تَلين بعد إبائها ، وتصنع

(١) الرَّسحاء : القبيحة . (٢) النتر : الجذب بشدة .
(٣) السطة ، كعدة : التوسط ، أى هو من أوساطهم وخيارهم .
(٤) فى بعض الأصول : « عن ضيمة » .

تحت جناحه ، إذا تابعها بعلُها فأشرت(١) ، وخافها أهلها فأمنت ، فساءت عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، فاطْوِ ذكر هذا عنّى ولا تُسمّه لى . وأما الآخر فبعل الفَتاة الخَريدة ، الحُرة العَفيفة ، وإنى للّتى لا أُريب له عشيرة فتغيره ، ولا تُصيبه بذُعر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لَموافقة ، فزوِّجنيه . فزوَّجها من أبى سُفيان . فولدت له مُعاوية ، وقبله يَزيد ، فقال فى ذلك سُهيل بن عمرو :

نُبِّئْت هنداً تَبرَّ الله سَعْيَها ... تأبّت وقالت وَصْف أهوج مائق
وما هَوَجِى يا هنـدُ إلا سَجيّة ... أجُر لها ذيلى بِحُسنِ الخلائق ٢٧٥/٣
ولوشئتُ خادعتُ الفتى عن قَلُوصه ... ولا طَمَتْ بالبَطحاء فى كل شارق
ولـكنّنى أكرمتُ نفسى تكرّماً ... ورافعتُ عنها الذّم عند الخلائق
وإنى إذا ما حُرة ساء خُلقها ... صَبرتُ عليها صَبْرَ آخرَ عاشِق
فإن هى قالت خَلِّ عنها تركتُها ... وأقلِل بتَرك من حَبيبٍ مُفارق
فإن سامحونى قلتُ أمرى إليكم ... وإن أبعدونى كنتُ فى رأس حالق
فلم تَنْـكِحى يا هندُ مثلى وإننى ... لمن لم تَمِقْنى فاعلمى غيرُ وامق

فبلغ أبا سفيان ، فقال : والله لو أعلم شيئاً يُرضِى أبا زيد سوى طَلاق هند لفعلتُه . وألح سُهيل فى تنقّص أبى سفيان . فقال أبو سفيان :

رأيت سُهيلا قد تفاوت شأوُه ... وفرّط فى العَلياء كُلّ عِنان
وأصبح يَسْمو للمَعالى وإنه ... لذُو جَفْنـةٍ مَغْشيّة وقيان
وشَرْبٍ كرام من لُؤىّ بن غالب ... عِرَاض المَساعى عُرضة الحَدثان
ولـكنه يوماً إذا الحربُ شمَّرت ... وأبرز فيها وجه كلّ حَصان
تَطأطأ فيهـا ما استطاع بنَفسه ... وقنّع فيها رأسَـه ودَعانى
فأكْفيه ما لا يُستطاع دِفاعُه(٢) ... وألقيتُ فيها كَلْـكلى وجِرَانى

(١) فى بعض الأصول : « فنشرت » .
(٢) فى بعض : « ما لا يستطيع » .

قال : وتزوّج سُهيل بن عمرو امرأةً فولدت له ولدا ، فبينا هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقةً ويقود شاة ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنةُ هذه ؟ يريد الشاة ابنة الناقة ، فقال أبوه : يَرحم الله هندا ، يعنى ما كان من فِراستها فيه .

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم هانئ

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، لو تزوجت أمَّ هانىء بنت أبى طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابةً فتكون صهرا أيضا . فخطبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لهو أحبُّ إلى من سمعى و بصرى ، ولكن حقه عظيم وأنا مُوتِمةٌ [(١)] ، فإن قمتُ بحقِّه خِفت أن أُضيع أيتامى ، وإن قمت بأمرهم قُصّرت عن حقه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خير نساء رَكِبن الإبل نساء قريش ، أحناها على ولد فى صغره ، وأرعاها على بَعل فى ذات يده . ولو علمتُ أن مريم بنت عمران ركبت جملاً لاستثنيتُها .

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفصة وزواج عثمان من ابنة الرسول

ولما تُوفِّيت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن عثمان بن عفّان عَرض عليه عمرُ ابنَته حَفصة ، فسكت عنه عُثمان . وقد كان بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُريد أن يزوِّجه ابنته الأخرى . فشكا عمرُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سكوت عثمان عنه ، فقال له : سيزوِّج الله ابنَتك خيراً من عثمان ويزوّج عثمان خيراً من ابنتك . فتزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حفصةَ وتزوّج عثمان ابنتَه .

نصيحة ورقة لخديجة بزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

ولما خطب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خديجةَ بنت خُويلد بن عبد العزى ذكرت ذلك لورقة بن نوفل . وهو ابنُ عمها ، فقال : هو الفَحل لا يُقدع أنفه ، تزوجيه .

خطبة عمر لأم كلثوم

وخطب عمرُ بن الخطّاب أم كُلثوم بنت أبى بكر ، وهى صَغيرة ، فأرسل إلى عائشة ، فقالت له : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجةَ لى فيه . فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المُؤمنين ؟ قالت : نعم . إنه

(١) أيتمت : صار أولادها يتامى .

خَشِن العيش شديد على النساء ، فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شُعبة ، فأخبرته . فقال لها : أنا أكفيك . فأتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمرٌ أعيذك بالله منه . قال : ما هو ؟ قال : بلغنى أنك خَطبت أم كلثوم بنت أبى بكر . قال : نعم . أفرغبتَ بها عنّى ، أم رغبت بى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حَدَثة نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غِلظة ، ونحن نَهابك وما نقدر أن نَرُدك عن خُلق من أخلاقك فكيف بها إن خالفتك فى شيء فسطوتَ بها ، كنت قد خَلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك ؟ فقال : كيف لى بعائشة وقد كلّمتُها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلّك على خير لك منها ، أم كلثوم بنت علىّ ، من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلّق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان علىّ قد عزل بناته لولد جعفر بن أبى طالب . فلقيه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحنى ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قد حبستُها لابن جعفر . قال : إنه والله ما على الأرض أحدٌ يُرضيك من حُسن صحبتها بما أرضيك به ، فأنكحنى يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين . فأقبل عمر ، فجلس فى الرّوضة بين القبر والمنبر واجتمع إليه المُهاجرون والأنصار . فقال : زَفُّونى . قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأم كلثوم ، فإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُل سَبب ونَسب ينقطع يوم القيامة إلّا سببى ونَسبى » وقد تقدمتْ لى صُحبة فأحببت أن يكون لى معها سَبب . فولدت له أم كلثوم زيدَ بن عمر ، ورُقيّة بنت عمر . وزَيد بن عمر هو الذى لَطم سَمُرة بن جُندب عند معاوية إذ تنقّص عليًّا فيما يقال . ٢٧٦/٣

خِطبة سلمان إلى عمر

وخطب سلمان الفارسى إلى عُمرَ ابنته[1] ، فوعده بها فشقّ ذلك على عبد الله ابن عمر ، فلقى عمرَو بن العاص فشكا ذلك إليه . فقال له : سأكفيكه . فلقى سلمانَ ، فقال له : هنيئاً لك يا أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع لله عزّ وجل فى تزويجك ابنته . فغضب سلمان ، وقال : لا والله لا تزوّجت إليه أبداً .

(١) فى بعض الأصول : « أمته » .

خطبة بلال لنفسه ولأخيه

وخَرج بلال بن رَباح مُؤَذّن رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع أخيه إلى قوم من بنى ليث ، يخطُب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، وكُنّا عَبدين فأعتقنا الله ، وكُنا فقيرين فأغنانا الله ، فإن تُزوجونا فالحمد لله ، وإن تَرُدونا فالمستعان الله . فالوا : نَعم وكرامة . فزوّجوهما .

زواج نائلة بنت الفرافصة من عثمان

قالت تُماضر امرأةُ عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفّان : هل لك فى ابنة عمٍّ لى بكر ، جميلة ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد ، أصيلة الرأى ، تتزوّجها ؟ قال : نعم . فذكرت له نائلة بنت الفُرافصة الكَلبيّة ، فتزوجها وهىَ نصرانية فتحنّفت وحُملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شَيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين إنى من نسوة أحبّ أزواجهن إليهن الكَهْل . قال : إنى قد جُزت الكُهول ، وأنا شيخ ، قالت : أذهبْتَ شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خَير ما ذهبت فيه الأعمار . قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعتُ إليك أرضَ السماوة وأُريد أن أنثنى إلى عُرض البيت ، وقامت إليه . فقال لها : أنزعى ثيابك ، فنزعتها . فقال : حُلِّى مِرطَك . قالت : أنت وذاك .

قال أبو الحسن : فلم تَزل نائلةُ عند عثمان حتى قُتل ، فلما دُخل إليه وَقتْه بيدها ، فجُذمت أناملها ، فأرسل إليها معاويةُ بعد ذلك يَخطبها ، فأرسلت إليه : ما تَرجو من امرأة جَذْماء . وقيل : إنها قالت لما قُتل عثمان : إنى رأيتُ الحُزن يَبْلى كما يَبلى الثوب ، وقد خَشيت أن يَبلى حُزنُ عثمان مِن قلبى ، فدعت بفهر فهتَمت فاها ، وقالت : والله لا قَعد أحدٌ منى مقعد عثمان أبدا .

زواج فاطمة بنت الحسين من عبد الله بن عمرو بعد حسن بن حسن

وكانت فاطمةُ بنت الحُسين بن علىّ عند حسن بن حَسن بن علىّ ، فلما ٢٧٧ / ٣
احتُضر قال لبعض أهله : كأنّى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى إزار له مُورّد قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابنَ عمى ، وليس يُريد إلا النظر إلى فاطمة ، فاذا جاء فلا يَدخلنّ . قال : فوالله ما هو إلا

أن تَغمّضوه . فجاء عبدُ الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وَصفها ، فمُنع ساعة ، فقال بعضُ القوم : لا يدخل ، وقال بعضُهم : افتحوا له ، فإنّ مثلَه لا يُرد . ففتحوا له ودخل . فلما صِرنا إلى القبر قامت عليه فاطمةُ تبكى ، ثم اطلعت إلى القَبر ، فجعلت تصكّ وجهها بيديها حاسرة . قال : فدعا عبدُ الله بن عمرو وصيفاً له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يُقرئك ابنُ عمك السلام ، ويقول لك : كُفى عن وجهك ، فإنّ لنا به حاجة . فلما بلّغها الرسالةَ أرسلت يديها ، فأدخلتهما فى كُمها حتى أنصرف الناس . فتزوّجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمدَ بن عبد الله ، وكان يُسمى المذهّب لجماله . وكانت وَلدت من حَسن بن حسن عبدَ الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمدا ، ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن ، حتى قتلهما .

شيء عن محمد بن عبد الله بن عمرو

وعن مسلمة بن مُحارب قال : ما رأيتُ قرشيًّا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمةُ بنت الحُسين ، وكانت له أبنة ولدُها محمد ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير[1] ، كانت أمها خديجــة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم فاطمة بنت الحسين أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله ، وأم عبد الله ابن عمرو بن عثمان سودة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب .

زواج شريح

وعن الهيثم بن عدىّ الطائى قال : حدّثنا مُجالد عن الشّعبى قال : لقينى شُريح فقال : ياشعبى ، عليك بنساء بنى تميم ، فإنى رأيتُ لهن عُقولا . قال : وما رأيتَ من عُقولهن ؟ قال : أقبلتُ من جنازة ظُهرا ، فمررت بدُورهم ، فإذا أنا بعَجوز على باب دار ، وإلى جَنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلتُ فاستسقيتُ ، وما بى عَطش . فقالت : أىّ الشراب أحبُّ إليك ؟ فقلت : ما تَيسّر ، قالت : ويحك ، ياجارية ، ايتيه بلبن ، فإنى أظن الرجل غريباً[2] ، قلت :

(١) أى كانت هذه أسماء أولادها . (٢) فى بعض الأصول : «عربيا» .

مَن هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بنى حَنظلة ، قلت : فارغة هى أم مَشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زوِّجينيها . قالت : إن كنتَ لها كفوا ، وهى لغة تميم . فمضيت إلى المنزل ، فذهبت لأَقيل . فامتنعتْ منى القائلة ، فلما صلّيت الظهر أخذت بأيدى إخوانى من القُرّاء الأشراف : عَلقمة ، والأسود ، والمُسيّب ، وموسى بن عُرْفُطَة ، ومضيت أريد عَمّها . فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك ، قال : ما بها رغبة عنك . فأنكحنيها ؟ فلما صارت فى حبالى ندمت ، وقلت : أى شىء صنعت بنساء بنى تميم[1] ؟ وذكرت غِلَظ قلوبهن ، فقلت : أُطَلقها ، ثم قلت : لا ، ولكن أضمُّها إلىّ ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك . فلو رأيتنى يا شَعبى وقد أقبل نساؤهم يَهدينها حتى أُدخلت علىّ ، فقلت : إن من السّنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله مِن خيرها ويعوذ به من شَرها ، فصلّيت وسلمت ، فإذا هى من خلفى تُصلِّى بصَلاتى ، فلما قضُيت صلاتى أتتنى جواريها ، فأخذن ثيابى وألبسننى مِلْحفة قد صُبغت فى عَكَر العُصفر ، فلما خلا البيت دنوتُ منها ، فمددت يدى إلى ناصيتها فقالت : على رسلك أبا أمية كما أنت ، ثم قالت :
٢٧٨/٣ الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأةٌ غريبة لا عِلْم لى بأخلاقك ، فبَيِّن لى ما تُحب فآتيه ، وما تكره فأزدجر عنه . وقالت : إنه قد كان لك فى قَومكَ منكح ، وفى قَومى مثلُ ذلك ، ولكن إذا قَضى الله أمرا كان ، وقد ملكت فاصنع ما أَمرك الله به : (إمْساكٌ بمَعروف أوتَسْريحٌ بإحسان) أقول قولى هذا وَأستغفر الله لى ولك . قال : فأخرجتنى والله يَا شعبى إلى الخُطبة فى ذلك الموضع ، فقلت : الحمد لله ، أحمده وَأستعينه ، وأصلى على النبى وآله وسلم . وبعد ، فإنك قد قلتِ كلاما إن تَثْبتى عليه يكن ذلك حظك ، وإن تَدعيه يكن حُجة عليك ، أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرقى ، وما رأيت من

(١) فى بعض الأصول : « صفت نساء بنى تميم » .

حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها؛ وقالت شيئا لم أذكره: كيف محبّتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملّني أصهاري. قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أمنعه[1]؟ قلت: بنو فلان قوْم صالحون وبنو فلان قوم سوء. قال: فبتُّ ياشعبىُّ بأنعم ليلة، ومكثتْ معى حولاً لا أرى إلا ما أحب. فلما كان رأس الحول جئْت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتَنْهى فى الدار. فقلت: مَن هذه؟ قالوا: فلانة خَتَنَتُك، فسُرِّى عنى ما كنت أجد، فلما جلستُ أقبلت العجوز، فقالت: السلام عليك أبا أُمية. قلت: وعليك السلام، من أنت؟ قالت: أنا فلانة خَتنَتُك، قلت: قرّبك الله، قالت: كيف رأيتَ زوجتك؟ قلت: خير زوجة، فقالت لى: أبا أُمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالين، إذا ولدت غلامًا أو حَظيت عند زوجها، فإن رابك ريبٌ فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدلّلة. قلت: أمَا والله لقد أدّبت فأحسنتِ الأدب، ورُضت فأحسنت الرياضة. قالت: تُحب أن يزورك أختانك؟ قلت: متى شاءوا. قال: فكانت تأتينى فى رأس كل حَوْل تُوصينى تلك الوصيّة، فمكثت معى عشرين سنة لم أعتِب عليها فى شىء إلا مرةً واحدة، وكنت لها ظالمًا، أخذ المؤذن فى الإقامة بعد ما صلّيت ركعتى الفجر، وكنت إمام الحى، فإذا بعقرب تَدب، فأخذتُ الإناء فأكفأته عليها، ثم قلت: يا زينب، لاتحرّكى الإناء[2] حتى آتى. فلو شهدتَنى ياشَعبى، وقد صلّيتُ ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها. فدعوتُ بالقُسْط[3] والمِلح، فجعلت أمغثُ[4] إصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوّذتين.

وكان لى جار من كِندةَ يُقرّع امرأته ويضربها، فقلت فى ذلك:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشُلّت يمينى حين أضرب زَينبا

(١) فى بعض الأصول: «أكرهه».
(٢) فى بعض الأصول: «لا تحرجى».
(٣) القسط، بالضم: عود هندى يتداوى به.
(٤) المغث: المرث وهو أن تلوك الإصبع.

أأضربُها فى غير ذَنب أتتْ به   فما العدلُ منّى ضربُ من ليس مُذنبا
فزينب شمس والنِّساء كَوَاكب   إذا طلعت لم تُبْدِ منهن كوكبا

بين النوار وابنته وزوجه

وقال أبو عبيدة : نكح الفرزدقُ أمةً له زنجية ، فولدت له بنتا فسمّاها مكية ، وكان يُكنى بها ، ويقول : أنا أبو مكية . فكتبت النَّوار يوماً إلى الفرزدق تشكو مكّية ، فكتب إليها :

كنتم زعمتم أنهـا ظلمتكمُ   كذبتم وبيتِ الله بل تَظْلمونها
فإن لا تعدّوا أمّها من نِسائكم   فإن أباها والدٌ لن يَشِينها
وإنّ لها أعمامَ صِدْقٍ وإخوةً   وشيخاً إذا شئتم تأيّم دونها

قالت النوار فإنا لا نَشاء .

وقال الفرزدق : فى أمته الزّنجية :

يا رُب خَود من بنات الزّنج   تنقل[1] تنُّورا شديدَ الوَهج
أعسَنَ مثل القَدح الخَلنْج[2]   يَزداد طيباً بعد طول الهَرْج

٢٧٩/٣

سلمى الهذلى وحديث زواجه من ابنة عمه

وعن الهيثم بن عدى : عن ابن عيّاش قال : حدّثنا سُلْمى[3] الهُذلى قال : كنت بسجستان مع طَلحة الطلحاتِ ، فلم أر أحداً كان أسخَى منه ولا أشرفَ نفساً ، فكتب إلىّ عمى من البصرة : إنى قد كَبرت ومالى كثير ، وأكره أن أوكله غيرك ، فاقدم أزوجك أبنتى ، وأصنع بك ما أنت أهله . قال : فخرجت على بغلة لى تركية ، فأتيت البصرة فى ثلاثين يوماً ، ووافيته فى صلاة العصر ، فوجدته قاعداً على دكّانه ، فسلمت عليه ، فقال لى : من أنت ؟ قلت له : ابن أخيك سُلْمى . قال : وأين ثقلك ؟ قلت : تعجّلت إليك حين أتانى كتابك وطرت نحوَكم . قال : يابن أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب :

(١) فى بعض الأصول : « توقد ».
(٢) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الآنية . وفى بعض الأصول : « أغبر ... الخلنج ».
(٣) هو أبو بكر الهذلى سلمى بن عبد الله بن سلمي . وفى بعض الأصول : « يعلي » (انظر الطبرى والقاموس) .

شر الفتيان المُفلس الطروب . قال : فقمتُ إلى بغلتي فأعدتُ سَرجي عليها ، فما قال لى . ثم قال لى شيئا : إلى أين ؟ قلت : إلى سِجستان . قال : فى كنف الله . قال : فخرجت فبتّ فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفتُ أسأل عنها ، حتى أتيتُ منزلَها ، وكان طلحةُ أبرّ الناس بها . فقلت : رسولُ طلحة ، فقالت : ويحك ! كيف أبنى ؟ قلتُ : على أحسن حال . قالت : فلله الحمد . و إذا بعجوز قد تحدّرت ، قالت : فما جاء بك ؟ قلتُ : كيت وكيت . قالت : ياجارية . ايتينى بأربعة آلاف درهم ، ثم قالت : إيت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تُحب . قلت : لا أعود إليه أبداً . قالت : يا جارية ايتينى ببغلة ورحالة ، ثم قالت : راوِح بين هذه و بغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : أكتبى بالوصاة بى والحالة التى أستقبلتها . فكتبت بوجعها التى كانت فيه و بعافية الله إياها وبالوصاة بى ، فلم تدع شيئاً . ثم دَفَعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت للحاجب : رسول صفية بنت الحارث ، وأنا عابس باسر . فدخل . فخرج طلحة مُتوشحاً وخلفه وصيف يسعى بكُرسى ، فقمتُ بين يديه ، فقال : ويلك ! وكيف أمى ؟ قلت : بأحسن حال . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها ، قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال : ويحك ، ألم تأتنى بسلامتها ؟ حسبك . فأمر لى بخمسين ألفَ درهم ، وقال لحاجبه : اكتبه فى خاصّة أهلى . قال : فوالله ما أتى علىّ الحول حتى أتمّ لى مائةَ ألف . قال ابنُ عَياش : فقلت له : هل لقيت عمّك بعد ذلك ؟ قال : لا والله ولا ألقاه أبداً .

حديث زهرى مع السلامانى

وعن الهيثم بن عدىّ عن ابن عيّاش قال : أخبرنى موسى السّلامانى ، مولى الحضرمىّ ، وكانَ أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل علىّ غلام لى ، فقال : هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك . وكانت أمه مولاةً لعبد الرحمن بن عوف . فقلت : إيذن له ، فدخل شاب حلو الوجه ، يعرف فى هيئته أنه قرشى ، فى طِمرين ، فقلت : مَن أنت يرحمك الله ؟ قال :

أنا عبد المجيد بن سهل[1] بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهرىّ ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فى الرُّحب والقُرب ، ثم قلت : يا غلام ، برّه وأكرمه وألطفه ، وأدخله الحمام ، واكسه قميصاً رقيقا ، ومبطنا قُوهيًا ، ورداء عُمريًا ، وحذونا له نعلين حضرميين ، فلما نظر الشاب فى عطفيه وأعجبته نفسه . قال : «ياهذا ، أبغنى أشرف أيِّم بالبصرة أو أشرف بكر بها . قلت : يابن أخى ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا . قلت : يابن أخى ، كُفّ عن هذا . قال : أنظُر ما أقول لك . قلت : فإن أشرف أيّم بالبصرة هند بنت أبى صفرة . وأشرف بكر بالبصرة الملاءة بنت زرارة بن أوفى الحَرَشىّ ، قاضى البصرة . قال : اخطُبها على . قلت :
٢٨٠/٣ يا هذا إنّ أباها قاضى البصرة . قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدّم فجلس إلى القاضى ، فقال له : من أنت يا بن أخى ؟ قال له : عبد المجيد بن سهل[1] بن عبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلّم . قال : مَرْحباً ، ما حاجتُك ؟ قال : جئتُ خاطباً . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاءة ابنَتك . قال : يابن أخى ، ما بنا عنك رَغبة ، ولكنها امرأة لا يُفتات عليها أمرها ، فاخطُبها إلى نفسها . فقام إلىّ . فقلت : ما صنعت ؟ قال : كذا وكذا . قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زُرارة ، فإذا دار فيها مَقاصير . فاستاذنا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ، ثم قالت : ها هى تلك فى تلك الحُجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكراً ؟ قلت : بلى . قال : ادخُل بنا إليها ، فاستأذنا ، فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوبٌ قُوهىّ رقيق مُعصفر، تحته سراويل يُرى منه بياض جسدها ، ومرط قد جمعته على فَخذيها ، ومُصحف على كرسى بين يديها ، فأشرجت المُصحف ثم نَحّته ، فسلّمنا ، فردت ، ثم رحّبت بنا ، ثم قالت : مَن أنت ؟ قال : أنا عبد المجيد بن سهل[1] بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى ، خال رسول الله صلى

(١) كذا فى بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول « عبد الحميد بن سهيل » .

الله عليه وسلم ومدّ بها صوته ، قالت : ياهذا ، إنما يُمد هذا الصوت للساسانيين . قال موسى : فدخل بعضى فى بعض . قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئتُ خاطباً . قالت : ومَن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحباً بك يا أخا أهل الحجاز ، ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سَهمان بخَيبر أعطاناهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومدّ بها صَوته ، وعيْن بمصر ، وعَين باليمامة ، ومال باليمن قالت : يا هذا كل هذا عنّا غائب ، ولكن ما الذى يحصُل بأيدينا منك . فإنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاةِ عِكْرمة ؟ أتدرىَ من عكرمة ؟ قال : لا ، قالت : عكرمة بن ربْعى ، فإنه كان نَشأ بالسواد ثم أنتقل إلى البصرة ، وقد تغذّى باللبن ، فقال لزوجته : أشترى لنا شاةً نَحلبها وتصنعين لنا من لبنها شراباً وكامخاً ، ففعلت . وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت[1] . فقالت : يا جارية : خُذى بأذن الشاة وانطلقِى بها إلى التيّاس ، فأنزى عليها ، ففعلت . فقال التيّاس : آخذ منك على النّزوة دِرهما . فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها ، فقالت : إنما رأينا مَن يرحم ويعُطى ، وَأما مَن يرحم ويأخذفلم نَره ، ولكن يا أخا أهل المدينة . أردت أن تجعلنى كشاة عِكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا ! قال : ما كنت أظن أنّ امرأة تجترئُ على مثل هذا الكلام .

شىء من غيرة عقيل بن علفة

وعن الأصمعى قال : كان عُقيل بن عُلَّفة المُرى غيوراً فَخورا ، وكان يُصهِر إليه خُلفاء بنى أمية ، فخطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنَته لبعض ولده ، فقال : جنِّبنى هُجناء ولدك .

وكان إذا خرج يمتار خرج بأُبنته الجرباء معه ، فخرج مرّة فنزلوا ديراً من أديرة الشام يقال له دير سَعد ، فلما ارتحلوا قال عُقيل :

قَضت وطراً من دير سَعد وربما ... غلا عَرَض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه : أجِز يا عُميس . فقال :

(٢) استحرمت : أرادت الكبش .

فأصبحن بالمَوماة يحملن فِتْية   نَشاوَى من الإدلاج مِيلَ العَمائم

ثم قال لابنته : يا جَرباء ، أجيزى . فقالت :

كأنّ الكَرى أسقاهمُ صَرْخدِيةً   عُقاراً تمشّت فى المَطا والقوائم

فقال لها : وما يُدريك أنت ما نَعْت الخمر ؛ ثم سلّ السيف ونَهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عملّس[1] ، فانتزعه بسهم فأصاب فَخذه فبرك ، ومَضوا وتَركوه ، ٢٨١/٣ حتى إذا بلغوا أدنى المِياه منهم قالوا لهم : إنا أسقطنا جَزورا لنا فأدركوه ، وخُذوا معكم الماء . ففعلوا ، وإذا عَقيل بارك وهو يقول :

إنّ بنيّ زَمّلونى بالدّم   مَن يلق أبطال الرِّجالِ يُكْلَمِ[2]

ومَن يكن دَرْء به يُقوّم   شِنْشِنة أعرفها من أخزم

الشنشنة : الطبيعة ، وأخزم : فَحل كريم ، وهذا مثل للعرب .

زواج بنت عبد الرحمن من يحيى ورفضها الزواج من عبد الملك

الشيبانى عن عوانة قال : خَطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام . فأبت أن تتزوّجه . وقالت : والله لا تزوجنى أبا الذِّبان . فتزوّجها يحيى بن الحكم[3] . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحبت منّى ما كرهتْ منك ، وكان عبد الملك ردىء الفم يَدْمى ، فيقع عليه الذباب ، فسُمى أبا الذِّبان .

زواج قريبة بنت حرب من عقيل

وعن العُتبى قال : خَطب قَريبةَ بنت حرب أخت أبى سفيان بن حَرب ، أربعةَ عشر رجلا من أهل بدر فأبتهم ، وتزوّجت عَقيل بن أبى طالب ، وقالت : إنّ عقيلا كان مع الأحبة يوم قُتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم . ولاحتْه يوما فقالت : يا عَقيل ، أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريقُ الفضة ، قال لها : إذا دخلتِ النار فَخُذى على يسارك .

(١) فى بعض الأصول : « عميس » وعميس وعملس ولدا عقيل ، وكان يقال لعقيل أبا عميس (انظر الطبرى والاشتقاق) .

(٢) فى بعض الأصول : « أساد » .

(٣) فى بعض الأصول : « يحيى بن عبد الحكم » تحريف . (انظر الطبرى) .

بين سعيد وزيادة حين خطب زياد إليه ابنته

وكتب زياد إلى سَعيد بن العاص يخطُب إليه ابنَته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتابَ أمر حاجبه بِقَبض المال والهدايا ، وأن يُقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكبر من ظَنّك . قال سعيد : أنا أكبر منها ، ثم وقّع إلى زياد في أسفل كتابه : (كَلا إنّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى . أن رَآه اسْتَغْنَى) .

بين الحسن ورجل سأله أن يزوج ابنته

وقال رجل للحَسن : إنّ لِي بُنية ، فمن تَرَى أن أُزَوِّجها ؟ قال : زوِّجها ممن يتقي الله ، فإن أحبّها أكرمها ، وإن أبغضها لم يَظلمها .

بين عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز في تزويجه فاطمة

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوَّجك أميرُ المؤمنين ابنَته فاطمة . فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كَفيت المسألة ، وأجزلت في العطيّة .

الحسن في كفاية الزوج

قيل للحسن : فلان خطب إلينا فُلانة ، قال : أهو مُوسِر من عَقل ودين ؟ قالوا : نعم ، قال : فزوِّجوه .

بين حيوة ورجل يريد الزواج

وقال رجل لحَيْوة بن شُريح : إني أُريد أن أتزوّج ، فماذا ترى ؟ قال : كَم المهر ؟ قال مائة . قال : فلا تَفعل . تزوّج بعشرة وأبق تسعين . فإن وافقتك رَبحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوّجت عشرا ، فلا بد في عَشر نسوة من واحدة توافقك .

بين هبنقة ورجل في مثله

وقال رجل : أردت النكاح فقلت : لأستشيرنّ أول من يطلُع عليّ ، ثم أعمل برأيه . فكان أولَ من طلع هبنّقة القَيْسي ، وتحته قَصبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تُشير عليّ ؟ قال البِكر لك والثيِّب عليك ، وذات الولد لا تقْربها ، واحذر جوادى لا ينفحك .

بين رجل من بني العنبر وآخرين شاورهم في زواج ابنته

وعن الأصمعي قال : أخبرني رجل من بني العَنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقلاًّ ، فخطب إليه مُكثرٌ من مال ، مُقِلٌّ من عقل ، فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يَزيد . فقال: لا تَفعل ولا تزوِّج إلا عاقلا ديِّنا ، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها .

ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوِّجه فإن ماله لها وحُمقه على نفسه . فزوَّجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته ، فقال :

ألهفى إذ عصيتُ أبا يزيد ولهفى إذ أطعتُ أبا العَلاء
وكانت هَفوةً من غير ريحٍ وكانت زَلّةً من غير ماء

بشر بن كدام وامرأة خطبها

الفضل بن محمد الضّبى قال : أخبرنى مِسعَر بن كِدام عن معبد بن خالد الجدلى قال : خَطبْتُ امرأة من بنى أسد فى زمن زياد ، وكان النساء يجلسن
٢٨٢/٣ لخطّابهن ، قال : فجئتُ لأنظر إليها ، وكان بينى وبينها رُوَاق ، فدعت بجَفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العِظام نقية ، ثم دعَت بشَنٍّ عظيم مملوء لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهها ، وقالت : يا جارية ، ارفعى السِّجْف ، فإذا هى جالسة على جلد أسد وإذا امرأة شابة جميلة ، فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بنى أسد ، وعلىّ جلدُ أسد ، وهذا طعامى وشرابى ، فعلام ترى ؟ فإن أحببتَ أن تتقدّم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخّر فتأخر . فقلت : أستخير الله فى أمرى وانظُر . قال : فخرجت ولم أعد .

جارية لأمية ورجل من بنى سعد

قال : وحدّثنا بعض أصحابنا أنّ جارية لأُمية بن عبد الله بن خالد بن أسِيد ذاتَ ظرف وجمال مرّت برجل من بنى سَعد ، وكان شُجاعا فارساً ، فلما رآها قال : طُوبَى لمن كانت له امرأة مثلك ! ثم إنه أتبعها رسولً يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها . فقالت للرسول : ما حِرْفته ؟ فأبلغه الرسولُ قولَها . فقال : ارجع إليها فقل لها :

وسائلة ما حِرْفتى قلت حِرْفتى مُقارعة الأبطال فى كُل شارق
إذا عرضت لى الخيلُ يوماً رأيتنى أمام رَعيل الخيل أحمِى حَقائقى
وأصبر نَفسى حين لا حُرٌّ صابرٌ على ألم البِيض الرِّقاق البَوارق

فأنشدها الرسولُ ما قال . فقالت له : ارجع إليه وقُل له : أنت أسد فاطلب لنفسكَ لبؤه ، فلستُ من نسائك ، وأنشدت هذه الأبيات :

إلا إنما أبغى جواداً بماله كريماً مُحيّاه قليلَ الصّدائق
فتًى همّه مُذ كان خَودٌ كريمة يُعانقها باللّيل فوق النّمارق
ويَشربها صِرفاً كُمَيتا مُدامةً نَداماه فيها كلُّ خِرْق[1] مُوافق

بين زوجين قديمة وحديثة

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال : تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جاريةُ الحديثةُ تمر على باب القديمة فتقول :

وما تَستوى الرّجلان رجلٌ صحيحة ورِجل رَمى فيها الزّمان فشَلّتِ

ثم تعود فتقول :

وما يَستوى الثّوبان ثوبٌ به البَلى وثوبٌ بأيدى البائعين جَديدُ

فمرّت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :

نَقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلبُ إلا للحَبيب الأول
كم منزلٍ فى الأرض يألفه الفتى وحنينُه أبداً لأول منزل

غلام حارثى يغلب ابن شعبة على امرأة

وعن الشعبى قال . سمعتُ المُغيرةَ بن شَعبة يقول : ما غَلبنى أحدٌ قطُّ إلا غلام من بنى الحارث بن كعب ، وذلك أنى خطبتُ امرأة من بنى الحارث ، وعندى شاب منهم ، فأصغى إلىّ فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها . قلت . يا بن أخى ، وما لها ؟ قال : إنّى رأيتُ رجلاً يُقبِّلها . قال : فبرئتُ منها . فبلغنى أنّ الفتى تزوّجها فأرسلت إليه فقلت : ألم تُخبرنى أنك رأيتَ رجلا يقبلها ؟ قال : نعم . رأيتُ أباها يقبلها .

نصيحة ابن سيرين لأبى سعيد فيمن يتزوج

أبو سعيد الشحام قال : صحبتُ أبنَ سيرين عشرين سنة ، فقال لى يوما : يا أبا سعيد ، إن تزوّجت فلا تتزوج امرأة تنظُر فى يدها ولكن تزوّج امرأة تنظر فى يدك .

(١) الخرق : الفتى الكريم الخليقة . وفى بعض الأصول : « حر » .

صفات النساء وأخلاقهن

لابن العلاء فى أعلم الناس بالنساء

قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم النـاس بالنّساء عَبدة بن الطّبيب حيث يقول :

٢٨٣/٣

فإنْ تسألونى بالنِّسـاء فإننى عَليمٌ[1] بأدواء النِّساء طَبِيب
إذا شاب رأسُ المَرء أو قَلَّ مالُه فليس له فى وُدّهن نَصيب
يُرِدْن ثَراء المال حيثُ عَلِمْنه وشَرْخ الشَّباب عندهن عَجيب

وهذه الأبيات لعَلقمة بن عَبَدة المعروف بالفَحل، وأول القصيدة :

* طَحا بك قلب فى الحسان طَرُوب *

لمعاذ بن جبل فى النساء

وعن رجاء بن حَيْوة عن مُعاذ بن جبل قال : إنكم ابتُليتم بفِتْنة الضَّرّاء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم فِتنة السّراء ، وهى النساء إذا تحلّين الذهبَ[2] ، ولَبِسن رَيط الشام وعصب اليمن ، فأتعبن الغَنيّ ، وكَلَّفن الفقير مالا يُطاق .

لعبد الملك فى اختيار الجوارى

وقال عبدُ الملك بن مروان : من أراد أن يتّخذ جارية للمُتعة فليتخذها بَرْبرية ، ومن أرادها للوَلد فليتخذها فارسيّة ، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رُومية .

لابن هبيرة فى مثله

وعن أبى الحسن المدائنى قال : قال يزيد بن عمر بن هُبيرة : اشتُروا لى جارية شقّاء مقّاء رَسْحاء ، بعيدةَ ما بين المَنكبين ، ممسوحة الفَخذين .

قوله : شقّاء : يريد كأنها شُقة جبل . مَقاء : طويلة . رَسحاء : صغيرة العجيزة ؛ وإنما أرادها للولد ، ويقال : إن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة .

وقال : عُمر بن هُبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيّدا ، ولا بأرسح فتكون فارسا .

للأصمعى فى أنواع النساء

وقال الأصمعى ، وذكر النساء : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضَرب رءوس الأبطال كابن الأعجمية .

(١) فى بعض الأصول : « بصير » .
(٢) وردت تعدية هذا الفعل أيضا فى المفضليات (٢ : ٤٥) .

بين عثمان بن ابراهيم وقرشى فى امرأة يتزوجها

أبو حاتم عن الأصمعى عن يونس بن مُصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتانى رجلٌ من قريش يَستشيرنى فى أمرأة يتزوّجها ، فقلت : يابن أخى ، أقصيرة النسب أم طويلته ؟ فلم يفهم عنى . فقلت : يابن أخى ، إنى أعرف فى العينِ إذا عرفتْ وأنكر فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تُنكر . أما إذا عرفتْ فتتحاوص ، وأما إذا أنكرتْ فتجحظ ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتَسْجو ، وقد رأيت عينك ساجيةً ، فالقصيرة النسب التى إذا ذكرتْ أباها اكتفتْ به ، والطويلة النسب التى لا تُعرف حتى تُطيل فى نِسبتها ، فإياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضع نفسك بهم (١) .

بين الوليد وأربع عقائل له

وعن العُتبى قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عَقائل : لُبابة بنت عبد الله بن عبّاس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزَينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جَحش بنت عبد الرحمن بن الحارث ، فكُن يَجتمعن على مائدته ويَفترقن فيفخرن . فاجتمعن يوما ، فقالت لُبابة : أما والله إنك لتسوّينى بهن ، وإنك تعرف فضلى عليهن . وقالت بنتُ سعيد : ما كنت أرى أنّ للفخر علىّ مجازا ، وأنا ابنةُ ذى العِمامة إذ لا عمامة غيرها . وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحب بأبى بدلاً ، ولو شئتُ لقلت فصدقت وصُدِّقت . وكانت بنت يزيد ابن معاوية جاريةً حديثة السن فلم تتكلم . فتكلم عنها الوليدُ ، فقال : نَطق من أحتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره . أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنةُ قادتكم فى الجاهلية ، وخلفائكم فى الإسلام . فظهر الحديث حتى تحدّث به فى مجلس أبن عباس ، فقال : (اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) .

الحجاج يصف نساءه

الشّيبانى عن عَوانَة قال : ذكرتُ النِّساء عند الحَجّاج فقال : عندى أربع نِسْوة ، هند بنت المُهلّب ، وهِنْد بنت أسماء بن خارجة ، وأم الُجلاس بنت

(١) فى بعض الأصول : « فتضيع نفسك فيهم » .

عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الله بنت عبد الرحمن بن جَرير بن عبد الله البَجلى . ٢٨٤/٣ فأما ليالى عند هند بنت المهلب فليلة فتًى بين فتيان ، يلعب و يلعبون . وأما ليالى عند هِند بنت أسماء ، فليلة ملك بين الملوك ، وأما لَيالى عنـد أم الُجلاس فليلة أعرابىّ مع أعراب فى حديثهم وأشعارهم . وأما ليالى عنـد أمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير ، فليلةُ عالم بين العلماء والفقهاء .

حديث أبى الحر مع مدينى زف إليه امرأة

وعن ألعتبى قال : حدّثنى رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مُخنَّث يَدُلُّ على النساء يقال له أبوالُحر ، وكان مُنقطعا إلىّ ، فدلّنى على غيرما امرأة أتزوّجها، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرتُه يوماً فقال : والله يا مولاى لأدلّنك على امرأة لم ترَ مثلها قط ، فإن لم تَرها كما وصفتُ فاحلِق لحيتى . فدلّنى على امرأة ، فتزوجتها . فلما زُفّت إلىّ وجدتها أكثر مما وَصف . فلما كان فى السحر إذا إنسان يدُق الباب ، فقلت : مَن هذا ؟ قال : أبو الحُر ، وهذا الحجّام معه . فقلت : قد وَفّر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلت .

ابن أبى أمية ومخنث

ابن بكير عن مالك بن هشام بن عُروة عن أبيه ، أن مُخنَّثا كان عند أم سلمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلم ، فقال لعبد الله بن أبى أمية ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لـكم الطائف غداً فأنا أدلُّك على بنت غَيلان ، إنها تُقبِل بأربع ، وتُدبِر بثمان . فقال رسول الله صلى الله علية وسلم : لا يدخلن عليكنّ هذا .

قوله : تُقبل بأربع وتُدبر بثمان ، يريد : عُـكن البطن ، فإنها إذا أقبلت أربع و إذا أدبرت ثمان .

بين كوفى وابنة عم له أراد أن يغيرها

وضُرب البعث على رجل من أهل الـكوفة فخَرج إلى أذربيجان ، فأفاد[1] جارية وفرساً ، وكان مُملِـكا بابنة عمه ، فـكتب إليها ليُغيرها :

ألا أبلغوا أمّ البنين بأننا غَنِينا وأغنتْنا الغطارفة المُرْدُ

(١) فى بعض الأصول : « فاقتاد » .

بعيد مَناط المَنكبين إذا جَرى وَ بيضاء كالتِّمثال زيَّنها العِقد
فهذا لأيّام العدوّ وَهذه لحاجة نفسى حين يَنصرف الُجند

فلما ورد كتابه قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواة . فكتبت إليه تجيبه :

ألا أقرِه منّا السلامَ وقُل له غنينا وأغنتنا غطارفة المُرْدِ
بحَمْد أمير المؤمنين أقرّهم شباباً وأغزاكم خوالفَ فى الُجند
إذا شِئْتُ غنّانى غلامٌ مُرجَّل ونازعتُه من ماءِ مُعْتصر الوَرد
و إن شاء منهم ناشئٌ مدَّ كفه إلى كبد مَلْساء أو كَفَل نَهْد
فما كنتم تَقْضُون مِن حاج أهلكم شُهوداً قَضيناها على النَّأْى والبُعد
فعجِّل علينا بالسَّراح فإنه مُنانا ولا نَدعو لك الله بالرَّد
فلا قفَل الُجند الذى أنت فيهم وزادك ربُّ الناس بُعداً إلى بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها ، فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال : بالله هل كُنت فاعلة ؟ قالت : الله أجلُّ فى قلبى وأعظم ، وأنت فى عينى أذل وأحقر مِن أن أعصى الله فيك ، فكيف ذُقت طَعم الغيرة ؟ فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه .

بين معاوية وصعصعة فى أشهى النساء وأبغضهن

وقال معاوية لصَعصعة بن صُوحان : أى النساء أشهى إليك ؟ قال : الُمواتية لك فيما تَهوى . قال : فأيهن أبغض ؟ قال : أبعدهن مما تَرضى ، قال : هذا النَّقد العاجل . فقال صعصعة : بالميزان العادل[1] .

بين صعصعة ومعاوية فى غلبة فاختة عليه

وقال صَعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف نَنْسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصفُ إنسان . يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ؟ فقال معاوية : إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

جرير البجلى وعمر بن الخطاب وابن عيينة فى المرأة

٢٨٥/٣ وعن سُفيان بن عيينة قال : شكا جرير بن عبد الله البجلى إلى عُمَر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك ، فإنّ التى عندى ربما خَرجت

(١) انظر عيون الأخبار ؛ فبين الخبرين بعض خلاف .

من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لفتيات بنى عدىّ . فسمع كلامَهما ابنُ مسعود ، فقال : لا عليكما ، فإن إبراهيم الخليل شكا إلى ربّه رَداءةً فى خلق سارة فأوحى الله إليه : أن ألبسها لباسَها ما لم تر فى دينها وَصْماً . فقال عمر : إن بين جوانحك لعلماً .

كتاب الحجاج إلى ابن القرية ليخطب على عبد الملك

وكتب الحجاج إلى أيوب بن القرية : أن أُخطب على عبد الملك بن الحجّاج امرأة ، جميلةً من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفةً فى قومها ، ذليلة فى نفسها ، مواتية لبعلها . فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عِظَم ثدييها . فكتب إليه : لا يكمل حُسن المرأة حتى يعظُم ثدياها ، فتُدفئَ الضجيع ، وتُروى الرضيع .

السفاح وابن صفوان فى النساء

وقال أبو العبّاس السفاح أمير المؤمنين لخالد بن صَفوان : يا خالد ، إنّ الناس قد أكثروا فى النساء ، فأيهن أعجب إليك ؟ قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التى ليست بالضَّرع الصغيرة ، ولا الفانية الكبيرة . وحسبكِ من جمالها أن تكون فخمةً من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قَضيب ، وأسفلها كَثيب ، كانت فى نَعمة ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى وأدبها الفقر .

بين خالد بن صفوان وامرأة

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى المسجد بالبصرة فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها : أبغنى امرأة . قالت : صفها لى . قال : أريدها بكراً كثيب ، أو ثيباً كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد . كانت فى نعمة فأصابتها فاقة ، فمعها أدبُ النّعمة وذُل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كُنّا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كُنا أهل آخرة . قال : قد أصبتها لك قال : وأين هى ؟ قال : فى الرفيق الأعلى من الجنة فاُعمل لها .

لأعرابى فى النساء

وسئل أعرابى عن النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التى إذا غضبت حَلمت ، وإذا ضَحكت تبسّمت ، وإذا صَنعت شيئاً جوّدت ، التى تُطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الوَدود الولود ، وكل أمرها محمود .

لغطفانى يصف لعبد الملك النساء

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صِف لى أحسنَ النســاء ، فقال ، خُذها يا أمير المؤمنين مَلساء القدمين ، دَرْماء الـكَعبين ، مملوءة الساقين ، جَمّاء الركبتين ، لفّاء الفَخذين ، مُقرمدة الرَّفغين ، ناعمة الأليتين ، مُنيفة المأ كمتين بدّاء الوركين ، مهضومة الخصرين ، ملساء المتنين ، مشرفة ، فَعمة العَضُدين ، فَخمة الذراعين ، رَخصة الـكفّين ، ناهدة الثديين حَمراء الخدين ، كَحلاء العينين ، زجّاء الحاجبين ، لَمياء الشفتين ، بَلجاء الجَبين ، شمّاء العِرنين ، شَنْباء الثغر ، حالـكة الشعر ، غَيداء العُنق ، عيناء العَينين ، مكسَّرة البطن ، ناتئة الرَّ كَب . فقال : ويحك ! وأين توجد هذه ؟ قال : تجدها فى خالص العرب ، أو فى خالص الفرس .

بين رجل وخاطب

وقال رجل لخاطب : أبغنى امرأةً لا تؤنس جارا ، ولا تُوهن دارا ، ولا تُثقِب نارا . يريد لا تَدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تُغرى بينهم بالشر .

لبعض الشعراء فى مثله

وفى نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثلِ الشَّمس لم يَرها ... فى ساحة الدار لا بَعلٌ ولا جارُ

للأعشى

وقال الأعشى :

لم تَمش ميلاً ولم تَركب على جَمل ... ولا ترى الشمسَ إلا دونها الـكِلَلُ

لبعضهم

وقال آخر : أبغنى امرأة بيضاء ، مَديدة فرعاء ، جَعدة ، تقوم فلا يُصيب قميصها منها إلا مُشاشة مَنكبيها ، وحَلَمتى ثَديها ، ورانفتى أليتيها .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أبت الروادفُ والثُّدى لقُمصها ... مَسَّ البُطون وإن تَمس ظُهورا

وإذا الرياح مع العشىّ تناوحت ... نَبَّهن حاسدةً وهِجْن غَيورا

ولآخر :

إذا انبطحت فوق الأثافِى رَفعها ... بثَديين فى نَحر عريض وكَعثَب[1] ٢٨٦/٣

(١) الـكعثب : الركب الضخم . والبيت للفرزدق كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٨) .

بين ابن حطان وامرأته

ونظر عِمران بن حِطّان إلى امرأته . وكانت من أجمل النساء ، وكان من أقبح الرجال ، فقال : إنى وإياكِ فى الجنة إن شاء الله . قالت له : كيف ذاك ؟ قال : إنى أُعطيتُ مثلَكِ فشكرتُ ، وأُعطيتِ مثلى فصبرتِ .

أبو هريرة وعائشة بنت طلحة

ونظر أبو هُريرة إلى عائشة بنت طلحة ، فقال : سبحان الله ! ما أحسن ما غذَاكِ أهلكِ ! والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه مُعاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معاوية من أحسن الناس .

بين ابن أبى ذئب وعائشة بنت طلحة

ونظر ابنُ أبى ذِئب إلى عائشة بنت طَلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت :

مِن اللاء لم يَحْجُجن يَبْغين حِسْبةً ولكن ليَقْتلن البرىء المُغَفَّلا

فقال لها : صان الله ذلكِ الوجهَ عن النار . فقيل له : أفتنتْكَ يا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن الحُسْن مَرحوم .

لابن اسحاق فى بنت طلحة

وقال يونس : أخبرنى محمد بن[1] اسحاق ، قال : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فوجدتُها متّكئة ، ولو أنّ بُختية نوّخت خلفها ما ظهرت .

الشعبى ومصعب وابن الزبير وبنت طلحة

السرىُّ بن إسماعيل عن الشعبى ، قال : إنى لفى المسجد نصفَ النهار ، إذ سمعتُ بابَ القصر يُفتح ، فإذا بمُصعب بن الزبير ومعه جماعة . فقال : يا شعبى ، اتبعنى . فاتبعته . فأتى دارَ موسى بن طَلحة ، فدخل مقصورةً ثم دخل أُخرى ، ثم قال : يا شعبى ، اتبعنى ، فاتبعته . فإذا امرأة جالسة ، عليها من الحَلى والجواهر ما لم أر مثله ، وهى أحسن من الحلى الذى عليها . فقال : يا شعبى ، هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

وما زِلت فى ليلَى لَدُن طَرّشار بى إلى اليوم أُخفى حُبَّها وأُداجنُ
وأحمِل فى لَيلى لقوم ضَغينةً وتُحْمَل فى ليلى علىَّ الضغائن

هذه عائشة بنت طلحة . فقالت له : أما إذ جلوتَنى عليه فأحْسن إليه .

(١) فى بعض الأصول : « أبو » . تحريف . (انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٩) .

فقال : يا شعبى . رُح العشية ، فرحت . فقال : يا شعبى ، ما ينبغى لمن جُليتُ عليه عائشــة بنت طلحة أن يُنقص عن عشرة آلاف . فأمر لى بكسوة وقارورة غالية . فقيل للشعبى فى ذلك اليوم : كيف الحال ؟ قال : وكيف حال من صدر عن الأميرة ببدرة وكسوة ، وقارورة غالية ، ورُؤية وجه عائشة بنت طلحة .

قصة زواج عمرو بن حجر من بنت عوف

وكان عمرو بن حُجر ملك كندة ، وهو جدّ امرئ القيس ، أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحلِّم الشيبانى الذى يقال فيه : لا حُر بوادى عوف ؛ لإفراط عِزّه . وهى أم إياس ، وكانت ذاتَ جمال وكمال . فوجّه إليها امرأة يقال لها عِصام ، [ذات عقل و بيان وأدب] لتنظر إليها ، وتمتحن ما بَلغه عنها . فدخلت على أمها أمامة بنت الحارث ، فأعلمتها ما قَدِمت له . فأرسلت إلى ابنتها : أى بنية ، هذه خالتك ، أتت إليك لتنظرُ إلى بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئاً أرادت النظرَ إليــه من وجه وخَلق ، وناطقيها فيما استنطقتْك فيه . فدخلت عصامُ عليها ، فنظرت إلى ما لم تَر عينُها مثلَه قط ، بهجةً وحسنا وجمالا . فإذا هى أكملُ الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا . فخرجت من عندها وهى تقول : «تركَ الخِداعَ مَن كشف القناع» . فذهبت مثلا . ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : «ما وراءك ياعصام؟» فأرسلها مثلا . قالت : «صَرّح المَحض عن الزبدة» . فذهبت مثلا . قال : أخبريني ، قالت : أخبرك صدقا وحقا ، رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة ، يزينها شــعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إن أرسلته خِلْته السلاسل ، و إن مَشّطته قلت عناقيد كَرم جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خطّا بقلم ، أو سُوِّدا بحُمَم ، قد تقوّسا على مثل عين العَبهرة[1] التى لم يَرُعْها قانص ولم يَذْعَرها قَسْورة ، بينهما أنف ٢٨٧/٣ كحد السيف المَصقول ، لم يخنس به قِصر ، ولم يُمعنْ[2] به طول ، حُفّت به وجنتان كالأرجوان ، فى بياض مَحض كالجُمان ، شُق فيه فم كالخاتم ، لذيذ المُبتسم[3] ،

(١) العبهرة : الممتلئة الجسم ، عنى بها البقرة .

(٢) فى بعض الأصول : « لم يخلس به قصر ولم يمن » .

(٣) فى بعض الأصول : « المبسم » .

فيه ثنايا غُر ، ذوات أُشر ، وأسنان تُعَدّ كالدُّر ، وريق تنمّ إليك منه ريح الخمر ، أو نَشر الروض بالسَّحَر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة و بيان ، يقلّبه[(١)] عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد ، يحلبان ريقاً كالشهد ، تحت ذاك عُنق كإبريق الفضة ، رُكّب فى صدر تمثال دُمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحما مُكتنزان شحما ، وذراعان ليس فيهما عظم يُحس ، ولا عِرق يُجس ، رُكّبت فيهما كفان رقيقٌ قصبهما لَيِّن عَصبهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتُركّب الفصوص فى حُفر المفاصل ، وقد تربّع فى صدرها حُقّان كأنهما رمّانتان . من تحت ذلك بطن طُوى كطَى القَباطىّ المدمجة ، كُسى عُكَنا كالقراطيس المُدرجة . تُحيط تلك العكن بسُرة كمُدْهِن العاج المجْلو ، خلفَ ذلك ظهر كالجدول ينتهى إلى خَصر لولا رحمة الله لانخزل ، تحته كَفَل يُقعدها إذا نهضت ، ويُنهضها إذا قعدت ، كأنه دِعْص رمل ، لَبّده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفّاوان كأنهما نَضيدُ الجُمّار ، تحملهما ساقان خَدلجتان كالبَرْدى وشِّيتا بشعر أسود ، كأنه حَلَق الزرد ، ويَحمل ذلك قدمان كحد السنان تبارك الله فى صِغرهما كيف تُطيقان حمل ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه ، غير أنه أحسنُ ما وصفه واصف بنظم أو نثر . قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها . فكان من أمرها ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب .

صفة المرأة السوء

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراء الدمن[(٢)] » . يريد الجارية الحسناء فى المنبت السوء .

لداود عليه السلام

وفى حكمة داود : المرأة السوء مثل شَرك الصياد . لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه .

(١) فى بعض الأصول « يزين به » .
(٢) فى بعض الأصول « لا خير فى الخضراء تنبت فى الدمن » .

لعمر بن الخطاب في أنواع النساء

الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وثالثة غُل قمل يُلقيه الله فى عُنق من يشاء من عباده .

لأعرابى فى شر النساء

وقيل لأعرابى عالم بالنساء : صف لنا شرّ النساء . قال : شرّهن النّحيفة[1] الجِسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم ، المحياض[2] ، الصفراء ، المشؤمة العسراء ، السليطة الذفراء ، السريعة الوثبة ، كأن لسانها حَربة ، تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحَرَب . أنف فى السماء وأست فى الماء .

للخشنى فى مثله

وفى رواية محمد بن عبد السلام الخُشنى قال : إياك وكلّ أمرأة مذكَّرة منكَّرة ، حديدة العرقوب ، بادية الظُّنبوب ، مُنتفخة الوريد ، كلامها وَعيد ، وصوتها شديد ؛ تَدفن الحسنات ، وتُفشى السيئات ؛ تُعين الزمان على بَعلها ، ولا تُعين بعلها على الزمان ؛ ليس فى قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ؛ وإن طلّقها كانت حريبته ، وإن أمسكها كانت مصيبته ، سَفْعاء ورهاء ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ؛ تأكل لمًّا ، وتُوسع ذمًّا ؛ صَخوب غَضوب ، بَذية دنية ؛ ليس تُطفأ نارها ، ولا يهدأ إعصارها ، ضيّقة الباع ، مَهتوكة القناع ؛ صَبيها مَهزول ، وبيتها مَزْبول ؛ إذا حدّثت تشير بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ؛ بادية من حجابها نبّاحة على بابها ، تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ؛ قد ذلّ[3] لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفُجور .

فضالة وزوجه بين يدى سلم ابن قتيبة

٢٨٨/٣ نافرت أمرأة فَضالة زوجَها إلى سَلم بن قُتيبة ، وهو والِى خراسان ، فقالت : أبغضه والله لخلال فيه . قال : وما هى ؟ قالت : هو والله قليل الغيرة ، سريع الطِّيرة ؛ شديد العتاب ، كثير الحساب ؛ قد أقبل بَخَره ، وأدبر ذفرُه ؛ وهَجمت[4] عيناه ،

(١) فى بعض الأصول : « الخفيفة » .
(٢) فى بعض الأصول : « المحياض المراض الصفراء » .
(٣) فى بعض الأصول : « دلى » .
(٤) فى بعض الأصول « سجمت » . وهجمت بمعنى غارت .

واضطربت رجلاه ؛ يُفيق سريعاً ، ويَنطق رجيعاً ؛ يُصبح جِبْساً ، ويُمسى رجسا ؛ إن جاع جَزِع ، وإن شَبع جَشع .

من صفة المرأة السوء

ومن صفة المرأة السوء يقال: امرأة سِمعنّة نظرنّة . وهى التى إذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئاً تظنّنت تظنناً .

شعر لأعرابى

قال أعرابى :

إن لنا لـكَنّه سِمعنّة نظرنّه
مِفنّة مِعَنّـــه كالذئب وسط العُنّه[(١)]
إلا ترَهْ تظنّه

لابن هبيرة فى مثله

وقال يزيد بن عمر بن هُبيرة : لا تنكحن برشاء ولا عمشاء ، ولا وقصاء ، ولا لثغاء . فتجيئك بولد ألثغ . فوالله لولد أعمى أحب إلى من ولد ألثغ .

لبعضهم فى آخر عمر الرجل والمرأة

وقالوا : آخر عمر الرجل خير من أوله ، يثوب حلمُه ، وتثقل حَصاته ، وتخمد شرارته ، وتكمل تجارته . وآخر عمر المرأة شرّ من أوله ، يذهب جمالُها ، ويذرُب لسانها ، ويعقم رحمها ، ويسوء خلقها .

لجعفر بن محمد فى النصف

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نَصَفا ، فاعلم أن شرّ النصفين ما بقى فى يده ، وأنشد :

وإن أتوك وقالوا إنهـا نَصف فإنّ أطيبَ نِصْفيها الذى ذَهبـا

للحطيئة فى امرأته

وقال الحطيئة فى امرأته :

أطوّف ما أطوف ثم آوى إلى بيتٍ قعيدتُه لَـكَاعِ

وله فى أمه

وقال فى أمه :

تَنحّىْ فاجلسى منِّى بعيـداً أراح الله منــك العـالمينا
أغرْبالاً إذا استُودعت سرًّا وكانُونا على المُتحــدثينا
حَياتُك ما علمتُ حياةُ سَـوء وموتُك قد يَسُر الصـالحينا

لزيد بن عمير فى أمته

وقال زيد بن عُمير فى أمَتِه :

(١) العنة ، بضم العين : الحظيرة . ويروى : « كالربح حول القنه » .

أُعاتبها حتى إذا قُلْتُ أَقلعت أَبى الله إلاّ خِـــزْيها فتَعُود
فإن طَمَثت قادت وإنْ طَهرت زَنت فهِى أبدا يُزنَى بهـــا وتقود

علامة المرأة المبغضة والمحبة

ويقال إن المرأة إذا كانت مُبغضة لزوجها ، فعلامة ذلك أن تكون عِند قُربه منها مرتدّة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره ؛ وإذا كانت مُحبة له لا تقلع عن النظر إليه .

لبعض الشعراء فى امرأته اللثغاء

وقال آخر يصف أُمرأة لثغاء[1] :

أول ما أسمع منها فى السَّحَـــر تَذكيرَها الأُنثى وتأنيثَ الذكر
والسوأة السوآء فى ذكر القمر

ولآخر فى زوجته

ولآخر فى زَوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زَوْجتى ولــكنْ قرينُ السوء باقٍ مُعمَّرُ
فياليتها صارت إلى القَبر عاجلاً وعذّبها فيــه نَــكير ومُنْــكَر

بين عبد الملك وابن زنباع فى زوج عبد الملك

وكان روح بن زنباع أثيراً عنــد عبد الملك ، فقال له يوما : أرأيتَ أمرأتى العَبْسيّة ؟ قال : نعم قال : فبما شبّهتها ؟ قال بِمشجب بال ، وقد أُسيئت صَنعته . قال : صدقت . وما وضعت يدى عليها قط إلا كأنى أضعها على الشّكاعى[2] ،
٢٨٩/٣ وأنا أحب أن تقول ذلك لابنيها الوليد وسليمان . فقام إليه فزعا ، فقبّل يدَه ورجله ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تُعرِّضنى لهما . قال : ما من ذلك بُدّ ، وبعث مَن يدعوها . فاعتزل رَوح ، وجلس ناحيةً من البيت كأنه حِلْس ، وجاء الوليد وسليمان فقال لهما : أتدريان لم بَعثت إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشّيخ حقّه وحُرمته . ثم سكت .

بين روح وزوجه

أبو الحسن المدائنى : كان عند رَوح بن زِنباع هند بنت النُّعمان بن بَشير ، وكان شديد الغَيرة ، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد من جُذام ، كانوا عنده ، فزَجرها .

(١) انظر البيان والتبيين (١ : ١٦٥ طبع لجنة التاليف) .
(٢) الشكاعى ، كحبارى وقد تفتح : من دق النبات ، ولدقته يقال للمهزول : كأنه عود الشكاعى .

فقالت : والله إنى لأُبغض الحلال من جُذام ، فكيف تخافنى على الحرام فيهم. وقالت له يوماً : عجبا منك كيف يُسوِّدك قومُك ؟ وفيك ثلاث خلال : أنت من جُذام ، وأنت جَبان ، وأنت غَيور ؟ فقال لها : أما جُذام فإنى فى أرومتها ، وحَسْب الرجل أن يكون فى أرومة قومه . وأما الُجبن فإنما لى نَفس واحدة ، فأنا أحوطها ، فلو كانت لى نفسٍ أخرى جُدت بها . وأما الغَيرة فأمرٌ لا أريد أن أشارَك فيه ، وحقيق بالغَيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذف به فى حجره . فقالت :

وهل هِند[1] إلا مُهرة عربيّة ... سليلة أفراس تَجللها بَغْلُ
فإن أنجبت مُهرًا عريقاً فبالحرى ... وإن يك إقراف فما أنجب الفَحل

لرجل فى امرأة دلته على زوجة

وعن الأصمعى قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله على امرأة يتزوّجها فقال :

أقول لهــــا لما أتتنى تدلُّنى ... على امرأة موصــــوفة بجمال
أصبتِ لها والله زوجاً كما اشتهت ... إن احتملت منه ثلاثَ خِصَال
فمنهن عجز لا ينادى وليده ... ورقّة إســــلام وقلّة مال

صفة الحسن

المدائنى فى الحسن

عن أبى الحسن المدائنى قال : الُحسن أحمر ، وقد تَضرب فيه الصُّفرة مع طُول المكث فى الكنّ ، والتضمّخ بالطيب ، كما تضرب فى بيضة الأدحى واللؤلؤة المكنونة . وقد شبه الله عزّ وجل بها فى كتابه فقال : (كأنهن بَيض مكنون) ، وقال : (كأنهم لؤلؤ مكنون) . وقال الشاعر :

كأن بَيض نَعام فى مَلاحفها ... إذا اجتلاهنّ قيظٌ ليله وَمِدُ[2]

لبعض الشعراء

وقال آخر :

مَروزىّ الأديم تغمره الصُّفـ ... ـرة حيناً لا يَستحِقّ اصفرارا

(١) فى بعض الأصول : « وهل أنا » .
(٢) البيت للراعى ، كما فى اللسان (ومد) وفى بعضها : « وهل كنت » .

وجَرى من دَم الطَّبيعة فيه لونُ وَرد كسا البَياضَ احمرارا

بين خالد بن صفوان وامرأته

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : لقد أصبحتَ جميلا . فقال لها : وما رأيتِ من جمالي ! وما فيّ رداء الحسن ولا عموده ولا بُرنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال : عمود الحسن الشّطاط[1] ، ورداؤه البياض ، وبُرنسه سواد الشعر .

لبعضهم في الوجه عند الخجل والفرق

وقالوا : إن الوجه الرقيق البَشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر . وإذا فَرِق يصفر . ومنه قولهم : ديباج الوجه . يُريدون تلوُّنه ، من رقته .

لعدي بن زيد في لون الوجه

وقال عدي بن زيد يصف لون الوجه :

حُمرة خَلْط صفرة في بياضٍ مثل ما حاكَ حائك ديباجا

لون الجارية مع الضحى والعشي ولبعض الشعراء في ذلك

وقالوا : إن الجارية الحسناء تتلَوّن بلون الشمس ، فهي بالضُّحى بيضاء ، وبالعشي صفراء . وقال الشاعر[2] :

بيضاء ضَحوتَها وصفــــراء العشيةَ كالعَراره

وقال ذو الرُّمة :

٢٩٠/٣ بَيضــاء صَفراء قد تنازعها لونان من فِضّة ومن ذَهَبِ

ومن قولنا في هذا المعنى :

بَيضاء يحمّر خَدّاها إذا خَجِلت كما جَرى ذهبٌ في صَفحتي وَرِقِ

ومن قولنا أيضا :

يالؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما إن رَأيتُ ولا سمعتُ بمثله دُرًّا يعود من الحياء عَقِيقَا

ومن قولنا :

كم شادنٍ لَطُفَ الحياء بوجهه[3] فأصاره ورداً على وَجناته

ومن قولنا :

عَطابيل كالآرام أمّا وجوهُها فدُرٌ ولكنّ الخدودَ عَقِيقُ

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٢) هو الأعشى .

(٣) في بعض الأصول : « كم سوسن لطف الحياء بلونه » .

ومن قولهم فى الجارية

قولهم فى الجارية

جميلة من بعيد ، مَليحة من قَريب . فالجَميلة التى تأخذ بصرك جملة على بُعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك . والمليحة التى كلّما كررتَ فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم : السَّمينة الجميلة ، من الجميل ، وهو الشحم . والمليحة أيضا من الملحة ، وهو البياض . والصبيحة مثل ذلك ، يشبهونها بالصبح فى بياضه[١] .

المنجبات من النساء

لبعضهم فى معنى هذا العنوان

قالوا : أنجب النساء الفَروك . وذلك أن الرجل يغلبها على الشَّبق لزُهدها فى الرجل .

للأصمعى

أبو حاتم عن الأصمعى قال : النجيبة التى تنزع بالولد إلى أكرم العِرقين .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : يابنى السائب ، إنكم قد أضْويتم[٢] فانكحوا فى النزائع[٣] .

للعرب فى الغرائب والقرائب

وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .

والعرب تقول : أغتربوا لا تُضووا . أى انكحوا فى الغرائب ، فإن القرائب يُضوين البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يصلب ولد المرأة فأغضبها ثم قَع عليها ، وكذلك الفزِعة . وقال الشاعر[٤] :

ممن حمَلن به وهُنّ عواقد حُبكَ النِّطاق فشبَّ غيرَ مُهبَّلِ

---

(١) فى ن بعد هذا : « آخر الجزء الأول من كتاب النساء يتلوه فى الآتى بعدة الطلاق والحمد لله وصلاته على محمد وعلى آله وسلم » . ولم يرد فى ن هذان الفصلان المنجبات من النساء ومن أخبار النساء .

(٢) أضوى : دق وضعف .

(٣) النزائع : الغرائب . والخبر فى اللسان (نزع) . وفى بعض النسخ : « فى الغرائب » . بعد قليل .

(٤) هو أبو كبير الهذلى . والبيتان من أبيات فى الحماسة (١ : ١٩)

حَمَلت به فى ليـلة مزءودةٍ   كَرها وعِقد نِطاقها لم يُحْلَلِ

لأم تأبط شرا

قالت أم تأبط شرا : والله ما حملتُه تُضْعا ولا وُضْعـا ، ولا وضعته يَتْنا ولا أرضعته غيلا ، ولا أبته مَئِقا .

حملته وُضْعا وتُضْعا ، وهى أن تحمله فى مُقْبَل الحيض . ووضعته يَتْنا ، وضعته منكسا تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أرضعته لبنا فاسدا ، وذلك أن ترضعه وهى حامل . وأبته مَئِقا ، أى مُغضبا مغتاظا .

ومن أمثال العرب قولهم : أنا مئِقٌ وأنت تئِقٌ فلا نتفق . المئق : المغضب المغتاظ . والتئِقُ : الذى لا يحتمل شيئا .

من أخبار النساء

مقتل زوجة المختار وشعر ابن أبى ربيعة فيها

لما قتل مصعبُ بن الزبير بنتَ النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجةَ المختار ابن أبى عُبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه ، لأنه أتى بما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه فى نساء المُشركين ، فقال عمر بن أبى ربيعة :

إنّ من أعظم الكبائر عِندى   قتــلَ حَسْناء غادةٍ عُطْبولِ

قُتلت باطلاً على غير ذَنب   إنّ لله دَرَّها من قتيلِ

كُتب القَتل والقتال علينـا   وعلى الغانيات جَرُّ الذُّيولِ

بين الخوارج وامرأة أرادوا قتلها

ولما خَرجت الخوارج بالأهواز ، أخـذوا امرأة فهمّوا بقتلها ، فقالت لهم : أتقتلون من يُنَشَّأ فى الحِلية وهو فى الخِصام غير مبين ؟ فأمسكوا عنها .

٢٩١/٣

باب الطلاق[1]

للأصمعى فيما وصل به

محمد بن الغار قال : حدثنى عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعى قال : سمعت عمّى يقول : توصّلت بالمُلح ، وأدركت بالغريب .

بين الرشيد والأصمعى فى رجل طلق خمسا فى يوم

وقال عمى للرشيد ، فى بعض حديثه : بلغنى يا أميرَ المؤمنين أن رجلا من

(١) قبل هذا العنوان فى ن : « بسم الله الرحمن الرحيم . رب أعن برحمتك » .

العرب طلّق فى يوم خمسَ نسوة . قال : إنما يجوز مِلك الرجل على أربع نِسْوة ، فكيف طلّق خمسا ؟ قال : كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يومًا فوجدهن مُتلاحيات متنازعات ، وكان شِنْظيرا[(١)] . فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك ، يقول ذلك لامرأة منهن ، اذهبى فأنت طالق . فقالت له صاحبتها : عَجِّلت عليها بالطلاق ، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنت حَقيقا . فقال لها : وأنت أيضا طالق . فقالت له الثالثة : قَبّحك الله ، فوالله لقد كانتا إليك مُحسنتين ، وعليك مُفضلتين . فقال : وأنت أيتها المُعدِّدة أياديهما طالق أيضا . فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرك عن أن تؤدِّب نساءك إلا بالطلاق . فقال لها : وأنت طالق أيضا . وكان ذلك بمَسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامَه ، فقالت : والله ما شهدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلَوْه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة . قال : وأنت أيضا أيتها المُؤنبة المتكلّفة طالق إن أجاز زوجك . فأجابه مِن داخل بيته : هِيه ، قد أجزتُ ، قد أجزت .

طلاق المغيرة للفارعة

ودخل : المُغيرة بن شُعبة على زوجته فارعَة الثّقفية ، وهى تتخلّل ، حين انفتلت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن كنت تتخلّلين من طَعام اليوم إنك لجَشعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لبشعة ، كنتِ فبنتِ . فقالت : والله ما اغتبطنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بِنّا ، وما هو لشىء مما ذكرت ، ولكنى استكت فتخلّلت للسواك . فخرج المُغيرة نادما على ما كان منه . فلقيه يوسُف بن أبى عَقيل ، فقال له : إنى نزلتُ الآن عن سيدة نساء ثَقيف ، فتزوّجها فإنها ستنجب فتزوجها . فولدت له الحجاج .

بين الحسن ابن على وعائشة زوجه

وقال الحسن بن علىّ بن الحسن لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك . فقالت : قد كان عشرين سنةً بيدك فأحسنتَ حِفظه ، فلن أضيعه إذ صار

(١) الشنظير : السيىء الخلق الفحاش .

بيدى ساعة واحدة ، وقد صرفتُه إليك . فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

لرجل طلق امرأته

وقال أبو عُبيدة : طلق رجلٌ امرأته وقال فى ذلك :

لقد طلقتُ أُختَ بنى غِلابٍ طَلاقًا ما أظُنّ له ارتدادا
ولم أكُ كالمُعدَّل أو أُويسٍ إذا ما طَلّقا نَدِما فعادا

قال أبو عُبيدة : وطلاق المُعدَّل وأُويس يضرب به المثل .

طلاق أعرابى امرأته

ونكح رجل امرأة من العرب ، فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع ، وشمل عياله أجمع شمل ، فقالت : أما والله لئن بقيتُ لهم لأشتتن أمرهم ، وقالت فى ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرِينا[1] وأترك أهلَها شتّى عِزِينا

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طَلّقها ، وقال فى ذلك :

ألا قالت هَدِىٌّ بنى عَـدِىٍّ أرى ناراً سأجعلها إرِينـا
فَبِينى قبل أن تَلْحَىْ عَصانا ويُصبح أهلُنا شتّى عِزِينا

لابن عباس فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء

وقيل لابن عبّاس : ما تقول فى رجل طلّق امرأته عدد نجوم السماء ؟ فقال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء .

لأعرابى راغب عن النكاح

وقيل لأعرابى : هل لك فى النِّكاح ؟ قال : لو قدرتُ أن أطلّق نفسى لطلّقتها . ٢٩٢/٣

نصيحة أبى الدرداء لامرأته

وعن الزُّهرى قال : قال أبو الدَّرداء لامرأته : إذا رأيتِنى غضبتُ ترَضّينى ، وإن رأيتُكِ غضبت ترَضّيتك ، وإلا لم نَصطحب . قال الزُّهرى : وهكذا يكون الإخوان .

الأصمعى وأعرابى طلق امرأته أمامة

قال الأصمعى : كنت أختلف إلى أعرابىٍّ أقتبس منه الغريب ، فكنتُ إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، ائذنى له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا ، فلم أسمعه يذكر أمامة ، فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة ؟ قال : فوجم وجمة . فندمتُ على ما كان منى ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) الإرة : النار ، وجمعها إرين ، كعضة وعضين .

ظعنت أمامة بالطلاق ... ونجوتُ من غُل[1] الوَثاقِ
بانت فلم يألم لها ... قلبى ولم تبكِ المآقى
ودواء مالا تشتهيه النفسُ تعجيلُ الفراق
والعيشُ ليس يطيب من ... إلفين من غير اتّفاق

لأبى موسى فى امرأته حين طلقها

وعن الشّيبانى قال : طلّق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهّزى للطلاق وارتحلى ... فذا دواء المُجانب الشَّرسِ
ما أنت بالحنّة الوَلود ولا ... عندك نفعٌ يُرجّى للمتمس[2]
لَلَيلتى حين بنتِ طالقةً ... ألذُّ عندى من ليلة العُرُس
بتُّ لديها بشرِّ منزلة ... لا أنا فى لذة ولا أنس
تلك على الخسف لا نظير لها ... وإننى ما يَسوغ[3] لى نفسى

بين منظور والزبير وابنه عبد الله فى امرأته

أقبلَ منظور بن زَبّان بن سيّار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوّجناك ولم نزوج عبد الله . قال : مالك ؟ قال : إنها تشكوه . قال : يا عبد الله طلّقها . قال عبد الله : هى طالق . قال منظور : أنا ابن قهدم . قال الزبير : أنا ابن صفيّة . أتريد أن يطلّق المنذر أختها ؟ قال : لا ، تلك راضية بموضعها .

خديجة بنت عروة بين محمد بن عبد الله وإبراهيم ابن هشام

وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجةَ بنت عُروة بن الزبير ، فذكر لها جماله ، وكان يقال له المُذهَّب من حُسنه ، وكان رجلا مطلاقا . فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها . فلما طلّقها خطبها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى فكتب إليها :

أُعيذك بالرحمن من عيش شِقوةٍ ... وأن تَطمعى يوماً إلى غير مَطمع
إذا ما ابنُ مَظعون تحدّر وَسْقه[4] ... عليك فبُوئى بعد ذلك أو دَعِى

(١) فى بعض الأصول : « ذل » .
(٢) الحنة : الزوجة ، مأخوذة من الحنين .
(٣) فى بعض الأصول : « وهذه ما يسوغ » .
(٤) فى بعض الأصول : « رشحه » .

فردّته ولم تتزوّجه .

الحجاج وقصة زواجه بابنة عبد الله بن جعفر

وعن العُتبى عن أبيه قال : أمهر الحجاجُ ابنةَ عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالدَ بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبدَ الملك ، حتى إذا أطبق الليل دقّ عليه البـاب ، فأذن له عبدُ الملك . فدخل عليه . فقال له : ما هـذا الطُّروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم يُنتظر له الصبح ، هل علمت أن أحدا كان بينه و بين من عادى ما كان بين آل أبى سُفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإنى تزوجتُ إليهم ، فما فى الأرض قبيـلة من قُريش أحبّ إلى منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوّج إلى بنى هاشم ؟ وقد علمت ما يقال فيهم فى آخر الزمان . قال : وصلتْك رحم . وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يُراجعه فى ذلك . فطلقها . فأتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عُتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد ويَنتقصه ، ويقول : إنه صيّر الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلا . فقال له عمرو بن عتبة : إن خالدا أدرك مَن قبله ، ٢٩٣/٣ وأتعب مَن بعده ، وعلم عِلْما فسلّم الأمر أهله ، ولو طُلب بقديم لم يُغلب عليه ، أو بحديث لم يُسبق إليـه . فلما سمعه الحجاج أستحى ، فقال : يا بن عُتبة ، إنا نَسترضيكم بأن نَعتب[1] عليكم ، ونَستعطفكم بأن ننال منكم ، وقد غَلبتم على الحلم فوَثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تُحبون أن تحلموا فتعرضنا للذى تحبون .

من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه

بين العريان وبنت عم له طلقها

الهيثم بن عدىّ قال : كانت تحت العُريان بن [الهيثم بن الأسود بنتُ عم له ، فطلّقها . فتبعتها نفسُه ، فكتب إليها يُعرّض لها بالرجوع فكتبت إليه] :

إن كنت ذا حاجة فاطلُب لها بدلاً ... إن الغزال الذى ضَيّعتَ مَشغولُ

فكتب إليها :

مَن كان ذا شُغل فالله يَكلَؤه ... وقد لَهونا به والحبل مَوْصُولُ

(١) فى عيون الأخبار : « ننضب » .

وقد قضينا من أستطرافه طرفا   وفى الليالى وفى أيامها طُول

الوليد وزوجته سعدى بعد أن طلقها

وطلّق الوليد بن يزيد امرأته سُعدى . فلما تزوّجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه . فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سُعدى عنّى رسالةً ، ولك منى خمسةُ آلاف درهم . فقال : عجّلها . فأمر له بها . فلما قبضها قال : هاتِ رسالتَك ، فأنشدها :

أسُعدى ما إليك لنا سَبيلٌ   ولا حتى القيامة من تَلاقِ
بلى ، ولعلّ دهراً أن يُواتى   بموت من خليلك أو فِراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها . فقالت له : ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب ؟ فقال : يا سيدتى . أرسلنى إليك الوليدُ برسالة ، وأنشدها الشعر . فقالت لجواريها : خُذن هذا الخبيث . فقال : يا سيدتى ، إنه جعل لى خمسةَ آلاف درهم . قالت : والله لأعاقبنّك أو لتبلّغن إليه ما أقول لك . قال : سيدتى أجعلى لى شيئاً . قالت لك بِساطى هذا . قال : قُومى عنه . فقامت عنه وألقاه على ظهره . وقال : هاتى رسالتك . فقالت : أنشده :

أتبكى على سُعدى وأنت تركْتها   فقد ذهبت سُعدى فما أنت صانع

فلما بلغه وأنشده الشعرُ سقط فى يده ، وأخذته كَظمة ثم سُرّى عنه ، فقال: اختر واحدةً من ثلاث : إما أن نَقتلك ، وإما أن نَطرحك من هـذا القصر ، وإما أن نُلقيك إلى هـذه السباع . فتحيّر أشعب وأطرق حينا ، ثم رفع رأسه فقال : يا سـيدى ، ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدى . فتبسّم وخلّى سبيلَه .

عبد الرحمن بن أبى بكر بعد طلاق امرأته

وممن طلّق امرأته فتبعتها نفسه عبدُ الرحمن بن أبى بكر الصديق ، أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثّل :

فلم أر مثلى طلّق اليومَ مثلَها   ولا مثلَها فى غير شىء تُطَلّقُ

فأمره بمراجعتها .

الفرزدق بعد طلاق النوار

وممن طَلق امرأته فتبعتها نفسه : الفرزدق الشاعر . طلّق النوار ثم نَدم فى طلاقها وقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسعىّ لما غدتْ منى مُطلقةً نَوارُ
وكانت جَنتى فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضّرار
فأصبحت الغداةَ ألوم نفسى بأمرٍ ليس لى فيه خِيار

شىء من خبر النوار

وكانت النَّوار بنت عبد الله قد خَطبها رجلٌ رضيتْه ، وكان وليُّها غائباً ، وكان الفرزدق وليّها إلاّ أنه كان أبعَد من الغائب ، فجعلت أمرَها إلى الفرزدق ، ٢٩٤/٣ وأشهدت له بالتفويض إليه . فلما توثّق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه ، فأبت منه ونافرته إلى عبد الله بن الزُّبير . فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى بنت منظور بن زبّان . فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلا ، حتى غلبت المرأة وقضى ابنُ الزبير على الفرزدق . فقال :

أمّا البنُون فلم تُقبل شفاعتُهم وشُفِّعت بنت مَنظور بن زبّانا
ليس الشّفيع الذى يأتيك مُؤتزرا مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا

وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير :

وما خاصَم الأقوام من ذى خُصومة كورْهاء مشنوء[1] إليها خَليلُها
فدونكها يا بن الزبير فإنها مُلَعّنة[2] يوهى الحجارة قِيلها

فقال ابن الزبير : إن هذا شاعر وسيهجونى ، فإن شئتِ ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك فاختارى نكاحه وقَرِّى . فقرّت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا . ثم طلقها وندم فى طلاقها .

خبر آخر فى طلاق الفرزدق للنوار

وعن الأصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن راوية الفرزدق قال:

(١) كذا فى بعض الأصول والديوان ، والذى فى سائر الأصول : « مدنوا » .
(٢) فى الديوان : « مولعة » وفى بعض الأصول : « ملعبة » .

قال لى الفرزدق يوماً : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنى أريد أن أطلق النّوار . فقلت له : إنى أخاف أن تتبعها نفسُك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمَنْ أنى طلقتُ النوار ثلاثا . قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا . فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق : يا هذا ، إن فى نفسى من النوار شيئاً . فقلت : قد حذّرتك ، فقال :

نَدِمتُ ندامة الكُسعىّ لما غدتْ منى مُطلقةً نَوارُ
وكانت جَنّتى فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضِّرار
ولو أنى ملكتُ بها يَمينى لكان علىّ للقدر الخِيار

قيس بن ذريح بعد طلاق امرأته

وممن طلق امرأته وتبعتها نفسُه قيسُ بن ذَريح . وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم ، فقال فى ذلك :

فوا كبدى على تَسريح لُبنى فكان فراقُ لبنى كالخِدَاع
تكنّفنى الوشاةُ فأزعجونى فيا للناس للواشى المُطَاع
فأصبحتُ الغداةَ ألوم نَفسى على أمرٍ وليس بمُستطاع
كمَغبونٍ يَعَض على يَديه تَبيّنَ غَبْنه بعد البِياع

لرجل فى طلاق امرأته

وطلّق رجل امرأته فقالت : أبعد صُحبة خمسين سنة ؟ فقال : مالكِ عندنا ذَنب غيره .

عبد الرحمن بن أم الحكم فى الفصل بين رجل وامرأته

العتبى قال : جاء رجل بامرأة كأنها بُرج فضة إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ، وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شَجّتنى . فقال لها : أنتِ فعلت به ؟ قالت : نعم ، غيرَ مُتعمدة لذلك ، كنتُ أعالج طِيباً ، فوقع الفهر من يدى على رأسه ، وليس عندى عَقْل ، ولا تقوى يدى على القِصاص . فقال عبدُ الرحمن للرجل : يا هذا ، علام تَحْبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقتها أربعة آلاف درهم ، ولا تَطيب نفسى بفراقها . قال : فإن أعطَيْتُها لك أتفارقها ؟ قال :

٢٩٥/٣

نعم . قال : فهى لك . قال : هى طالق إذا ، فقال عبد الرحمن : احبسى علينا نَفسَك ، ثم أنشأ يقول :

يا شيخ ويحك من دَلاك بالغزل   قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضْتَ الصعاب فلم تحسن رياضتها   فاعمد بنَفسك نحو الجلة الذللِ

فى مكر النساء وغدرهن

لداود عليه السلام

فى حكمة داود عليه السلام . وجدت من الرجال واحداً فى ألف ، ولم أجد واحدة فى النساء جميعا .

الغسانى والحارث الكندى وهند

قال الهيثم بن عدىّ : غزا ابن هبولة الغسانىُّ الحارثَ بن عمرو آكلَ المرار الكندى فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له وأستاق امرأته . فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انجُ ، فوالله لكأنى أنظُر إليه يتبعك ، فاغراً فاه كأنه بعير آكل مُرار . وبلغ الحارث ، فأقبل يَتبعه حتى لحقه ، فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط . فأمر بها فأوثقت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطَّعت . ثم قال :

كل أنثى وإن بدا لك منها   آيةُ الودّ حُبها خَيْتعور
إن مَن غره النساء بوُد   بعد هِنْد لجاهِلٌ مَغرور

للحكماء ثم لشاعر

وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر . وقالوا : النساء حبائل الشيطان . وقال الشاعر :

تمتع بها ما ساعَفتك ولا تكُن   جَزوعا إذا بانت فسوف تَبينُ
وخُنها وإن كانت تَفى لك إنها   على مَدد الأيام سوف تخون
وإن هى أعطتك اللِّيان فإنها   لآخرَ من طُلاّبها ستَلين
وإن حلفت لا يَنْقض النأىُ عهدَها   فليس لمخضوب البنان يمين
وإن أسبلت يومَ الفراق دموعَها   فليس لَعمرِ الله ذاك يَقينُ

للحكماء ثم لطفيل

وقالت الحكماء : لم تُنه امرأةٌ قطُّ عن شىء إلا فعلته . وقال طُفيل الغَنوىّ :

إنّ النساء متى يُنْهين عن خُلق ... فإنه واقعٌ لابُد مفعـــول

ابن همام وشاب بعثه ليخطب له

وعن الهيثم بن عدىّ عن ابن عَيّاش قال : أرسل عبدُ الله بن همّام السَّلولىّ شابًّا إلى امرأة ليخطبُها عليه ، فقالت له : فما يَمنعك أنت ؟ فقال لها : ولى طمع فيك ؟ قالت : ما عنك رغبة . فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همّام ، فقال له : ما صنعت ؟ فقال : والله ما تزَوجَتْنى إلا بعد شَرط . فقال : أو لهذا بعثْتُك ؟ فقال ابن همّام فى ذلك :

رأت غُلاماً علا شُرب الطِّلاء به ... يَعيـا بإرقاص بَرْدىِّ الخلاخيل
مُبطَّنـــا بدخيس اللَّحم تَحسبه ... مما يُصـــوَّر فى تلك التماثيل
أكفى من الكُفء فى عقد النّكاح وما ... يَعيـا به حـــلّ هِمْيان السراويل
تركتُها والأيامَى غير واحـــدة ... فاحبسه عن بيتها يا حابسَ الفِيل

عبد الله بن عاصم السلولى وامرأة خطبها

وعن الهيثم بن عدى عن ابن عيّاش قال : كان النساء يجلسن لخُطّابهن ، فكانت امرأة من بنى سَلول تُخطب ، وكان عبدالله بن عاصم السلولى يَخطبها ، فإذا دخل عليها تقول له : فداك أبى وأمى ، وتُقبل عليه تُحدثه ، وكان شاب من بنى سلول يخطبها . فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبدُ الله بن هند قالت للشاب : قُم إلى النار ، وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوّجها ، فلما ٢٩٦/٣ بلغ ذلك عبدَ الله بن هند قال :

أودى بحُبّ سُليمى فاتكٌ لَقِنٌ(١) ... كحَيّة بَرزت من بين أحجار
إذا رأتنى تُفـــدِّينى وتجعله ... فى النار يا ليتنى المَجعول فى النار

وله فيها :

ماذا تَظُن سُليمى إنْ ألَمّ بها ... مُرَجَّل الرأس ذو بُردينُ مزّاح
حُــلْوٌ فُكاهته خَـــزٌّ عِمامته ... فى كفه من رُقَى الشّيطان مِفتاح

(١) فى بعض الأصول : « طبق » .

فى السرارى

إبراهيم والنبى عليهما السلام وسراريهما

تسرَّرَ الخليلُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجَر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام . وتسرّرَ النبى عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم . ولما صارت إليه صفيّة بنتُ حيى كان أزواجه يعيِّرنها باليَهودية ، فشكت ذلك إليه . فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت فصَدقْت وصدقت : أبى إسحاق ، وجدى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

بين زيد بن على وهشام بن عبد الملك

ودخل زيد بن علىّ على هشام بن عبد الملك ، فقال له : بلغنى أنك تحدِّث نفسك بالخلافة ، ولا تَصلح لها ، لأنك ابنُ أمة ، فقال له : أما قولك إنى أحدث نفسى بالخلافة فلا يَعلم الغَيب إلا الله ، وأما قولك إنى ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خيرَ البشر محمدا صلى الله عليه وسلم . وإسحاق ابن حُرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير .

للأصمعى فى رغبة الناس فى السرارى

قال الأصمعى : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء ، حتى نشأ منهم على ابن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهلَ المدينة فقهاً وعلما وورعا . فرغب الناس فى السرارى .

رد على بن الحسين على عبد الملك فى جارية تزوجها

وتزوَّج علىّ بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبدَ الملك ، فكتب إليه يؤنِّبه . فكتب إليه علىّ : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتمَّ به النّقيصة ، وأكرم به من اللؤم ، فلا عارٌ على مُسلم . وهذا رسول الله صلى عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأة عبده . فقال عبد الملك : إن على بن الحسين يَشْرُف من حيث يتّضع الناس .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

لا تَشْتُمن أمرأ من أن تكون له ... أمّ من الرُّوم ، أو سَوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعيةٌ ... مُستودعات وللأحساب آباء

لبعضهم

وقال بعضُهم : عجبتُ لمن لبَس القَصير كيف يَلبس الطويل ؟ ولمن أحفى

شعره كيف أعفاه ؟ وعجبًا لمن عَرف الإماء ، كيف يُقدم على الحرائر ؟

وقالوا : الأمة تُشـترى بالعَين وتُرد بالعيب ، والحُرة غُل فى عُنق من صارت إليه .

الهجناء

قول العرب والفرس فى الهجين

العرب تسمى العجمىّ إذا أسلم : المُفْرَج ، وهو المُسلمانى . ومنه يقال : مَسَالِمة السَّواد . والهجين ، عندهم ؛ الذى أبوه عربى وأمه أعجمية . والمُذَرَّع : الذى أمه عربية وأبوه أعجمى . وقال الفرزدق :

إذا باهلىّ أنجبت حنظليةٌ له ولداً منها فذاك المُذَرَّع[1]

والعجمى : النصرانى ونحوه ، وإن كان فصيحا . والأعجمى : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلما . ومنه قيل : زياد الأعجم ، وكان فى لسانه لُكنة . والفرس تُسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واش ونجاش . ومن تزوّج أمة : نغاش ، وهو الذى يكون العهد دونه ، وسُمى أيضا : بوركان . والعرب تُسمى العبد الذى لا يخدم إلا ما دامت عليه عين مولاه : عبد العين . وكانت العرب فى الجاهلية لا تُورِّث الهجين . وكانت الفُرس تطَّرح الهجين ولا تَعدّه ، ولو وجدوا
٢٩٧/٣ أمًّا أمةً على رأس ثلاثين أمًّا ما أفلح عندهم ، ولا كان آزادمَرْد ، ولو كان بيده مزاد . والآزاد عندهم : الحر ، والمرد : الريحان .

وقال ابن الزُّبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

تبغَّلْتَ لمّا أن أتيت بلادَهم وفى أرضنا أنت الهُمام القَلمسُ
ألست ببغل أمّه عَربيّـةٌ أبوه حمار أدْبر الظّهر يُنْخَس

وشَبه المُذَرَّع بالبَغل ، إذا قيل له : مَن أبوك ؟ قال : أمى الفرس .

مما احتجت به الهجناء

تزويج النبى صلى الله عليه وسلم ضباعة وخالدة واحتجاج ابن جعفر على الوليد

أنّ النبى صلى الله عليه وسلم زوّج ضُباعة بنتَ الزبير بن عبد المطلب من

(١) فى بعض الأصول : « عنده حنظلية » . ويروى : « تحته حنظلية » .

المقداد بن الأَسود . وزَوّج خالدة بنت أبى لهب من عُثمان بن أبى العاص الثقفى . وبذلك احتج عبدُ الله بن جعفر ، إذ زوّج ابنته زينَب من الحجّاج بن يوسف . فعيّره الوليدُ بن عبد الملك ، فقال عبدُ الله بن جعفر : سيفُ أبيك زوّجه . والله ما فَدَيت بها إلا خَيْط رَقَبتى .

وأخرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد زَوّج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبى العاص ، ففيه قُدوة وأسوة .

تزويج أبى سفيان أم الحكم فى ثقيف

وزوج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف فى ثَقيف :

للهذم فى بنى الأهتم

وقال لَهذم الكاتب فى عبد الله بن الأهتم ، وسأله فحرمه :

وما بنو الأهتم إلّا كالرَّخَم لا شىء إلا أنهم لَحمٌ ودَم
جاءت به حَذْلمُ من أرض العَجم أَهْتم سَلّاح على ظهر القَــدم
مُقابل فى اللؤم من خال وعَم

بنو أمية وأولاد الإماء

وكانت بنو أُمية لا تَستخلف بنى الإماء . وقالوا : لا تصلُح لهم العرب

عبدالملك ومسلمة حين سبق سليمان

زياد بن يحيى قال : حــدّثنا جَبلة بن عبد الملك قال : سابق عبدُ الملك بين سليمانَ ومَسلمة ، فسبق سليمانُ مسلَمَةَ ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تَحْمِلوا هُجَناءكم على خَيْلكم يومَ الرِّهان فتُدْرَك
وما يَستوى المرآن ، هذا ابنُ حُرَّة وهذا ابنُ أُخرى ظهرُها مُتشرَّك
وتَضعف عضداه ويَقْصُر سَوطُه وتَقصر رِجْلاه فلا يَتحرَّك
وأدركنه خالاتُه فنَزَعْنه أَلَا إنّ عِرْق السَّوء لا بُد يُدْرك

ثم أقبل عبدُ الملك على مَصْقلة بن هُبيرة الشَّيبانى فقال : أتدرى مَن يقول هذا ؟ قال : لا أدرى . قال : يقوله أخوك الشَّنّىّ[1] . قال مسلمة : يا أمير المؤمنين . ما هكذا قال حاتم الطائى . قال عبدُ الملك : وماذا قال حاتم ؟ فقال مَسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتِهم ولكنْ خَطَبْناها بأسيافنا قَسْرا
فما زادها فينا السِّباء مَذلّةً ولا كُلِّفت خُبزًا ولا طَبَخت قِدْرا

(١) فى المرزبانى (ص ٢٤٠) أن الشعر لعمرو بن ميردة العبدى .

ولكنْ خَلَطناها بخَير نسائِنا   فجاءت بهم بيضًا وجوهُهمْ زُهرا
وكائن ترى فينا من ابن سَبيّة   إذا لَقِىَ الأبطالَ يَطْعنهم شَزْرا
ويأخذ راياتِ الطِّعان بكفّه   فيُوردها بِيضاً ويُصدرها حُمرا
أغرَّ إذا اغبرّ اللئامُ رأيته   إذا سَرَى ليلَ الدُّجَى قمراً بدرا

فقال عبد الملك كالمُستحى :

بنو أمية وأولاد الأمهات

وما شَرُّ الثــلاثة أمَّ عمرو   بصاحبك الذى لا تَصبحينا

٢٩٨/٣ قال الأصمعىّ : كانت بنو أُمية لا تُبايع لبنى أُمهات الأولاد ، فكان الناس يَرَون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك ، ولكن لِمَا كانوا يَرَون أنّ زوال مُلكهم على يد ابن أم ولد ، فلما وَلِى الناقصُ ظَنَّ الناسُ أنه الذى يذهب مُلك بنى أُمية على يديه ، وكانت أمه بنتَ يزدجرد بن كَسرى ، فلم يلبث إلا سَبعة أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروانُ بن محمد ، وأمه كُردية ، فكانت الرواية عليه . ولم يكن لعبد الملك بن مروان ابن أسدّ رأياً ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفا من مَسلمة ، وإنما تركوه لهذا المعنى .

شىء من يحيى ابن أبى حفصة

وكان يحيى بن أبى حَفصة ، أخو مَروان بن أبى حَفصة يهوديًّا ، أَسلم على يد عثمان بن عفان فكثُر ماله ، فتزوّج خَولة بنت مُقاتل بن قيس بن عاصم ونَقدها خمسين ألفا . وفيه يقول القُلاخ(١) :

رأيتُ مُقاتلَ الطلبات حَلّى   نُحُور بناته كَمَر المَوالِى
فلا تَفْخر بقَيس إنّ قَيسًا   خَرِيتم فوق أعظمه البَوالى .

وله فيه :

نُبِّئت خَولة قالت حِين أنكحها   لطالما كنتُ منك العارَ أنتظرُ
أنكحتَ عبدَيْن ترجو فضلَ مالهما   فى فيك مما رجوتَ التُّربُ والحجر
لله دَرُّ جياد أنت سائسُها   برْذَنتها وبها التَّحجيل والغُرر

فقال مُقاتل يرُد عليه :

(١) فى الكامل (١٧٢) أن الشعر لجرير .

وما تركتْ خمسون ألفاً لقائل عليك فلا تحفِل مَقالة لائم
فإن قلتمُ زَوجتُ مولًى ، فقد مضت به سُنة قبلى ، وحُبُّ الدراهم

ويقال إن غيرَه قال ذلك(١) .

باب فى الأدعياء

شيء من زياد

أول دَعِىٍّ كان فى الإسلام وأشتهر : زيادُ بنُ عبيد ، دَعِىّ مُعاوية . وكان من قصّته أنه وجهه بعضُ عمّال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كان . فلما قَدِم وأخبر عُمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المِنبر ؟ قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهْيب . فأمر عمر بالصلاة جامعةٌ ، فاجتمع الناس . ثم قال لزياد : قُم فاخطُب ، وقُصّ على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوّد . وعند أصل المنبر علىّ بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حَرب . فقال أبو سفيان لعلى : أيُعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال أما إنه ابنُ عَمِّك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفتُه فى رَحم أمه سُميّة . قال : فما يَمنعك أن تدّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المِنبر ، يعنى عمر ، أن يُفسد علىّ إهابى . فلما وُلى معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه . فلما شَهد الشهود قام زياد على أعقابهم خَطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ولا عِلم لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهودُ بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منّا ما وضع الناس ، وحفظ منا ما ضيّعوا ، فأما عُبيد فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

فقال فيه عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت :

ألا أبلغ معاويةَ بن حَرْبٍ فقد ضاقت بما يأتى اليَدان

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٤٨١) أن هذا الشعر لإبراهيم بن النعمان بن بشير .

٢٩٩/٣

أتغضَب أن يُقال أبوك عَفٌّ ... وترضى أن يُقال أبوك زَان

وأشهد أنّ قُربك من زِياد ... كقُربِ الفِيل من ولد الأتان

وقال زياد : ما هُجيت ببيت قطُّ أشدّ علىّ من قول يزيد بن مُفرِّغ الحِميرى :

فكِّرًا فى ذاك إن فكّرت مُعتبر ... هل نِلتَ مَكرُمة إلاّ بتأمير

عاشت سُميَّة ما عاشت وما عَلِمت ... أنّ ابنها من قُريش فى الجماهير

سُبحان مَن مُلْك عبّاد[1] بِقُدرته ... لا يَدفع الناس محتومَ المقادير

وكان وَلَد سُميَّة ثلاثا : زيادا وأبا بكرة ونافعا . فكان زياد يُنسب فى قُريش ، وأبو بكرة فى العرب ، ونافع فى الموالى . فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إنّ زيادًا ونافعا وأبا ... بكرة عندى من أعجب العَجب

إنّ رجالاً ثلاثةً خُلِقوا ... مِن رِحْم أنثى مُخالِفِى النَّسب

ذا قُرشىٌّ ، فيما يقول ، وذا ... مولًى وهذا ابنُ عمِّه عَرَبى

لبعض العراقيين فى أبى مسهر

وقال بعضُ العراقيين فى أبى مُسهِر[2] الكاتب :

حِمَار فى الكِتابة يَدّعيها ... كدَعْوَى آل حَرب فى زِيَادِ

فَدَعْ عنكَ الكِتابةَ لستَ منها ... ولو غرَّقتَ ثوبَك بالمِداد

لبعض الشعراء فى دعى

وقال آخر فى دَعِىّ :

لَعِينٌ يُورِثُ الأبناءَ لعنًا ... ويَلْطَخ كلَّ ذى نَسب صَحِيح

ابن خالد ونصر ابن حجاج بين يدى معاوية فى شأن عبد الله ابن حجاج

ولما طالت خُصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونَصر بن حجّاج عند مُعاوية فى عبد الله بن حجاج ، مولى خالد بن الوليد ، أمرَ معاويةُ حاجبَه أن يؤخر أمرَهما حتى يَحتفل مجلسُه . فجلس معاويةُ وقد تلفَّع بمُطرف خَزّ أخضر ، وأمر بحَجر فأُدنى منه ، وألقى عليه طَرَف المطرف ، ثم أَذِن لهما ، وقد احتفل المجلسُ . فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أبى ، عَهِد إلىّ أنه منه . وقال

(١) فى بعض الأصول : « ملك الأشياء » .

(٢) فى بعض الأصول : « ابن شيرزاد » .

عبد الرحمن : مولاى وابن عبد أبى وأمته ، وُلد على فراشه . فقال معاوية : يا حرسىّ ، خذ هذا الحجر — وكَشَفَ عنه — فادفعه إلى نَصر بن حجاج . وقال : يا نصر ، هذا مالَكَ فى حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإنه قال : الولد للفِراش وللعاهر الحجر . فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم فى زِياد يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ذاك حُكم مُعاوية وهذا حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حمية الأدعياء ولبعض الشعراء فيهم

وليس فى الأرض أحمى[1] من الأدعياء ، لتستحق بذلك العروبيّة . قال الشاعر :

دعىٌّ واحدٌ أَجدى عليهم ... مِنَ ألفى عالم مِثل أبن دَابِ

كَكَلْبِ السّوء يحرُس جانبَيْه ... وليس عدُوّه غيرُ الكلاب

للأصمعى فى دعى

وقال الأصمعي : أستمشى رجل من الأَدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه فوجد عنده شِيحا وقَيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال ، ورفع صوتَه[2] : الطبيعة تتُوق إليه . يريد أن طبيعته من طباع العرب . فقال فيه الشاعر :

يشَمُّ الشِّيح والقَيصو ... م كى يَستوجب النَّسبا

وليس ضميرُه فى الصَّد ... ر إلا التّين والعِنَبا

أبو سعيد المخزومى

وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيتُ على أبى سعيد الشاعر المخزومىّ كُردوانيّا مصبوغا بتورِيد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خَز ؟ قال : لا . ولكنه دعىّ على ٣٠٠/٣ دعىّ . وكان أبو سعيد دعيّا فى بنى مخزوم . وفيه قال الشاعر :

لم يَتِهِ قَطُّ على النّا ... س شَريف يا أبا سَعْدِ

فتِهْ ما شئتَ إذ كنـ ... ـت بلا أب ولا جَد

وإذ حَظُّك فى النّسـ ... ـبة بين الحُر والعَبد

وإذ قاذِفُك المُفْحِـ ... ـشُ فى أمن من الحَدّ

لأبى بجير فى أحمد ابن عبد العزيز وكان تزوج فى عبد القيس

وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلتُ فى دار رجل من بنى عبد القَيس

(١) فى بعض الأصول : « أسخى فى العرب » .
(٢) فى بعض الأصول : « وضعّف صوته » .

بالبحرين ، فقال لى : بَلغنى أنك خاطب ؟ قلت : نَعم . قال : فأنا أزوِّجك . قلتُ له : إنى مولى . قال : اسكت وأنا أفعل . فقال أبو بُجَير فيهم :

أمن قِلّةٍ صرتم إلى أن قبلتم ... دَعاوَة زَرّاع وآخر تاجرِ
وأصهب رُومىّ وأسود فاحم ... وأبيضَ جَعد من سراة الأحامرِ
شُكولهم شَتّى وكلٌّ نَسيبكم ... لقد جئتم فى الناس إحدى المَناكرِ
متى قال إنى منكم فصدَّق ... وإن كان زنجيًّا غليظ المَشافرِ
أكلهم وافى النساء جدودُه ... وكلهم أوفَى بصدق المَعاذرِ
وكلكم قد كان فى أوّلية ... له نسبة معروفة فى العشائرِ
على علمكم أن سوف ينكح فيكم ... فَجدْعا ورغما للأنوف الصَّواغرِ
فهلّا أبيتم عفّةً وتكرُّما ... وهلّا وَجِلتم من مَقالة شاعرِ
تعيبون أمرًا ظاهرا فى بَناتكم ... وفخرُكم قد جاز كلّ المَفاخرِ
متى شاء منكم مُفْرَج كان جدّه ... عُمارة عبْس خير تلك العمائرِ
وحِصن بن بدر أو زرارة دارم ... وزبّانَ زبّان الرئيسَ ابنَ جابرِ
فقد صرت لا أدرى وإن كنت ناسيًا ... لعلّ نجارًا من هِلال بن عامرِ
وعلّ رجالَ الترك من آل مَذْحج ... وعلّ تميما عُصبة مِن يُحابرِ
وعلّ رمالَ العُجم من رمل عالج ... وعَلّ البوادى بُدلت بالحواضرِ
زعمتم بأن الهند أولاد خندف ... وبينكم قربى وبين البرابرِ
ودَيلم من نَسل ابن ضَبّة ناسل ... وبُرجانُ من أولاد عمرو بن عامرِ
بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم ... وأولى بقربانا مُلوك الأكاسرِ
أأطمع فى صهرى دعيًا مجاهرا ... ولم نر شرًّا من دعىّ مُجاهرِ
ويشتم لؤمًا عرضَه وعشيره ... ويَمدح جهلا طاهرًا وابن طاهرِ

وقال زرارة بن ثروان ، أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر : لزرارة بن ثروان

قد اختلط الأسافل بالأعالى ... وماج الناسُ واختلط النِّجار
وصار العَبد مثل أبى قُبيس ... وسِيق مع المُلْهَجة العشار

وإنك لن يضيرَك بعـــد حول أطِرْف كان أمك أم حِمار

لعقيل بن علفة

وقال عقيل بن عُلَّفة :

وكنَّا بنى غيظ رجالا فأصبحت بنو مالك غيظًا وصِرْنا لمالك ٣٠١/٣
لحا الله دهراً زَعزع المـال كلَّه وَسوَّد أستاه الإماء الفوارك

بين جعفر بن سليمان وابنه أحمد حين شكا من ولده

وذكر جعفر بن سُليمان بن علىّ يومًا ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب . فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز فأوعيت فيهم نُطفك ، ثم تريد أن يُنْجِبن ، ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟

بين الأشعث بن قيس وعلى بن أبى طالب حين طلب زينب

ودخل الأشعث بن قيس على علىّ بن أبى طالب ، فوجد بين يديه صبيّة تدرُج ، فقال : مَن هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أميرالمؤمنين . قال : اغرُبْ ، بفيك الـكَثْـكث ، ولك الأَثلب ، أغَرك ابن أبى قحافة حين زوّجك أم فَروة ؟ إنها لم تكن من الفَواطم ، ولا العَواتك من سُليم . فقال : قد زوّجتم أخملَ منّى حَسبا ، وأوضع منى نسبا : المقدادَ بن عمرو ، وإن شئت فالمقدادُ بن الأسود . قال علىّ : ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَعله ، وهو أعلم بما فعل ، ولئن عُدت إلى مثلها لأسوأنّك . وفى هذا المعنى قال الـكُميت بن زيد :

وما وجـــدت بنات بنى نزار حـــلائل أسودينَ وأحمرينا[(١)]
وما حَملوا الحَمِير على عِتَاق مُطهَّمة فيُلفَـــوا مُبْغِلينا
بنى الأعمام أنـكحنا الأيامى وبالآباء سُمِّينا البَنِينا

أراد تزويج أبرهة الحبشىّ فى كندة .

شعر لخالد النجار

عن العتبى : قال : أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم بن خداش لخالد النجّار :

(١) فى بعض الأصول :
وما ضربت لفحول بنى نزار فوالج من فحول الأعجمينا
وما أثبتنا من سائر الأصول ومروج الذهب (٦ : ٤٣) .

اليوم من هاشم بَخْ وأنت غدًا مولًى وبعد غد حِلف من العرب
إن صَحَّ هذا ، فأنت الناسُ كلهم يا هاشمىّ ويا مولى ويا عَرَبى

لبعض الشعراء فى الهيثم بن عدى

قال : وكان الهيثم بن عدى ، فيا زعموا دعيًا . فقال فيه الشاعر :

الهيثم بن عدىّ من تنقّله فى كل يوم له رَحْل على حَسَب[(١)]
إذا اجتدى معشراً من فضل نِسْبتهم فلم يُنيلوه عــدّاهم إلى نَسَب
فما يزال له حــلٌّ ومُرتحل إلى النَّصارى وأحيانًا إلى العَرب
إذا نسبتَ عــديًّا فى بنى ثُعَل فقدِّم الدال قبل العين فى النَّسب

لبشار

وقال بشار[(٢)] العُقيلى :

إن عمـراً فاعرِفُوه عربىٌّ من زُجاج
مُظلِمُ النِّسبة لا يُعــرف إلا بالسِّراج

وقال فيه :

ارْفُق بنسبة عمرو حين تَنْسُبه فإنه عربىٌّ من قَوارير
ما زال فى كِير حدّاد يردِّده حتى بدا عربيًّا مُظْلِم النُّور

وقال أيضا فى أدعياء :

همُ قَعدوا فانتقَوْا لهم حَسباً يدخل بعد العشاء فى العَرب
حتى إذا ما الصَّباح لاح لهم بَيَّنَ سَتُّوقهم من الذهب
والنـاسُ قد أصبحوا صيارفةً أعلم شىء بزائف الحسب[(٣)]

لأبى نواس فى أشجع

٣٠٢/٣ وقال أبو نُواس فى أشجع بن عمرو :

قل لمن يَدَّعى سُلَيماً سَفاهاً لست منها ولا قُلامةَ ظُفر
إنما أنت من سُليمَ كواوٍ أُلحقت فى الهِجاء ظُلماً بعَمرو

(١) فى بعض الأصول : « على قتب » .
(٢) فى بعض الأصول : « سيار » .
(٣) فى بعض الأصول : « الذهب » .

وقال فيه :

أيا متحيِّرًا فيه … لِمن يتَعجب العجبُ

لأسماء تعلَّمهن … أشجع حين يَنتسب

للخراز في حبيب الطائي

ولأحمد بن أبي الحارث الخرّاز في حبيب(١) الطائي :

لو أنك إذ جعلت أباك أوْساً … جعلتَ الجدّ حارثةَ بن لامِ

وسمّيت التي ولدتك سُعْدى … فكُنت مُقابَلا بين الكرام

وله فيه :

أنت عندي عَربيّ … ليس في ذاك كلام

شَعْر فَخذيك وساقيك … خُزَامى وثُمام

وضُلوع الصّدر من … جِسمك نَبْع وبَشام

وقَذَى عينيك صَمْغ … ونواصيك ثَغام

لو تحرّكت كذا لأنجفلت … منك نَعام

وظباء سانحاتٌ … ويَرابيع عِظَام

وحَمام يتغنَّى … حبّذا ذاك الحمام

أنا ما ذَنْبِيَ إن كذَّبني … فيك الكِرام

القَفا يَشهد إذ ما … عرفت فيك الأنام

كَذَبوا ما أنت إلا … عربيّ والسلام

وقال في المُعلي الطائي :

مُعلّى ، لست من طيّ … فإن قبلتْك فارهَنْها

وابنكَ فارم في أجَإٍ … فلا تَرغب به عنها

كأنّ دماملاً جُمعت … فصُوِّر وجهه منها

لبعضهم

ولآخر :

تعلّمها وإخوته … فكُلُّهم بها دَرِبُ

(١) في بعض الأصول : « نصيب » تحريف .

لقد زَنَّوا عجـوزَهم ولو زيَّنتها غَضِبوا
فيالك عصبةً إن حَـــدَّثوا عن أصلهم كَذبوا
لهم فى بيتهم نَسب وفى وسَط الملا نَسب
كما لم تَخف سافرة وتَخفى حين تَنتقب

لخلف بن خليفة فى الأدعياء

وقال خلف بن خليفة الأقطع فى الأدعياء :

فقُل للأكرمين بنى نِزار وعنـد كرائم العَرب الشِّفاء
أآخر مرَّتين سبَيتمونا وفى الإسلام ما كُره السباء
٣٠٣/٣ إذا استحللتُمُ هـذا وهـذا فليس لنا على ذا كم بَقاء
فلا تأمنْ على حال دعيًّا فليس له على حال وفاء
وكيف يفى لأبعدَ من أبيه ونسبته إذا اتصل الدعاء

فى الباه وما قيل فيه

لابن أنس

ذ كر عند مالك بن أنس الباه ، فقال : هو نُور وجهك ، ومُخ ساقك ، فأقِلَّ منه أو أَكثِر .

لمعاوية

وقال معاوية : ما رأيتُ نَهما فى النساء إلا عرفتُ ذلك فى وجهه .

بين الحجاج وابن شماخ

وقال الحجّاج لابن شمَاخ العُكْلى : ما عندك للنساء ؟ قال : أُطيل الظَّماء[1] ، وأرد فلا أشرب .

للمدائنى وغيره

وقيل للمدائنى : ما عِنـدك يا أبا الجحّاف ؟ قال : يَمتد ولا يَشتد ، ويَرِد ولا يَشرب . وقيل لآخر : ما عنـدك لهن ؟ قال : ما يَقطع حُجتهـا ، ويَشفى غُلتها .

لكسرى

وقال كسرى كنتُ أرانى أنى إذا كبرتُ أنهن لا يُحببننى ، فإذا أنا لا أُحبهن .

لأعرابى

وأنشد الرياشىّ لأعَرابىّ من بنى أسد :

(١) الظماء ، كسحاب : الظمأ ، وهو العطش .

تَمنَّيتُ لو عاد شَرْخ الشَّباب ... ومَن ذا على الدّهر يُعطَى المُنَى
وكنتَ مَكِيناً لدى الغانيات ... فلا شيء عندى لها مُمكِنا
فأمّا الحِسانُ فيأبيْنَنى ... وأمّا القِباحُ فآبى أنا

لعيسى بن موسى

ودخل عيسى بن مُوسى على جارية، فلم يقدر على شيء، فقال:

النفسُ تَطمع والأسباب عاجزةٌ ... والنفسُ تَهلِك بين اليأس والطَّمع

لابن أشرس

وخلا ثُمامة بن أشرس بجارية له، فعجز، فقال: ويحكِ، ما أوسع حِرك؟ فقالت:

أنت الفداء لمن قد كان يَمْلؤه ... ويَشتكى الضِّيق منه حين يَلْقاه

لبعضهم

وقال آخر لجاريته:

ويُعجبنى منك عند الجِماع ... حياةُ الكلام وموتُ النَّظر

وقال آخر:

شفاء الحُب تَقبيلٌ ولَمسٌ ... وسَحْبٌ بالبُطون على البُطون
ورَهْزٌ تَذرِف العينان منه ... وأَخْذٌ بالذّوائب والقُرون

ما يحكى عن عائشة بنت طلحة

وقالت امرأة كُوفية: دخلتُ على عائشة بنت طلحة، فسألت عنها، فقيل هى مع زوجها فى القَيطون، فسمعتُ زفيراً ونخيرا لم يُسمع قطُّ مثله، ثم خرجتْ وجبينُها يتفصّد عرقا، فقلت لها: ما ظننتُ أن حُرة تفعل مثلَ هذا؟ فقالت: إن الخيلَ العِتاقَ تشرب بالصَّفير.

لأعرابى

وقيل لأعرابى: ما عندكَ للنِّساء؟ فأشار إلى مَتاعه، وقال:

وتراه بعد ثلاثَ عشرَة قائماً ... نَظَرَ المُؤذِّن شكَّ يومَ سَحاب

للفرزدق

وقال الفرزدق:

أنا شيخٌ ولى امرأةٌ عجوزٌ ... تُراودنى على ما لا يَجوز
وقالت رَقَّ أيرك مُذ كَبِرنا ... فقلت لها بل اتّسع القَفيز

لراجز

وقال الراجز:

لا يُعقب التقبيلَ إلا زُبِّى ... ولا يُداوِى من صميم الحُب

إلا احتضانُ الركب الأزبّ ... يُنزع منه الأيرُ نَزْعَ الضَّب

ابن حسان وامرأته وقضاء عمر

روى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حبان أن جدته عاتبت جَدَّه فى قِلة إتيانه إياها ، فقال لها : أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣٠٤/٣ قالت : وما قضاء عمر ؟ قال : قضى أن الرجل إذا أتى امرأتَه عنـد كل طُهر فقد أدّى حقّها . قالت : أفترك الناسُ كلُّهم قضاء عمر ، وأقمتُ أنا وأنت عليه . فقال :

أنا شيخ ولى امرأة عجوز ... تراودنى على ما لا يجوز

تريد أنيكها فى كل يوم ... وذلك عند أمثالى عزيز

وقالت رق أيرك مذ كبرنا ... فقلت لها : بل اتسع القفيز

لأعرابى فى كبره

وقال أعرابىّ حين كَبِر وعَجز :

عجبت من أيرى وكيف يصنع ... أدْفعه بإصبعى ويَرْجع

يقوم بعـد النَّشر ثم يُصْرَع

بين عزة وأم البنين فى بيت لكثير

ودخلت عَزة صاحبةُ كثير على أم البنين ، زَوج عبـد الملك بن مروان ، فقالت لها : أخبرينى عن قول كُثير :

قَضَى كُلُّ ذى دَين فوفّى غريمَه ... وعزّةُ مَمْطول مُعنًّى غَريمها

ما هذا الدَّين الذى طلبك به ؟ قالت : وعدتُه بقُبلة ، فخرجت منها . قالت أنجزيها وعلىّ إثمها .

أبو البيداء وامرأته

على بن عبد العزيز قال : كان أبو البيداء رجلا عنينا ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوجونى امرأتين . فقالوا له : إن فى واحدة كفاية . قال : أمّا لى فلا . فقالوا : نزوجك واحدة فإن كفتك وإلا نزوّجك أخرى فزوجوه أعرابية فلما دخل بها أقام معها أسبوعا ، فلما كان فى اليوم السابع أتوه فقالوا له : ما كان من أمرك فى اليوم الأول ؟ قال : عظيم جدا . فقالوا : ففى اليوم الثالث ؟ قال : لا تسلونى . فاستجابت امرأته من وراء الستر فقالت :

كان أبو البيداء ينزو فى الوهق ... حتى إذا أُدخل فى بيتٍ أَنِقْ

فيه غزالٌ حسنُ الدَّلِّ خَرِقْ ... مارسَه حتى إذا ارفضّ العرقْ

انكسر المفتاح وانسدَّ الغَلَقْ

حماد عجرد وجارية أهديت إليه

أُهديت جاريةٌ إلى حمّاد عجرد ، وهو جالس مع أصحابه على لَذّة ، فتركهم وقام بها إلى مجلس له فافتضّها ، وكتب إليهم :

قد فتحت الحصْن بعد امتناع بسِنانٍ فاتحٍ للقِلاع
ظفرتْ كفِّى بتفريق جَمْع جاءنا تفريقُه باجتماع
وإذا شَمْلى وشَمل خليلى إنما يَلتام بعد انصداع

لبعضهم

آخر :

لم يُوافق طِباع هذا طِباعى فأنا وهى دهرَنا فى صِراع
وتحرّيت أن أنال رِضاها فأبت غيرَ جَفوة وامتناع
فتفكّرت لمْ بُليت بهذا فإذا أنّ ذا لضَعف المتاع

بين رجل وامرأته

وقع بين رجل وامرأته شر ، فجعل يُحيل عليها بالجِماع ، فقالت : فعل الله بك ، كلما وقع بيننا شىء جئتنى بشفيع لا أَقدر على رَدّه .

بين على بن أبى طالب ورجل وامرأته

وأقبل رجلٌ إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : إنّ لى امرأةً كلما غشيتُها تقول : قتلتَنى قتلتَنى . قال : اقتلها وعلىّ اثمُها .

بين هشام والأبرش فى نساء كلب

وقال هشام بن عبد الملك للأبرش الكَلبى : زوّجنى امرأةً من كَلب . ففعل وصارت عنده . فقال له هشام ، ودخل عليه : لقد وجدنا فى نساء كَلب سعة . فقال له الأبرش : إن نساء كلب خُلقن لرجال كَلب .

وقالوا : مَن نالك لنفسه لم يَضْعُف أبدا ولم ينقطع ، ومن فَعل ذلك لغيره فذاك الذى يُضْنِى وينقطع . يعنون من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب الذِّكر عندها . وقال الشاعر :

فى النكاح

مَن ناك للذِّكر أضنَى قبل مُدّته لا يَقطع النَّيكُ إلا كُلّ مَنهوم

وقالوا : مَن قَلّ جِماعه فهو أصحّ بدنا وأطول عمرا ، ويعتبرون ذلك بذُكور الحيوان . وذلك أنه ليس فى الحيوان أطولُ عمراً من البغل ، ولا أقصر عمرا من العصافير ، وهى أكثر سفادا . والله أعلم .

كتاب الجمانة الثانية

فى المتنبئين ، والممرورين ، والبخلاء ، والطفيليين

لابن عبد ربه

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولُنا فى النساء والأدعياء ، وما قيل فى ذلك من الشعر ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كتابنا هذا ذكرَ المُتنبئين والممرورين والبُخلاء والطفيليين ، فإنّ أخبارهم حدائق مُونقة ، ٣٠٥/٣ ورياض زاهرة ، لما فيها من كُلِّ طُرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مُزخرفة ، أو حُللٌ مُنَشَّرة ، دانية القطوف من جانى ثمرتها ، قريبةُ المسافة لمن طَلبها . فإذا تأمّلها الناظر ، وأصغى إليها السامع وجدها مَلْهى للسَّمع ، ومرتعا للنَّظر ، وسَكنا للروح ، ولقاحًا للعقل ، وسميرًا فى الوحدة ، وأنيسا فى الوحشة ، وصاحبًا فى السفر ، وأنيسا فى الحضر .

بين المهدى ورجل ادعى النبوة

قال أبو الطيب اليزيدى[1] : أخذ رجل ادّعى النبوة أيامَ المهدى فأُدخل عليه ، فقال له : أنت نَبِىٌّ ؟ قال : نعم . قال : وإلى مَن بُعثت ؟ قال : أو تركتمونى أذهب إلى أحد ؟ ساعةَ بُعثت وضعتُمونى فى الحبس . فضحك منه المهدى ، وخلّى سبيله .

بين سليمان بن على وآخر فى مثله

ادعى رجلٌ النبوة بالبصرة . فأُتى به سليمان بن علىّ مقيّداً ، فقال له : أنت نبىٌّ مُرسل ؟ قال : أما الساعة ، فإنى نبىٌّ مُقيَّد . قال : ويحك ، مَن بعثك ؟ قال : أبهذا يُخاطب الأنبياء ياضعيف ؟ والله لولا أنى مُقيَّد لأمرتُ جبريل يُدمدمها عليكم . قال : فالمقيَّد لا تُجاب له دعوة ؟ قال : نعم ، الأنبياء خاصة ، إذا قُيدت لم يرتفع دعاؤها . فضحك سليمان . فقال له : أنا أطلقك ، وأْمر جبريلَ فإن أطاعك آمنّا بك وصدّقناك . قال : صدق الله (فلا يُؤمِنوا حتى يروا العَذاب الأليم) . فضحكُ سليمان وسأل عنه ، فشُهد عنده أنه ممرور ، فخلَّى سبيله .

بين المأمون وآخر فى مثله

قال ثمامة بن أشرس : شهدتُ المأمون أُتى برجل أدعى النبوة ، وأنه

(١) فى بعض الأصول : « الربذى » .

ابراهيم الخليل . فقال المأمون : ما سمعتُ أجرأ على الله من هذا . قلت : أ كلمه ؟ قال : شأنك به . فقلت له : يا هذا ، إن إبراهيم كانت له براهين . قال : وما براهينه ؟ قلت : أضرمت له نار وألقي فيها فصارت بردًا وسلاما ، فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك بردا كما كانت على إبراهيم آمنا بك وصدقناك . قال : هات ما هو ألين عليّ من هذا . قال : براهين موسى . قال : وما كانت براهين موسى ؟ قال : عَصاه التي ألقاها ، فصارت حيّة تَسعى ، تَلْقف ما يأفكون ، وضرب بها البحرَ فانفلق ، و بياضُ يده من غير سُوء . قال : هذا أصعب . هات ما هو ألين من هذا . قلت : براهين عيسى . قال : وما براهين عيسى ؟ قلت : كان يُحيي الموتى ، ويَمشي على الماء ، ويُبرئ الأ كمه والأبرص . فقال : في براهين عيسى جئت بالطامة الكبرى . قلت : لا بد من بُرهان . فقال ما معي شيء من هذا ، قد قلت لجبريل : إنكم توجهونني إلى شياطين ، فاعطُوني حُجة أذهب بها إليهم ، وأحتج عليهم . فغضب وقال : بدأت أنت بالشرّ قبل كل شيء ، اذهب الآن فانظُر ما يقول لك القوم ، وقال : هـذا من الأنبياء لا يصلح إلا للحُمُر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا هاج به مُرار وأعلام ذلك فيه . قال . صدقت ، دَعْه .

المهدى ومدع للنبوة

أُدّعى رجل النبوة في أيام المهدى ، فأدخل عليه فقال له : أنتَ نبي ؟ قال : نعم . قال : ومتى نُبِّئت ؟ قال . وما تصنع بالتاريخ ؟ قال : ففي أي المواضع جاءتك النبوة ؟ قال : وقعنا والله في شُغل ، ليس هـذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تُصَدّقني في كل ما قلت لك فاعمل بقولي . و إن كنت عزمت على تكذيبي فَدَعْني أذهب عنك . فقال المهدى : هذا ما لا يجوز . إذ كان فيه فساد الدين . قال : واعجباً لك ، تغضب لدينك لفساده ، ولا أغضب أنا لفساد نُبوتي ، أنت والله ما قويت عليّ إلا بمَعن بن زائدة والحسن بن قُحطبة وما أشبههما من قُوّادك . وعلى يمين المهدى شَريك القاضي ، قال : ما تقول في هذا النبيْ يا شريك ؟

قال : شاورتَ هذا فى أمرى وتركت أن تشاورنى . قال : هات ما عندك ؟ قال : أُحاكمك فيما جاء به مَن قبلى من الرُّسُل . قال : رضيت . قال : أكافر أنا عندك أم مُؤمن ؟ قال : كافر . قال : فإن الله يقول : (ولا تُطع الكافرينَ والمنافقين ودَعْ أذاهم) فلا تُطعنى ولا تؤذنى ، ودَعْنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء ، وأَدَع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم . ٣٠٦/٣ فضحك المهدى وخلّى سبيله .

خالد القسرى ومدع للنبوة

قال خلف بن خليفة : ادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القَسرى ، وعارض القرآن . فأُتى به خالد ، فقال له : ما تقول ؟ قال: عارضتُ فى القرآن ما يقول الله تعالى : (إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ . إنّ شَانِئَكَ هو الأبتر) فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهِر ، ولا تُطع كل ساحر وكافر . فأمر به خالد فضُربت عنقه وصُلبت على خشبة . فمر به خلف بن خليفة الشاعر ، وقال : إنا أعطيناك العَمود ، فصل لربك على عُود ، وأنا ضامن عنك ألاّ تعود .

عبدالله بن خازم ومدع للنبوة

قال : وإنى لقاعد فى مجلس عبد الله بن خازم[1] وهو على الجسر ببغداد ، فإذا جماعة قد أحاطت برجل ادعى النبوة ، فقُدِّم إلى عبد الله فقال له : أنت نبى ؟ قال نعم . قال : وإلى من بُعثت ؟ قال : وما عليك ؟ بُعثت إلى الشيطان . فضحك عبد الله بن خازم وقال : دَعُوه يذهب إلى الشيطان الرجيم .

ابن أشرس ومدع للنبوة

وقال ثُمامة بن أشرس : كنتُ فى الحبس فأُدخل علينا رجلٌ ذو هيئة وبزّة ومنظر ، فقلت له : مَن أنت ؟ جُعلت فداك ، وما ذنبُك ؟ وفى يدى كأس دعوت بها لأشربها . قال : جاء بى هؤلاء السفهاء لأنى جئتُ بالحق من عند ربى ، أنا نبى مُرسل . قلت : جعلت فداك ، معك دليل ؟ قال : نعم ، معى أكبر الأدلة ، ادفعوا إلىّ امرأة أُحبلها لكم ، فتأتى بمولود يشهد بصِدْقى . قال ثُمامة : فناولته

(١) كذا فى بعض الأصول والكامل للمبرد والبلاذرى وتهذيب التهذيب والإصابة . والذى فى سائر الأصول : « حازم » .

الكأس وقلت له : اشرب صلّى الله عليك .

ابن عتاب ومدع للنبوة أيام الرشيد

محمد بن عتّاب قال : رأيتُ بالرّقة أيام الرشيد جماعةً أحاطت برجل فأشرفت عليه ، فإذا رجل له جَهارة[1] و بنية ، قلت : ما قِصّة هذا ؟ قالوا : ادّعى النبوة . قلت : كذبتم عليه . مثل هذا لايَدّعى الباطل . فرفع رأسه إلىّ فقال : وما علمك أنهم قالوا علىّ الباطل ؟ قلت له : وأنت نبى ؟ قال : نعم . قلت له : ما دليلك ؟ قال : دليلى أنك وَلد زنا . قلت : نبىّ يَقذف المُحصنات ؟ قال : بهذا بُعثت . قلت : أنا كافر بما بُعثت به . قال : ومَن كفر فعليه كُفره . فإذا حَصاة عائرةٌ[2] جاءت حتى صَكّت صَلْعته ، قال : ما رماها إلا ابنُ الزّانية ؛ ثم رفع رأسَه إلى السماء ، فقال : ما أردتم بى خيرا حيثُ طرحتمونى فى يدى هؤلاء الجُهال .

المأمون ويحيى بن أكثم مع مدع النبوة

ادعى رجلٌ النبوة فى أيام المأمون ، فقال ليحيى بن أكثم : امض بنا مُستترين حتى ننظر إلى هذا المُتنبىء وإلى دعواه . فركبنا مُتنكّرين ، ومعنا خادم حتى صِرْنا إليه ، وكان مستترا بمذهبه . فخرج آذنه وقال : مَن أنتما ؟ فقلنا : رجلان يريدان أن يُسلِما على يديه . فأذن لهما ودَخلا . فجلس المأمون عن يَمينه ويَحيى عن يساره . فالتفت إليه المأمون فقال له : إلى مَن بُعثت ؟ قال : إلى الناس كافة . قال : فيُوحَى إليك ، أم تَرى فى المَنام ، أم يُنفث فى قلبك ، أم تُناجَى ، أم تُكلّم ؟ قال : بل أُناجِى وأُكلّمُ . قال : ومن يأتيك بذلك ؟ قال : جبريل . قال : فمتى كان عندك ؟ قال : قبل أن تأتينى بساعة . قال : فما أوحى إليك ؟ قال : أوحى إلىّ أنه سيدخل علىّ رجلان فيجلس أحدُهما عن يَمينى والآخر عن يَسارى ، فالذى عن يَسارى ألْوط خلق الله . قال المأمون : أشهد أن لا إله إلا الله . وأنك رسول الله ، وخَرجا يتضاحكان .

ابن عياش ومتنبىء بالكوفة

تنبأ رجل بالكوفة وأحَل الخمر ولقِى ابنَ عياش ، وكان مُغرما بالشراب ، فقال له : أشعرت أنه بُعث نبىّ يُحل الخمر ؟ قال : إذاً لا يُقبل منه حتى يُبرىءَ

(١) الجهارة : حسن المنظر والهيئة .
(٢) عائرة : لا يدرى من رماها . وفى بعض الأصول : « عابرة » .

الأكمه والأبرص . وأتى به عامل الكوفة فاستتابه . فأبى أن يتوب ويرجع . فأتته أمه تبكى ، فقال لها : تنحَّى ؛ ربط الله على قلبك كما ربط على قلب أم موسى . وأتاه أبوه يطلب إليه أن يرجع . فقال له : تنحَّ يا آزر ، فأمر به العامل فقُتِل وصلب .

بعض الكوفيين ومتنبئ بالكوفة

٣٠٧/٣ وذكر بعضُ الكوفيين قال : بينا أنا جالس بالكوفة فى منزلى إذ جاءنى صديق لى ، فقال لى : إنه ظهر بالكوفة رجلٌ يدعى النبوة ، فقُم بنا إليه نكلّمه ، ونَعرف ما عنده . فقمتُ معه : فصِرنا إلى باب داره ، فقَرَعنا الباب ، وسألنا الدُّخول عليه . فأخذ علينا العُهود والمواثيق إذا دَخلنا عليه وكلّمناه وسألناه إن كان على حق أتبعناه ، وإن كان على غير ذلك كتمنا عليه ، ولم نُؤذه . فدخلنا فإذا شيخ خُراسانى أخبث مَن رأيت على وجه الأرض ، وإذا هو أصلع ، فقال صاحبى وكان أعور : دَعنى حتى أسائله . قلت : دونك . قال : جُعلت فداك ، ما أنت ؟ قال : نبى . قلت : ما دليلك ؟ قال : أنت أعور عَينك اليمنى ، فاقلَعْ عينك اليُسرى حتى تصير أعمى ، ثم أدعو الله فيردّ عليك بصرك . فقلت لصاحبى : أنصفك الرجل ، قال : فاقلع أنت عينيك جَميعا ، وخرجنا نضحك .

المأمون ومتنبئ

وأتى المأمون بإنسان مُتنبِّئ فقال له : ألك علامة ؟ قال : نعم ، علامتى أنى أعلم ما فى نفسك . قال : قرّبتَ علىّ ما فى نفسى ؟ قال له : فى نفسك أنى كذّاب . قال : صدقت ، وأمر به إلى الحبس . فأقام به أياما ، ثم أخرجه . فقال : أوحى إليك بشىء ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأن الملائكة لا تدخل الحبس . فضحك المأمون وأطلقه .

متنبئ سمى نفسه نوحا

وتنبّأ إنسان وسمّى نفسه نوحاً صاحب الفُلك ، وذكر أنه سيكون طُوفان على يديه إلا من أتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدّقه ، فأتى به الوالى ؛ فاستتابه فلم يتُب ، فأمر به فصُلب ، واستتاب صاحبه فتاب . فناداه من الخشبة : يا فلان ، أتُسلمنى الآن فى مثل هذه الحالة ؟ ! فقال : يا نُوح ، قد علمت أنه لا يَصحبك من السفينة إلا الصارى .

المأمون وثمامة ومتنبئ

قال : وحُمِل إلى المأمون من أذربيجان رجلٌ قد تنبأ ، فقال : يا ثمامة ، ناظره . فقال : ما أكثر الأنبياء فى دولتك يا أمير المؤمنين . ثم التفت إلى المُتنبئ ، فقال له : ما شاهدك على النبوة ؟ قال : تُحضر لى يا ثمامة امرأتك أنكحها بين يديك فتلد غلاماً ينطق فى المهد ويُخبرك أنى نبى . فقال ثمامة : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال المأمون : ما أسرعَ ما آمنت به ؟ قال : وأنت يا أمير المؤمنين ما أهونُ عليكَ أن تتناول امرأتى على فراشك . فضحك المأمون وأطلقه .

أخبار الممرورين والمجانين

عليان وما روى عنه ابن إدريس

قال أبو الحسن : كان بالبصرة ممرور يقال له عُلَيَّان بن أبى مالك ، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابَه وكلامه ، وكان راويةً للشعر بصيراً بجيّده ، فذُكر عن عبد الله بن إدريس صاحب الحديث قال : أخرجه الصبيان مَرّة حتى هَجم علينا فى الدار ، فقال لى الخادم : هذا عُليّان قد هَجم علينا ، والصبيان فى طَلبه . فقلت : ادفع الباب فى وُجوه الصبيان ، وأخرج إليه طعاماً وطبقا عليه رُطب مُشَان ومُلَبّقَات(١) وأرغفة . فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه ، وقال : هذا من رحمة الله ، وأشار إلى الطعام ، كما أن أولئك من عذاب الله ، وأشار إلى الصبيان . ثم جعل يأكل والصبيان يَرجمون الباب ، وهو يقول : (فضُرب بينهم بسُور له باب باطنُه فيه الرّحمة وظاهره من قِبله العذاب) . قال ابن إدريس : فلما انقضى طعامه قلت له : يا عليان ، ما لك تروى الشعر ولا تقوله ؟ قال : إنى كالمِسنّ أشحذ ولا أقطع . وكان بصيراً بالشعر . فقلت : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذى لا يُحجب عن القلب . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول جميل :

ألا أيها النُّوّام ويحكم هبُّوا ... أُسائلكم هل يَقتل الرجلَ الحبُّ

قال : فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع .

(١) المشان ، كغراب وكتاب : نوع من التمر كبار . والملبق : الشديد التثريد الملين بالدسم .

٣٠٨/٣ ثم قال: ألا ترى النصف الأول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له، والنصف الثانى استأذن على القلب فأذن له؟ قلت: وما ذا؟ قال: مثل قول الشاعر:

ندمتُ على ما كان منّى فقدتَنى ... كما ندم المغبون حين يَبيع

ثم قال: أتستطيبُ قوله «فقدتنى» بالله يا بن ادريس؟ قلت: بلى. فضرب بيده على فخذى وقال: قُم، شيّب الله قرنك. وابن إدريس يومئذ ابن ثمانين سنة.

وحكى عنه عبد الله بن إدريس قال: مررتُ به فى مُرَبّعة كندة وهو جالس على رَماد وبيده قِطعة من جصّ، وهو يخط بها فى الرماد، فقلت له: ما تَصنع هاهنا يا بنَ أبى مالك؟ قال: ما كانَ يصنع صاحبنا. قلت: ومَن صاحبك؟ قال: مجنون بنى عامر. قلت: وما كان يصنع؟ قال: أما سمعتَه يقول:

عشيةَ ما لى حيلةٌ غيرَ أننى ... بلَقط الحصى والخط فى الدار مُولَع(١)

قلت: ما سمعته. فرفع رأسه إلىّ متضاحكا، فقال: أما يقول الله عز وجل (أَلَم تَرَ إلى رَبِّك كَيفَ مدّ الظِّلّ ولو شاءَ لَجَعله ساكِنًا) فأنت سمعته أو رأيته؟ هذا كلام من كلام العرب لا عِلم لك به. قلت: يا بن أبى مالك، متى تقوم القيامة؟ قال: ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، غير أنه من مات فقد قامت قيامته. قلت له: فالمصلوب يعذّب عذاب القبر؟ قال: إن حَقّت عليه كلمة العذاب يعذّب، وما يدريك لعلّ جسدَه فى عذاب من عذاب الله لا تُدركه أبصارنا ولا أسماعنا، فإن لله لطفاً لا يُدرك. قلت: ما تقول فى النّبيذ، حلال أم حرام؟ قال: حلال. قلت: أتشربه؟ قال إن شربتُه فقد شربه وكيع، وهو قُدوة، قلت: أتقتدى بوَكيع فى تحليله ولا تَقتدى بى فى تحريمه، وأنا أسنُّ منه؟ قال: إن قول وكيع مع اتفاق أهل البلد عليه أحبُّ إلىّ من قولك مع اختلاف أهل البلدة عليك. قلت: فما تقول فى الغناء؟ قال: قد غنّى البَراء بن عازب، وعبدُ الله ابن رَواحة، وسمع الغناء عبدُ الله بن عمر، وكان عبدُ الله بن جعفر. قلت له: أيْشٍ

(١) الصواب نسبته إلى ذى الرمة، كما فى الحيوان (١ : ٦٣) وثمار القلوب ٢١٤.

كان عبد الله بن جعفر ؟ قال : إنما سألتنى عن الغِناء ولم تسألنى عن ضَربِ العيدان .

مجنون بالبصرة

وكان بالبصرة مَجنون يأوى إلى دكّان خياط ، وفى يده قصبة قد جعل فى رأسها أكرة(١) ولفَّ عليها خرقة ، لئلا يُؤذى بها الناس ، فكان إذا أحرده الصبيان التفت إلى الخيّاط وقال له : قد حَمِى الوطيس ، وطاب اللِّقاء ، فما ترى ؟ فيقول : شأنك بهم ، فيشد عليهم ، و يقول :

أَشُدُّ على الكَتيبة لا أُبالى أحَتفِى كان فيها أم سِواها(٢)

فإذا أدرك منهم صبيًّا رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له عورته ، فيتركه و ينصرف و يقول : عورة المؤمن حِمى ، ولولا ذلك لَتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صِفّين . ثم يقول و ينادى :

أنا الرجل الضَّرب الذى تَعرفوننى خَشاش كرأس الحية المُتوقِدِ

ثم يرجع إلى دكّان الخياط ، و يلقى العَصا من يده و يقول :

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

عليان وتاجر بصرى

وكان بالبصرة رجل من التجّار يكنى أبا سَعيد ، وكانت له جارية تدعى خيزُران ، وكان بها كَلِفا ، فمر يوماً بعُلَيّان ، وقد أحاط به الناس ، فقالوا له : هذا أبو سعيد صاحب خيزُران ، فناداه : أبا سعيد . قال : نعم . قال : أتحب خيزُران ؟ قال : نعم . قال : وتحبك ؟ قال : نعم . فأنشأ يقول :

نُبئتها عشِقت خُشًّا فقلت لهم ما يَعشق الخُش إلا كل كَنَّاس

فضحك الناسُ من أبى سعيد ومضى .

٣٠٩ / ٣

ابن أبى الزرقاء وصباح الموسوس

ومرّ ابن أبى الزرقاء صاحب شُرطة ابن أبى هُبيرة بصباح(٣) الموسوس فقال له : يابن أبى الزرقاء ، أسْمنتَ بِرذونك وأهزلت دينك ، أما والله إن أمامك عقبة

(١) اللغة الجيدة « كرة » ، كما فى اللسان (أكر) .
(٢) البيت لعباس بن مرداس ، كما فى شروح سقط الزند ١٠٩٤ .
(٣) كذا فى بعض الأصول ، والبيان (٢ : ٢٣١) . والذى فى سائر الأصول : « بصباح » .

لا يجاوزها إلا المُخفّ . فوقف ابن أبي الزّرقاء . فقيل له : هو صباح الموسوس ، قال : ما هذا بموسوس .

من أخبار بهلول

وقال إبراهيم الشَّيبانى : مررتُ ببهلول المَجنون وهو يأكل خَبيصا ، فقلت : أطعمنى . قال : ليس هو لى ، إنما هو لعاتكة بنت الخليفة بعثتْه إلىّ لآكله لها . وكان بهلول هذا يتشيّع . فقيل له : أشتم فاطمة وأُعطيك درهما . فقال : بل أشتم عائشة وأعطنى نصف درهم .

لابن عبد الملك فيما يعرف به حمق الرجل

وقال ابن عبدالملك : يُعرف حُمق الرجل فى أربع : لحيته ، وشناعة كُنيته ، وإفراط شهوته ، ونقش خاتمه . فدخل عليه شيخ طويل العثنون فقال : أمّا هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث . فقيل له : ما كنيتك ؟ قال : أبو الياقوت . قيل : فنقش خاتمك ؟ قال : (وتفقّد الطير فقال مالى لا أرى الهُدهد) . قيل : أى الطعام تشتهى ؟ قال : خلنجبين .

عمر بن عبد العزيز ومجنون ينادى

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى : يا أبا العُمرَين ، فقال : لو كان عاقلاً لكفاه أحدُهما .

لداود المصاب فى مصيبة نزلت به

وقيل لداود المُصاب فى مُصيبة نزلت به : لاتتهم الله فى قضائه . قال : أقول لك شيئاً على الأمانة ؟ قال : قل . قال : والله مابى غيره .

من أخبار أبى عتاب

ودخل أبو عتّاب على عمرو بن هَدّاب[1] وقد كف بصره والناس يعزّونه ، فقال له : أبا يزيد ، لا يسوءك فقدها فإنك لو دريت بثوابهما تمنّيت أن الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك . ودخل على قوم يعود مريضا لهم فبدأ يعزيهم . قالوا : إنه لم يمت . فخرج وهو يقول : يموت إن شاء الله ، يموت إن شاء الله .

ووقع بين أبى عتاب و بين أبنه كلام ، قال: لولا أنك أبى وأنك أسنّ منى لعرفت .

الغاضرى

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان الغاضرى[2] من أحمق الناس ، فقيل

---

(١) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٥) .

(٢) كذا فى بعض الأصول وعيون الأخبار والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « المناصرى » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٤١) .

له : ما رأيت من حمقه ؟ فسكت . فلما أكثر عليه قال: قال لى مرة : البحر مَن حَفره ؟ وأين ترابه الذى خرج منه ؟ وهل يقدر الأمير أن يَحفر مثلَه فى ثلاثة أيام ؟

الشعبي ورجل من النوكى

ودخل رجل من النَّوكى على الشَّعبى وهو جالس مع امرأته ، فقال : أيكما الشعبى ؟ فقال : هذه . فقال : ما تقول أصلحك الله فى رجل شَتمنى أولَ يوم من رمضان ، هل يُؤجر ؟ قال : إن كان قال لك : يا أحمق ، فإنى أرجو له .

الشعبي ومجنون آخر

وسأل رجل آخَر الشعبى فقال : ما تقول فى رجل أدخل أصبعه فى الصلاة فى أنفه فخَرج عليها دم ، أتُرى له أن يحتجم ؟ فقال الشعبى : الحمد لله الذى نَقلنا من الفقه إلى الحِجامة[1] .

وقال له آخر : كيف كانت تُسمَّى امرأة إبليس؟ قال : ذاك نِكاح ما شهدناه .

صوفى فى أيام المهدى

العُتْبى قال : سمعتُ أبا عبد الرحمن بِشْرًا يقول : كان فى زمن المهدىّ رجل صوفىّ ، وكان عاقلا عالما ورعا ، فتحمق[2] ليجدَ السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان يركب قَصبةً فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلّم على صِبيانه حُكم ولا طاعة . فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلاًّ وينادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ، أليسوا فى أعلى علّيين ؟ فيقولون : نعم . قال : هاتوا أبا بكر الصديق . فأُخذ غلام فأُجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعيّة . فقد عدلت وقمت بالقسط وخَلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فأحسنتَ[3] الخلافة ، ووصلت حَبل الدين بعد حَلّ[4] وتنازع ، وفزعت فيه إلى أوثق عُروة وأحسن ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين . ثم ينادى : هاتوا عمر . فأُجلس بين يديه غلام . فقال : جزاك الله خيرا أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفُتوح ، ووسّعت الفىء ، وسلكت سبيلَ الصالحين ، وعدلت فى الرعية وقسمت بالسوية ، اذهبوا ٣١٠/٣

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (٣ : ٨) .
(٢) فى بعض الأصول : « فيجد » .
(٣) فى ن « بأحسن » .
(٤) فى ن : « خبل » .

به إلى أعلى عليين بحذاء أبى بكر . ثم يقول : هاتوا عثمان . فأتى بغلام فأجلس بين يديه . فيقول له : خلطت فى تلك الستّ السنين ، ولكن الله تعالى يقول : (خَلطوا عملاً صالحا وآخرَ سيّئا عَسى الله أن يَتوب عليهم) وعسى من الله موجبة . ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه فى أعلى عليين . ثم يقول : هاتوا علىّ بن أبى طالب . فأجلس غلام بين يديه . فيقول : جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسن ، فأنت الوصىّ وولى النبى ، بسطت العدل ، وزهدت فى الدنيا ، واعتزلت الفئ ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذّرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين من الفردوس ، ثم يقول : هاتوا معاوية . فأجلس بين يديه صبى . فقال له : أنت القاتل عمّار بن ياسر ، وخُزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندى الذى أخلقت وجهه العبادة ، وأنت الذى جعل الخلافةَ ملكا ، واستأثر بالفئ ، وحكم بالهوى ، واستنصرَ بالظّلَمة[1] ، وأنت أولُ من غيّر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغى . اذهبوا به فأوقفوه مع الظّلمة ، ثم قال : هاتوا يزيد . فأجلس بين يديه غلام . فقال له : يا قوّاد ، أنت الذى قتلت أهل الحرّة ، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثّلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخِى ببدر شَهِدوا جَزع الخزرج من وقع الأسَل[2]

وقتلت حُسينا ، وحملت بناتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الإبل ، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار . ولا يزال يذكر والياً بعد وال حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز فقال : هاتوا عمر . فأتى بغلام ، فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله ياعمر خيرا عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق . اذهبوا به

(١) فى بعض النسخ : « واستبطر بالنعمة » .

(٢) البيت لعبد الله بن الزبعرى ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٦٤) .

فألحقوه بالصديقين . ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بنى العباس ، فسكت فقيل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : بلغ أمرنا إلى بنى هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم فى النار جميعا .

من أخبار عيناوة

ومن مجانين الكوفة : عيناوة وطاق البصل . قيل لعيناوة : من أحسن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىء وطاق البصل شىء . وكان طاق البصل يغنى بقيراط و يسكت بدانق . وكان عيناوة جيد القفا ، فربما مرّ به من يعبث فيصفعه ، فحشا قفاه خراء ، وقعد على قارعة . فإذا صفعه أحد قال : شُم يدك يا فتى ، فلم يصفعه أحد بعد ذلك .

بين رجل وآخر من الحمقى

ووعد رجل رجلا من الحَمقَى أن يهدى له نعلا حضرميّة ، فطال عليه انتظارها ، فبال فى قارورة وأتى الطبيب وقال : انظر فى هذا الماء إن كان يهدِى إلىّ بعض إخوانى نعلاً حضرمية .

مجيبة وعيناوة

وكان بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها مجيبة ، فقفد[1] عيناوةُ فتًى كانت أرضعته مجيبة ، فقال له لما وجده : كيف لا تكون أرعن ومجيبة أرضعتك ؟ فوالله لقد زَقّت لى فرخا فما زلت أرى الرعونة فى طيرانه .

هبنقة القيسى

ومن المجانين هَبَنَّقَة القَيسى ، وجَرَنْفش السدوسى ، واسم هَبنقة يزيد بن ثروان ، وكُنيته أبو نافع ، وكان يُحسن من إبله إلى السمان ويُسىءُ إلى المهازيل . فسئل عن ذلك فقال : أمَا أُكرم ما أكرم الله وأُهين ما أهان الله !

٣١١/٣ وشَرد بعير له فجعل بعيرين لمن دلّ عليه ، فقيل له : أتجعل بعيرين فى بعير ؟ قال : إنكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالّته .

وافترس الذئب له شاة ، فقال لرجل : خَلّصها من الذئب وخُذها ، فإن فعلت فأنت والذئب واحد .

وسام رجل هَبَنّقة بشاة ، فقال : اشتريتها بستة ، وهى خير من سَبعة ،

(١) قفده : صفع قفاه ببطن كفه . والخبر فى البيان والتبيين (٢ : ١٩) .

وأعطيت فيها ثمانية و إن أردتها بتسعة و إلا فزن عشرة .

باقل

وكان باقل الذى يضرب به المثل فى العىّ اشترى شاة بأحد عشر درهما ، فسئل : بكم أشتريت الشاة؟ ففتح يديه جميعا وأشار بأصابعه وأخرج لسانه ، ليتم العدد أحد عشر .

الفرزدق وجرنفس

ولما قرّب الفرزدق رأس بغلته من الماء قال له الجرنفش : نحّ رأس بغلتك حلق الله شأفتك . قال : لماذا عافاك الله ؟ قال له : لأنك كذوب الحجرة[1] ، زانى الكمرة . فصاح الفرزدق . يابنى سدوس ، فاجتمعوا إليه . فقال : سوّدوا الجرنفش عليكم ، فما رأيت فيكم أعقل منه .

بين الجرنفش وهبنقة

قال الأصمعى : سُوبق بين الجرنفش وهبنقة أيهما أجن وأحمق . فجاء جرنفش بحجارة خِفاف من جص ، وجاء هبنقة بحجارة ثقال وتُرس ، فبدأ الجرنفش ، فقبض على حجر ، ثم قال : درّى عقاب ، بلبن وأشخاب . ثم رفع صوته وقال : الترس . فرمى الترس فأصابه ، فانهزم هبنقة ، فقيل له : لم انهزمت ؟ فقال : إنه قال : الترس . فرمى الترس فلم يخطئه ، فلو أنه قال العين ورماها ، أما كان يصيب عينى .

بين داود بن المعتمر وامرأة

وتبع داود بن المُعتمر امرأة ظنها من الفواسد ، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير ماتبعتُك . فضحكت المرأة وقالت : إنما يعتصم مثلى من مثلك بسيما الخير ، فأما إذْ صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان[2] .

بينه وبين أخرى

ووقع داود هذا بجارية فلما أمعن فى الفعل قال لها : أثيّب أم بكر ؟ فقالت له : سَل المجرب .

بين غزوان وأمه

قالت أم غزوان الرقاشى لابنها ، وهو يقرأ فى المصحف : ياغزوان ، لعلك تجد فى هذا المصحف حمارا كان أبوك فى الجاهليّة فقده . فقال : يا أماه . بل أجد فيه وعدا حسنا ووعيدا شديدا .

---

(١) فى البيان : « المنجرة » ولعل صوابها « الحنجرة » .

(٢) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٦ وعيون الأخبار (٢ : ٥١) .

بين رجل من النوكى وشيخ فى حمام

ونظر رجل من النوكى إلى شيخ فى الحمّام وعليه سرة كأنها مُدهن عاج . فقال له : يا شيخ ، دعنى أجعل ذكرى فى سُرتك . فقال له : يا بن أخى ، وأين يكون أستك حينئذ ؟

مجانين القصاص

أبو دحية

قال أبو دحية القاصّ : ليس فىّ خير ولا فيكم . فتبلغوا بى حتى تجدوا خيراً منى . وقال فى قصصه يوماً : كان اسم الذئب الذى أكل يوسف هملاج . قالوا : إن يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف[١]

قاص ببغداد

وقال ثمامة بن أشرس : سمعت قاصًّا ببغداد يقول : اللهم ارزقنى الشهادة أنا وجميع المسلمين . ووقع الذباب على وجهه فقال : مالكم كثّر الله بكم القبور .

قاص آخر

قال : ورأيت قاصًّا يحدث الناس بقتل حمزة فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة استخرجتها نمضّتها ولاكتها ولم تزدردها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو أزدردتها ما مسّها النار . ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال : اللهم أطعمنا من كبد حمزة .

باب نوكى الأشراف

مالك بن زيد مناة

من النّوكَى المتقدمين : مالك بن زيد مناة بن تميم ، دخل على امرأته ناجية مغضباً ، فلما رأت ما به من الجهل والجفاء قالت له : ضع شَملتك . قال : جسدى أحفظ لها . قالت : اخلع نعليك . قال : رجلاى أحق بهما . فلما رأت ذلك قامت وجلست إليه . فلما شم رائحة الطيب وثب عليها[٢] .

عجل بن لجيم

ومن النوكى عجل بن لُجيم . قال أبو عُبيدة : أرسل ابنٌ لعجل بن لُجيم فرساً

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (٦ : ٤٧٧) .
(٢) الخبر فى البيان (٢ : ٢٢٥) طبع لجنة التأليف .

فى حلبة فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : كيف ترى أن أسميه يا أبت ؟ قال : أفقأ إحدى عينيه وسمّه الأعور . قال الشاعر :

٣١٢/٣

رمتنى بنو عِجل بداء أبيهم   وأىّ عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوهم عارَ عَين جواده   فأضحت به الأمثال تُضرب فى الجهل

دغة

ومن بنى عجل دُغَةُ[1] التى يضرب بها المثل فى الحمق . وقد ذكرنا نسبها وخبرها فى كتاب الأمثال .

عبيد الله بن مروان

ومن نوكى الأشراف : عبيد الله بن مروان ، عمّ الوليد بن عبد الملك . بعث إلى الوليد قطيفة حمراء ، وكتب إليه : إنى قد بعثت إليك قطيفة حمراء حمراء ، فكتب إليه قد وصلت القطيفة ، وأنت والله يا عم أحمق أحمق[2] .

معاوية بن مروان

ومنهم معاوية بن مروان[3] وقف على باب طحّان ، فرأى حماراً يدور بالرحا فى عُنقه جلجل ، فقال للطحان : لِمَ جعلت الجلجل فى عُنق الحمار ؟ قال : ربما أدركتنى سآمة أو نُعاس ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمْت أنه واقف فصحتُ به ، فانبعث . قال : أفرأيتَ إن وقف وحرّك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا — وحرك رأسه — فقال له : ومن لى بحمار يكون عقلُه مثل عقل الأمير ؟

وهو القائل ، وضاع له بازى : أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازى .

وأقبل إليه قومٌ من جيرانه فقالوا : مات جارك أبو فلان ، فمُر له بكفن . فقال : ما عندنا اليوم شىء ولكن عُودوا إلينا إذا نُبش .

وأقبل إليه رجل أحمق منه ، فقال له : تُعيرنا أصلحك الله ثوباً نكفن فيه ميتاً ؟ قال : أخشى أنه ينجّسه فلا تُلبسه إياه حتى يُغسّل ويطهر .

عيينة بن حصن

ومن النوكى الأشراف : عُيينة بن حصن ، دخل على عثمان بغير إذن ، وكانت عنده ابنته ، فقال له عثمان : ألّا استأذنت ؟ قال : ما ظننت أنّ هنا من

(١) فى بعض الأصول هنا : « دعد » تحريف .
(٢) الخبر فى البيان (٢ : ٢٣٢) طبع لجنة التأليف .
(٣) كذا فى الأصول والبيان (٢ : ١٣٦) والمعارف (١٨٠) والذى فى الطبرى (٢ : ٤٠٤) : « عبد الله بن معاوية » . وانظر عجائب المخلوقات للقزوينى (١١١) .

أحتاج أن أستأذن عليه . قال : أُدْنُ نتعشّ . فقال : أنا صائم . قال : تصوم الليل وتفطر النهار . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسميه السفيه المُطاع .

أبان بن عثمان

ومن حمقى قُريش : أبان بن عثمان بن عفان . قال الشعبي : قدم أبان على معاوية . فقال : أمير المؤمنين ، زوجني ابنتك . قال : يابن أخي هما اثنتان . إحداهما عند ابن عامر والأخرى عند أخيك عمرو . قال : كنت أظن أنّ لك ثالثة . قال : يابن أخي ، تخطب إليّ ولا تدري لي بنت أم لا ، رحم الله أباك .

معاوية بن مروان

ومرّ معاوية بن مروان بحقل له فلم ير فيها ما يُعجبه(١) ، فقال : ما كذب من قال : كُل حقل لا ترى أست صاحبها لا تُفلح أبدا . ثم نزل عن دابّته وأحدث فيها ثم ركب . وهو الذي يقول لأبي امرأته : ملأتْني البارحةَ ابنتُك دما . قال : إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن ، فلو كنت خصيًّا ما زوجناك ، وعلى الذي غرّنا بك لعنة الله .

أبو العاج

وكان أبو العاج واليًا بواسط فأتاه صاحبُ شرطته بقوّادة ، فقال : ما هذه ؟ قال : قوّادة . قال : وما تَصنع ؟ قال : تَجمع بين الرجال والنساء . قال : إنما جئتني بها لتعرّفها بداري ، خلّ عنها لعنك الله ولعنها .

الربيع العامري

وكان الربيع العامري واليًا باليمامة ، فأُتي بكلب قد عَقر كلبا فأقاده فقال فيه الشاعر :

شهدتُ بأن الله حقًّا لقاؤه وأنّ الربيعَ العامريّ رَقيعُ
أقاد لنا كلباً بكلب فلم يَدع دماء كِلاب المُسلمين تَضيعُ(٢)

وقال عَوانة : استعمل معاويةُ رجلاً من كَلب ، فذكر يومًا المجوس وعنده النار . فقال : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتِهم ، والله لو أُعطيتُ مائة ألف درهم ما نكحتُ أمي .

ثلاثة إخوة من بني عتاب

وكان بالبصرة ثلاثة إخوة من بني عتّاب بن أسيد ، كان أحدهم يحُج عن

(١) الحقل : المزرعة ، لذا أنثه حملا على معناه .
(٢) الخبر في البيان (٢ : ٢٠٩) طبع لجنة التأليف .

حمزة ويقول : أستشهد قبل أن يحج . وكان الآخرُ يضحى عن أبى بكر وعمر ، ويقول : اخطأ السنة فى ترك الأضحية ، وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ، ويقول : غلطت رحمها الله فى صومها أيام التشريق . ٣١٣/٣

الرشيد ورجل من النوكى

ولعب رجلٌ من النَّوكى بين يدى الرشيد بالشطرنج . فلما رآه وقد استجاد لعبه قال له : يا أمير المؤمنين ، ولِّنى نهر بوق . فقال له : ويلك أُوليك نصفه . اكتبوا عهده على بوق . قال : فولِّنى أرمينية . قال : إذا يُبطىء على أمير المؤمنين خبرك .

أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين

وكيع بن أبى سود

خطب وكيع بن أبى سُود(١) وهو والى خراسان فقال فى خُطبته : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أشهر . فقالوا له : بل فى ستة أيام . فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقلّها .

على بن زياد

وخطب على بن زياد الإيادى فقال فى خُطبته : أقول لكم ما قال العبد الصالح لقومه : (ما أُريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) . فقالوا له : إن هذا ليس من قول العبد الصالح إنما هو من قول فرعون . فقال : من قاله فقد أحسن .

عتاب بن ورقاء

وخطب عتّاب بن ورقاء الرياحى فقال : أقول لكم كما قال الله فى كتابه :

كُتب القتلُ والقتال علينا ... وعلى الغانيات جَرّ الذُّيول

وال باليمامة

وخطب والٍ باليمامة فقال فى خُطبته : إن الله تبارك وتعالى لا يعاون(٢) عباده على المعاصى . وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم ، فسُمِّى مقوّم الناقة .

ابن سنان

وبكى أحولَ بْن سنان أولادُه وأهلُه حين ودّعوه وهو يريد مكة حاجًا ، فقال : لا تبكوا فإنى أرجو أن أُضحى عندكم .

(١) فى بعض الأصول هنا : « الأسود » تحريف .
(٢) فى البيان : « لايقار » .

كردم السدوسى

ودخل قوم دار كَرْدم السدوسى[1] فقالوا له : أين القِبلة فى دارك هذه ؟ فقال : إنما سكنّاها منذ ستة أشهر .

ودخل كَرْدم السدوسى[1] على رجل فدعاه إلى الغذاء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثرت منه .

أبو عبيد الملك عناق

وقيل لأبى عبد الملك عناق : بأى شىء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سلام بن سليمان أبى المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلاّم بن سليمان أبو المنذر مشى أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يمش سلّام فى جنازته .

كردم

ومرض كردم فقال له عمه : أى شىء تشتهى ؟ فقال : رأس كبشين . قال : لا يكون . قال : فرأسى كبش قال : لا يكون . فقال : لست أشتهى شيئاً .

مسعدة بن طارق

وقال مسعدة بن طارق الذَّراع : إنا لوقوف على حدود دار نقسمها إذ أقبل عِيص ، سيد بنى تميم والمصلِّى على جنائزهم . ونحن فى خصومة لنصلح بينهم ، فقال: خبرونى عن هذه الدار ، هل ضَم بعضَها إلى بعض أحد ؟ فأنا منذ ستين سنة أفكر فى كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازاً[2] .

كردم الذراع

وأقبل كردم الذرّاع إلى قوم ليكسر لهم دوراً ، فوجد داراً منها فيه زَنَقَة[3] . فقال : ليست هذه الدار لكم فقالوا : بلى والله ما نازعنا أحد قط فيها . قال : فليست الزَّنَقة لكم . قالوا : فكسِّر ما صح عندك أنه لنا ودَع الزَّنقة . فكسر صحن الدار . فقال : عشرون فى عشرين مائتان . قالوا : مِن هذا المعنى لم تكن الزَّنقة عندك لنا ؛ إذْ عشرون فى عشرين مائتان .

(١) كذا فى بعض الأصول والبيان (٢ : ١٢٧) . والذى فى سائر الأصول : « الدوسى » .

(٢) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٣) .

(٣) الزنقة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت فى اللسان وليست فى القاموس . والخبر فى البيان (٢ : ٢٤٥) طبع لجنة التأليف .

ناظر فى الفرائض

وسئل آخر كان ينظر فى الفرائض عن فريضة لم يعرفها، فالتمسها فى كتابه فلم يجدها. فقال: لم يمت هذا الرجل بعد، ولو مات لوجدت فريضته فى كتابى.

وعزّى قوماً فقال: آجركم الله وأعظم أجوركم وأجَرَكم. فقيل له فى ذلك، فقال: مثل قول مروان بن الحكم: بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم[1].

أبو إدريس السمان

وكان أبو إدريس السمان يكتب: فلا أصحبك الله إلا بالعافية، ولا حيّا وجهك إلا بالكرامة.

بين رجل ووكيله

العتبى قال: بعث رجل وكيلَه إلى رجل من الوجوه يَقتضيه ما عليه، فرجع إليه مَضروباً فقال: مالك ويلك؟ قال: سَبَّك فسببتُه فضربنى. قال: وبأى شىء سبّنى؟ قال: هَن الحمار فى حِر أُم الذى أرسلك. قال له: دَعنى من افترائه علىّ. أخبرنى أنت كيف جعلت لأير الحمار من الحرمة ما لم تجعل لحر أمى؟ هلا قلت: أير الحمار فى هَن أم من أرسلك؟ ٣١٤/٣

أبو نواس وأحد الوراقين

وقال أبو نواس: قلت لأحد الورّاقين الذين يكتبون بباب البطونى: أيما أسن أنت أم أخوك؟ قال: إذا جاء رمضان استوينا.

ثمامة بن أشرس عن رجل يحجمه

قال ثمامة بن أشرس للمأمون: مررت فى غبّ مطر والأرض نديّة والسماء مُغيمة والريح شمال، وإذا بشخص أصفر كأنه جرادة، وقد قعد على قارعة الطريق، وحجّام يحجمه على كاهله وأخدعيه بمحاجم كأنها قعاب، وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه، فقلت: يا شيخ، لم تحتجم فى هذا البرد؟ قال: لهذا الصُّفار الذى بى.

أبو عتاب

وقيل لأبى عتّاب: كيف بِرّك بأمك؟ قال: والله ما قرعتها بسوط قط.

النوكى من نساء الأشراف

ذكر بعضهن

دُغَة العِجليّة، وجَهِيزة[2]، وشولة، ودراعة[3]، وسارية الليل، وريطة بنت

(١) الخبر فى البيان (٢: ٢٣٤ لجنة التأليف).
(٢) فى بعض النسخ: «ودهيرة».
(٣) فى البيان (٢: ٢٢٦ طبع لجنة التأليف): «دراعة القديد المدية».

كعب[1]، وهى التى نقضت غزلها أنكاثاً . وفيها يقال فى المثل: «خرقاء وجدت صوفة».

قاضى مكة وحمقاء

وقال عمرو بن عثمان[2]: شيعت القاضى عبد العزيز بن المطلب[3] المخزومى قاضى مكة إلى منزله و بباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول :

أرّق عينى ضُراط القاضى[4].

فقال لى : يا أبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ؟

من حكم المجانين

وقد يأتى لهؤلاء المجانين كلامٌ نادر محكم لا يُسمع بمثله ، كما قالوا : رُب رمية من غير رام .

قيــل لدُغة : أى بَنيك أحبّ إليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يُفيق ، والغائب حتى يرجع .

أبو طالب وهاشمية

ومن أخبار أهل العىّ المُشبهين بالمجانين[5]: دخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حَمدونة بنت الرشيد ليشترى طعاماً من طعامهم ، فقال لها : قد رأيت مَتاعك وقلّبته . قالت له : هلاّ قلت طعــامك يا أبا طالب ؟ قال : وقد أدخلت يدى فيه فوجدته قد حَمى وصار مثل الجيفة . قالت : يا أبا طالب ، ألستَ قد قلّبت الشعير ، فأعطنا به ما شئت وإن كان فاسداً .

رجلان من النوكى وعبد لهما

قال الأصمعى : كان بين رجلين من النوكى عبدٌ فقام أحدهما يضربه ، فقال له شريكه : ما تصنع ؟ قال : أنا أضرب نَصيبى منه . قال : وأنا أضرب حصتى فيه ، وقام فضربه . فكان من رأى العبــد أن سلح عليهما ، وقال : أقتسما هذه على قدر الحصص .

بين بعضهم وباكية على قبر

ومر بعضُهم بامرأة قاعدة على قبر وهى تبكى، فقال لها : ما هذا الميت منك ؟

---

(١) فى بعض الأصول : « رائطة بنت كعب » صوابه فى البيان والتبيين . وفى أنوار التنزيل (١ : ٥٢٥) : « ريطة بنت سعد بن تيم القرشية » .

(٢) فى البيان (٢ : ٢٣٠ طبع لجنة التأليف) . « عمر بن عثمان » .

(٣) هو عبد العزيز بن مطلب بن عبد الله المخزومى القاضى (انظر تهذيب التهذيب) . وفى النسخ « بن عبد المطلب » .

(٤) بعده فى البيان : * هذا المقيم ليس ذاك الماضى *

(٥) الخبر فى البيان (٢ : ٢٣٢ طبع لجنة التأليف) .

بين ثمامة ورجل من النوكى

قالت : زوجي . قال : وما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور ، قال : أبعده الله ، أمَا علم أنه مَن حفر حُفرة وقع فيها .

وطلب رجلٌ من النَّوكى من ثُمامة بن أشرس أن يُسلفه مالا ويؤخره به . فقال : هاتان حاجتان وأنا أقضى لك إحداهما . قال : رضيت . قال : أنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك .

امرأة أبى رافع وصيرفى

وكان أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلم - وآلُ أبى رافع من فُضلاء أهل المدينة وخيارهم ، مع بَـلَه فيهم وعىّ شديد — فمن ذلك أن امرأة أبى رافع رأته فى نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلانا الصَّيرفى ؟ قالت له : نعم . قال : فإنّ لى عليه مائتى دينار . فلما أنتبهت من نومها غدت إلى الصيرفى فأخبرته الخبر وسألته عن المائتى دينار . فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بينى و بينه مُعاملة قط . فأقبلتْ إلى مسجد المدينة ، فوجدت مشايخَ من آل أبى رافع كلهم مقبول القول ، جائز الشهادة ، فقصّت عليهم الرؤيا ، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفى و إنكاره لِمَا أدعاه أبو رافع . قالوا : ما كان أبو رافع ليكذب فى نوم ولا يقظة ، قُومى بصاحبك إلى السلطان ونحن نشهد لك عليه . فلما رأى الصيرفىّ عزم القوم على

٣١٥/٣ الشهادة لها وعَلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤدِّيها ، قال لهم : إن رأيتم أن تُصلحوا بينى و بين هذه المرأة على ماترونه فافعلوا . قالوا : نعَم والصلح خَير ، ونِعم الصلح الشَّطر ، فأدِّ إليها مائة دينار من المائتين . فقال لهم : أفعل ، ولكن اكتُبوا بينى و بينها كتابا يكون وثيقة لى . قالوا : وكيف تكون هذه الوَثيقة ؟ قال : تكتبون لى عليها أنها قبضت منى مائةَ دينار صُلحا على المائتى دينار التى أدعاها أبو رافع علىّ فى نومها ، وأنها قد أبرأتنى منها وشرطتْ على نفسها ألاّ ترى أبا رافع فى نومها مرة أخرى ، فيدّعى علىّ بغير هذه المائتين ، فتجىء بفلان وفلان يَشهدان علىّ لها . فلما سمعوا الوثيقة فطن القومُ لأنفسهم ، وقالوا : قبَحكَ الله وقبَح ما جئت به .

عامر بن عبد الله بن الزبير

ومنهم عامرُ بن عبدالله بن الزبير ، أُتى بعَطائه وهو فى المسجد ، فقام ونَسيه فى موضعه ، فلما صار إلى بيته ذكره ، فقال : يا غلام ، أئتني بعَطائي الذي نسيتُ

فى المسجد . قال : وأين يُوجد ، وقد دخل المسجد بعدك جماعة ؟ قال : و بقى أحد يأخذ ما ليس له ؟

وسُرِقت نعلُه مرةً فلم يلبس نعلا بعدها حتى مات ، وقال : أكره أن أتخذ نعلاً فيجىء مَن يسرقها فيأثم . وفى هذا الضرب يقول أبو أيوب السختيانى[١] : فى أصحابى من أرجو بركته ودُعاءه ، ولا أقبل شهادته[٢] .

عابد فى بنى اسرائيل

قال الأصمعىّ : كان الشعبىّ يحدث أنه كان فى بنى اسرائيل عابد جاهل قد ترهّب فى صومعته ، وله حمار يَرعى حول الصَّومعة ، فاطّلع عليه من الصَّومعة فرآه يرعى فرفع يديه إلى السماء ، فقال : يارب ، لو كان لك حمار كنتُ أُرعِيه مع حمارى ، وما كان يشُق علىّ . فهمّ به نبىٌّ كان فيهم فى ذلك الزمان ، فأوحى الله إليه دَعْه ، فإنما أُثيب كل إنسان على قدر عقله .

ابن سيرين ومجنون فى رؤيا

هشام بن حسّان قال : أقبل رجل إلى محمد بن سيرين فقال : ما تقول فى رؤيا رأيتُها ؟ قال : وما رأيت ؟ قال : كنت أرى أنّ لى غَنما ، فكنت أُعطَى بها ثمانية دراهم ، فأبيتُ من البيع ، ففتحتُ عينىّ فلم أر شيئا ، فأغلقتُهما ومددت يدى ، وقلت : هاتوا أربعة ، فلم أُعط شيئا . فقال له ابنُ سيرين : لعلّ القوم اطلعوا على عَيب فى الغنم فكرهوها . قال : يمكن الذى ذكرت .

شعراء المجانين

بعضهم

منهم أبو ياسين الحاسب ، وجُعيفران ، وجَرتفش[٣] ، وأبو حية النميرى ، وريسيموس[٤] ، وصالح بن شيرزاذ الكاتب .

من شعر أبى حية

وكان أبو حية أجَنّ الناس[٥] وأشعر الناس ، وهو القائل :

ألا حَىِّ أطلال الرُّسوم البواليا لَبِسْن البلى مما لبسن اللّياليا

(١) فى بعض الأصول : « السجستانى » . تحريف .
(٢) انظر الخبر فى البيان (١ : ١٨٦) .
(٣) فى بعض الأصول : «حرنفش» وما أثبتنا من سائر الأصول والبيان (٢ : ١١٦) .
(٤) فى البيان والبخلاء : « رسيموس اليونانى » .
(٥) فى البيان : « أجن من من جعيفران » .

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه أمرٌ لا يَملّ التقاضيا

وهو القائل أيضا[1] :

فلأبعثنّ مع الرياح قصيدةً مِنّى مُغلغَلةً إلى القعقاع

تَرِد المناهلَ لا تزال غريبةً فى القوم بين تمثُّلٍ وسَماع[2]

وهو القائل أيضا :

فأبدتْ قِناعاً دونه الشمسُ واتّقت بأحسنَ مَوْصولين كفٍّ ومعصمِ

من شعر جعيفران

وأما جعيفران الموسوس الشاعر ، وهو من مجانين الكوفة ، فإنه لقى رجلاً فأعطاه درهما وقال له : قُل شعراً على الجيم . فقال :

عادنى الهمّ فاعتلج كلُّ همٍّ إلى فَرَجْ

سَلِّ عنك الهُموم بالـ كاس والرّاح تنفرج

٣١٦/٣

وهو القائل :

ما جعفرٌ لأبيه ولا له بِشَبيه

أضحى لقَوْم كثير فكلُّهم يدّعيه

هذا يقول بُنَيِّى وذا يُخاصم فيه

والأم تضحك منهم لعِلْمها بأبيه

قال أبو الحسن : استأذن جُعيفرانُ على بعض الملوك فأذن له ، وحضر غَداؤُه ، فتغدّى معه ، فلما كان من الغد استأذن فحجبه ، ثم أتاه فى الثالثة فحجبه . فنادى بأعلى صوته :

عليك إذنٌ فإنّا قد تغدّينا لسنا نَعود وإن عُدْنا تعدّينا

يا أكلةً ذهبت أبقتْ حرارتُها داءً بقلبك ما صمْنا وصلّينا

من شعر أبى وائل

العُتبى قال : قال أبو وائل لأبى : إنّ فىّ حماقةً ، ولكنْ إن طلبتَ الشعر وجدتَ عندى منه علما . قال : وهل تقول منه شيئا ؟ قال : نعم ، أقول أجود من قولك ، وأنا الذى أقول :

(١) الحق أن البيتين من قصيدة للمسيب بن علس فى المفضليات (١ : ٥٨) .

(٢) فى بعض النسخ : « بعد تمتع » . وفى المفضليات : « بين تمثلى » .

لو أن جُومِل كلَّمتنى بعـدما نسيتْ نوائحِىَ البكاء وأُقْبِرُ
لحسبتُ ميّتَ أعظُمى سيُجيبها أو أنّ باليهَا الرَّميم سيُنْشَر

قال له أبى : أمّا الشعرفحَسن إلا أن اسم المرأة قبيح . قال : ألا إن أسم المرأة جُمل ، ولـكنى ملّحته بجُومِل . فقال له : إن هـذا من الحماقة التى برئ إلينا منها .

قال العتبى : قال أبى : وأنشدنى أبو وائل :

ما أوجع البين من غَريب فـكيف إن كان من حَبيبِ
يكاد من شَوقه فُؤادى إذا تذكرته يموت

فقال له أبى : إن هذا باء وهـذا تاء . قال : لاتَنقُط أنت شيئا . قلت : يا هذا ، إن البيت الأول مخفوض وهذا مرفوع . قال : أنا أقول لا تنقط وهو يشكل .

من شعر صالح ابن شهريار

ولما تُوفيت أم سليمان بن وهب الـكاتب ، أخى الحسن بن وهب ، دخل عليه رجلٌ من نَوْكى الـكتّاب يُسمى صالحَ بن شِيرزاذ ، بشعر يرثيها فيه ، فأنشده :

لأم سليمان علينـا مصيبـةٌ مُغلغلة مثـل الحسام البَواتر
وكنتِ سراج البيتِ يا أم سالم فأمسى سراج البيت وسطَ المقابر

فقال سليمان : مانزل بأحد من خلق الله ما نَزل بى ، ماتت أمى ورُثيت بمثل هذا الشعر ، ونقل أسمى من سليمان إلى سالم .

ومن قول صالح بن شِيرزاذ هذا :

لا تعـدلنّ دواء بالفُسـاء فإنْ كان الضُّراط فذاكَ الآذريطُوسُ (١)

أبو الواسع ومجنون أنشده شعرا

ودخل بعضُ شعراء المَجانين على أبى الواسع ، وحوله بنوه ، فاستأذنه فى الإنشاد فاستعفى . فلم يزل به حتى أذن له . فأنشده شعراً ، فلما أنتهى فيه إلى قوله :

(١) الآذريطوس : دواء ، ولفظه يونانى معرب ، يقال « إذريطوس » و « إدريطوس » كما فى اللسان والقاموس والمعرب للجواليقى ٢٢٢ ومعجم استينجاس ٣١ . وفى النسخ : « التاذَرْيطوس » .

وكيف تُنفَى وأنت اليوم رأسُهم وحولك الغُر من أبنائك الصِّيد[1]

قال له : ليتكَ ، تركتنا رأساً برأس[2] .

أبو نصر وشاعر مجنون

وقيل : وَفد أعرابىٌّ من شُعراء المجانين إلى نَصر بن سيّار بشعر تغزّل فيه بمائة بيت ومَدحه ببيتين ، فقال له : والله ماتركتَ قافيةً لطيفة ولامَعنى إلا شغلت به نَسيبك دون مدحك . قال : سأقول غيرَ هذا . فغدا عليه بشعر يقول فيه :

٣١٧ / ٣

هل تَعرف الدارَ لأم الغَمر دع ذا وحَبِّر مِدْحةً فى نَصر

فقال له نصر : لاذا ولا ذاك .

تأويل رجل من المجانين

وقال بعضُ العلماء : ما شبَّهتُ تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم إلا بتأويل رجل من المجانين مجانين أهل مكة فى الشعر ، فإنه قال : ماسمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أنّ قول القائل :

بيتٌ زُرارة مُحتبٍ بفِنائه ومُجاشع وأبو الفَوارس نَهْشل

فزَعموا أنّ هـذه أسماء رجال منهم . قال بعضُ أهل الأدب : قلت له : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيتُ بيتُ الله ، والزُّرارة الحجر زُرِّرت حول البيت ، ومُجاشع زَمزم تجشمت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة . قلت له : فنهشل ؟ قال : نهشل ؟ وفكر فيه ساعة ، ثم قال : قد أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

من أخبار مجانين دير هرقل

قال المُبرد محمد بن يزيد النحوى : خرجنا من بغداذ نُريد واسطا ، فملنا إلى دير هِزْقِل[3] ننظر إلى المجانين ، فإذا بالمجانين كُلهم قد رأونا ، ونظرنا إلى فتى منهم قد غسل ثَوبه ونظَّفه ، وجلس ناحية عنهم ، فقلنا : إن كان فهذا ، فوقفنا به ، فسلّمنا عليه فلم يرد السلام ، فقلنا له : ما تجد ؟ فقال :

الله يعلم أننى كَمِد لا أستطيع أُبث ما أجدُ

نَفسان لى نَفْس تضمّنها بَلد وأُخرى حازها بلد

(١) فى النسخ « وكيف تبق » صوابه فى الحيوان (٥ : ١٦٨) .

(٢) فى بعض النسخ : « ليتك تركتنا » . صوابه فى الحيوان . وفيه : « ليتك تركتهم » .

(٣) هزقل ، بكسر الهاء وسكون الزاى كما فى معجم البلدان (دير هزقل) .

وأرى المقيمة ليس يَنفعها ... صَبر وليس يفُوقها جَلَد[١]
وأظُن غائِبتى كشاهدتى ... بمكانها تَجد الذى أجد

فقلت له : أحسنتَ والله . فأومأ بيده إلى شيء ليرمينا به . وقال : أمِثْلى يقال له أحسنت . قال : فولَّينا عنه هاربين . فقال : أسألكم بالله إلّا ما رجعتم حتى أنشدكم ، فإن أحسنت قلتم لى : أحسنت ، وإن أسأت قلتم لى : أسأت . قال : فرجعنا ووقفنا ، وقلنا له : قل ، فأنشأ يقول :

لما أناخُوا قُبيل الصُّبح عِيسَهم ... ورحّلوها وسارت بالدُّمى الإبل
وقلبت من خِلال السّجف ناظرها ... ترنو إلىّ ودمع العين يَنهمل
وودّعت ببَنان عَقْده عَنَم ... ناديت : لا حملت رِجْلاك يا جمل
وَيْلى من البَيْن ما ذا حلّ بى وبها ... من نازل البين حلّ البين وارتحلوا
يا راحلَ العِيس عَرِّج كى نُوَدعهم ... يا راحلَ العِيس فى ترحالك الأجل
إنّى على العهد لم أنقُض مودّتهم ... يا ليت شِعرى لطُول العَهد ما فعلوا

قال : فقلنا له[٢] : ماتُوا . فصاح وقال : وأنا والله أموت ، وتربّع وتمدّد ، فمات . فما بَرحنا حتى دفناه .

وقال محمد بن يزيد المبرد : دخلنا دَيرهِزْقل[٣] ، فإذا بمجنون بيده حَجر ، وقد تفرّق الناس عنه وهو يقول : يا مَعشر إخوانى أسمعوا منى . ثم أنشأ يقول :

وذِى نَفَس صاعِد ... يئِنّ بلا عائد
يكُرُّ على جَحْفل ... ويَضْعُف عن واحد

من شعر مانى

وأنشد أبو العبّاس لمانى المُوسوس :

له وَجَنات فى بَياض وحُمرة ... فحافاتُها بيض وأوساطها حُمْر
رِقاق يجول الماء فيها كأنها ... زُجاج أُجيلتْ فى جَوانبها الخَمْر

(١) فى بعض النسخ : « وأرى القيامة » ، صوابه فى معجم البلدان .
(٢) فى معجم البلدان : « فقال له فتى من المجان كان معنا » .
(٣) فى الأصل : « هرقل » وانظر ما سبق من التحقيق .

٣١٨/٣ وقال محمد بن يزيد : أصابتنا سَحابة جَوْد ، ثم أقلعت سريعاً ، فمرّ بى مانى الموسوِس فقال :

لا تظُن الذى جَرى مطراً كان مُمطِرا
إنما ذاك كُلّه دَمع عينى تحدَّرا
وتوالت غيومُها من هُمومى تفكُّرا
هكذا حال مَن يرى مِن حبيب تغيُّرا

وقف مانى الموسوس على أبى دُلف ، فأنشده :

كَرّات عَيْنِكَ فى العِـدا تُغْنيك عن سَلّ السُّيوف

فقال أبو دُلف : والله ما مُدحت قط بمثل هـذا البيت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يَقبضها وقال : نقنع من هذا بنصف درهم فى هريسة .

ولمانى الموسوس :

مِن الظّباء ظِباء همّها السّحب ترعى القلوب وفى قلبى لها عشُبُ
أفدى الظِّباء اللواتى لا قرونَ لها وحَليها الدُّر والياقوت والذّهب
ياحُسن ماسرَقت عينى وما انتهبت والعينُ تَسرق أحياناً وتَنْتَهب
فتلك من حُسن عينيها وهبت لها قَلبىَ لو قبلت منّى الذى أهَب
وما أريدُهما إلاّ لرؤيتهـــا فإنْ تأبّتْ فمالى فيهما أرب
إذا يدٌ سَرقت فالحدُّ يَقْطعها والحدُّ فى سَرَقِ العينين لا يَجب

أبو الجهم ومبرسم

ومَرّ علىّ بن الجهم بمُبرسم ، قد اجتمع الناسُ عليـه ، وتحلّقوا حوله ، فلما رآه المُبرسم قصد نحوه ، وأخذ بعنانه ، ثم أنشأ يقول :

لا تحفلن بمَعشر الـــهَمَج الذين أراهمُ
فوحقِّ مَن أبلَى بهم نفسى ومَن عافاهم
لو قِيس مَوتاهمْ بهم كانوا همُ موتاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاماً جميل الهيئة حَسن الوجه ، فشقّ ثيابه وقال :

هـذا السعيدُ لديهمُ … قد صار بى أشقاهم

من شعر أبى لخمة

قال أبو البَخْترى الشاعر : كان يبلغنى أن ببغداد مجنوناً يكنى أبا لخمة ، له بديهة حسنة ، فتعرضت له ، فأتيح لى لقاؤه فى بعض سِكك بغداذ ، فقلت له : كيف أصبحت أبا لخمة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ منك على شفا جُرفٍ … متعرضاً لموارد التَّلف
وأراك نحوى غير مُلتفت … متحَرِّفا عن غير مُنحرف
يا من أطال بهَجره كَلَفى … أَسفى عليك أشدُّ من كلفى

قال أبو البخْترى : فأخرجت له قبضةَ نرجس كانت فى كمى ، فحييته بها ، فجعل يَشمُّها مليًّا ، ثم أنشأ يقول :

لما تزوّجت الجَنوب بهاطل … جَون هَتون زبرج[1] دَلّاحِ
أضحى يلقّحها بوَسمى الصَّبا … فاستثقلت حملا بغير نِكاح
حتى إذا حان المَخاض تفجّرت … فأتت بولدانٍ بلا أرواح
حاكَ الربيعُ لها ثياباً وشّيت … بيد النَّدى وأنامل الأرواح
من أصفر فى أزهر قد زانه … تِبر على ورق من الأوضاح
رُكبن فى عمد الزبرجد فاغتدى … نحو الغزالة ناظراً بمِلاح

من شعر مانى

قال الحسن بن هانئ : لقيت مانى الموسوس ، فأنشدنى : ٣١٩/٣

شِعر حَىّ أتاك من لفظ مَيْت … صار بين الحياة والموت وَقْفاَ
قد بَرت جسمَه الحوادثُ حتى … كاد عن أعين البريّة يَخفى
لو تأمّلتنى لِتُبْصر شَخصى … لم تبيّن من المحاسن حرفا

من شعر جعيفران

ثم مضيت ، فأتيت جعيفران الموسوس ، وهو شيخ من بنى هاشم أرتّ اللسان ، وعليه قَيد من فضة ، وفى عُنقه غُل من ذهب ، فقال لى : من أين دَبَبْتَ يا حسن ؟ قلت : من بيت مانويه . فقال : فى حِرِ أمِّ مانويه ! فدعا بدواة وقِرطاس ، وقال لى اكتب :

(١) الزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة .

ما غرّد الدّيك ليلاً فى دُجنّته … إلا حثثتُ إليك السيرَ مجهودا
ولا هَدت كُلّ عين لذّ راقدها … بنَومة فى لذيذ العَيش مَمهودا
إلا أمتطيتُ الدّجى شوقاً إليك ولو … أصبحتُ فى حَلق الأقياد مَصْفودا
أسعى مُخاطرةً بالنّفس يا أملى … والليلُ مدّرع أثوابه السودا
فلم ترقّ ولم ترثِ لمُكتئب … زوّدته حرقات القلب تزْويدا
هيهات لاغَدرَ فى جنّ ولا بَشر … إلاّ يُخالُ مُعدًّا فيك موجودا

من شعر عدرد

ثم قال : خرِّق رقعة مانويه . فخرقتها ثم مضيت ، فلقيت عدرد المصاب ، وحوله الصبيان ، وهوَ يلطم وجهه ويبكى ، وينادى : أيها الناس ، الفراق مُر المذاق . فقلت له : أبا محمد ، من أين أقبلت ؟ قال : شيّعت الحاجّ . قلت : وما الذى حملك على تشييعهم ؟ فقال : لى فيهم سَكَن[1] . قلت : فهل قلت فيهم شيئا ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

همُ رحلوا يوم الخميس غُدَيّةً … فودعتهم لما استقلّوا وودّعوا
فلما تولّوا ولّت النفسُ مَعْهمُ … فقلت أرجعى قالت إلى أين أرجع
إلى جسد ما فيه لحَم ولا دَم … وما هو إلا أعظمٌ تتقعقع
وعَينان قد أعماهما الحزن والبُكا … وأذن عَصت عُذّالها ليس تَسمع

شعر لرجل من أهل الأدب ذهب عقله

أبو بكر الورّاق قال : حدّثنى صديق لى ، قال : رأيت رجلاً من أهل الأدب قد ذهب عقله بالمحبة ، وخلفه دابة له تدور معه ، فاستوقفتُه وقلت له : يا فلان ، ما حالك وأين النّعمة ؟ قال : تغيّر قلبى فتغيّرت النعمة . قلت : بِمَ تغيّر ؟ قال : بالحب ، ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى التحمّل شيئاً لستُ أُحسنه … وكيف أُخفى الهوى والدمعُ يُعلنه
أم كيف صَبر مُحب قلبه دَنِف … الهجرُ يُنْحِله والشوقُ يُحزِنه ؟
وإنه حين لا وصلٌ يُساعفه … يهوى السلوّ ولكن ليس يُمكنه

(١) السكن ، بالفتح : أهل الدار .

وكيف يَنسى الهوى من أنت همّته ... وفترة اللحظ من عَينيك تَفتنه

فقلت : أحسنت والله . فقال : قِف قليلا ، فوالله لأطرحن فى أُذنيك أثقل من الرصاص ، وأخفّ على الفؤاد من ريش الحواصل ، وأنشد :

للحبّ نارٌ على قلبى مضرَّمة ... لم تبلغ النارُ منها عُشرَ معشار
الماء يَنبع منها من مَحاجرها ... يا للرجال لماء فاض من نار

ثم وقف وأنشد :

أعاد الصدود فأحيا الغَليلاَ ... وأبدى الجفاء فصبراً جميلاَ ٣٢٠/٣
وردّ الكتابَ ولم يَقْرَه ... لئلاّ أردّ إليه الرسولا
وأحسب نفسى على ماترى ... ستلقى من الهم هجراً طويلا
وأحسب قلبى على ما أرى ... سيذهب منّى قليلا قليلا

ثم ترك يدى ومضى .

المأمون وابن مسعدة وفقيه

وحكى أبوالعبّاس المُبرد قال : دخل عمرو بن مَسعدة على المأمون ، و بين يديه جام زُجاج فيه سكّر طبرزذ ومِلح جريش . قال : فسلّمت . فردّ ، وعرض علىّ الأكل . فقلت : ما أريد شيئا ، هنّأك الله ياأمير المؤمنين ، فلقد باكرت بالغَداء ، فإنى بتُّ جائعا . ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

أعرِض طعامك وابذله لمن دَخلا ... واُحلف عَلَى مَن أبى واشكُر لمن أكلا
فلا تكن سابرىّ العَرض مُحتشما ... من القليل فلستُ الدهرَ محتفلا(١)

ودعا برطل ، ودخل رجل من أجلّة الفقهاء ، فمدّ يده إليه ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما شربتها ناشئا فلا تَسقنيها شيخا . فردّ يده إلى عَمرو بن مسعدة ، فأخذها منه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، الله الله ، إنى عاهدت الله فى الكعبة ألاّ أشربها أبدا . ففكّر طويلا ، والكأس فى يد عمرو بن مسعدة ، حتى لقد ظن أنه سيأمر فيها . ثم قال :

---

(١) السابرى : الرقيق من الثياب الذى ليس بمحقق .

رُدا علىّ الكأس إنكما لا تعلمان الكأس ما تجدى
لو ذُقتما ما ذقتُ ما امتزجت إلا بدمعكما من الوجد
خوّفتمانى اللهَ ربَّكما وكخِيفَتيه رجاؤُه عندى
إن كنتما لا تشربان معى خوفَ العقاب شربتُها وحدى

ابن أوس ومانى فى غلام

محمد بن يزيد الأسدى قال : حدثنى حَبيب بن أوس قال : كنت فى غُرفة لى على شاطئ دجلة فى وقت السَّحَر أيام الخريف ، فإذا بغلام كنت أعرفه بجمال ، قد تجرّد من ثيابه وألقى نفسه فى الدجلة يَسبح فيها ، وقد احمر جلده من برد الماء ، وإذا مانى الموسوس يرمُقه ببصره ، فلما خرج من الماء قال :

خمّش الماء جلده الرطبَ حتى خِلْتُه لابساً غِلالة خمر

قلت له : لعنك الله يا مانى ، أبعد الجهاد والغزو تخْمش غلاما قد بات مؤاجَرا فى الحمّامات ؟ فقال لى : ليس مثلك يخاطب يا أحمق ، وإنما يخاطب هذا ، وأشار إلى السماء ، وقال :

يكفيك تقليبُ القلوب وإننى لفى تَرح مما ألاقى فما ذَنبى
خلقت وُجوها كالمصابيح فتنةً وقلت اهجروها عَزّ ذلك من خَطب
فإما أبحتَ الصب ماقد خلقته وإما زجرت القلبَ عن لوعة الحب

أخذ هذا المعنى يزيدُ بن عثمان فقال :

أيارِبّ تخلُق ما تخلُق وتنهى عبادَك أن يعشقُوا
إذا هكذا صغت حُسن الوجوه فأىُّ البريّة لا يفسُق
خلقتَ الملاحَ لنا فتنةً وقلت اعبدوا رَبّكم واتّقُوا

لأبى بكر الموسوس فى نصرانى

وقال أبو بكر الموسوس فى نصرانىّ :

أبصرت شخصَك فى نومى تُعانقنى كما تُعانق لامُ الكاتب الألفا
يا من إذا درس الإنجيل ظلّ له قلبُ الحنيف عن القرآن منصرفا

وله فيه :

زُنّاره فى خَصره معقـودُ   كأنه من كَبدى مَقْدود

أخبـار البخلاء

من بخل أهل مرو وشىء لثمامة فى ذلك

أجمع الناس على بخل أهل مرو ثم أهل خراسان .

قال ثُمامة[1] بن أشرس: ما رأيتُ الديك قطّ فى بلدة إلا وهو يدعو الدُّجاج ، ويثير الحبّ إليها ، ويلطف بها ، إلا فى مرو ، فإنى رأيته يأكل وحده ، فعلمتُ أن لؤمهم فى المآكل . ورأيت فى مرو طفلاً صغيرا فى يده بيضة ، فقلت له : أَعطنى هذه البيضة . فقال : ليس تَسع يدك . فعلمت أن اللؤم والمنع فيهم بالطبع المركّب ، والجبِلة المفطورة .

مروزى اشتكى سعالا

واشتكى رجل مروزىٌّ ضررًا من سعال[2] ، فدلّوه على سويق اللوز ، فاستثقل النفقة ، ورأى الصبر على الوجع أخف عليه ، فلم يزل يماطل الأيام ويدافع الألم حتى أتيح له بعضُ الموفقين ، فدلّه على ماء النخالة ، وقال له : إنه يجلو الصدر . فأمر بالنخالة ، فطبخت له وشرب ماءها ، فجلا صدره ووجده بعضهم ، فلما حضر غـداؤه أمر به فرُفع إلى العشاء ، وقال لأم عياله : اطبخى لأهل بيتنا النخالة ، فإنى وجدت ماءها يعصم ويجلى الصَّدر[3] . فقالت له زوجته : قد جمع الله فى هذا الدواء دواء وغذاء .

لابن صبيح فى أهل مرو

وقال خاقان بن صُبيح : دخلتُ على رجل ليلاً من أهل خراسان ، فإذا هو قد أتى بمسرجة فيها فَتيل دقيق ، وقد أَلقى فى دهن المسرجة شيئا من ملح ، وقد علّق فيها عُودا بخيط مَعقود إلى المسرجة ، فإذا عَشِىَ المِصباح أخرج به رأس الفتيل ، فقلت : ما بال هذا العود مربوطا ؟ فقال : هذا عود قد شرب الدهن ،

---

(١) الخبر فى البخلاء للجاحظ ١٥ . (٢) الخبر فى البخلاء ٢٦ — ٢٧ .
(٣) فى البخلاء : « فإن ماءها جلاء للصدر ، وقوتها غذاء وعصمة » .

فإذا لم نحفظه وضاع احتجنا إلى غيره فلا نجده إلا عَطشان ، فإذا كان هذا دأبَنا ضاع من دهننا فى الشهر بقدر كفايتنا ليلة . قال : فبينا أنا أتعجب واسأل الله العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ، ونظر إلى العود ، فقال : أبا فلان ، فررتَ من شىء ووقعت فيما هو شرٌّ منه ، أما علمت أنّ الشمس والريح تأخذان من سائر الأشياء ، أو ليس كان البارحة هذا العود عند إطفاء السراج أروى ، وهو عند إسراجك الليلة أعطش ؟ قد كنت أنا جاهلا مثلَك زمانا ، حتى وفقنى الله إلى ما هو أرشد ، اربط عافاك الله مكان العود إبرة كبيرة ، أو مسلّة صغيرة ، فإن الحديد أبقى ، وهو مع ذلك غير نشّاف ، والعود والقصبة ربما تعلقت بهما الشعرة من قطن الفتيلة فتشخص لها ، وربما كان ذلك سببا لإطفائها . قال الخراسانى : ألا وإنك لا تعلمُ أنك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين .

لأبى محمد الحزامى عنهم

قال الأصمعى : قال لى أبو محمد الحِزامى ، واسمه عبد الله بن كاسب ، ونحن فى العسكر ، إنّ الشَّيبَ سَهِك[1] ، وبياضَ الشعر الأسود هو موته كما أن سواده حياته ، ألا ترى أن موضع دبرة الحمار الأسود لا ينُبتُ فيها إلا شعر أبيض ؟ والناس لا يرضون منّا فى هذا العسكر إلا بالعناق والمُشَامَّة ، والطِّيب غال ممتنع الجانب ، فلست أرى شيئا هو أحسن بنا من اتخاذ مُشط صندل ، فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول ، وأقل ما يصنع أن ينفى سَهَك الشيب حتى تكون حالُه لا لنا ولا علينا .

لابن أشرس فيهم

وكان ثمامة بن أشرس يقول : إياكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، واعلموا أن أعدى عدوّ له المَملوح ، فلولا أن الله أعان عليه بالماء لأهلك الحرث والنسل .

وكان يقول : كلوا الباقلاء بقشرها ، فإن الباقلاء ، تقول : من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ، ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلته .

من بخل هشام بن عبد الملك

٣٢٢/٣ ومن البخلاء هشام بن عبد الملك . قال خالد بن صفوان : دخلت على

(٢) فى البخلاء ٤٩ : « إن للشيب سهكة » .

هشام . فأطرفته وحدثته . فقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تزيد فى عطائى عشرة دنانير . فأطرق حينا ، وقال : فيم ؟ ولم ؟ وبم ؟ ألعبادة أحدثتها ؟ أم لبلاء حسن أبليته فى أمير المؤمنين ؟ ألا لا يابن صفوان ، ولو كان لكثر السؤال ، ولم يحتمله بيت المال . فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسدّدك . فأنت والله كما قال أخو خزاعة[1] :

إذا المال لم يُوجب عليك عطاءه صنيعةُ قُربى أو صديقٌ تُوافقه
منعتَ و بعضُ المنع حَزم وقوةٌ ولم يفتلتْكَ المالَ إلا حقائقه

قيل لخالد بن صفوان : ما حملك على تَزْيين البخل له ؟ قال : أحببت أن يمنع غيرى فيكثر مَن يلومه .

وخرج هشام بن عبد الملك متنزّها ، ومعه الأبرش الكلبى ، فمرّ براهب فى دير ، فعدل إليه ، فأدخله الراهب بستاناً له ، وجعل يجتنى له أطيب الفاكهة . فقال له هشام : يا راهب ، يعنى بستانك . فسكت عنه الراهب . ثم أعاد عليه ، فسكت عنه . فقال له : مالك لا تُجيبنى ؟ فقال : وودت أن الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : لماذا ويحك ؟ قال : لعلك أن تشبع . فالتفت هشام إلى الأبرش ، فقال : ماسمعتَ ما قال هذا ؟ قال : والله إن لقيك حُرّ غيره .

من بخل ابن الزبير

ومن البخلاء : عبد الله بن الزبير ، وكانت تكفيه أكلة لأيام ، ويقول : إنما بطنى شبر فى شبر ، فما عسى أن يكفيه .

وقال فيه أبو وجْرَة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبراً قد شبعتَ وقد أبقيت خبزًا كثيرا للمساكين
فإن تُصبك من الأيام جائحــةٌ لم نَبك منك على دنيا ولا دين
مازلْت فى سُورة الأعراف تدرسها حتى فؤادُك مثلُ الخزّ فى اللين

---

(١) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، صاحب عزة . انظر الحيوان (٣ : ٤٦٥) وزهر الآداب (٣ : ٢٤٧) .

إنّ أمرأً كنت مولاه فضيّعنى ... يرجو الفلاح لَعِندى حَق مغبون

وابن الزبير هو الذى قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . فقال فيه الشاعر :

رأيت أبا بكر وربُّك غالب ... على أمره ، يبغى الخلافَة بالتّمر(١)

وأقبل إليه أعرابى فقال : أعطنى وأقاتل عنك أهل الشام . فقال له : اذهب فقاتل ، فإن أغنيت أعطيناك . قال : أراك تجعل روحى نقداً ودراهمك نسيئة .

وأتاه أعرابى يسأله حَمْلا ، ويذكر أن ناقته نَقِبت . فقال : انعلْها من النعال السِّبتية ، واخصفها بِهُلْب . قال له الأعرابى : إنما أتيتك مستوصلا ولم آتِكَ مستوصفا ، فلا حملت ناقةٌ حملتنى إليك . قال : إنّ وصاحبها(٢) .

من بخل بن الجهم

ومن رؤساء أهل البخل : محمد بن الجهم ، وهو الذى قال : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى ، واستهلوا بشتمى حتى يُنشر ذلك عنهم فى الآفاق ، حتى لا يمتد إلىّ أمل آمل ، ولا ينبسط نحوى رجاء راج .

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟ قال : علامة ذلك أن أقول : يا غلام ، هات الغداء .

وذكر ثمامة بن أشرس محمد بن الجهم فقال : لم يُطمع أحدًا قط فى ماله إلا ليشغْله عن الطمع فى غيره ، ولا شفع فى صديق ولا تكلم فى حاجة محترم إلا ليلقن المسئول حجة المنع ، ويفتح على السائل باب الحرمان .

من بخل ابن أبى حفصة

٣٢٣/٣ ومن البخلاء اللئام مروان بن أبى حفصة الشاعر . قال أبو عبيدة عن

(١) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣١) .
(٢) انظر الإصابة ٨٤٤٥ والخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤ — ١٦٥) حيث تختلف هذة المصادر فى نسبة هذا القول .

جهم[1] قال : أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبى حفصة ، فقدم إلى تمرا ، وأرسل غلامه بفلس وسكُرّجة يشترى زيتا . فأتى الغلام بالزيت . فقال له : خنتنى وسرقتنى . قال : وفيم كنت أخونك وأسرقك فى فلس ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت .

ومن البخلاء : زبيدة بن حُميد الصيرفى . استلف من بقّال على بابه درهمين وقيراطا ، فمطله بهما ستة أشهر ، ثم قضاه درهمين وثلاث حبّات . فاغتاظ البقال وقال : سبحان الله ! أنت صاحب مائة ألف دينار ، وأنا بقال لا أملك مائة فلس ، وإنما أعيش بكدى ، واستقضى الحبة على بابك والحبتين[2] ، صاح على بابك حَمّال ، ولا يحضر تلك الساعة وكيلُك ، فأعنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات ، فقضيتَنى بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات . فقال زبيدة : يا مجنون ، أسلفتنى فى الصيف وقضيتك فى الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربعة صيفية ، لأن هذه ندية وتلك يابسة ، وما أشك أن معك بعد هذا كله فضلا .

للأصمعى فى بخيل

قال الأصمعى : كنت عند رجل من الأم الناس وأبخلهم ، وكان عنده لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف ، فقال : لا أموت أو أشرب من لبنه . فأقبل مع صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن ، تغاشَى وتماوت ، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع ، فخرج إليه صاحب اللبن ، فقال : ما باله يا سيدى ؟ قال : هذا سيد بنى تميم ، أتاه أمر الله هاهنا ، وكان قال لى : اسقنى لبنا . قال صاحب اللبن : هذا هيِّن موجود ، ائتنى يا غلام بعلبة من لبن . فأتاه بها . فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه ، حتى أتى عليها ، ثم تجشأ . فقال صاحبه لصاحب اللبن : أترى هذه الجُشَأة راحة الموت ؟ قال : أماتك الله وإياه وفطن بأنه خدعة .

مثل فى البخل

ومن أمثال العرب فى البخل قولهم : ما هو إلا أُبنة عصا أو عُقدة رشا . لأنّ عقدة الرشا المبلول لا تكاد تنحلّ .

(١) السند فى الأغانى (٩ : ٣٨) : « أبو غسان عن أبى عبيدة عن جهم بن خلف » .
(٢) فى البخلاء ٢٩ : « باستقضاء الحبة والحبتين » .

لمدنية فى بعض المعانى

قيل لبختى المدنية : ما الجرح الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده . قيل لها : فما الذل ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يؤذن له . قيل لها : فما الشرف ؟ قالت : اتخاذ المِنَن فى رقاب الرجال .

للعرب فى الخيبة

والعرب تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائباً : « جاء فلان على غُبيراء الظهر » . و« جاء على حاجبه صوفة » . و« جاء بخُفَّى حُنَين » .

للسندى فى ابن هبيرة

وقال أبو عَطاء السِّندى ، فى يزيد بن عمر بن هبيرة :

ثلاثٌ حُكتهنَّ لقومٍ قيسٍ طلبتُ بها الأُخوة والثَّناء
رجعن على حواجبهن صُوفٌ وعند الله نحتسب الجزاء

طعام البخلاء

المروزى وزواره

قال الأصمعى : كان يقول المروزىّ لزوّاره إذا أتوه : هل تغدّيتم اليوم ؟ فإن قالوا : نعم ، قال : والله لولا أنكم تغدّيتم لأطعمتكم لوناً ما أكلتم مثله ، ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم . وإن قالوا : لا ، قال : والله لولا أنكم لم تتغدّوا لسقيتكم أقداحاً من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله ، فلا يصير فى أيديهم منه شىء .

من بخل ثمامة

وكان ثُمامة بن أشرس إذا دخل عليه أصحابه وقد تعشّوا عنده قال لهم : كيف كان مَبيتكم ومنامكم ؟ فإن قال أحدهم إنه نام ليلته فى هدوء وسكون ، قال : النفس إذا أخذت قُوتها اطمأنت . وإذا قال أحدهم إنه لم ينم ليلته قال : إنه من إفراط الكِظَّة والإسراف من البِطنة . ثم يقول : كيف كان شربكم الماء ؟ فإن قال أحدهم : كثيراً قال : التراب الكثير لا يبلّه إلا الماء الكثير . وإن قالوا قليلا . قال : ما تركت للماء مدخلا .

وكان إذا أطعم أصحابه استلقى على قفاه ، ثم يتلو قوله تعالى : (إنما نُطعمكم لوَجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شُكورا) . ودخل عليه رجل ، وبين يديه

٣٢٤
٣

طبق فراريج ، فغطّى الطبق بِذَيله ، وأدخل رأسه فى جَيبه ، وقال للرجل الداخل : أُدخُل فى البيت الآخر حتى أفرُغ من بخورى .

من بخل أبى جعفر الهاشمى

وشُوى لأبى جعفر الهاشمى[1] دُجاج ، ففقَد نخذا من دُجاجة ، فأمر فنُودى فى منزله : من هذا الذى تَعاطى فعقر ؟ والله لا أخبز فى التنّور شهراً أو تُرد . فقال ابنه الأكبر : يا أبت ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

من بخل سهل ابن هارون

وقال دِعبل الشاعر : كنّا يوماً عند سهل بن هارون ، فأطلنا الحديث ، حتى أضرّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فإذا بصَفحة عُدمُليّة[2] فيها مَرَق لحم ديك قد هَرِم ، لا تحزّ فيه السكّين ، ولا يؤثّر فيه الضرس ، فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع ما فى الصَّفحة ، ففقد الرأس ، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به . قال : لمَ ؟ قال : لم أظنّك تأكله ولا تسأل عنه . قال : ولأى شىء ظننت ذاك ؟ فوالله إنى لأبغض مَن يرمى برجله فضلا عن رأسه ، والرأس رئيس الأعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يَصيح الديك ، وفيه العين التى يضرب بها المثل فى الصفاء ، فيقال : شرابٌ مثل عين الديك . ودماغه عجيب لوجع الكُلية ، ولم يُر قط عظم أهشّ من عظم رأسه ، فإن كان بلغ من جهلك ألّا تأكله فعندنا من يأكله ، انظر أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أين رميتُه . قال : لكنى والله أدرى أنك رميت به فى بطنك .

من بخل زياد بن عبيد الله

وأهدى رجلٌ من قريش لزياد بن عبيد الله ، وهو على المدينة ، طعاماً ، فثقل عليه ذلك . فقال : اجمعوا المساكين وأطعموهم إياه ، فجمعوا ، وكُشف عن الطعام ، فإذا طعام له بالٌ ، فندم على الإرسال للمساكين ، وقال للغلام : انطلق إلى هؤلاء المساكين ، وقل لهم : إنكم تجتمعون فى المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس ، لا أعلم أنه اجتمع فيه منكم اثنان .

---

(١) انظر عيون الأخبار (٣ : ٢٤٧) .
(٢) العدملى : القديم .

من بخل عبد الله ابن يحيى

وقال : دخلت على يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية ، وقوم يأكلون عنده ، فمدّ يده إلى رغيف من الخوان فرفعه ، وجعل يرطُله[1] بيده ويقول : يزعمون أن خُبزى صغير ، فمن هذا الزانى ابن الزانية الذى يأكل نصف رغيف منه ؟ قال : ودخلت عليه يوماً والمائدة موضوعة ، والقوم يأكلون ، وقد رفع بعضُهم يدَه ، فمددتُ يدى لآكل ، فقال أجهز على الجرحى ، ولا تتعرض للأصحاء . يقول : تعرّض للدجاجة التى قد نيل منها ، والفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تتعرّض له . فهذا معناه فى الجرحى .

ليحيى بن خالد فى بخيل

وسأل يحيى بن خالد[2] أبا الحارث جُمَّين عن طعام رجل ، فقال : أما مائدته فمُقَبّبة ، وأما صحافه فمخروطة من حَب الخردل ، وبين الرغيف والرغيف فترة نبى . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فمن يأكل معه ؟ قال : الذباب . قال له يحيى : وأرى ثوبك مخرّقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت فى صُحبته ؟ قال : جُعلت فداك ، والله لوملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً وفى كل إبرة منه خيط ، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها يخيط بها قَميص يوسف ابنه الذى قُدّ من دُبر ، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل .

أخذ هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال : يهجو ابن الأغلب :

لو أن قصرك يا ابن أغلب كُلّه إبَرٌ يضيق بهنّ رحب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرةً ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

لحصين فى بخيل

وقيل لحصين : أتغديت عند فلان ؟ قال : لا ، ولكنّى مررتُ به يتغدى . قيل : فكيف علمتَ أنه يتغدى ؟ قال رأيت غلمانَه ببابه فى أيديهم قسىّ البندق يرمون الذباب به فى الهواء .

٣٢٥/٣ وقال أبو الحارث جُمَّين[3] : دخلتُ على فلان ، فوضع بين أيدينا مائدةً كنّا أشوق إلى الطعام إذا رُفعت منّا إليه إذا وُضعت .

(١) رطل الشىء : رازه ليعلم وزنه .
(٢) فى بعض الأصول : « حصين » .
(٣) فى عيون الأخبار (٣ : ٢٦٩) : « أبو الحارث جميز » .

أعرابي على مائدة هشام

وحضر أعرابيّ سفرة هشام بن عبد الملك ، فبينا هو يأكل إذ تعلّقت شعرة فى لُقمة الأعرابيّ ، فقال له هشام : عندك شَعرة فى لُقمتك يا أعرابى . قال : و إنك لتُلاحظنى ملاحظةَ مَن يرى الشعرة فى لُقمتى ! والله لا أكلتُ عندك أبدا . وخرج وهو يقول :

والموتُ خيرٌ من زِيارة باخل ... يُلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمْدِ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

ولو عليك اتكالى فى الغَداء إذًا ... لكنتُ أولَ مقتول من الُجوع

يقول عند دُعاء الضَّيف مُبتدئا ... صوتٌ ضَعيف وداعٍ غيرُ مَسموع

من بخل المغيرة الثقفى

قال المدائنى : كان المُغيرة بن أبى عبد الله الثَّقفى ، وهو والى الكُوفة ، جَدْى يوضع على مائدته بعد الطعام ، لا يَمسّه هو ولا أحد ممن يحضُر . فحضر مائدتَه أعرابى ، فبَسط يدَه وأسرع فى الأكل . فقال : يا أعرابى ، إنك لتأكل الجدى بحَرَدٍ(١) كأنّ أمه نطحتك . فقال له الأعرابى : أصلحك الله ، وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك . ثم بَسط الأعرابيّ يده إلى بَيضة بين يديه ، فقال : خُذها فإنها بَيضة العُقر . فلم يحضُر طعامَه بعد ذلك .

أشعب ووالى المدينة

ودخل أشعب على والى المدينة ، فحضَر طعامه ، وكان له جدى على مائدته يتحاماه كُل من حضر ، فبدر إليه أشعب فمزّقه ، فقال له : يا أشعب ، إن أهل السِّجن ليس لهم إمام يصلِّى بهم فإن رأيت أن تكون لهم إماما تصلّى بهم ، فإن فى ذلك أجراً . فقال : والله ما أحب هذا الأجر ولكن زَوجتى طالق إن أكلت لَحمَ جدى عندك حتى ألقى الله .

من بخل الكندى

قال عمرو بن مَيمون : تغدَّيت يوماً عند الكِندى ، فدخل عليه رجل كان جارا وصديقا لى ، فلم يَعرِض عليه الطعام ، ونحن نأكل ، فاستحييت أنا منه فقلت : سبحان الله ، لو دنوتَ فأصبت معنا . قال : قد والله فعلت . قال الكِندى : ما بعد الله شىء . قال : فكُتِف والله كِتافاً لو بَسط يده إلى أكل بعده لكان كافراً .

(١) الحرد : الغضب .

لعمرو بن ميمون فى بخيلين

قال : ومررتُ ببعض طُرق الكوفة ، فإذا أنا برجل يُخاصم جاراً له . فقلت : ما بالكما ؟ فقال أحدها : إنّ صديقا لى زارنى واشتهى علىّ رأسا ، فاشتريته له وتغدّينا ، فأخذتُ عِظامه ، فوضعتها عند باب دارى أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا وأَخذها ، ووضعها على باب داره ، يُوهم الناس أنه هو الذى أكل الرأس.

بين بخيل وابنه

قال رجل من البُخلاء لولده[1] : اشتروا لى لحماً فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرّأ ، فأكل منه حتى أتهت نفسه ، وشرعتْ إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مُطعمه أحداً منكم إلاّ من أحسن صِفة أكله . فقال الأكبر : أتعرّقه يا أبت حتى لا أدع للذّرّة فيه مَقيلا ؟ قال : لست بصاحبه . فقال الأوسط : أتعرقه يا أبت حتى لا يُدْرى ألعامِه هو أم لعام أول ؟ قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أتعرقه يا أبت ثم أدقه دقّا ، وأسفه سفا ؟ قال : أنت صاحبه ، وهو لك دونهم .

الجاحظ فى عبد الرحمن الثورى

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان أبو عبد الرحمن الثورى يعجبه الرءوس ويصفها ، ويسميها العرس ، لما فيها من الألوان الطيّبة ، وربما سمّاه الكامل ، والجامع ، ويقول : الرأس شىء واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مُختلفة ، والرأس فيه الدماغ ، وطعمُه مفرد ، وفيه العينان ، وطعمهما مُفرد ، والشحمة التى بين أصل الأذن ومؤخّر العين ، وطَعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ

٣٢٦/٣ وأرطب من الزّبد ، وأدسم من السّلاء . وفى الرس اللّسان ، وطَعمه مفرد ، والخيشوم ، والغُضروف ، ولحم الخدّين ، وكل شىء من هذه طعمه مُفرد . والرأس سيّد البدن ، والدماغ هوَ معدن العقل ، وخاصة الحواس ، وبه قوام البدن ، وفيه يقول الشاعر[2] :

إذا نزعوا رأسى وفى الرأس أكثرى وغُودر عند الملتقى ثَم سائرى

لأعرابى سئل عن أكل الرأس

وقيل لأعرابى : أتحسن أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم أبخَص عينيه ، وأفكّ لَحييه ، وأسحَى خديه ، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحقّ به منى .

(١) انظر البخلاء ١٨٧ .

(٢) البيت للشنفرى الأزدى من مقطوعة فى حماسة أبى تمام .

وكانوا يكرهون أكل الدماغ ، ولذا يقول قائلهم :

* ولا أبتغى المُخ الذى فى الجماجم[1] *

نصيحة أبى عبدالرحمن لابنه

وكان أبو عبدالرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له : إياك ونَهم الصبيان ، وبغر السِّباع[2] ، وأخلاق النّوابح ، ونَهش الأعراب ، وكل ما بين يديك ، فإنما حظّك منه ما قابلك . واعلم أنه إذا كان فى الطعام شىء طريف ، من لُقمة كريمة أو مضغة شهية ، فإنما ذلك للشيخ المعظّم ، والصبى المدلّل ، ولست بواحد منهما . وقد قالوا مُدمِنُ اللحم كمُدمن الخمر . أى بنى ، لا تخضم خَضْم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان النِّعاج ، ولا تَلقم لقم الجمال ، ولا تنهش نهش السباع ، وعوّد نفسك الأثرة ، ومُجاهدة الهوى والشهوة ، فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر صَرْعة الكظة وسرف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنتَ نهماً فعُدَّ نفسك من الزَّمنى . واعلم أن الشبع داعية البَشَم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت ، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألأم من غيره . أى بنى ، والله ما أدَّى حق الرّكوع والسجود ذو كظة ، ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مَصَحّة ، والوجَبات عيش الصالحين . أى بنى ، لأمرٍ ما طالت أعمار الرّهبان ، وصحت أبدان الأعراب ، ولله در الحارث ابن كَلَدة حيث زعم أن الدواء هو الأزْم[3] ، وأن الداء كله هو من فضول الطعام ، فكيف لا يُرغب فى شىء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ؟ أى بنى ، ما صار الضبُّ أطول شىء عمراً إلا أنه يتبلَّغ بالنَّسيم ، وما زعم الرسول أن الصوم وِجاء إلا أنه جعله حِجازاً دون الشهوات ، فافهم تأديب الله ، وتأديبَ الرسول . أى بنى ، قد بلغت تسعين عاما ما نقص لى سن ، ولا انتشر لى عَصب ، ولا عرفت وكف أنف ، ولا سيَلان

(١) عجز بيت للنجاشى . والبيت كاملا كما فى البيان (٣ : ٥٧) :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

(٢) بغر ، كفرح ومنع : شرب فلم يرو فأخذه داء من الشرب .

(٣) الأزم : ترك الأكل وألا تدخل طعاما على طعام .

عين ، ولا سَلَس بول ، وما لذلك علّة إلا التخفّف من الزاد . فإن كنت تُحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تُحب الموت ، فلا أبعد الله غيرك .

من بخل أبى الأسود

ومن البخلاء أبو الأسود الدُّؤلى ، وقفت عليه امرأة وهو فى فُسطاط ، وبين يديه طبق تمر ، فقالت : السلام عليك . قال أبو الأسود : كلمة مَقبولة .

ووقف عليه أعرابى ، وهو يأكل ، فقال الأعرابى : أدخل ؟ قال : وراءك أوسعُ لك . قال : الرّمضاء أحرقت رجلى . قال : بُلْ عليهما يَبردان . قال : أتأذن لى أن آكل معك ؟ قال : سيأتيك ما قُدر لك . قال : تالله ما رأيت رجلا ألأم منك . قال : بلى قد رأيت إلّا أنك نسيت . ثم أقبل أبو الأسود يأكل حتى إذا لَم يبق فى الطبق إلا تُميرات يسيرة نَبَذها له ، فوقعت تمرة منها فأخذها الأعرابى ومَسحها بكسائه . فقال أبو الأسود : يا هذا إن الذى تمسحها به أقذر من الذى تمسحها منه . قال : كرهت أن أدعها للشيطان . قال : لا والله ولا لجبريل وميكائيل ما كنتَ لتدعها .

الأصمعى قال : قال مَرّ رجل بأبى الأسود الدؤلى ، وهو يقول : من يُعشّى الجائع ؟ فقال أبو الأسود : علىّ به ، فأتاه بعشاء كثير . وقال : كُل حتى تشبع ، فلما أكل ذهب ليخرج ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أهلى . قال : لا أدعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك ، اطرحوه فى الأدهم ، فبات عنده مكبولا ، حتى أصبح . ٣٢٧/٣

ابن أبى حفصة وضيف

قال الهيثم بن عدىّ : نزل بابن أبى حفصة ضيفٌ باليمامة ، فأخلى له المنزل ، ثم هرب عنه مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة ، فخرج الضيف ، فاشترى ما يحتاجه ، ثم رجع وكتب إليه :

يأيها الخارج من بَيته ... وهاربا من شدّة الخوف
ضيفك قد جاء بزادٍ له ... فارجع تكن ضيفاً على الضّيف

وقال آخر :

بتُّ ضيفاً لهشامٍ ... فى شَرابى وطعامى
وسِراجى الكوكب الدُّرّى فى داجى الظلام

لا حراماً أجــد الخـــبز ولا غير الحــرام

وله :

بتّ ضيفاً لهشـــام فشكا الجوع عدمتُه
و بكى لا صنع اللـــه له حتى رحمتُــه

ابن المقفع وبخيل دعاه

وكان شيخ من البُخلاء يأتى ابن المُقفع ، فألحّ عليه أن يتغدّى عنــده فى منزله ، فيمطله ابنُ المقفع ، فيقول : أتُرانى أتكلّف لك شيئا ؟ لا والله لا أُقدم لك إلا ما عندى ، فلا تتثاقل علىّ . فلم يزل به حتى أجابه ، وأتى به إلى منزله ، فإذا ليس عنده إلا كِسر يابسة وملح جريش ، فقدّمه له . ووقف سائل بالباب ، فقال له : بُورك فيك ، فألحّ فى السؤال ، فقال : والله لئن خرجت إليك لأدقّن ساقيك . فقال ابن المقفع ، للسائل : أرِح نَفسك وانج ، والله لو علمت من صدق وعيده ما علمت أنا من صدق وعده ما وقفتَ ساعة ولا راجعته كلمة(١) .

بخيل وسائلون

وانتقل رجل من البخلاء إلى دار ابتاعها ، فلما حلّها وقف سائل ، فقال له : صَنع الله لك ، ثم وقف ثان ، فقال له مثل ذلك ، ثم وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك . فقال لابنته : ما أكثر السؤال فى هــذا المكان . فقالت له : يا أبت . ما تمسكت لهم بهذا القول ، فما تُبالى كثروا أم قلوا ؟

العرب

الأصمعى قال : تقول العرب : ماعلمتُك إلاّ بَرَما قرونا .

البرم : الذى يأكل مع أصحابه ، ولا يجعل شيئا ، والقَرون : الذى يأكل تمرتين تمرتين .

من بخل حميد الأرقط

وألأم اللئام كلّهم وأبخل البخلاء حُميد الأرقط الذى يقال له : هجّاء الأضياف ، وهو القائل فى ضيف نزل به وآكله :

ما بين لُقمته الأُولى إذا انحدرت وبين أُخرى تليها قِيدُ أظفور

---

(١) الخبر بتفصيل وبسط فى البخلاء ١٠١ .

وله :

تُجهز كفّاه ويحــدر حلقه   إلى الزَّورِ ماضمّت عليه الأنامل
أتانا وما ساواه سحبان وائل   بياناً وعلماً بالذى هو قائل
فما زال عنه اللّقم حتى كأنه   من العِىّ لما أن تكلّم باقل

وله فى الأضياف :

لامرحبا بوجوه القوم إذ دخلوا   دُسمَ العمائم تحكيها الشياطينُ
ألفيت جُلّتنا الشّهريزَ بينهم   كأنّ أيديهم فيها السكاكين(١)
فأصبحوا والنّوى عالى مُعرّسهم   وليس كُل النوى تلقى المساكين

ما قالت الشعراء فى طعام البخلاء

فمن أهجى ما قيل فى طعام البُخلاء قولُ جرير فى بنى تغلب : لجرير فى بنى تغلب

٣٢٨/٣ والتغلبىّ إذا تَنحنح لِلقِرى   حــكّ أُستَه وتمثّل الأمثالا

وقوله فيهم :

قوم إذا أكلوا أخفَوْا كلامَهم   واستوثَقوا من رِتاج الباب والدار
قوم إذا نَبح الأضيافَ كلبُهم   قالوا لأُمهم بُولى على النــار

وقال الراعى : الراعى

اللاقطين النّوى تحتَ الثِّياب كما   مَجّتْ كَوادِنُ(٢) دُهْم فى مَخاليها

فأين هؤلاء من الذين يقول فيهم الشاعر :

أبلَج بين حاجبيه نورُه   إذا تغدّى رُفعت ستوره

ولآخر : لبعضهم

أبو نُوح أتيتُ إليه يوماً   فغــدّانى برائحة الطّعام
وقدّم بيننا لحماً سميناً   أكلناه على طَبق الــكلام

---

(١) الشهريز والسهريز : ضرب من التمر .
(٢) الــكوادن : جمع كودن ، وهو الفرس من الهجين .

فلما أن رفعتُ يدى سَقانى   كُئوسا حَشْوها ريح المدام
فكان كمن سقى ظمآن آلًا   وكنت كمن تغدّى فى المنام

ولآخر :

تراهم خَشية الأضياف خُرساً   يصلّون الصلاة بلا أذان

لحماد عجرد — ولحمّاد عجرد :

حُريثٌ أبو الصّلت ذو خبرة   بما يُصلح المِعْدة الفاسده[1]
تخوّف تُخمة إخوانه   فعوّدهم أكلة واحده

لبعضهم — ولآخر :

أتانا بخُبز له حامض   كمثل الدّراهم فى رقّته
إذا ماتنفّس حول الخوان   تَطاير فى البيت من خِفّته
فنحن كَظُوم له كُلّنا   يرد التنفّس من خَشْيته
فيَكْلمه اللحظُ من رقّة   ويأكله الوهم من قلّته

لعربى فى رجل قدم له جرادا — نزل رجل من العرب ببَخيل ، فقدّم إليه جراداً فعافه ، وأمر برفعه وقال :

لحا الله بيتاً ضمّنى بعد هَجعة   إليه دَجوجىٌّ من الليل مُظلم
فأبصرتُ شيخًا قاعداً بفنائه   هو العَير إلا أنه يتكلّم
أتانا بيُرقان الدَّبى فى إنائه   ولم يك بُرقان الدبى لى مَطعم
فقلت له غيِّبْ إناءك واعتزل   فما ذاقَ هذا لا أبالك مسلم

القطامى فى عجوز ضافها — ضافَ القُطامىّ الشاعر فى ليلة ريح مُمطرة إلى عجوزٍ من مُحارب ، فلم تَقره شيئا فرحل عنها وقال :

تضيفتُ[2] فى بُرْد وريح تلفّنى   وفى طِرْمِسَاء غير ذات كَوَاكب
إلى حَيزبون تُوقد النار بعدما   تلفّعتِ الظّلماء من كل جانب

(١) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤٤) والأغانى (١٣ : ٧٨) .
(٢) فى الديوان (٥١) : « تلفعت » . وفى ط قبل هذا البيت :
سأخبر بالأنباء عن أم منزل   تضيفتها بين المذيب فراسب

تَصَلَّى بها بَرْد العشاء ولم تكن   تخال ومِيضَ النار يبدو لراكب
فــما راعها إلا بُغام مطيّتى   تُريح بمَحسُورٍ من الصدر لاغب[1]
فجُنّت جُنونا من دِلَاثٍ مناخة[2]   ومن رجُل عارى الأشاجع شاحب
٣٢٩/٣ سرى فى جَليد الليل حتى كأنما   تَخَزّم[3] بالأطراف شوكُ العقارب
تقول وقد قرّبت كُورى وناقتى   إليـك فلا تَذْعَر علىّ ركائبى
فسلّمت والتسليمُ ليس يَسرُّها   ولكنه حقٌّ على كل جانب[4]
فردّت سلاما كارهاً ثم أعرضت   كما انحاشت الأفعى مخافةَ ضارب
فلمّا تنازعنا الحـديث سألتُها   مَن الحىّ قالت معشر من محارب
من المُشتوين القِدّ فى كل شَتوة   وإن كان عامُ الناس ليس بناصب[5]
فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكن   علىّ مبيتُ السوء ضربةَ لازب
وقمت إلى مَهـرية قد تعوّدت   يداها ورجلاها حثيثَ المواكب
إلا إنمـا نيران قَيس إذا شتَوا   لطارق ليل مثـل نار الحُباحب

وقال الخليل بن أحمد : الخليل بن أ

كفّاه لم تُخلقا للنّـدى   ولم يك بُخلُهما[6] بِدْعه
فــكفٌّ عن الخير مقبوضة   كما نَقَصت مائة سبعه[7]
وكفٌّ ثلاثة آلافهــا   وتِسعُ مئيها لهـا شِرْعه

وقال غيره : لبعضهم

وجيرة لا ترى فى الناس مثلَهمُ   إذا يكون لهم عيدٌ وإفطار

---

(١) تريح بمحسور ، أى تخرج نفسها . والمحسور : الضعيف .
(٢) الدلاث : الناقة الماضية .
(٣) تخزم بالأطراف ، أى أدخل فيها .
(٤) الجانب : الغريب .
(٥) الرواية فى الديوان :
من المشتوين القـد مما تراهم   جياعا وريف الناس ليس بناضب
(٦) الأبيات فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥) .
(٧) فى عيون الأخبار : « تسعة » . وفى اللسان والتاج : (شرع) : « كما حط عن مائة سبعة » . وانظر بلوغ الأرب (٣ : ٣٩٦ — ٣٩٩) .

إن يوقدوا يُوسعونا من دُخانهمُ … وليس يبلغنا ما تُنضج النــــار

لابن نعيم فى بنى حسان

وقال أحمد بن نُعيم السلمى فى بنى حسان :

إذا احتفلوا للضيف لموجَ قِدْرهم … جَــراديم أشباه النّخامة تُبلع(١)

تبل خِتان الضّيف حتى تَريبه … ويُصبح من عين اُسته يَتطلّع

وَيقريك مَن أكرهتَه من سوادهم … قِرى الجنّ أو أدنى لجوعٍ وأبشعُ(٢)

عظامًا وأرواثا و بعرًا و إن يكُن … لدى القوم نارٌ يُشتوى لك ضِفدع

لبعضهم

ولآخر :

فبِتنا كأنّا بينهم أهــلُ مأتم … على مَيّت مُستودع بطن مَلحد

يحــدّث بعضٌ بعضَنا بمُصابه … ويأمر بعضٌ بعضَنا بالتجــلّد

ولآخر :

ذهب الـكِرام فلا كرام … وبَقى العضاريط اللئــــام

من لا يُقيــــل ولا يُنيــــل … ولا يُشَم له طعــام

ولآخر :

صــدِّق أليّتَه إن قال مجتهدا : … لا والرغيفِ ، فذاك البِرّ من قَسمه

فإن هممت به ، فافتِك بخُــبزته … فإنّ موقعها من لحمه ودمه

قد كان يُعجبنى لو أن غَيرته … عَلى جَرادقه كانت على حُرمه

ولآخر :

إنّ هــذا الفتى يصون رغيفاً … ما إليه لنــاظر من سبيل

هُو فى سُفرتين من أدم الطا … ئف فى سلّتين فى منــديل

٣٣٠/٣ فى جِراب فى جوف تابوت مُوسى … والمَفاتيح عنــــد ميكائيل

لأبى نواس فى الرقاشى

وقال أبو نُواس فى فضل الرقاشىّ :

رأيت قُدور الناس سُوداً من الصَّلَى … وقدْر الرّقاشيين زَهراء كالبدر

يَضيق بحَيزوم البَعوضة صــدرُها … ويَخرج ما فيهــا على طرف الظُّفر

---

(١) كذا . وفى ن : « حلازيم » .

(٢) انظر الـكلام على طعام الجن فى الحيوان (٤ : ٢٠٧/٦ : ٢١٠) .

إذا ما تنادوا للرَّحيل سَعى بها أمامهم الحَولىّ من ولد الذَّرّ

وفى إسماعيل الكاتب

وقال فى إسماعيل الكاتب :

خُبز إسماعيل كالوشْـ ـى إذا ما انشقّ يُرفا
عجباً من أثر الصّنْـ ـعة فيه كيف يَخفى
إن رفّاءك هــذا ألطف الأمة كفّا
فإذا قابل بالنّصـ ـف من الجردق نِصفا
أحكم الصنعة حتى ما يَرى مغرز إشفى

لبعضهم

ولآخر :

ارفع يَمينك من طعامه إن كنت تَرغب فى كلامه
سيّانِ كَسْر رغيفه أو كَسْر عظم من عظامِه

ولآخر[1] :

رأيتُ الُخبز عزّ لديك حتى حسبتُ الُخبزفى جَوّ السَّحابِ
وما روّحتنا لتَذُبّ عنّا ولكنْ خفت مَرزِئة الذباب

ولآخر :

زرتُ امرأً فى بيته مَرّةً له حياء وله خِيرُ
يحذر أن يتخم إخوانه إن أذى التُّخمة محذور
وَيشتهى أن يؤجروا عنده بالصوم والصائم مأجور

لابن عبدربه

ومن قولنا فى نحوه :

طعامُ من لست له ذاكرًا دقّ كما دقّ بأن يذكرا
لا يُفطر الصائم من أكله لكنه صَومٌ لمن أفطرا
فى وَجهه من لؤمه شاهد يكفى به الشاهد أن يُخبرا
لم تَعرف المعروفَ أفعالُه قطّ كما لم يُنكر المنكرا

(١) هو أبو الشمقمق كما فى البخلاء ٤٩ . وانظر حواشى الحيوان (٣ : ٣١٧) .

لبعضهم

وقال آخر[1] :

خليليّ من كَعب أعينا أخاكما … على دَهره إنّ الكريم مُعين

ولا تبخلا بُخل ابن قَزْعة[2] إنه … مخافة أن يُرجَى نَدَاه حزين

كأنّ عُبيد الله لم يلق ماجداً … ولم يدر أنّ المكرمات تكون

فقل لأبي يحيى متى تُدرك العلا … وفي كُل مَعروف عليك يمين

إذا جئتَه في حاجة سدّ بابَه … فلم تلقه إلا وأنتَ كمين

باب من أخبار البخلاء

بين بخيلين

الرياشيّ قال : صاحب رجلٌ رجلا من البخلاء ، فقال له : أحملني . فقال : ما كنت لأنزل وأحملك . قال : ما أنت بحاتمٍ حيث يقول :

أنخها فأردفه فإن حملتكما … فذاك وإن كان العقاب فعاقب[3]

قال : ما فيها محمل ، ولابي طاقة على المشي . وقد قال شاعرهم حاتم :

٣٣١ / ٣ أماويّ إما مانع فبين … وإما عطاء لا ينهنهه الزّجر

لكثير عزة

وقال كثيّر عزّة :

مُهين تلاد المال فيما ينوبُه … مَنوع إذا مانعتَه كان أحزما

سأل عبد الرحمن بن حَسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة ، فلم يقضها ، فتشفّع إليه برجل فقضاها ، فقال :

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي … تولّى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كَسب الحمد رأى مقصّر … ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا هي حثّته على الخير مرّة … عصاها ، وإن همّت بشر أطاعها

أبو الأسود وجار له

احتاج أبو الأسود الدؤلي مرة ، فبعث إلى جار له مُوسر يستسلفه ، وكان حسن الظن به ، فاعتلّ عليه ورده ، فقال :

---

(١) هو بشار بن برد . انظر الكامل (٢٢٤) .

(٢) هو عبد الله بن قزعة أبو المغيرة وفي عيون الأخبار (١ : ٨٨) : « ابن قزعة » .

(٣) العقاب : أن يركب كل منهما عقب الآخر . والبيت في ديوان حاتم ١٨ .

لا تُشعرن النفس يأْسًا فإنما ... يَعيش بِجَدّ حازمٌ وبليدُ

ولا تَطمعنْ فى مال جارٍ لقُربه ... فكُل قريب لا يُنال بعيد

بينه وبين جار آخر

وكتب إلى آخر يستسلفه، فكتب إليه: المؤونة كثيرة، والفائدة قليلة، والمال مكذوب عليه. فكتب إليه أبو الأسود: إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا، وإن كنتَ صادقا فجعلك الله كاذبا.

لبعض الشعراء فى بخيل

وقال بعض الشعراء(1) فى بخيل:

ميّت مات، وهو فى كنف العيـ ... ـش مُقيم فى ظل عيش ظليل

فى عداد الموتى وفى عامر الدنيـ ... ـا أبو جعفر أخى وخليـلى(2)

لم يَمت ميتة الحياة ولكن ... مات عن كُل صالح وجميل

لبعضهم

ولآخر:

فأما قِراه كلّه فلنفسه ... ومالُ يزيد كله ليزيد

ولآخر:

له يومان يوم ندًى ويوم ... يسلّ السيف فيه من القِراب

فأما جُوده فعلى النَّصارى ... وأما بأسه فعلى الكِلاب

ولآخر:

كَدحت بأظفارى وأعملت مِعْولى ... فصادفت جُلموداً من الصخر أملسا(3)

تجهّم لما جئتُ فى وجه حاجتى ... وأطرق حتى قُلت قد مات أو عسى

فأجمعت أن أنعاه لما رأيتُه ... يفوق فُواق الموت حتى تنفّسا

للجاودى

وأنشد أبو جعفر البغدادى للجُاوديّ:

جاء بدينارين لى صالحٌ ... أصلحـه الله وأخزاهما

أدناهما تحمـله ذَرّةٌ ... وتلعب الريحُ بأوفاهما

(1) هو محمد بن يسير الرياشى، كما فى البيان والتبيين (١ : ٦٥ طبع لجنة التأليف).
(2) أبو جعفر: كنية أحمد بن يوسف الذى قيل فيه هذا الشعر.
(3) الكدح: الخدش. وفى الأصل: «قدحت» ولا وجه له.

بل لو وزنّا لك ظِلَّيهما ثم عَمدنا فــــوزنّاهما
لــكان لا كانا ولا أفلحا عليهما يَرْجح ظــــلّاهما

لحماد عجرد

ولحماد عجرد :

أوْرِق بخير تؤمَّل للجزيل فما تُرجى الثمار إذا لم يُورق العودُ
إنّ الـكريم ترى فى الناس عِفّته حتى يُقال غنىٌّ[1] وهو مجهــــود
وللبخيــــل على أمواله عِلَل زُرق العيون عليها أوجهٌ ســود

٣٣٢
٣

وأنشد :

جاد أبن موسى من دنانيره لنــا بدينارين أسرارا
كلاهما فى الـكفّ من خِفّة لو نُفخا من فَرسخ طارا
قلت وقلبى لهما مُنـكـر أريهما للحين قَسْطارا[2]
فـكان هذا عنده بَهرجا وكان هذا عنــــده بارا
ثم وزنّا واحـــداً منهما كان له القَسطار مختارا
فـكان فى كِفّة ميزانه ينقص قـــيراطا ودينارا

باب ما قيل فى البخلاء

بين أبى العتاهية وبعضهم

سَمع رجل أبا العتاهية[3] ينشد :

فارمى بطَرفك حيث شئــــتِ فلن تَرىْ إلّا بخيــــلا

فقال له : بخّلت الناس كلهم . قال : فأرنى واحداً سَمحا !

لابن أبى حازم

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدحَت فتًى كريماً فقلتُ وأين لى بفتى كريم ؟
بلوتُ ومرّ بِى خمسون عاماً وحَسبك بالمجرّب من عليم
فلا أحدٌ يُعدّ ليوم خير ولا أحد يعود على عديم

لبعضهم

ولآخر :

لمـا رآنا فــرّ بوّابُه وأنسدّ من غير يد بابه

---

(١) فى ن : « حتى يخال غنيا » . (٢) القسطار ، بفتح القاف : منتقد الدراهم .
(٣) كذا فى بعض الأصول وديوان أبى العتاهية . والذى فى سائر الأصول : « ابن المناذر » .

كلب له من بعضه حاجب ... يحجُبه إن غاب حجّابه

ومن قولنا : — لابن عبد ربه

جعل الله رزق كُلّ عدوّ ... لى بكفّ لبعض من لا أُسَمّى

كفّ من لا يَهز عِطفيه يومًا ... لمَديح ولا يُبالِى بذم

يتلقى الرجاء منه بوجه ... راشِح الخدّ والجبين بسَمّ

جئتُه زائراً فما زال يشكو ... لى حتى حسبتُه سيُدَمِّى

ألف اللؤم فيه من كل طرف ... مُعرِقاً فيه بين خال وعم

قد نهانى النصيحُ عنه مراراً ... بأبى أنتَ من نصيح وأمى

ومن قولنا :

بَرَاعةٌ غرّنى منها ومِيضُ سَنًى ... حتى مددتُ إليه الكف مُقتبسا[1]

فصادفتْ حجراً لو كنت تَضرِبه ... من لؤمه بعصا مُوسى لما أنبجسا

كأنما صِيغ من بُخل ومن كذب ... فكان ذاك له رُوحاً وذا نَفَسا

كلب يَهِرّ إذا ما جاء زائرُه ... حتى إذا جاء مُهدى تُحفة بَصبسا

ومن قولنا :

صحيفةٌ طابعها اللُّــــوم ... عنوانها بالبُخــــل مختومُ

أهداكَها واُلخلف فى طَيِّها ... والمَطلُ والتّسويف واللوم

مَن وجهه نَحس ومَن قُربه ... رِجس ومن عرفانه شُوم

لا تَهتضمْ إن كنت ضيفاً له ... فَخبزه فى الجوف هاضوم

تكلمه الألحاظ من رقّة ... فهو بلَحظ العين مكلوم

٣٣٣/٣ لا تأتدِم شيئاً على أكله ... فإنه بالجـــوع مأدوم

احتجاج البخلاء

لأبى الأسود — الأصمعى : قال أبو الأسود الدؤلى : لو أطعمنا المساكين أموالَنا لكنّا أسوأ حالاً منهم .

(١) البراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة براعة .

مما وصى أبو الأسود به بنيه

وقال لبنيه : لا تُطيعوا المساكين فى أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم حتى يروكم مِثْلَهم .

وقال لهم أيضاً : لا تُجاودوا اللهَ ، فإنه لو شاء أن يُغنى الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوماً لا يُصلحهم الغنى ولا يَصلح لهم إلا الفقر ، وقوماً لا يُصلحهم الفقر ولا يَصلح لهم إلا الغنى .

لابن هارون

وقال سهل بن هارون : لو قسمت فى الناس مائة ألف لكان الأكثر لائمى .

لابن الجهم

ونحوه قولُ ابن الجهم : مَنْع الجميع أَرْضى للجميع .

بين كندى وتغلبى

وقال رجل من تغلب : أتيتُ رجلاً من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بنى تغلب ، إنى لن أصلَك حتى أحرم مَن هو أقرب إلىّ منك ، و إنى والله لو مَكَّنتُ من دارى لنقضوها طُوبةً طوبة . والله يا أخا بنى تغلب ، ما بقى بيدى من مالى وأهلى وعِرضى إلا ما منعتُه من الناس .

لبعضهم

وهذا نظير قول الآخر : مَن أعطى فى الفُضول قصّر عن الحقوق .

بين سهل بن هارون وسائل

وقال رجل لسهل بن هارون : هَبنى مَا لاَ مرزئةَ عليك فيه . قال : وما ذاك يا بن أخى ؟ قال : درهما واحدًا . قال : يابن أخى . لقد هوّنت الدرهم ، وهو طابع الله فى أرضه الذى لا يعصى ، والدرهم ويحك عُشر العشرة ، والعَشرة عُشر المائة ، والمائة عُشر الألف ، والألف دِية المُسلم . ألا ترى يابن أخى إلى أين انتهاء الدرهم الذى هوّنته ؟ وهل بيوت المال إلا دِرهم على درهم .

مما أوصى لقمان به ابنه

وروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بنى ، أوصيك بٱثنتين ما تزال بِخير ما تمسَّكتَ بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

لأبى الأسود

وقال أبو الأسود : إمساكُك ما بيدك خيرٌ من طلبكَ ما بيد غيرك . وأنشد فى المعنى :

يلوموننى فى البُخل جهلاً وضَلّةً ... ولَلْبُخل خيرٌ من سؤال بخيل

للمتلمس

ونظيره قولُ المتلمّس :

وحَبس المال خيرٌ من بُغَاه … وضَرب فى البلاد بغير زادِ
وإصلاح القليل يَزيد فيه … ولَا يبقى الكثير مع الفساد

لخالد بن صفوان

وقيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تُنفق فإنّ مالك عريض ؟ قال : الدهر أعرضُ منه . قيل له : كأنك تؤمّل أن تَعيش الدهرَ كلَّه ؟ قال : لا ، ولكن أخاف ألاّ أموتَ فى أوله .

بين الجاحظ والحزامى

وقال الجاحظ للحِزامى : أترضى أن يُقال لك بخيل ؟ قال : لا أعدمنى الله هذا الأسم ، لا يُقال لى بَخيل إلا وأنا ذو مال ، فسلِّم لى المالَ وسمِّنى بأى أسم شئت . قلت : ولا يقال لك سخىٌّ إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لأسم السخاء المال والحمد ، وجمع لأسم البخل المال والذم . قال : بينهما فرقٌ عجيب وبون بعيد ، إنّ فى قولهم بخيل سبباً لمُكث المال فى ملكى ، وفى قولهم سخىّ سبباً لخروج المال عن مِلكى ، واسم البخيل فيه حَزم ، واسم السخى فيه تَضييع وحَمد ، والمال ناض نافع ومكرم لأهله ، والحمدُ ريح وسُخرية وسُمعة وطَرمذة[1] ، وما أقلّ غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه ، وعَرِى ظهره ، وضاع عياله ، وشَمت به عدوه .

لابن الجهم

وقال محمد بن الجَهم : من شأن من أستغنى عنك ألا يُقيم عليك ، ومن أحتاج إليك ألا يزول عنك ، فمن حُبك لصديقك وضَنّك بمودته ألاّ تبذل له ما يُغنيه عنك ، وأن تتلطّف له فيما يُحوِجه إليك . وقد قيل فى مثل هذا : أَجِع كلبك يتبعك وسمِّنه يأكُلك . فمن أغنى صديقَه فقد أعانه على الغدر ، وقطع أسبابه من الشكر ، والمُعين على الغَدر شريك الغادر ، كما أن مُزيِّن الفُجور شريك الفاجر . ٣٣٤/٣

مما أوصى به يزيد الأسدى بنيه

وقال يزيد بن عمر الأسدى لِبنيه : يا بَنىّ ، تعلّموا الردّ فإنه أسدُّ من العطاء ، ولأن تَعلم بنو تميم أنّ عند أحدكم مائة ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يقسمها عليهم ، ولأن يُقال لأحدكم بخيل وهو غنىّ ، خيرٌ له من أن يقال له سخى وهو فقير .

(١) الطرمذة : المفاخرة والصلف .

الجذامي

وقال الجذامي : يقولون : ثوبُك على صاحبك أحسنُ منه عليك ، فما ظنّك إن كان أقصر منى ؟ أليس يتخيّل فى قميصى؟! و إن كان أطول منى ، أليس يصير آيةً للسائلين ؟! فمَن أسوأ أثراً على صديقه ممن جعله ضحكة ، فما ينبغى لى أن أ كسوه حتى أعلم أنه فيه مثلى ، فمتى يتفق هذا ؟

بين أبى نواس وفقيه

وقال أبو نواس : كان معنا فى السفينة ، ونحن نريد بغداد ، رجل من أهل خراسان ، وكان من فقهائهم وعقلائهم ، وكان يأ كل وحده ، فقلت له : لم تأ كل وحدك ؟ فقال : ليس علىّ فى هذا مسألة . إنما المسألة على مَن أ كل مع الجماعة لأنه يتكلّف ، وأ كلى وحدى هو الأصل ، وأ كلى مع الجماعة تكلّف ما ليس علىّ .

لابن مزاحم فى درهم

ووقع درهم بيد سليمان بن مُزاحم ، فجعل يقلّبه ويقول : فى شِقّ : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى شق آخر : قل هو الله أحد ، ما ينبغى لهذا أن يكون إلا تعويذاً ورقية . ورمى به فى الصندوق .

لأبى عيسى فى مثله

وكان أبو عيسى بخيلاً ، وكان إذا وقع الدرهم بيده طَنّه بظُفره ، وقال : يا درهم ، كم من مدينة دخلتَها ، وأيد دوّختها ، فالآن استقرّ بك القرار ، واطمأنت بك الدار . ثم رَمى به فى الصندوق .

بين ابن أشرس وسائل

وقال رجل لثُمامة بن أشرس : إنّ لى إليك حاجةً . قال : وأنا لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك إلىّ ؟ قال : لا أذ كرها حتى تضمن قضاءها . قال : قد فعلتُ . قال : فإن حاجتى لك ألا تسألنى حاجة . فانصرف الرجل عنه .

وله فى الحرص

وكان ثمامة يقول : ما بالُ أحدكم إذا قال له الرجل : اسقنى ، أتى بإناء على قدر الرىّ أو أصغر ؟ و إذا قال : أطعمنى ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان ؟ أما إنه لولا رخص الماء وغَلاء الخبز ما كَلبوا على الخبز وزهدوا فى الماء . الناس أرغب شىء فى المأ كول إذا كثر ثمنه أو كان قليلا فى منبته ، ألا ترى الباقلاء الأخضر أطيبُ من الكمثرى ، والباذنجان أطيب من الكمأة ، ولكن أهل التحصيل والنظر قليل ، و إنما يشتهون على قدر الثمن .

وكان يقول : إيّاكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، وأعدى عدو له المالـح ، فلولا أن الله أعان عليه بالماء لهلك الحَرْث والنَّسل . وكان يقول : كلوا الباقلاء بقشره ؛ فإن الباقلاء يقول : من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ، ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلته ، فما حاجتكم أن تصيروا طعاماً إلى طعامكم ؟

بين أبى هبيرة ورجل من بنى عقيل

الأصمعى قال : جاء رجل من بنى عُقيل إلى عمر بن هُبيرة فمتّ إليه بقرابة وسأله أن يُعطيه ، فلم يُعطه شيئا ، ثم عاد إليه بعد أيام ، فقال : أنا العُقيلىّ الذى سألتك منذ أيام فقال له ابنُ هبيرة : وأنا الفزارىّ الذى منعتك منذ أيام . فقال : معذرة إليك ، إنى سألتُك وأنا أظنّك يزيد بن هُبيرة المُحاربىّ . قال : ذلك ألأم لك عندى ، وأهون بشأنك علىّ . نشأ فى قومك مثلى فلم تعرفه ، ومات مثل يزيد ولم تعلم به ، ياحرسىّ ، أسفع بيده[1] .

من أشعار بعضهم فى البخل

ومن أشعار البُخلاء الذين يتمثّلون بها :

وزهّدنى فى كُلّ خَير صَنعتُه ... إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشُّكر

ولآخر :

ارقَعْ قميصَك ما اهتديتَ لجَيْبه ... فإذا أضَلّك جيبُه فاستبدل

٣٣٥/٣

لابن هرمة

ولابن هَرمة :

قد يُدرِكُ الشرفَ الفتى ورداؤُه ... خَلَق وَجيْب قميصه مَرْقوعُ

من أمثالهم

ومن أمثالهم فى البُخل وخُلف الوعد قولُهم : تختلف الأقوالُ إذا اختلفت الأحوال . وقولهم :

* كلامُ الليـل يَمحوه النهار *

وقولهم :

* بُروق الصيف كاذبةُ الرُّعود *

(١) سفع بيده : قبض عليها فاجتذبه وجره . وفى ن : « اسفع قفاه » .

رسالة سهل بن هارون فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم . أصلح الله أمرَكم ، وجمع شملَكم ، وعَلَّمكم الخير ، وجعلكم من أهله .

قال الأحنف بن قيس : يا معشر بنى تميم ، لا تُسرعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلّهم حياء من الفرار ، وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العُيوب جمة فتأمل عيّاباً ، فإنه إنما يعيب الناسَ بفضل ما فيه من العَيب ، ومن أعيب العيب أن تَعيب ما ليس بعَيب ، وقبيح أن تنهى مُرشداً وأن تُغرى بمُشفق ، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتَكم وتقويمكم وإصلاح فاسدكم وإبقاء النعمة عليكم ، ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادكم فما أخطأنا سبيل حُسن النّية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما أخترناه لكم ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به فى الآفاق دونكم . ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وما أُريد أنْ أُخالفَكم إلى ما أنهاكم عنه إن أُريد إلا الإصلاحَ ما أستطعتُ وما تَوفيقى إلا بالله عليه توكّلت) . فما كان أحقّكم فى كريم حُرمتنا بكم أن ترعوا حقّ قَصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذرَ المَبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحُرمة قُمتم . ولو كان ذِكرُ العُيوب يراد به فخراً لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شُغلا .

عِبْتموني بقولى لخادمى : أجيدى العجين ، فهو أطيب لطعمه ، وأزيد فى رَيعه . وقد قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : أملِكوا العجين(١) ، فإنه أحدُ الرَّيعين .

وعِبْتمونى حين ختمت على سَدٍّ عظيم(٢) وفيه شىء ثمين من فاكهة رَطبة نفيسة ، ومن رطبة غريبة على عَبْدٍ نَهِم ، وصبىّ جشع ، وأَمَة لكعاء ، وزوجة مُضيِّعة ، وليس من أصل الأدب ، ولا فى ترتيب الحُكم ، ولا فى عادات القادة ، ولا فى تدبير السادة أن يستوى فى نَفيس المأكول ، وغَريب المشروب ،

(١) يقال : ملك العجين ، وأملكه ، وملكه بالتشديد : أنعم عجنه .
(٢) السد ، بالفتح : سلة تتخذ من قضبان ، لها أطباق .

وثمين الملبوس ، وخَطير المركوب ، التابع والمتبوع ، والسيِّد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس ، ومواقع أسمائهم فى العنوان ، ومن شاء أطعم كَلْبَه الدّجاج السمين ، وعَلَف حماره السمسم المقشَّر .

وعبتمونى بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سَويق وعلى كيس فارغ وقال : طِينة خيرمن ظنّة . فأمسكتم عمن خَتم على لا شىء ، وعِبتم من خَتم على شىء .

وعبتمونى أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزد فى الإنضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا طَبخ أحدكم لحماً فليزد من الماء ، فمن لم يُصب لحماً أصابَ مرقاً .

وعبتمونى بخَصف النعل و بتَصدير القميص ، حين زعمتُ أن المخصونة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريق من التضييع ، والاجتماع من الحفظ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، و يرقع ثوبه ، ويلطَعُ أصابعه ، ويقول : لو أهدى إلىّ ذراع لقبلت ، ولو دُعيت إلى كراع لأجبت . وقال عليه الصلاة والسلام : مَن لم يشبع مِن الحلال خفّت مؤنته ، وقلّ كبره .

وقال الحكماء : لا جديدَ لمن لا يلبس الخَلق .

٣٣٦/٣ و بعث زياد رجلا يرتاد له محدِّثا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا . فأتاه به موافقا ، فقال له : أ كنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنى رأيته فى يوم قائظ يلبس خَلَقا ، و يلبس الناسُ جديدا ، فتفرّست فيه العقل والأدب . وقد علمتُ أن الخَلَق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شىء قدرا ، وسَمّى له موضعا ، كما جعل لكل زمان رجالًا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالدواء ، وأغصّ بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبَين ، كما زعموا أنّ قلة العيال أحد اليسارَين . وقد جبر الأحنفُ بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرْك البعر . وقال عمر بن الخطاب : من أ كل بَيضة فقد أ كل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أُضحية . وقال رجل لبعض الحكماء :

أريد أن أهدى إليك دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها بَيوضا .

وعِبْتمونى حين قلت : مَن لم يعرف مواضع السَّرف فى الموجود الرَّخيص لم يعرف مواضع الأقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أُتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشدّ من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء[1] وجدت فى الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمتُ أن لو كنت سلكت الأقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعِبْتمونى بذاك وشنعتم على . وقد قال الحسن ، وذكر السَّرف : أما إنه ليكون فى الماء والكلأ . فلم يَرْض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ .

وعِبْتمونى أن قلت : لا يغترنّ أحدُكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقّة عظمه ، ووهن قوته ، وأن يرى نجوه أكثر من رزقه فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمَّرا ، وهو لا يدرى ، وممدودا له فى السنّ وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يَخطر على باله ولا يُدركه عقله ، فيستردّه ممن لا يرده ، ويُظهر الشكوى إلى مَن لا يرحمه ، أصعبَ ما كان عليه الطلب[2] ، وأقبح ما كان له أن يطلب . فعِبتمونى بذلك ، وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبتمونى بأن قلت : إن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك ، وإن الحفظ إلى المال المكتسب ، والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه بذهاب الدين ، وأهتضام العرض ، ونَصب البدن ، وأهتمام القلب أسرع ، ومَن لم يحسب نفَقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدّخل فقد أضاع الأصل ، ومَن لم

(١) الوظيفة : ما يقدر لك فى اليوم من طعام أو رزق أو نحوه .
(٢) ن : « أضعف ما كان عن الطلب » .

يعرف لِلغنى قدرَه فقد أذن بالفَقر ، وطاب نفساً بالذل .

وعِبتمونى أن قلت : إنّ كسب الحلال مضمن بالإنفاق فى الحلال ، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإنّ الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الإنفاق فى الهوى حِجاب دون الهوى ، فعِبتم علىّ هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أر تبذيراً قَط إلّا وإلى جَنبه حقٌّ مضيَّع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فيماذا يُنفقه ، فإنّ الخبيث إنما ينفق فى السرف . وقلت لكم بالشّفقة عليكم وحُسن النظر منى لكم ، وأنتم فى دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى نَفسه ، فاحذروا النقم واختلاف الأمكنة ، فإنّ البلية لا تجرى فى الجميع إلا بموت الجميع . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا ، واجعلوا
٣٣٧/٣ الرأس رأسين . وقال ابنُ سيرين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفَرقها فى السفن ، فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا فى البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهى صَنَاع .

وعبتمونى أن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسكرا ، وللمال لثروة ، فَمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المَال بخوف الفقر فقد أهمله ، فعِبتمونى بذلك ، وقد قالَ زيد بن جَبلة : ليس أحد أقصرَ عقلاً من غنىّ أمن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقال الشاعر ، فى يحيى بن خالد بن برمك .

وَهُوب تِلاد المال فيماَ ينوبه ... مَنوع إذا ما مَنْعه كان أحزما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أُقدم المال على العِلم ، لأنّ المال به يُفاد العلم ، وبه تقوم النفس قبل أن تَعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالتّفضيل من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء أكثر ما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفَضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم .

فقلت : حالها هي القاضية بينهما ، وكيف يَستوى شيء حاجة العامة إليه ، وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنم ، والفقراء باتّخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهلَ البيت يُنفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بَسط الله لك الرزق فأبسط ، وإذا قَبض فاقبض .

وعِبْتموني حين قلت : فَضْلُ الغِنى على القوت إنما هو كفضل الآله تكون فى البيت إن احتيج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عُدة . وقد قال الحُصين بن المنذر : وددت أن لى مثلَ أُحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء . قيل له : فما كنت تَصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدُمنى عليه ، لأنّ المال مَخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عزٌّ فى قلبك ، وذُل فى قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع فيه عظيما . ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ، ولستم على تردون ، ولا رأيى تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا ما عليكم قبل أن تدركوا ما لكم ، والسلام عليكم .

التطفيل

ومن اللؤم التطفيل ، وهو التعرض للطعام من غير أن يدعى إليه .

أخبار الطفيليين

طفيل العرائس

أوّلهم طُفيل العرائس ، وإليه نُسب الطفيليون ، وقال لأصحابه : إذا دخل أحدكم عُرسا فلا يلتفت تلفّت المُريب ، ويتخيّر المجالس ، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ، ولا ينظر فى عيون الناس ، ليظن أهلُ المرأة أنه من أهل الرجل ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة ، فإن كان البواب غليظا وقاحا فتبدأ به وتأمره وتنهاه ، من غير أن تَعنُف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال .

القحذمى قال : يقول الطفيليون : ليس فى الأرض عود أكرم من ثلاثة

أعواد : عصا موسى ، وخشب منبر الخليفة ، وخوان الطعام .

أبو العرقين

وكان أبو العرقين الطفيلى قد نقش فى خاتمه : اللؤم شُؤم . فقيل له : هـذا رأس التطفيل .

طفيلى بالبصرة

أحمد بن على الحاسب قال : مرّ طفيلى بسكة النَّخَع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دُعى ، فأنكرَه صاحب المجلس . فقالوا له : لو تأنيت أو وقفت حتى يُؤذن لك أو يُبعث إليك ؟ قال : إنما اتُّخِذت البيوتُ ليُدخل فيها ، ووُضعت الموائد ليؤكل عليها ، وما وَجهتُ بهدية ، فأتوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، واطِّراحها صلة ، وقد جاء فى الأثر : «صِل من قطعك ، وأعط من حرمك» . وأنشد :

٣٣٨/٣

كُلَّ يوم أدور فى عَرصة الدا ... ر أشمّ القتار شمّ الذُّبابِ

فإذا ما رأيتُ آثار عُرس ... أو دُخاناً أو دعوة الأصحاب

لم أعرِّج دون التقحّم لا أر ... هب طَعناً أو لَكزة البوّاب[1]

مُستهيناً بمن دخلتُ عليهم ... غيرَ مستأذن ولا هيّاب

فترانى ألفّ بالرغم منهم ... كُل ما قدّموه لفّ العُقاب

أشعب الطماع

ومنهم أشعبُ الطمّاع ، قيل له : ما بلغ من طَمعك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يتسارّان إلا ظننتهما يأمران لى بشىء . وفيه يقال : أطمع من أشعب .

وقف أشعب إلى رجل يعمل طبقا ، فقال له : أسألك بالله إلا ما زدت فى سَعته طوقا أو طوقين . فقال له : وما معناك فى ذلك ؟ قال : لعلّه يوماً أن يُهدى إلىّ فيه شىء .

ساوم أشعب رجلا فى قوس عربية ، فسأله ديناراً ، فقال له : والله لو أنها إذا رُمى بها طائر فى جوّ السماء وقع مشويّا بين رغيفين ما أعطيتك بها دينارا .

وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا إذ استأذن عليهم أشعب ، فقال أحدهم : إنّ من شأن أشعب البسط إلى أجلّ الطعام ، فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قَصعة بناحية ، ويأكل معنا الصغار ، ففعلوا . وأذن له ،

(١) ن : « لا أرهب شتما » .

فقالوا له : كيف رأيك فى الحيتان ؟ فقال : والله إن لى عليها لحرداً شديدا وحنقا ، لأن أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان . قالوا له : فدونك خُذ بثأر أبيك . فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير ، ثم وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس ، فقال: أتدرون ما يقول لى هذا الحوت ؟ قالوا : لا ندرى . قال : إنه يقول : إنه لم يحضر موت أبى ولم يدركه لأن سنه يصغر عن ذلك ، ولكن قال لى : عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت ، فهى أدركت أباك وأكلته .

أمير وطفيلى

وكان رجل من الأمراء يستظرف طفيليًا يحضُر طعامه وشرابه ، وكان الطفيلى أكولا شروبا ، فلما رأى الأمير كثرة أكله وشربه أطّرحه وجفاه ، فكتب إليه الطفيلى :

قد قلّ أكلى وقلّ شُربى   وصرتُ من بابَةِ الأمير[1]
فليدع بى وَهْو فى أمان   أنْ أشرب الراح بالكبير

طفيلى وصنيع احتال فى الوصول إليه

وأقبل طفيلى إلى صنيع[2] فوجد بابا قد أُرتج ، ولا سبيل إلى الوصول ، فسأل عن صاحب الصنيع : إن كان له ولد غائب أو شريك فى سفر ؟ فأُخبر عنه أنّ له ولداً ببلد كذا . فأخذ رقًّا أبيض وطواه وطبع عليه ، ثم أقبل متدللا ، فقعقع الباب قعقعة شديدة ، واستفتح ، وذكر أنه رسول من عند ولد الرجل . ففتح له الباب ، وتلقّاه الرجل فرحا ، وقال : كيف فارقت ولدى ؟ قال له : بأحسن حال ، وما أقدر أن أكلمك من الجوع . فأمر بالطعام فقدّم إليه ، وجعل يأكل ، ثم قال له الرجل : ما كَتب كتابا معك ؟ قال : نعم ، ودفع إليه الكتاب . فوجد الطين طريّا . فقال له : أرى الطين طريا . قال : نعم . وأزيدك أنه من الكدّ ما كتب فيه شيئا . فقال : أطفيلى أنت ؟ قال : نعم أصلحك الله . قال : كُل : لا هنأك الله .

أشعب وثريدة

وقيل لأشعب : ما تقول فى ثريدة مغمورة بالزبدة ، مشقّقة باللحم ؟ قال :

(١) من بابته ، أى ممن يصلح له .   (٢) الصنيع : الطعام .

٣٣٩/٣ فأضرب كم ؟ قيل له : بل تأكلها من غير ضرب . قال : هذا ما لا يكون ، ولكن كم الضرب ، فأتقدّم على بصيرة ؟

مزبد المدنى

وقيل لمزبد المدينى ، وقد أكل طعاما كظّه : قِئْ . قال : أقِىء خبز نِقِيّ ولحم جدى ؟ أمرأتى طالق : لو وجدتهما قيئا لأكلتهما .

لطفيلى فى أبغض الطعام

وقيل لطفيلى : ما أبغض الطعام إليك ؟ قال : القريص[1] . قيل له : ولم ذا ؟ قال : لأنه يؤخر إلى يوم آخر .

طفيلى وقوم من الكتبة

ومر طفيلى بقوم من الكَتَبة فى مَشربة لهم ، فسلّم ثم وضع يده يأكل معهم . قالوا له : أعرفت منّا أحدا ؟ قال : نعم ، عرفت هذا ، وأشار إلى الطعام . فقالوا : قولوا بنا فيه شعرا . فقال الأول :

لم أر مثل سرطه ومطّه

وقال الثانى :

ولقّه دجاجه ببطه

وقال الثالث :

كأن جالينوس تحت إبطه

فقال الاثنان للثالث : أما الذى وصفناه من فعله فمفهوم ، فما يصنع جالينوس تحت إبطه ؟ قال : يُلقمه الجوارشنَ كلما خاف عليه التخمة يهضم بها طعامَه .

الجماز وطفيلى

ومر طفيلى على الجماز ، فقال له : ما تأكل ؟ قال : كلب فى قحف خنزير .

طفيلى وقوم يأكلون

ودخل طفيلى على قوم يأكلون فقال : ماتأكلون ؟ فقالوا من بُغضه : سما . فأدخل يده وقال : الحياة حرام بعدكم .

ومر طفيلى على قوم كانوا يأكلون ، وقد أغلقوا الباب دونه ، فتسوّر عليهم من الجدار ، وقال : منعتمونى من الأرض فجئتكم من السماء .

لطفيلى

وقيل لطفيلى : كم اثنان فى اثنين ؟ قال أربعة أرغفة .

---

(١) القريص : ضرب من الأدم .

لآخر

وقيل لآخر: كم كان أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر درهما .

طفيلي رأى زنادقة حلوا للمأمون

قال محمد بن أحمد السكوفي حدّثنا الحسين بن عبد الرحمن[1] عن أبيه قال : أمر المأمون أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سُمّوا له بالبصرة ، فجمعوا وأبصرهم طفيلي ، فقال : ما اُجتمع هؤلاء إلا لصنيع ، فانسلّ فدخل وسطهم ، ومضى بهم المتوكلون حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أُعدّ لهم ، فدخل الزورق ، فقال الطفيلي : هي نزهة . فدخل معهم ، فلم يكن بأسرع مِنْ أن قُيدوا وقُيد معهم الطفيلي ، ثم سير بهم إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ، فيأمر بضرب رقابهم ، حتى وصل إلى الطفيلي ، وقد استوفى العِدّة ، فقال للموكلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى ، غير أنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به . فقال له المأمون : ما قصتك ؟ ويلك ! قال : يا أمير المؤمنين . امرأته طالق إن كان يعرف من أحوالهم شيئا ، ولا مما يدينون الله به ، إنما أنا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين فظننتهم ذاهبين لدعوة . فضحك المأمون ، وقال : يؤدّب . وكان إبراهيم بن المهدى قائما على رأس المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى ذنبه ، وأحدّثك عن حديث عجيب عن نفسى . قال : قل يا إبراهيم . قال : خرجت يا أمير المؤمنين من عندك يوما ، فطُفت فى سكك بغداد متطربا ، فانتهيت إلى موضع ، فشممت روائح أبازير قُدور قد فاح طيبها ، فتاقت نفسى إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفت على خيّاط ، فقلت : لمن هذه الدار ؟ قال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فنظرت إلى الدار ، فإذا بشبّاك فيها مُطل ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم ، فشغلنى يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور ، وبقيت باهتا ساعة ، ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخيّاط : أهو ممن يَشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده

(١) فى كتاب التطفيل (٤١) : « الحسين بن عبد الرحمن الحلبي » .

اليوم دعوة ، وليس ينادمُ إلا تجاراً مثله مستورين ، فبينا أنا كذلك إذا أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط : هؤلاء منادموه .
٣٤٠/٣ فقلت : ما اسماهما وما كناهما ؟ قال : فلان وفلان . فحركت دابتى وداخلتهما ، وقلت : جعلت فداكما . قد استبطأ كما أبو فلان أعزه الله ، وسايرتهما حتى بلغا الباب ، فأجلاَّنى وقدّمانى ، فدخلنا . فلما رآنى صاحبُ المنزل لم يشكّ أنى منهما بسبيل ، أو قادم قدمت عليهما من موضع ، فرحّب بى وأُجلست فى أفضل المواضع ، فجىء بالمائدة وعليها خُبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من ريحها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها و بقى الكفّ والمعصم ، كيف أصل إلى صاحبتهما ، ثم رُفع الطعام وجاءونا بوضوء ، فتوضأنا وصرنا إلى بيت المُنادمة ، فإذا أشكلُ بيت ياأمير المؤمنين ، وجعل صاحب المنزل يلطف بى ويميل علىّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكّون أنّ ذلك منه على معرفة متقدّمة ، حتى إذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كأنها جانّ تثنَّى كالخيزران ، فأقبلتْ فسلمت غيرَ خجلة ، وثُنيت لها وسادة فجلست ، وأُتى بالعود ، فوضع فى حجرها، فجسّته ، فاستبنتُ فى جَسها حِذقَها ، ثم اندفعت تغنى :

توهمها طَرفى فأصبح خدُّها ... وفيه مكانَ الوهم من نَظرى أثرُ
وصافحها كفِّى فآلم كفَّها ... فمن مسّ كفِّى فى أناملها عَقر

فهيّجت يا أمير المؤمنين بَلابِلى، وطربت لحُسن شعرها ، ثم اندفعت تغنى :

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودتى ... فردّت بطرف العين إنى على العهد
فَحُدت عن الإظهار عمداً لسرّها ... وحادت عن الإظهار أيضا على عمد

فصِحْت : يا أميرالمؤمنين : السّلاحَ ، وجاءنى من الطرب مالم أملك نفسى ، ثم اندفعت فغنّت الصوت الثالث :

أليس عجيباً أنّ بيتاً يضُمنى ... وإياك لا نخلو ولا نتكلّم
سوى أعين تشكو الهوى بجفُونها ... وتَقطيع أنفاس على النار تضرم

إشـارة أفواه وغَمـز حواجب   وتكسير أجفان وكفّ تُسلِّم

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، و إصابتها لمعنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت به ، فقلت : بقى عليك يا جارية . فضربت بعودها الأرض وقالت : متى كنتم تُحضرون مجالسكم البُغضاء ؟ فندمتُ على ما كان منى ، ورأيت القوم كأنهم تغيّروا لى ، فقلت : أما عندكم عُود غير هذا ؟ قالوا : بلى . فأُتيت بعود ، فأصلحت من شأنه ؛ ثم غَنيت :

ما للمنازل لا يُجبن حزيناً   أَصممن أم قَدُم المدى فبلينا

راحوا العشيّة روحةً مذكورة   إنْ مِتْن مِتْنا أو حَيين حَيينا

فما أتممْتُهُ حتى قامت الجارية فأكبّت على رجلى تُقبلها ، وقالت : معذرةً إليك ، فوالله ماسمعتُ أحداً يغنّى هذا الصوت غناءك ، وقام مولاها وأهلُ المجلس ففعلوا كفعلها ، وطرب القوم والله ، وأُستحثوا الشراب ، فشربوا بالـكاسات والطاسات ، ثم اندفعت أغنى :

أفى الحقّ أن تُمسى ولا تَذكرينى   وقد سفحتْ عيناى من ذكرك الدما

فرُدى مُصـاب القَلب أنت قتلتِه   ولا تَترُكيه ذاهـلَ العَقل مُغرما

إلى الله أشكو بُخلها وسَماحتى   لهـا عَسل منى وتبــذل عَلْقما

إلى الله أشكو أنهـا مادريّة[1]   وأنى لهـا بالوُد ما عِشْتُ مكرما

فطرب القوم حتى خَرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ، ثم اندفعت أغنى الثالث : ٣٤١/٣

هذا مُحبك مطوىٌّ على كَمده   حَرّى مدامعه[2] تجرى على جَسده

له يَدٌ تسأل الرحمنَ راحتَه   مما جَنى ويدٌ أُخرى على كبده

فجعلت الجارية تَصيح : هـذا الغناء والله يا سـيدى لا ما كُنا فيه ، وسكر القوم . وكان صاحب المنزل حسَن الشرب صحيحَ العقل ، فأمر غلمانه أن يُخرجوهم ويَحفظوهم إلى منازلهم وخلوتُ معه ، فلما شربنا أقداحاً قال : يا هـذا ، ذهب

(١) فى بعض الأصول : « أجنبية » .   (٢) ن : « عبرى مدامعه » .

ما مضى من أيامى ضَياعا إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت يا مولاى ؟ ولم يزلْ يلح حتى أخبرته الخبر ، فقام وقبّل رأسى ، وقال : وأنا أعجب ياسيدى أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وأنّى لجالسٌ مع الخلافة ولا أشعر ؟ ثم سألنى عن قصتى فأخبرته حتى بلغت خبر الكَفّ والمِعصم ، فقال للجارية : قُومى فقولى لفلانة تنزل ، ثم لم يزل يُنزل جواريه واحدةً بعد أخرى وأنظر إلى كفّها ومعصمها ، وأقول : ليست هى ، حتى قال : والله ما بقى غير زوجتى وأختى ، ووالله لأُنزلنهما إليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جُعلت فداءك ، ابدأ بالأُخت قبل الزوجة ، فصاحها هى ، فبرزت ، فلما رأيت كفها ومِعصمها قلت : هى هذه ، فأمر غلمانه فمضوا إلى عشرة مشايخ من جلّة جيرانه ، فأقبلوا بهم ، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، فقال للمشايخ : هذه أختى فلانة ، أُشهدكم أنى قد زوجتُها من سيدى إبراهيم بن المهدى ، وأمهرتُها عنه عشرين ألفا ، فرضيت النكاح . فدفع إليها البدرة وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : يا سيدى ، أُمهِّد لك بعض البيوت ، فتنام مع أهلك . فأحشمَنى ما رأيتُ من كرمه(١) ، فقلت : بل أُحضِر عمّاريّة وأحملها إلى منزلى . قال : ماشئت ، فأحضرت عمّارية وحملتها إلى منزلى ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد أتبعها من الجهاز ما ضاق عنه بعضُ بيوتنا ، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين . فعجب المأمون من كرم الرجل ، وأطلق الطفيلى وأجازه وألحق الرجل فى أهل خاصته .

طفيلى وقوم يتغدون

ومر طُفيلى بقوم يتغدّون فقال : سلام عليكم معشر اللئام . فقالوا : لا والله ، بل كرام . فثنى رجلَه وجلس ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين ، واجعلنى من الكاذبين .

الفضل بن يحيى وطفيلى

ودخل طفيلى من أهل المدينة على الفضل بن يحيى ، وبيده تُفاحة ، فألقاها إليه ، وقال : حيّاك الله يا مدنى ، فلزمها وأكلها . فقال له : شؤم عليك يامدنى ، أتأكل التحيات ؟ قال : إى والله ، والزاكيات الطيبات كنت آكلها .

(١) أحشمه : أخجله .

لإبراهيم الموصلى فى طفيلى

وقال إبراهيم الموصلى فى طفيلى كان يصحبه :

نِعْم النَّـديم نديم لا يكلِّفنى   ذَبْح الدجاج ولا ذَبْح الفراريج
يَكفيه لونانِ من كَشك ومن عَدس   ولو يشاء فزيتون بطسُّوج (١)

لطفيلى فى نفسه

وقال طفيلى فى نفسه :

نحن قوم إذا دُعينا أَجبنا   ومتى نَنس يَدْعنا التَّطفيل
وَنقُـل علَّنا دُعينا فغبنا   وأتانا فلم يَجدنا الرسـول

لطفيلى فى صنيع لم يدع إليه

وقال آخر ، وأتى طعاماً لم يُدْع إليه ، فقِيل له : مَن دعاك ؟ فأنشأ :

دعوتُ نفسىَ حين لم تَدْعنى   فالحمدُ لى لا لك فى الدَّعوه
وكان ذا أحسنَ من مَوعد   مُخلِفُه يدعو إلى الجفوه

لطفيلى فى صنيع قبطى

ودخل طُفيلى فى صَنيع رجل من القِبط ، فقال له : مَن أرسل ٣٤٢/٣
إليك ؟ فأنشأ :

أزورُكم لا أكافيكم بجفوتكم   إن المُحبّ إذا مالم يُزر زارا

فقال له القبطى : زر زارا ، ليس ندرى ، من هو ؟ أُخرج من بيتى .

طفيلى وصاحب شرطة

ونظر رجل من الطفليين إلى قوم من الزنادقة يسار بهم إلى القتل ، فرأى لهم هيئة حسنة وثيابا نقيّة ، فظنّهم يُدعون إلى وليمة ، فتلطَّف حتى دخل فى لفيفهم وصار واحدا منهم ، فلما بلغ صاحبُ الشرطة قال : أصلحك الله ، لستُ والله منهم ، وإنما أنا طُفيلى ظننتُهم يُدعون إلى صَنيع فدخلت فى جملتهم . فقال : ليس هـذا مما يُنجيك منى ، اضربوا عنقه . فقال : أصلحك الله ، إن كنت ولا بد فاعلا فأمر السياف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى ورّطنى هذه الورطة . فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه ، فأخبروه أنه طفيلى معروف ، فخلّى سبيلَه .

(١) الطسوج : ربع الدانق ، فارسي معرب .

شعر لطفيلى

وقال طفيلى :

ألا ليتَ لى خُبزا تَسربلَ رائبًا   وخيلاً من البَرْنِىّ فُرسانُها الزُّبد
فأطلبَ فيها بينهن شهادةً   بموت كريم لا يُشقّ له لَحد

أشعب وقينة

وكان أشعب يختلف إلى قَينة بالمدينة يطارحها الغناء ، فلما أراد الخروج إلى مكة قال لها : ناولينى هذا الخاتم الذى فى إصبعك لأذكرك به . قالت : إنه ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

شيخ وحدث

اصطحب شيخ وحَدَث من الأعراب ، فكان لهما قُرص فى كل يوم ، وكان الشيخ متخلّع الأضراس بطىء الأكل ، فكان الحدث يبطش بالقُرص ، ثم يقعد يشتكى العِشق ، ويتضوّر الشيخ جوعا وكان اسم الحدث جعفرا . فقال الشيخ فيه :

لقد رابنى من جعفر أنّ جعفراً   يَطيش بقُرصى ثم يَبكى على جُمْل
فقلت له لو مَسَّك الحب لم تبت   سميناً وأنساك الهوى شدّةَ الأكل

وقال الحدث :

إذا كان فى بطنى طعامٌ ذكرتُها   وإن جُعت يوماً لم تكن لى على ذُكْرِ
ويزداد حُبى إن شبعت تجدّدا   وإن جُعت غابت عن فؤادى وعن فِكرى

أشعب وجارية فى المدينة

وكان أشعب يختلف إلى جارية فى المدينة ، ويُظهر لها التعاشق ، إلى أن سألته سلفةً نصف درهم ، فانقطع عنها ، وكان إذا لقيها فى طريق سلك طريقا أخرى ، فصنعت له نَشُوقا وأقبلت به إليه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نشوق عملتُه لك لهذا الفزع الذى بك . فقال : أشربيه أنت للطمع ، فلو انقطع طمعك انقطع فزعى ، وأنشأ يقول :

أخلِفِى ما شئتِ وعدى   وأمنحينى كلّ صدّ
قد سلا بعدك قلبى   فاعشقى من شئت بعدى
إننى آليتُ لا أعشق من يعشق نقدى

لأشعب فى أحسن الغناء

وقيل لأشعب : ما أحسن الغناء ؟ قال : نشيش المِقْلَى . قيل له : فما أطيب الزمان ؟ قال : إذا كان عندك ما تُنفق . وكان أشعب يغنى :

ألا أخـــبرت أخباراً أتت فى زمن الشـدّه
وكان الُحب فى القلب فصار الُحب فى المِعْده

لبعضهم فى طفيلى

وقال آخر فى طُفيلى من أهل الـكوفة :

زَرعنا فلما تَمّم اللهُ زَرْعنا وأوفى عليه مِنْجل بحَصاد ٣٤٣/٣
ُبلينا بكُوفىّ حليف مَجاعة أضرّ بزَرع من دَبى وجَرَاد

لهشام فى مسافر

وقال هشام أخو ذى الرُّمة لرجل أراد سفرا : إن لـكل رُفقة كلباً يشركهم فى فضلة الزاد ، فإن استطعت أن تكون كلب الرفاق فافعل .

أبو نواس وجمع من أصحابه وطفيلى

وخرج أبو نواس متنزها مع شُطّار من أصحابه ، فنزلوا رَوضة ووضعوا شرابا ، فمرّ بهم طفيلى ، فتطارح عليهم ، فقال له أبو نُواس : ما اسمك ؟ قال : أبو الخير . فرحّب به وَقعد معهم . ثم مرّت بهم جارية فسلّمت ، فردّ عليها ، وقال لهـا : ما اسمك ؟ قالت : زانة . قال أبو نواس لأصحابه : اسرقوا الياء من أبى الخير ، فأعطوها زانة ، فتكون زانية ، ويكون أبو الخير أبا الخرء ، كما هو . ففعلوا .

الجاحظ والواسطى الفلوسكى فى صنيع

الجاحظ قال : دُعى أبو عبد الله الواسطى إلى صَنيع ، فدعانى فدعوت أبا الفَلَوسَكىّ . فلما كان من الغد صبح الفَلَوسَكىّ الجاحظ ، فقال له : أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان ؟ قال : نعم . قال : فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الصنيع ، فلم يكن علينا كُسوة رائعة ولا تحتنا دواب ، فتدخّل تجاهنا ، فوجدنا البواب ذا غلظ وجَفاء ، فنمنا فانحدرنا فى جانب الإيوان ننتظر أحدا يُعلم أبا عبد الله الواسطى بحالنا . فمكثنا حينا حتى أتى مَن نعرفه ، فسألناه أن يُعلم أبا عبد الله الواسطى بنا ، فلما أُخبر خرج إلينا يتلقّانا ، فتقدّمنى الفلوسكى وتقدّمه حتى أتى صدر المجلس ، فقعد فيه ، ثم قال لى : هاهنا عندنا يا أبا عثمان . فلما خلونا ثلاثتنا قلت للفلوسكى : كيف تُسمى العرب من أمالت إلى أنفسها ؟ قال الفلوسكى : تُسميه ضَيفا ، فقال

له الجاحظ : وكيف تُسمى من أماله الضيف ؟ قال : تُسميه ضيفاً . قال الجاحظ : وكيف تُسمى من أماله الضيفن ؟ قال : ما لمثل هـذا عند العرب تَسمية ، قال الجاحظ : فقلت : قد رضيت أن تـكون فى منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب اسما ، ثم تتحكم تحـكم صاحب البيت ؟

باب من أخبار المحارفين الظرفاء

أبو الشمقمق

منهم أبو الشَّمقمق الشاعر ، وكان أديباً طريفا مُحارفا(١) ، وكان صُعلوكا متبرّما بالناس ، وقد لزم بيته فى أطمار مَسحوقة ، وكان إذا أُستفتح عليه أحد بابه خرج ، فينظر من فُروج البـاب ، فإن أعجبه الواقف فَتح له وإلا سكت عنه . فأقبل إليه يوماً بعض إخوانه المُلطفين له ، فدخل عليه ، فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشمقمق ، فإنا رَوينا فى بعض الحديث : إن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . فقال : إن صحّ والله هذا الحديث كنت أنا فى ذلك اليوم بزّازا ، ثم أنشأ يقول :

أنا فى حالٍ تعـالى الله ربّى أىّ حال
ليس لى شىء إذا قِيـــل لمن ذا قلتُ ذالى
ولقد أفلستُ حتى تحتَ الشمس خَيالى
ولقد أفلستُ حتى حلّ أكلى لعيـالى

وله :

أُترانى أرى من الدهر يوماً لِى فيه مطيّة غـير رِجـلى
كلمـا كنتُ فى جميع فقالوا قرّبوا للرحيل قرّبتُ نعـلى
حيثما كنتُ لا أخاف رحيلا من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أبو الشمقمق أيضا :

٣٤٤/٣ لو قد رأيتَ سريرى كنتَ ترحمنى الله يعـلم مالى فيـه تَلّيس

(١) المحارف ، بفتح الراء : المحروم المحدود ، الذى إذا طلب لا يرزق .

والله يعلم مالى فيه شادكة إلا الحصيرة والأطار والدّيس

وقال أيضا :

برزتُ من المنازل والقِباب فلم يَعْسُر على أحد حِجابى
فمنزلىَ الفضاء وسقفُ بيتى سماء الله أو قِطَع السحاب
فأنت إذا أردت دخلتَ بيتى علىّ مسلّماً من غير باب
لأنى لم أجد مِصراع باب يكون من السحاب إلى التراب
ولا أنشقّ الثّرى عن عُود تَخت أؤمل أنْ أشدّ به ثيابى
ولا خِفْت الإباقَ على عَبيدى ولا خِفت الهلاك على دوابى
ولا حاسبتُ يوماً قَهرمانى مُحاسبةً فأغْلَطَ فى حسابى
وفى ذا راحة وفَراغ بال فدَأْب الدّهر ذا أبداً ودابى

وقال أيضا :

لو ركبتُ البِحار صارت فِجاجاً لا نَرى فى مُتونها أمواجا
ولو أنى وضعتُ يا قوتةً حمراء فى راحتى اصارت زُجاجا
ولو أنى وردتُ عذباً فُراتا عاد لاشكّ فيه مِلحا أُجاجا
فإلى الله أشتكى وإلى الفضل فقد أصبحتْ بُزاتى دَجاجا

لعمرو بن المدبر — وقال عمرو بن المدبر :

وقفت فلا أدرى إلى أين أذهبُ وأىّ أمورى بالعَزيمة أَرْكب
عجبتُ لأقدارٍ علىّ تَتابعت بنَحس ، فأفنى طولَ عمرى التعجب
ولمّا التمست الرزقَ فأنجدّ حبلُه ولم يَصْف لى من بَحره العذبِ مَشرب
خطبتُ إلى الإعدام إحدى بَناته لرفع الغِنى إياى إذ جئت أخطب
فزوّجنيها ثم جاء جهازُها وفيه من الحِرْمان تَخْت ومشجب
فأولدتها الحُرف النّقى فما له على الأرض غيرى والدٌ حين ينسب

(١) الحرف ، بالضم : الحرمان .

فلو تهت فى البيداء والليلُ مُسبل ... علىّ جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرًّا فاستترت بظلمة ... لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد إنسان علىّ بدرهم ... لرُحت إلى رَحلى وفى الكف عقرب
ولو يُمطَر الناسُ الدنانيرَ لم يكن ... بشىء سوى الحصباء رأسِىَ يُحصب
ولو لمست كفاىَ عقداً مُنظَّما ... من الدُّرِّ أضحى وهو وَدْع مُثقَّب
وإن يقترف ذنباً ببُرقة مُذنبٌ ... فإنّ برأسى ذلك الذنبَ يُعصب
وإن أرَ خيراً فى المَنام ففازحٌ ... وإن أرَ شرًّا فهو منى مُقرَّب
ولم أغْدُ فى أمرٍ أُريد نجاحَه ... فقابلنى إلاّ غراب وأرنب
أمامى من الحِرمان جيشٌ عرمرم ... ومنه ورائى جحفل حين أركب

لبعضهم

وقال آخر :

٣٤٥/٣

ليس إغلاقى لبابى أنّ لى ... فيه ما أخشى عليه السَّرقا
إنما أغلقته كيلا يَرى ... سُوء حالى مَن يمر الطُّرُقا
منزلٌ أوطنه الفقْرُ فلو ... يدخل السارقُ فيه سُرِقا(١)

لأبى نواس

وقال الحسن بن هانئ فى هذا المعنى :

الحمدُ لله ليس لى نَشب ... فخفّ ظهرى وقلّ زُوّارى
مَن نظرت عينه إلىّ فقد ... أحاط علماً بما حوتْ دارى
جَهرىَ فى البيت كامنٌ وعلى ... مَدْرجة الرائحين أسرارى

لبعض المحارفين

وقال بعضُ المحارَفين(٢) :

لزمتْنى حِرفةٌ ما تنقضى ... أبداً حتى أوارَى فى الجدثْ
كلزوم الطَّوق إلا أنها ... تستجدّ الدهرَ والطوقُ يَرِثْ(٣)

(١) يقال أوطنت المكان ، أى أقمت فيه واتخذته وطنا .
(٢) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .
(٣) رث يرث : بلى .

فرش كتاب الزبرجدة الثانية

فى بيان طبائع الإنسان، وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله: قد مضى قولنا فى المُتنبئين والممرورين، والبخلاء والطفيليين، والمحدودين.

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى طبائع الإنسان وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، والنعمة والسرور، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها، ولا قوام الأبدان إلا بها، وإذ هى ثمر الفراسة، وتركيب الغريزة، واختلاف الهِمم، وطيب الشيم، وتفاضل الطُّعوم. وقد تكلم الناس فى النَّعمة والسرور على تباين أحوالهم، واختلاف هممهم، وتفاوت عقولهم، وما يُجانس كلّ رجل منهم فى طَبعه، ويؤالفه فى نفسه، ويَميل إليه فى وَهمه. وإنما اختلف الناس فى هذا المَذهب لاختلاف أنفسهم، فمنهم من نفسه غضبيّة، فإنما همّه منافسة الأكفاء، ومُغالبة الأقران، ومكاثرة العشيرة. ومنهم من نفسه ملكية فإنما همّه التّفنّن فى العلوم، وإدراك الحقائق، والنظر فى العواقب. ومنهم من نفسه بهيمية، فإنما همه طلب الراحة، وإهمال النفس على الشهوة[1] من الطعام والشراب والنكاح، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرس دهرها كله، فقالوا: يوم المطر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدجن للصيد، ويوم الصحو للجُلوس. وهى أغلب الطبائع على الإنسان، لأخذها بمجامع هواه، وإيثار الراحة، وقلّة العمل، فمنه قولُهم: الرأى نائم والهوى يقظان. وقولهم: الهوى إله مَعبود. وقولهم: رَبيع القلب ما اشتهى. وقولهم: لا عَيشَ كطيب نفس.

(١) إهمال النفس: إرسالها وتركها.

النفس الملكية

قيل لضرار بن عمرو : ما السرور ؟ قال : إقامة الحجة ، و إيضاح الشبهة . لضرار بن عمرو

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إحياء السُّنة ، و إماتة البِدعة . لبعضهم

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة ، وأُستنباط الدَّقيقة .

وقال الحجّاج بن يوسف لُخريم الناعم : ما النّعمة ؟ قال : الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا يَنتفع بعيش . قال له : زِدْنى . قال : فالصحّة ، فإنى رأيت المريض لا يَنتفع بعيش . قال له : زِدْنى . قال له : الغِنى ، فإنى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش . قال له : زدنى . قال : فالشباب ، فإنى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال له : زدنى . قال : ما أجد مزيدا . بين الحجاج وخريم الناعم

وقيل لأعرابى : ما السرور ؟ قال : الأمن والعافية . لأعرابى

النفس الغضبية ٣٤٦/٣

قيل لُحضين بن المُنذر : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، والُجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . لحضين بن المنذر

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز ، وأمر نافذ . للحسن بن سهل

وقيل لعبد الله بن الأهتم . ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، ووضع الأعداء ، وطول البقاء ، مع الصحة والنماء . لابن الأهتم

وقيل لزياد : ما السرور ؟ قال : مَن طال عمره ، ورأى فى عدوه مايسره . لزياد

وقيل لأبى مسلم صاحب الدعوة : ما السرور ؟ قال : ركوب المهالجة[1] ، وقتل الجبابرة . لأبى مسلم

وقيل له : ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان ، وعز السلطان .

(١) المهالجة : جمع مملاج ، وهو الدابة الحسنة السير فى سرعة وبختره .

النفس البهيمية

لامرئ القيس

قيل لامرئ القيس : ما السرور؟ قال : بيضاء رُعْبوبة ، بالطِّيب مَشبوبة ، باللحم مَكروبة[١] . وكان مَفتونا بالنساء .

لأعشى بكر

وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟ قال : صَهباء صافية ، تَمزجها ساقية ، من صوب غادية . وكان مُغرما بالشراب .

لطرفة

وقيل لطَرفة : ما السرور ؟ فقال : مَطعم هنيّ ، ومشرب رويّ ، وملبس دفيّ ، ومركب وطيّ . وكان يؤثر الخَفض والدَّعة .

وقال طَرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عيشة الفَتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عُوّدى
فمنهن سَبق العاذلات بشَرْبة ... كُميت متى ما تُعْلَ بالماء تُزبد
وكرِّى إذا نادى المُضاف مُحَنَّبا ... كسِيد الغَضا فى الطَّخية المتورِّد
وتقصير يوم الدَّجن،والدَّجنُ مُعْجِب ... ببَهْكَنة تحت الخِباء المُمدَّد

لعمر بن عبد العزيز

وسمع بهذه الأبيات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : وأنا والله لولا ثلاث لم أحفِل متى قام عُوّدى : لولا أن أعدل فى الرعيّة ، وأقسم بالسويّة ، وأنفر فى السريّة .

لابن نهيك

وقال عبدُ الله بن نَهيك على مذهب طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عِيشة الفتَى ... ورَبِّك لم أحفِل متى قام رامسُ
فمنهن سَبق العاذلات بشَربة ... كأن أخاها مطلع الشمس ناعِس
ومنهن تَقريط الجَواد عِنانَه ... إذا أبتدر الشخصَ الكَمىّ الفوارس[٢]
ومنهن تجريد الكواكب كالدُّمى ... إذا ابتُزّ عن أكفالهن الملابس

لابن مزيد

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ قال : قُبلة على غَفلة . وكان صاحب وصائف .

---

(١) مكروبة : مشدودة .

(٢) تقريط الفرس لجامه ، أو جعل عنانه وراء أذنه عند طرح الاجام .

لحرقة بنت النعمان

وقيل لُحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : شُرب الجرْيال ، ومُحادثة الرجال .

لحضين بن المنذر

وقيل لُحضين بن المُنذر : ما السرور ؟ قال : دارٌ قَوراء[(١)] ، وجارية حَوراء ، وفرس مُرتبَط بالفناء .

لابن هانئ

وقيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفِتيان ، فى بيُوت القِيان ، ومنادمة الإخوان ، على قُضب الرَّيحان وأنشأ يقول :

قلت بالقُفْص لمُوسى ونَداماى نِيـــــام[(٢)]
يا رَضيعَىْ ثَدى أمّ ليس لى عنه فِطام
إنما العيشُ سَماع ومُـــــدام ونِدام
فإذا فاتك هــذا فعلى الدنيـا السـلام

لابن جعفر

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟ قال : ليس هـذا من مسائلك يا أمير المؤمنين . قال : عزمت عليك لتقولن . قال : هَتك الحيـا ، وأتباع الهوى .

لعمرو بن العاص

وقال معاوية لعمرو بن العاصى : ما العيش ؟ قال : ليخرج مَن هاهنا مِن الأحداث ، فخرجوا . فقال : العيش كله فى إسقاط المُروءة . ٣٤٧/٣

لهشام بن عبد الملك

وقال هشام بن عبد الملك : ألذُّ الأشياء كلها جليس مُساعد ، يُسقط عنى مؤونة التحفظ .

لأعرابى

وقيل لأعرابى : ما السرور ؟ قال : لُبس البالى فى الصيف ، والجديد فى الشتاء .

لآخر

وقيل لآخر : ما النَّعيم ؟ قال : الماء الحار فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

البنيان

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : من بنى بنيانا فَلْيتْقنه .

للحكماء

وقالت الحكماء : لذة الطعام والشراب ساعة ، ولذّة الثوب يوم ، ولذة

(١) قوراء : واسعة . (٢) القفص ، بالضم : قرية بين بغداد وعكبراء .

المرأة شهر ، ولذة البنيان دهر . كلما نظرت إليه تجدّدت لذّته فى قلبك ، وحسنه فى عينك .

لبعضهم
وقالوا : دار الرجل جنّته فى الدنيا .

وقالوا : ينبغى للدار أن تكون أولَ ما تُبتاع وآخر ما يُباع .

وصاة يحيى لابنه جعفر
وقال يحيى بن خالد لأبنه جعفر بن يحيى ، حين اُختطّ داره ليبنيها : هى قميصك ، إن شئت فضيّق ، وإن شئت فوسّع .

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
وقال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : كيف منزلك بَمْنبج ؟ قال : دون منازل أهلى ، وفوق منازل أهلها . قال : وكيف ذلك ، وقدرك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خلق أمير المؤمنين أحتذى مثالَه .

ولما دخل هارون مَنْبِجا قال لعبد الملك بن صالح : هذا منزلك ؟ قال : هو لأمير المؤمنين ، ولى به . قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطيب ماء . قال : كيف هواؤه ؟ قال : أفسح هواء .

لرجل عند جعفر ابن يحيى
وذُكر عند جعفر بن يحيى الدار الفسيحة الجو ، الطيبة النسيم ، فقال رجل عنده : لقد دخلت الطائف فكأنى كنت أبشّر ، وكأن قلبى يَنضح بالسرور ، ولا أجد لذلك علة إلا طيب نسيمها ، وانفساح هوائها .

للحسين بن سهل
وقيل للحسن بن سهل : كيف نزلت الأطراف ؟ قال : لأنها منازل الأشراف ، ينالون فيها ما أرادوا بالقُدرة ، وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة .

قولهم فى الدار الضيقة

من أمثالهم
ما هى إلّا قُوَارةُ حافر(١) ، وما هى إلا وِجَار ضَبُع ، وما هى إلاّ قُترة قانص ، وما هى إلا مَفحص قَطاة .

وقالوا : ما هى إلاّ مَحلة يَعسوب برأس سنان(٢) .

ومن مات فى دار ضيقة قيل فيه : خرج من قبر إلى قبر .

(١) القوارة ، كزجاجة : ما استدار من باطن الحافر .
(٢) اليعسوب : رئيس القوم وسيدهم . وكان الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان .

من كره البنيان

لابن الخطاب إلى ابن أبى وقاص

كتب سعدُ بن أبى وقّاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى بناء بيته ، فقال : ابْن ما يُكنّك عن الهواجر ، وأذى المطر .

من عمر بن عبد العزيز إلى عامل له

وكتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه فى بناء مدينة ، فكتب إليه : ابنها بالعدل ، ونَقِّ طرقها من الظلم .

عمر بن الخطاب وعامل مر ببناء

ومر عمر بن الخطاب ببنّاء يبنى بآجُر وجصّ ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : لعامل من عُمّالك . فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وأرسل إليه مَن يُشاطره ماله[1] .

ليزيد بن المهلب

وقيل ليزيد بن المُهلَّب : مالك لاتبنى ؟ قال : منزلى دار الإمارة أو الحَبْس .

لخارجى فى دار تبنى

ومر رجل من الخوارج بدار تُبنى فقال : مَن هذا الذى يُقيم كفيلا ؟ والخوارج تقول : كل مالٍ لا يخرج بخروجك ويرجع برجوعك ، فإنما هو كفيل بك .

ابن الحسن وأبو جعفر فى دار بناها

ولما بنى أبو جعفر داره بالأنبار دخلها مع عبد الله بن الحسن ، فجعل يُريه بنيانه فيها ، وما شيّد من المصانع والقصور ، فتمثّل عبد الله بن الحسن بهذه الأبيات :

ألم تَر حَوْشَباً أضحى يبنّى[2] … قُصورا نفعُها لبنى بُقَيله
يؤمِّل أن يُعمَّر عمرَ نوح … وأمر الله يَحدث كُلَّ ليله

لبعضهم فى الحجاج حين بنى واسطا

وقالوا فى الحجاج بن يوسف ، إذ بنى مدينة واسط : بناها فى غير بلده ، وأورثها غير ولده .

اللبـــاس

لباس النبى صلى الله عليه وسلم

إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداء وعمامة .

(١) ن : « وأرسل إليه فشاطره ماله » .
(٢) ن : « قد صار يبنى » . وانظر الحيوان (٣ : ١١٣) .

محمد بن الحنفية

٣٤٨/٣ على بن عاصم عن أبى إسحاق الشيبانى قال : مررت بمحمد بن الحنفية واقفا بعرفات ، وعليه برد ومطرف خز أصفر .

ابن عباس

الشيبانى عن ابن جُريج ، أن ابن عبّاس كان يرتدى رداء بألف .

ابن عون

أبو حاتم عن الأصمعى أن ابن عون اشترى بُرنسا ، فمرت عليه معاذة العدوية ، فقالت : مثلك يلبس هذا ؟ قال : فذكرت ذلك لابن سيرين ، فقال : ألّا أخبرتها أن تميما الدارىّ اشترى حلة بألف يصلّى فيها .

بين معمر وأيوب السختيانى

وقال معمر : رأيت قميص أيوب السختيانى كاد يَمس الأرض ، فسألته عن ذلك ، فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى فى تذييل القميص ، وإنها اليوم فى تشميره[1] .

النبى صلى الله عليه وسلم ورجل فى ثوبين خلقين

وفى موطأ مالك بن أنس رضى الله عنه ، أن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى أنمار ، فبينا أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هلم يارسول الله إلى الظل . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال جابر : وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظَهرنا . قال : فجهزته ، ثم أدبر يذهب فى الظَّهر ، وعليه ثوبان . قد أخلقا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماله ثوبان غيرهذين[2] ؟ قلت : بلى يارسول الله ، له ثوبان فى العَيبة كسوتُه إياها . قال : فادعُه ، فمُره يلبسهما . قال : فدعوته فلبسهما ثم ولّى . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ماله ، ضرب الله عنقه ، أليس هذا خيرا له ؟ فسمعه الرجل فقال : فى سبيل الله يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى سبيل الله . فقُتل الرجل فى سبيل الله .

بين على بن أبى طالب والربيع بن زياد

العتبى قال : أصابت الربيع بن زياد الحارثى نُشّابة على جبينه[3] ، فكانت تنتقض عليه فى كل عام ، فأتاه علىّ بن أبى طالب عائدا ، فقال : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أجدنى لو كان لا يُذهِب مابى إلا ذهابُ بصرى لتمنّيت

(١) انظر صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) .
(٢) الكلام هنا استفهامى .
(٣) النشابة : واحدة النشاب ، وهى السهام .

ذهابه. قال له: وما قيمة بصرك عندك؟ قال: لو كانت لى الدنيا فديته بها. قال: لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن شاء الله، إن الله يعطى على قدر الألم والمصيبة، وعنده تعالى تضعيف كثير. قال له الربيع: يا أمير المؤمنين، ألا أشكو إليك عاصمَ بن زياد؟ قال: وماله؟ قال: لبس العباء، وترك المُلاء، وغم أهله، وأحزن ولده. فقال: علىّ عاصماً فلما أتاه عبس فى وجهه، وقال: ويلك يا عاصم، أترى الله أباح لى اللذات وهو يكره أخذك منها؟ لأنت أهون على الله من ذلك، أوما سمعته يقول: (مَرَجَ البَحْرَين يَلْتقيان. بينهما بَرْزخ لا يبغيان)، ثم قال: (يَخْرُجُ منهما اللؤلؤ والمَرجان) وقوله: (ومن كلّ تأكلون لحما طريًّا وتَستخرجون حِلْية تلبسونها). أما والله إنّ ابتذال نعم الله بالفعال أحبُّ إليه من ابتذالها بالمَقال. وقد سمعته عزّ وجل يقول: (وأما بنعْمة ربك فحدِّث) ويقول: (قُل من حَرَّم زينةَ الله التى أخرج لعباده والطّيبات من الرزق). وإن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المُرسلين فقال: (يأيها الذين آمنوا كُلُوا من طَيِّبات ما رَزَقْناكم) وقال: (يأيها الرُّسل كلوا من الطّيبات واعملوا صالحاً إنِّى بما تَعملون عليم). فقال عاصم: فعلام اقتصرتَ أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: على لبس الخشِن وأكل الخشن. قال: إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعَوامّ لئلا يتبيغ على الفقير فقره. قال: فما برح حتى لبس المُلاء ونَبذ العباء.

لباس الصوف

بين حماد والسبخى

قدم حمّاد بن سلمة البصرة فجاء فرقد السَّبَخى وعليه ثياب صُوف، فقال له حماد: ضَعْ عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيم، فخرج علينا وعليه مُعصفرة، ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له.

بين ابن واسع وقتيبة

قال أبو الحسن المدائنى: دخل محمد بن واسع على قُتيبة بن مسلم، والى خراسان، وعليه مدرعة صوف[1]، فقال له قتيبة: ما يدعوك إلى لباس هذه؟ فسكت عنه

(١) المدرعة بكسر الميم: ضرب من الثياب لا يكون إلا من الصوف.

فقال له قتيبة : أ كلك فلا تجيبنى ؟ قال : أ كره أن أقول زُهدا فأزكىَ نفسى ، أو أقول فقرا فأشكو ربى . ٣٤٩/٣

لابن السماك فى أصحاب الصوف

وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم .

القاسم وسالم

وكان القاسم بن محمد يلبس الخَزّ ، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ، ومقعدهما واحد فى مسجد المدينة ، فلا يُنكر بعضهما على بعض شيئاً .

للوراق فى أصحاب الصوف

وقال محمود الوراق فى أصحاب الصوف :

تَصوّفَ كى يقال له أمينٌ وما يَعنى التصوّف والأَمانه
ولم يُرد الإلهَ به ولكنْ أراد به الطريقَ إلى الخِيانه

التزين والتطيب

ابن المنكدر ورجل يسأله عن التزين

دخل رجل على محمد بن المُنكدر يسأله عن التزيُّن والتطيُّب ، فوجده قاعداً على فرش حَشايا مصبَّغة ، وجارية تُغَلِّفه بالغالية ، فقال له : يرحمك الله ، جئت أسألك عن شىء فوجدتك فيه . قال : على هذا أدركت الناس .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وفى حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إيا كم والشعثَ ، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زَيتونة فَليعصرها وليدَّهن بها .

النبى صلى الله عليه وعائشة

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : مالى أراك شعثاء ، مرهاء ، سلتاء ؟ قالت : يا رسول الله ، أولسنا من العرب ؟ قال : بلى ، وربما أُنسيت العربُ الكلمةَ فيعلِّمنيها جبريل .

الشعثاء : التى لا تدَّهن . والرهاء : التى لا تكتحل . والسلتاء : التى لا تختضب .

له صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : ما نلت من دُنيا كم إلا النساء والطيب .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقتادة

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا قَتادة الأنصارى قال : يا رسول الله . إن لى جُمّة أفأرجِّلها يا رسول الله ؟ قال : نعم وأكرِمها . قال : فكان

أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

الرسول صلى الله عليه وسلم ورجل أشعث

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اخرج فأصلح رأسك ولحيتك . ففعل ثم رجع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟

النابغة فى حسن الهيئة

وقد تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة ، فقال النابغة :

رقاقُ النِّعال طيِّبٌ حُجزاتهم ... يُحَيَّوْن بالرَّيحان يومَ السَّباسب[1]

يُحَيِّيهم بيضُ الوَلائد بينهم ... وأكسية الإضْريج فوق المَشاجب[2]

يَصونون أجساداً قديماً نَعيمها ... بخالصة الأردان خُضر المناكب

للفرزدق

وقال الفرزدق :

بنو دارم قَومى ترى حُجزاتهم ... عتاقاً حَواشيها رقاقاً نعالُها

يَجُرون هُدّاب اليمانى كأنهم ... سُيوف جلا الأطباع عنها صِقالها

لطرفة

وقال طرفة :

أُسْدُ غِيـلٍ فإذا ما فزعوا ... غيرُ أنكاسٍ ولا هُوجٍ هُذُرْ[3]

فإذا ما شربوا وانتشَوْا ... وَهَبوا كُلَّ أمون وطِمِرّ

ثم راحوا عَبَقُ المسك بهم ... يُلْحِفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لكثير

وقال كثيرُ عزة :

أشَمُّ من الغادين فى كُل حُلَّة ... يَميسون فى صبغ من العَصب مُتقَن

لهم أُزُر حُمر الحواشى يَطَوْنها ... بأقدامهم فى الحَضْرمى المُلَسَّن

لبعضهم

٣٥٠/٣ وقال آخر :

من النَّفر الشُّمّ الذين إذا اعتَزَوْا ... وهابَ الرجالُ حَلقة الباب قَعقعوا

(١) يوم السباسب : يوم السعانين . وهو يوم عيد عند النصارى .

(٢) الإضريج : الخز الأحمر . (٣) الهوج : الحمقى .

جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه ... وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

إذا النفر السود اليمانون حاولوا ... له حوك برديه أرقوا وأوسعوا

لآخر

وقال آخر (١) :

يشبهون ملوكاً فى تجلتهم ... وطول أنضية الأعناق واللمم (٢)

إذا غدا المسك يجرى فى مفارقهم ... راحوا كأنهم مرضى من الكرم

لبعضهم فى على ابن داود

وقال آخر فى على بن داود الهاشمى :

أما أبوك فذاك الجود نعرفه ... وأنت أشبه خلق الله بالجود

كأن ديباجتى خديه من ذهب ... إذا تعصب فى أثوابه السود

الرجلة والركوب

بين عمرو بن العاص ورجل

سمع عمرو بن العاص رجلا يقول : الرجلة قطعة من العذاب . فقال له : لم تحسن ، بل العذاب قطعة من الرجلة .

الرشيد وزبيدة فى رحلة إلى مكة

ولما مشى هارون إلى مكة ومشت معه زبيدة كانت تبسط الدرانك (٣) أمامهم وتطوى خلفهم ، فلما أعيا دعا بخادم له ، فألقى ذراعه عليه وتأوه ، وقال : والله لركوب حمار شموس خير من المشى على الدرانك .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

وما عن رضاً صار الحمار مطيتى ... ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

لبعض الأعراب

وقال أعرابى :

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع ... كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

الخيل

قد مضى من قولنا فى وصف الخيل وفضائلها فى كتاب الحروب ما كفى عن إعادتها هنا .

(١) هو الشمردل اليربوعى ، كما فى الحيوان (٣ : ٩١) .

(٢) التجلة : الجلال . والأنضية : جمع نضى ، وهو السهم الذى لم يرش . يعنى أن أعناقهم طوال مستوية .

(٣) الدرانك : أنواع من البسط ؛ الواحد درنوك .

البغـال

لمسلمة

قال مسلمة بن عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان ، قصيرة العِذار ، سَفواء[1] العُرف ، حصّاء الذنب ، سَوطها عنانها ، وَهَمُّها أمامها .

لبعض الهاشميين فى البغال حين عاتب الفضل

وعاتب الفضل بن الربيع بعض الهاشميين فى ركوب بغلة فقال : هذا مركب تطامَنَ عن خُيلاء الفرس ، وارتفع عن ذلّة الحمار ، وخير الأمور أوسطها .

الحمـــير

للفضل الرقاشى فى فضل الحمير

قيل للفضْل الرقاشىّ : إنك لتُؤثِرُ الحَمِير على سائر الدوابّ . قال : لأنها أرْفق وأوفق . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لا تستبدل بالمَكان على طُول الزمان ، ثم هى أقل داء ، وأيسر دواء ، وأخفض مهوى ، وأسلم صريعا ، وأقل جِماحا ، وأشهر فارها ، وأقل نظيراً ، يُزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويُعد مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه .

لجرير فى ذم الحمير

وقال جرير بن عبد الله : لا تركب حمارا ، إن كان حَديداً أتعب يديك ، وإن كان بليدا أتعب رجليك .

طبائع الإنسان وسائر الحيوان

لعلماء الطب

زَعم علماء الطّب أن فى الجسد من الطبائع الأربع أثنى عشر رطلا : فللدم منها ستة أرطال ، وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال . فإن غلب الدم الثلاث الطبائع تغيّر منه الوجه وورم ، ويخرج ذلك إلى الُجذام . وإن غلبت الثلاث الطبائع الدم أحدث المِدّ ، فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها على بعض فليعدل جسده بالاقتصاد ، وينقيه بالمشى ، فإن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إما جذام وإما مد . أسأل الله العافية ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الأزمان إلا من النصف من

(١) سفواء العرف : خفيفة شعر العنق .

٣٥١/٣ تمُّوز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج ، إلا أن ينزل مرض لابد من مداواته .

لجعفر بن محمد في نمو الغلام

جعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال : الغلام ينبُت كل سنة مقدارَ أربع أصابع من أصابعه .

مما في التوراة

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنبه ، أنه قرأ في التوراة : إن الله عز وجل حين خلق آدم ركّب جسده من أربعة أشياء ، ثم جعلها وراثة في ولده تنمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسُخن ، وبارد . قال : وذلك أني خلقته من تراب وماء ، وجعلت فيه يبسا ، فيُبوسة كل جسد من قِبَل التراب ، ورُطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قِبل النفس ، وبُرودته من قبل الرُّوح . ثم خَلقت للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع أُخر ، وهي مِلاك الجسد وقِوامه ، لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المِرة السوداء ، والمِرّة الصفراء ، والدّم الرطب الحار ، والبَلغم البارد . ثم أسكنتُ بعض هذا الخلق في بعض ، فجعلتُ مسكن اليُبوسة في المِرة السوداء ، ومسكن الرطوبة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المِرة الصفراء ، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفِطر الأربع وكانت كل واحدة فيه وفقاً لا تزيد ولا تنقص كَمُلت صحّته ، واعتدلَ نباتُه . وإن زادت واحدة منهنّ غلبتهنّ وقهرتهنّ ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السّقم من ناحيتها بقدر ما زادت . وإن كانت ناقصةً عنهن مِلْن بها وعلونَها وأدخلن عليها السقم من نواحيهن لقلّتها عنهن ، حتى تَضعف عن طاقتهن ، وتعجز عن مقارنتهنّ .

قال وهب بن مُنبه : وجعل عقله في دِماغه ، وشرَهه في كُلْيته ، وغضبه في كبده ، وصرامته في قَلبه ، ورُعبه في رئته ، وضَحكه في طِحاله ، وحُزنه وفرحه في وجهه[1] ، وجعل فيه ثلثمائة وستين مفْصلا .

(١) ن : « في روحه » .

للأصمعى

الأصمعى : من لم يَخِفّ شعرُه قبل الثلاثين لم يَصلع أبدا ، ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبدا .

للنبى صلى الله عليه وسلم

حدث زيد بن أخزم قال : حدثنى بشر بن عمر عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عَجب الذنب ، منه خُلق ومنه يركب .

للحكماء فى الخنث

وقالت الحكماء : الخَنث يعترى الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف ، إلا الخصيان ، فإنه لا يكون خَصىّ مخنثاً .

لهم فى الخصى

وقالوا : كل ذى ريح مُنتنة وذَفَر كالتيس وما أشبهه ، إذا خُصى نقص ريحه وذهب صُنانه ، غيرَ الإنسان ، فإنه إذا خُصى زاد نتنه واشتد صُنانه ، وخبث عرقه وريحه . وقالوا : وكل شىء من الحيوان يُخصى فإن عظمه يرقّ ، وإذا رق عظمه استرخى لحمه ، إلا الإنسان ، فإنه إذا خُصى طال عظمه وعَرض .

وقالوا : الخصى والمرأة لا يَصلعان أبداً ، والخصىّ تطول قَدمه وتعظم .

وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم برذون رَقيق الحافر ، فخصاه فجاد حافرُه وحَسُن .

قالوا : والخصىّ تلين معاقد عَصبه وتسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والفدع فى أصابعه(١) ، وتُسرع دَمعته ، ويجود جِلده ، ويُسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر .

فى الأعمار

وزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجماع ، كما تطول أعمار البغال .

وقالوا : إنّ علّة قصر أعمار العصافير من كثرة الجماع .

شذوذ الخلق

وقالوا : فى الغلمان من لا يحتلم أبداً ، وفى النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب . ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدّل سنه ، فمنهم عبد الصمد بن على ، ذكروا أنه دَخل قَبره برَواضعه(٢) .

وقالوا : الضبّ والخِنزير لا يُلقيان شيئاً من أسنانهما أبداً .

---

(١) الفدع ، بالتحريك : الاعوجاج .

(٢) الرواضع : مانبت من أسنان الصبى ثم سقط فى عهد الرضاع . وانظر الحيوان (٤ : ٥٢) .

للحكماء فى النظر إلى السماء

وقالت الحكماء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء غير الإنسان ، كرّمه الله بذلك . ٣٥٢/٣

ولهم فى الجنين

وقالوا : إن الجنين يغتذى بدم الحيض يُقبل إليه من قبل السرّة ، ولذلك لا تحيض الحوامل إلا القليل . وقد رأينا من الحوامل مَن تحيض . وذلك لكثرة الدم .

وتقول العرب : حملت المرأة سهواً ، إذا حاضت عليه . وقال الهذلى (١) :

ومُبرّأ من كل غُبَّر حَيْضة وفساد مُرضعة وداء مُغْيل

يعنى أنها لم تر عليه دم حَيض فى حملها به .

قالوا : فإذا خرج الولد من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدّم الذى كان الجنين يغتذيه إلى الثديين ، وهما عُضوان باردان عصبيان يغيّرانه لبنا خالصا سائغاً للشاربين .

لهم فى الوضع الذى يعيش فيه الإنسان

وقالوا : يعيش الإنسان حيث تعيش النار ويتلف حيث لا تبقى النار .

وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على فتق فى بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة فى طرف قناة ، فإن عاشت بالنار وثبتت دخلوا فى طلبها ، وإلا أمسكوا .

تشاؤم العرب

والعرب تتشاءم ببكر ولد الرجل إذا كان ذكرًا .

وكان قيس بن زهير أزرق بكراً ، ابن بكرين (٢) .

لابن نوفل فى بكر البكرين

وحدّث محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن حارث بن نوفل قال : بكر البكرين شيطان مخلد لا يموت إلى يوم القيامة . يعنى من الشياطين .

فى أخبث الرجال

قالوا : وابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغَيْرَى لا تُنجب .

وقال عمرو بن معديكرب :

أليستَ تَصير إذا ما نُسبـ ـت بين المُغَارة والأحمق

فى الحمل

قالت الحكماء : كل امرأة أو دابّة تُبطِئُ عن الحَمْل إن واقعها الفحلُ فى الأيام التى يجرى فيها الماء فى العود فإنها تحمل بإذن الله .

---

(١) هو أبو كبير الهذلى ، كما فى اللسان (غبر) .

(٢) ن : « بكرا ابن بكر ابن بكر ابن بكر » .

للحكماء فى الزنج

وقالت الحكماء : الزَّنج شِرار الخلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادهم سخُنت جدا فأحرقتهم فى الأرحام . وكذلك من بردت بلاده لم تُنضجه الرحم . وإنما فَضَلَ أهل بابل لعلة الاعتدال . وقالوا : الشمس هى التى شَيَّطت شعر الزنج وقبضته ، والشعر إن أدنيته من النار تقبّض ، فإذا زدته شيئاً تفلفل ، فإن زدته احترق .

وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم تستنّ(١) ، وذلك لرُطوبة أفواهها وكثرة الرِّيق فيها ، وكذلك الكلاب من سائر الحيوان أطيبها أفواها ، لكثرة الماء فيها ، وخَلوف فم الصائم يكون لقلّة الريق ، وكذلك الخُلوف فى آخر الليل .

ولهم فى السابح

وقالت الحكماء أيضا : كل الحيوان إذا أُلقى فى الماء سَبح . إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر ، فإن هذه تغرق ولا تسبح .

ولهم فى الهارب

قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضْر إلا إذا أخذ على يساره ، ولذلك قالوا : فمال على وحشيِّه ، وأنحَى على شؤمى يديه .

ولهم فى الأشفار

وقالوا : كُل ذى عين من ذوات الأربع : السباع والبهائم الوحشية والإنسية ، فإنما الأشفار منها بجفنها الأعلى ، إلا الإنسان ، فإن الأشفار ، يعنى الهدب ، بجفنيه معاً ، الأعلى والأسفل .

ولهم فى الجلد

وقالوا : كُل جلد ينسلخ إلا الإنسان ، فإن جلده لا ينسلخ .

عمر ورجلان اختصما فى غلام

وحدّث أبو حاتم عن الأصمعى قال : اختصم رجلان إلى عمر رضى الله عنه فى غلام ، كلاهما يدّعيه ، فسأل عمر أمه فقالت : غَشينى أحدهما ثم أهرقتُ دما ، ثم غشينى الآخر . فدعا عمر بالرجلين فسألهما ، فقال أحدهما : أعلن أم أسِر ؟ قال : أسِرّ . قال : اشتركنا فيه . فضربه عمر حتى اضطجع . ثم سأل الآخر ، فقال مثل ذلك . فقال عمر : ما كنت أرى مثل هذا يكون ، ولقد علمت أن الكلبةَ ٣٥٣/٣ يسفدها الكلاب ، فتؤدى إلى كل كلب نجله .

فى خلق الإنسان

ورُكّب الناس فى أرجلهم ، وركب ذات الأربع فى أيديها ، وكل طائر كفه رجله .

فى الحمل

الليث بن سعد عن ابن عجلان أن امرأة حملت ، فأقامت حاملا خمس سنين

(١) تستن : تستعمل السواك .

ثم ولدت ، وحملت مرة أخرى فأقامت حاملا ثلاث سنين ثم ولدت .

مولد الضحاك

ووُلد الضحاك بن مزاحم ، وهو ابن ثلاثة عشر شهراً . وقال جرير : ولد الضحاك لسنتين ، وشعبة لسنتين .

ما نقص من خلقة الحيوان

حدّث أبو حاتم عن أبي عُبيدة ، والأصمعي ، وأبو زيد قالوا : الفرس لا طِحال له . والبعير لا مرارة له ، والظليم لا مُخّ له . وقال زهير :

* مِن الظلمانِ جُؤجؤه هواء(١) *

وكذلك طير الماء . والحيتان لا ألسنة لها ولا أدمغة لها ، وصَفَن البعير لا بيضة فيه ، والسمكة لا رِئة لها ولا تتنفّس ، وكل ذى رئة يتنفس .

المشتركات من الحيوان

الراعيّ بين الورشان والحمامة . والجوامز من الإبل ، بين العِراب والفوالج . والحمير الأخدرية ، من الأخدر ، فرس كان لأردشير كسرى. توحش وحمى عانات حَمير فضرب فيها . وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الحبش و بين البقرة الوحشية و بين الضبعان ، واسمها « اشتر كاو بلنك(٢) » ؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجيء بولد خَلْقه بين خلق الناقة والضبعان ، فإن كان ولد تلك الناقة ذكراً عرضَ للمهاة فألقحها زرافة . وسميت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة ، كأنها جمل و بقرة وضَبُع . والزرافة فى كلام العرب : الجماعة .

وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سلوقيّة ، فتكون منها الكلاب السلوقيّة .

(١) صدره كما فى الديوان ٦٣ : * كأن الرحل منها فوق صعل *

(٢) هذا بالفارسية . اشتر : بعير . كاو : بقرة . بلنك : نمر . أما الضبع فهو بالفارسية « كفتار » . انظر الحيوان (١ : ١٤٣ / ٧ : ٢٤١) .

الأنعام

حدّث يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلى عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلق الله دابة أكرم من النعجة وذلك أنه ستر حَياها دون حيا غيرها .

وحدث أبو حاتم عن الأصمعى عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يَعرف فسج الحامِل ، قبل أن يشمّها[1] .

أجوبة لابنة الخس

وقيل لابنة الخُس : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنى . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنى . والعرب تضرب المثل فى الصرد بالمعز فتقول : أصرد من عَنز جَرباء .

قول دغفل فى بنى مخزوم

سئل دغفل العلّامة عن بنى مخزوم ، فقال : معزى مطيرة ، عليها قشعريرة ، إلا بنى المغيرة ، فإن فيهم تشادق الكلام ، ومصاهرة الكرام .

مما يقول الأعراب على ألسنة البهائم

ومما تقوله الأعراب على ألسنة البهائم ، تقول المعزى : الاست جَهْوَى ، والذنَب ألوى ، والجلد زِقاق ، والشعر رِفاق[2] .

ولادة الضأن والمعز والخنازير

والضأن تضع مرة فى السنة وتفرد ولا تتئم ، والمعز قد تلد مرتين فى السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنماء والعدد والبركة فى الضأن . ونحو هذا الخنازير ربما تضع الأنثى عشرين خنزيراً ، لا نماء فيها ولا بركة .

تشبيه بعض الحيوان ببعض

ويقال : الجواميس ضأن البقر ، والبخت ضأن الإبل ، والبراذين ضأن الخيل ، والجرذان ضأن الفأر ، والدُّلدل ضأن القنافذ ، والنمل ضأن الذر .

أثر بعض اللحوم فى الإنسان

وتقول الأطباء : فى لحم المعز : إنه يورث الهم ، ويحرك السوداء ، ويورث النسيان ، ويخبّل الأولاد ، ويفسد الدم . ولحم الضأن يضر بمن يصرع من المِرّة إضراراً شديداً ، حتى يصرعهم فى غير أوان الصرع : الأهلة وأنصاف

(١) فسجت الناقة : حملت فزمت بأنفها واستكبرت .

(٢) جهوى : مكشوفة . ألوى : ملتو . رقاق : جمع زق ، وهو السقاء . والرفاق : حبل يشد فى عنق البعير إلى رسغه .

الشهور . وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء ، ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر بين فى زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات. قال الشاعر[1] :

كأنّ القوم عُشُّوا لحم ضأن فهم نَعِجون قد مالت طُلاهم[2] ٣٥٤/٣

من خصائص الماعز

وفى الماعز أيضاً أنها ترضع من خِلفها وهى محفَّلة حتى تأتى على كل ما فى ضرعها . وقال ابن أحمر :

إنّى وجدتُ بنى أعيا وجامِلهم كالعَنز تعطف رَوقيها فتحتفل

وإذا رعت الماعزة فى فَضل نبت ما تأكله الضائنة ولم ينبت ما تأكله الماعزة، لأن الضائنة تقرض بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله . وإذا حملت الماعزة أنزلت اللبن فى أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ، ولذلك تقول العرب : رمَّدت[3] المعزى فربِّق ربِّق ، ورمدت الضأن فربق ربق .

أصوات الإناث والذكور

وذكور كل شىء أحسن من إناثه إلا التيوس ، فإن الصفايا أحسن منها ، وأصوات ذكور كل شىء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر ، فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها .

وقرأت فى كتاب للروم : إذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة ، فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه .

وقرأت فيه : إن الإبل تتحامى أمهاتها فلا تسفدها .

وقالوا : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أقرح[4] . وقالوا : البعير إذا صعب وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل ثم يكومه فحل آخر فيذل ، وقد يفعل ذلك بالثور .

فضل الكبش وهوان التيس

وقال بعض القُصّاص : مما فضل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من

---

(١) هو ذو الرمة ، كما فى اللسان (نعج) . وانظر الحيوان (٤٧٩،٥/٣٠١:٤) .
(٢) النعج : الذى أكل لحم الضأن فثقل على قلبه . والطلى : الأعناق .
(٣) رمدت ترميداً : استبان حملها وعظم ضرعها . التربيق : تهيئة الأرباق ، وهى الحبال .
(٤) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . والأقرح : الذى فى وجهه قرحة . انظر الحيوان (٣ : ٣١٠) .

قبل ومن دُبر، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر، مكشوف القبل والدبر.

وفى مناجاة عزير: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحبة، ومن البيوت مكة و إيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس.

وفى الحديث «إن الغنم إذا أقبلت أقبلت و إذا أدبرت أقبلت، والإبل إذا أدبرت أدبرت و إذا أقبلت أدبرت، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم[1]».

أقط المعزى

والأقط قد يكون من المعزى. قال امرؤ القيس:

لنا غَنم نسوّقها غِزار ... كأنّ قرون جِلّتها عصىُّ
فتملأ بيتنا أقِطا وسمنا ... وحَسبك من غنى شبع ورىّ

النعام

قالوا فى الظليم: إن الصيف إذا أقبل وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون وظيفيه بالحمرة فلا يزالان يتلوّنان و يزدادان حمرة إلى أن تنتهى حُمرة البسرة. لذلك قيل له خاضب، وللنعام خواضب. وفى الظليم أن كل ذى رجلين إذا انكسرت إحدى رجليه نهض على الأخرى، والظليم إذا انكسرت إحدى رجليه جثم، ولذا قال الشاعر فى نفسه وأخيه:

إذا انكسرت رجلُ النعامة لم تَجد ... على أختها نَهضا ولا دونها صبرا

قالوا: وعلّة ذلك أنه لامخّ فى عَظمه.

وكل عظم كسر يجبر إلا عظما لا مخ فيه.

والظليم يغتذى المَدر والصخر، فتذيبه قانصته بطبعها حتى يصير كالماء.

وفى النعامة أنها أخذت من البعير المنسم، والوظيف والعنق والخدامة[2]، ومن

(١) الأشأم، أى الشمال. وذلك أنها تحلب وتركب من هذا الجانب الذى ديدن العرب أن يتشاءموا به. انظر الحيوان (٥ : ٥٠٩ — ٥١٠).

(٢) ن «الحرامة» صوابها «الخزمة» وهى موضع الخزم من الأنف. انظر الحيوان (٤ : ٣٢١).

الطير الريش والجناحين والمناقير ، فهى لا بعير ولا طائر .

الأحيمر السعدى ولقاؤه الوحش

وقال الأحيمر السعدى : كنت ممن خلعنى قومى وأطَلّ السلطان دمى ، وهربت وترددت فى البوادى حتى ظننت أنى قد جزت نخل وبار أو قريباً من ذلك ، وإنى كنت أرى النوى فى رجيع الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ، ولا تنفر منى لأنها لم تر أحداً قبلى ، وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ، إلّا النعام فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا[1] .

٣٥٥/٣

الطـــــير

دعاء داود

بلغنى عن مكحول أنه قال : كان من دعاء داود النبى عليه السلام : يا رازق النعّاب فى عشه .

وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضاء فإذا رآها كذلك نفر عنها ، وتفتح أفواهها فيرسل الله ذبابا يدخل فى أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسود ، فإذا اسودّت عاد الغراب إليها فغذاها ودفع الله الذباب عنها .

البيض والولادة

قال الرياشى : ليس شىء تغيب أذناه من جميع الحيوان إلا وهو يبيض ، وليس شىء تظهر أذناه إلا وهو يلد .

قال : هذا يروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

ما نهى عن قتله من الطير

وقد نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل أربعة من الطير : الصرد والهدهد ، والذرة ، والنحلة .

ضروب الطير

وقالوا : الطير ثلاثة أضرب : بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبزور ، وسباع الطير وهى التى تتغذى باللحم ، ومشترك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير ، فإنه ليس بذى مخلب ولا منسر . وإذا سقط الطير على عود قدم أصابعه الثلاثة وأخّر الدابرة . وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين . ويشارك سباع

---

(١) الخبر فى الحيوان (٣ : ٤٢١) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

الطير فإنه يلقم فراخه ولا يزقها ، وإنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل [١] .

وقع قدم العصفور والفيل

وقالوا : العصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء [٢] .

تبدل بعض الحيوان

وقال صاحب الفلاحة : العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا ، والأرانب تتبدل فتصير الأنثى ذكرا والذكر أنثى .

ما لا يحضن من الذكور

وذكر الغربان لا يحضن ، وكذلك ذكر الأوز وذكر الدجاج .

مدى طير الطائر

وقال كعب الأحبار: ما ذهب طائر فى السماء قط أكثر من اثنى عشر ميلا .

عمر الذباب والبعوض والبرغوث

ومن حديث سفيان الثورى عن أنس بن مالك قال : عمر الذباب أربعون يوما ، والبعوضة ثلاثة أيام ، والبرغوث خمسة أيام .

مايعجب به الحمام

قال : والحمام تعجب بالكمّون وتألف الموضع الذى يكون فيه ، وكذلك العدس ولا سيما إذا نقع فى عصير حلو . ومما يصلحن عليه ويكثرن أن تدخن بيوتهن بالعِلْك .

وأيمن مواضعها وأصلحها أن يبنى لها بيت على أساطين خشب ويجعل فيه ثلاث كوى : كوّة فى سَمْك البيت [٣] ، وكُوّة من قبل المغرب ، وباب من قبل الجنوب .

ما يكره السذاب

قال : والسذاب إذا ألقى فى اللبن تحامته السنانير البرية .

طريقة لحفظ ما فى الأبراج

هشام بن محمد قال : حدثنى ابن الكلى قال : أسماء نساء بنى نوح صلى الله عليه وسلم ، إذا كتبن فى زوايا بيت البرج سلمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات . قال هشام : فجربته أنا وغيرى فوجدناه كما قال ، واسم امرأة سام بن نوح محلت محم ، واسم امرأة حام نف نسا ، واسم امرأة يافث فالو .

ما يخرج من وكره بالليل

والطير الذى يخرج من وكره بالليل البومة ، والصدى ، والهامة ، والضُّوَع ، والوطواط ، والخفاش ، وغراب الليل .

قالوا : وإذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه فى حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها

---

(١) الحيوان (١ : ٢٩) (٢) الحيوان (٢ : ٣٣٠/٧ : ١٠٥)

(٣) سمك البيت : سقفه .

وتنفتق ، فإذا اتسعت زقّاه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب .

شبه الحمام بالإنسان

قال المُثنى بن زُهير(١) : لم أر شيئاً قط فى رجل أو امرأة إلا رأيته فى الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، وذكراً لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور ، ورأيت حمامة لا تُقمَط إلا بعد شدة الطلب ، ورأيت حمامة تَزيف للذكر ساعة يريدها ، ورأيت حمامة تقمط الذكر ، ورأيت ذكرا يقمط كل ما لقى ولا يزاوج ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن مع هذه وهذه .

خصائص الخطاف

قالوا : ومن عجائب الخفاش أنه لا يبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة ، وتحبل وتلد ، وتحيض ، وترضع ، وتطير بلا ريش ، وتحمل ولدها تحت جناحها ، وربما قبضت عليه بفيها ، وربما ولدت وهى تطير ، ولها أذنان وأسنان ، وجناحان متصلان برجليها .

٣٥٦ / ٣

قالوا : والخطاف يتبع الربيع حيث كان ، وتقلع إحدى عينيه وترجع(٢) .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعةِ أشياء : منه ما يتكون من السفاد ، ومنه ما يتكون من التراب ، ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصل إلى أرحامها ، وهو شىء يعترى الحجَل وما شاكلها فى الطبيعة ، فربما كانت الأنثى على قُبالة الريح التى تهبُّ فى بعض الزمان فتحتشى لذلك بيضاً(٣) .

وكذلك النخلة التى تكون تحت الفُحّال وتحت ريحه فتلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك(٤) .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ١٦٥) .

(٢) الحيوان (٤ : ١١٢) . (٣) الحيوان (٣ : ١٧٣) .

(٤) الحيوان (٣ : ١٧٣) . والفحال : ذكر النخل .

بيض الدجاج الهرم

والدجاجة إذا هرمت لم يكن لبيضها مخ ، وإذا لم يكن لها مخ لم يكن لبيضها فرخ ، لأن الفرخ يخلق من بياض البيض وغذاؤه الصفرة .

السباع

أفواه السباع

يقال : إنه ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ، ولا فى الوحش أطيب أفواها من الظباء . ويقال : ليس أشد بخراً من الأسد والصقر ، ولا فى السباع أسبح من كلب .

وليس فى الأرض فحل من سائر الحيوان لذكره حجم إلا الإنسان والكلب .

من طباع الأسد

والأسد لا يأكل الحار ولا الحامض ولا يدنو من النار ، وكذلك أكثر السباع .

وتقول الروم : الأسد يذعر لصوت الذئب ولا يدنو من المرأة الطامث .

والأسد إذا بال شغر كما يشغر الكلاب ، وهو قليل الشرب ، ونجوه كنجو الكلب ، ودواء عضته كدواء عضة الكلب .

العيون المضيئة

قالوا : والعيون التى تضيء بالليل : عيون الأسد والنمور والأفاعى والسنانير .

مايرجع فى قيئه

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قيئها : الأسد والكلب والسنور .

حمل الكلبة وولادتها

وقالوا : أيام حمل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش . وأناث الكلاب تحيض كل سبعة أيام يوما ، وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثفر الكلبة ، ولا تريد السفاد فى ذلك الوقت (١) .

الكلاب السلوقية وأعمارها

وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة وتعيش أناثها اثنتى عشرة سنة .

وليس يلقى الكلب من أسنانه إلا النابين . والذئاب تسفد الكلاب فى أرض سلوقية فيكون منها الكلاب السلوقية .

احتلام الكلب

والكلب من الحيوان يحتلم كما يحتلم الإنسان .

ولوع الذئب بالدم

وقالوا : فى طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ بطبعه أن يرى ذئباً مثله قد دمى ،

(١) الحيوان (٢ : ٢٢٠) .

فيثب عليه فيمزقه . قال الشاعر[1] :

وكُنّا كذِئب السَّوء لما رأى دماً   بصاحبه يوماً أحال على الدّمِ

نوم الذئب

ويقولون : ربما ينام الذئب بإحدى عينيه ويفتح الأخرى ، قال حُميد ابن ثور :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتّقى   بأخرى الأعادى فهو يَقْظان نائم

من طباع الذئب

قالوا : والذئب أشدّ السّباع مُطالبةً ، وإذا عجز عوى عُواء استغاثة فتسامعت به الذئاب ، فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان أو غيره فتأكله ، وليس فى السباع مَن يفعل ذلك غيرها .

خصائص الأرنب

وقضيب الذكر من الأرانب من عَظم ، وكذلك قَضيب الثعلب .

والأرانب تنام مفتوحة العين ، وتحيض .

خصائص الفيل

وليس لشىء من ذكور الحيوان ثَدى فى صدره إلا الإنسان والفيل .

ولسان الفيل مقلوب على طرفه داخل .

وزعمت الهند أن نابى الفيل قَرناه ، يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك . ويخرجان مُنكسين .

وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة .

وحدثنى شيخ لنا عن الزيادى قال : رأيت فيلاً أيام أبى جعفر قيل إنه سَجد لسابور ذى الأكتاف ، ولأبى جعفر .

والفيلة تضع فى سبع سنين .

الحيوان الذى لا يصلح إلا بأمير

الناس ، والفأر ، والغرانيق ، والكراكىّ ، والنّحل ، والحشرات .

قتادة عن ابن عمر قال : الفأرة يهوديّة ، ولو سقيتها ألبان الإبل ما شربتْه . ٣٥٧/٣

(١) هو الفرزدق . ديوانه ٧٤٩ واللسان (١٣ : ٢٠٤) .

أصناف الفأر

والفأر أصناف : منهـا الزّباب ، وهو أصم لا يسمع ، والخُلد وهو أعمى . وتقول العرب : هو أسود من زَبابة . وفأرة البِيش ، والبيش سم قاتل يقال : هو قرون السنبل ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره . وفأرة المسك من غير هـذا . وفأرة الإبل : أرواحها إذا عرقت .

خصائص الأفعى والحية

قالوا : والأفعى إذا نفثتَ فى فيهـا حماض الأترج وأطبقت لحييها الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياماً .

قالوا : الثوم والملح وبعر الغنم نافع جداً إذا وُضع على موضع لسعة الحية ، والحيات تقتل بريح السذاب والشيح ، وتعجَبُ باللُّفّاح[1] والبَشْباس ، والبِطّيخ والخردل والحُرْف[2] ، واللبن والخمر .

وليس فى الأرض حيوان أصـبر على الجوع من الحيّة ، ثم الضب بعدها . وإذا هرمت الحية صغر بدنها ، وقنعت بالنسيم .

التمساح

قالوا : وكل شىء يأكل فهو يحرك فـكّه الأسفل ، ما عدا التمساح فإنه يحرّك فـكه الأعلى .

السمكة الرعادة

وبمصر سمكة يقال لهـا الرّعادة ، من اصطادها لم تزل يدُه تُرعد ما دامت فى شبكته .

الجعل

والجُعل إذا دفنته فى الورد سكنت حركتُه حتى تحسبه ميتاً ، فإذا أدنيتَه من الروث تحرّك ورجعت نفسه .

البعير والخنفساء

والبعير إذا أُبتلع فى علفه خُنفساء قتلته إذا وصلت إلى جوفه حيّة .

طول ذماء الضب

والضب يذبح ثم يمكث ليلة ، ثم يقرب من النار فيتحرك .

طول ذماء الأفعى

والأفعى تذبح فتبقى أيّاماً تتحرّك وإذا وطئها أحد نهشته ، ويقطع ثلثهـا الأسفل فتعيش ، وينبت ذلك المقطوع .

---

(١) اللفاح ، كرمان : نبت له ثمر فى حجم التفاح .

(٢) الحرف ، بالضم : حب الرشاد . وانظر الحيوان (٤ : ١١٠) .

الضب — قالوا : وللضبّ ذَكران وللضبة حِران . حكاه أبو حاتم عن الأصمعى . ويقال لذلك النِّزْك . وأنشد :

سِبَحْل له نزكانِ كانا فضيلة ... على كل حافٍ فى الأنام وناعِل[1]

سام أبرص — وسامّ أبرص لا يدخل بيتاً فيه زَعفران

المكلوب والذباب — ومَن عضه كَلب كَلِب احتاج أن يستر وجهه من الذباب لئلا تَسقط عليه .

خرطوم الذباب — وخرطوم الذُّباب يده ، ومنه يغنى ، وفيه يجرى الصوت كما يُجرى الزامر الصوت فى القصبة بالنَّفخ .

تداوى ضروب من الحيوان — والسلحفاة إذا أكلت أفعى أكلت سعتراً جبليًا .

وابن عِرس إذا قاتل الحية أكل السّذاب . والكلاب إذا كان فى أجوافها داء أكلت سُنبل القمح . والإيَّل[2] إذا نهشته الحية أكل السراطين .

قال ابن ماسويه : فلذلك يُظن أن السراطين صالحة لمن نهشْته الحية .

قال صاحب المنطق : الحية إذا اشتكت كبدَها من رفع الأرانب والثعالب فى الهواء تعالجت بأكل الأكباد حتى تبرأ .

وبعض الناس يعملون من الأوزاغ سُمًّا أنفذ من البِيش ومن ريق الأفاعى .

اتقاء أذى الحيوان — وإذا زرع فى نواحى الزرع خردل تجنَّبته دبى الجراد ، وإذا أخذ المُرْداسَنج وخلط بعجين الدَّقيق ثم طُرح للفأر وأكل منه مات ، وكذلك بُرادة الحديد .

وإذا أخذ الأفيون والشُّونيز والبازرند وقرن الإِيَّل وبابونج وظِلف من أظلاف العنز ، فخُلط ذلك جميعا ، ثم يُدق ويُنخل نخلا جيداً ويُعجن بخل ثقيف[3] ، ثم يُقطع قطعاً ، فيدخن قِطعة منه ، هَربت الحيّات والهوامّ والنمل والعقارب من ريحه . والبعوض تهرُب من دُخان الكبريت والعِلْك .

نفع لحوم بعض الحيوان — وقالت الحكماء : لحم ابن عِرس نافع من الصّرع ، ولحم القنفذ نافع من

(١) البيت لأبى الحجاج ، أو لحران ذى الفصة . انظر الحيوان (٤:١٦٣ — ١٦٤) .

(٢) الأيل ، بضم الهمزة وكسرها ، مع تشديد الياء المفتوحة ، وكذا بفتح الهمزة مع تشديد الياء المكسورة : الذكر من الأوعال . وانظر الحيوان (٤ : ٢٢٧)

(٣) الثقيف : الحاذق الحامض جدا .

الجذام والسل والشنج ووجع الكلى ، يجفّف ويُشوى ويُطعمه العليل مَطبوخاً ومشويًّا ويضمّد به الشّنج .

عين الأفعى والجراد

وعين الأفعى وعين الجراد لا تدوران .

نسج العنكبوت

وليس ينسج من العناكب إلّا الأنثى ، وهى الخدرنق . وولد العنكب ينسج ساعة تولد .

لون القمل

والقمل يتخلق فى الرؤوس على لون الشعر ، إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً .

أم حبين والسرفة

٣٥٨/٣ وأم حبين لا تقيم بمكان تكون فيه الشُّرْفة ، وهى دويبة يُضرب بها المثل فى الصنعة ، فيقال : أصنع من سرفة .

أبو حاتم : عن الأصمعى ، قال : قال أبو بكر المهجرى : ما من شىء يَضر إلا وفيه منفعة .

نفع العقرب

وقيل لبعض الأطباء . إن فلاناً يقول إنما أنا مثلُ العقرب أضُر ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، إنها لتنفع إذا شُقّ بطنها ووُضعت على مكان اللسعة ، وقد تجعل فى جوف فخّار مسدود الرأس مُطيَّن الجوانب ثم يوضع الفخار فى تنّور . فإذا صارت العقرب رماداً سُقى من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به حصاة من غير أن يضر سائر الأعضاء . وقد تلسع مَن به حُمى عتيقة فتقلع عنه ، وقد تلسع المَفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ، ويجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مُفرقا للأورام الغليظة .

دواء لسع الزنبور

وقال المأمون : قلت لبختيشوع وسلمويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا دُلك على موضع لسعة الزنبور سكن ألمها ، فلسعنى زنبور ، فحككت على موضع لسعته عشرين ذبابة ، فما سكن إلا فى قدر الحين الذى يسكن فيه من غير علاج ، فلم يَبق فى يدى منهم ، إلا أن قالوا : كان هذا الزّنبور حتفاً قاضياً ، ولولا هذا العلاج له لقتلك .

علاج العجائز

وقال محمد بن الجهم[1] : لا تتهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ،

(١) انظر الحيوان (٣ : ٣٢٢) .

فإن كثيراً منــه وقع إليهن من قدماء الأطباء ، كالذّباب يلقى فى الإثمد فيسحق معه ، ليزيد ذلك فى نور البصر ، و يشدّ مراكز شعر الأجفان ، فى حافات الجُفون.

علاج السم

قالوا : وللسم الأفاعى والحيّات ينفع ورق الآس الرَّطْب ، يُعصر ويُسقى من مائه قَدر نصف رطل .

مصايد الطير

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يحتـال للطير والدَّجاج حتى يتحيَّرن ويغشى عليهن فيصيدهن عمد إلى الحلتيت ، فداقَه بالمـاء ثم جعل فى ذلك شيئاً من عسل ، ثم نقَعَ فيه برّا يوماً وليلة ، ثم ألقى ذلك البرَّ إلى الطير فإذا لقطه تحيَّر وغشى عليه ، فلا يقدر على الطيران إلا أن يُسقى لبناً خالطه سمن .

قال : وإن عمد إلى طحين برّ غير منخول فعجن بجير ثم طُرِح للطير والَحجل فأكلا منه ، تحيرت وأُخذت .

صيد الكراكى

ومما يُصاد به الـكراكىّ وغيرها من الطير أن يوضع لهن فى مواقعهن إناء فيه خمر ويجعل فيه خربق أسود(١) ويُنقع فيه شعير ، ثم يلقى لهن ، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء .

صيد العصافير

وقال غــيره : تُصاد العصافير بأيسر حيــلة ، تُؤخذ سلّة فى صورة المِحبرة المنكوسة ، ويجعل فى جوفها عُصفور ، فتنقضّ عليه العصافير وتدخل عليه ، فما دخل لم يقدر على الخروج ، فيصيد الرجل منها من يومه ما شاء وهو وادع(٢) .

صيد طير الماء

وقال : ويُصاد طير المـاء السـاكن بالقَرعة(٣) ، وذلك أن تأخذ قرعة يابسة صحيحة فيرمى بها فى الماء فإنها تتحرك بتحرُّك الماء فإذا أبصرها الطير تحرك وفزع ، فإذا كثر ذلك عليــه أنس حتى ربمـا سقط عليها ، ثم تأخذ قرعة مثلها فتُقطع رأسها ، ويُفتق فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ، ويدخل المـاء

(١) الخربق ، كجعفر : نبت ورقه كلسان الحمل أبيض ، والإفراط فى تناوله مهلك .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٤٤٤) .

(٣) الحيوان (٥ : ٥٣٩ — ٥٤٠) .

ويمشى رويداً ، وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبض على رجليه ويغمس يده به تحت الماء ويكسِر جناحيه ، ويخليه فيبقى طافيا على الماء يسبح برجليه ولا يُطيق الطيران ، وسائر الطير لا تنكر انغماسه فى الماء ، فإذا فرغ من صيد ما أراد بالقرعة لقطها وحملها .

مصايد السباع

السّباع العادية تصاد بالزُّبى والمُغَوّيات[1] ، وهى آبار تُحفر فى أنشاز الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزُّبَى .

قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يُؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السّمان فيُقطع قِطعاً ، ثم تشدخ وتكتل كتلا ، ثم تؤجَّج نار فى غائط من الأرض تَقرب منه السباع ، ثم تُقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار ، وقُتار تلك الكتل فى تلك الأرض ، ثم يُطرح حول تلك النار قِطع من لحم قد جُعل فيه الخربق الأسود والأفيون ، وتكون تلك النار فى موضع لا ترى فيه حتى تقبل السباع لريح القُتار وهى آمنة ، فتأكل من قطع ذلك اللحم ، ويخرج عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

٣٥/٣ (in margin beside "فى غائط من الأرض")

تفاضل البلدان

الأصمعى يرفعه إلى قَتادة قال :

مساحة الأرض — الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلد السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد الفرس ثلاثة آلاف فرسخ ، وبلد العرب ألف .

جزيرة العرب — الأصمعىّ قال : جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب ، وقال غيره : أرض العرب ما بين بحر القُلزم وبحر الهند .

(١) المغواة : حفرة كالزبية تحتفر للذئب ويجعل فيها جدى إذا نظر الذئب إليه سقط عليه يريده فيصاد .

سواد البصرة والكوفة

قالوا : وسواد البصرة : الأهواز ، وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية ، وهذه كلها من عمل العراق .

عمل العراق

وعمل العراق من هيت إلى الصين ، والهند ، والسند ، ثم كذلك إلى الرى ، وخراسان كلها إلى بلد الديلم ، والجبال . وأصفهان[1] سرة العراق ، وافتتحها أبو موسى الأشعرى . والجزيرة ليست من عمل العراق . وهى ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة . ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق .

مذاهب أهل الأمصار

الأصمعى قال : البصرة كلها عثمانية ، والكوفة كلها علوية ، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية ، والحجاز سنّية . وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل ، إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقيل لرجل من أهل البصرة : أتحب عليا ؟ قال : كيف أحب رجلا قتل من قومى من لدن كانت الشمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفاً .

والكوفة علوية ؛ لأنها وطن على رضى الله عنه وداره . والشام أموية ؛ لأنها مركز ملك بنى أمية وبيضتهم . والجزيرة خارجية ؛ لأنها مسكن ربيعة . وهى رأس كل فتنة ، وأكثرها نصارى وخوارج ، ومنازلهم الخابور وهو واد بالجزيرة .

على وبنو تغلب

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لبنى تغلب : يا خنازير العرب . والله لئن صار هذا الأمر إلىّ لأضعّفنّ عليكم الجزية .

هارون ويزيد ابن مزيد

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء فى ربيعة . قال : بلى ، ولكن منابرهم الجذوع .

أقوال فى الكوفة

الأعمش عن سليم : قال : ذكر عُمر بن الخطاب الكوفة ، فقال : جُمجمة العرب ، وكنز الإيمان ، ورمح الله فى الأرض ، ومادّة الأمصار .

على بن محمد المَدِينى قال : الكوفة جارية حسناء تصنّعُ لزوجها ، فكلما رآها سرّته .

---

(١) ن : « اصبهان » .

وقال محمد بن عمير بن عطارد : الكوفة سَفلت عن الشام ووُباها . وارتفعت عن البصرة وعمقها ، فهي مريّة مريعة عذيَة[1] بريّة ، وإذا أتتها الشمال هبّت على مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور ، وإذا هبّت الجنوب جاءتها بريح السواد ووردِه وياسمينه وأترجه ، فماؤها عذب ، وعيشها خصب .

الكوفة والبصرة

قال ابن عيّاش الهمداني لأبي بكر الهذلي عن أبي العبّاس ، وذُكرَت عنده الكوفة والبصرة ، فقال : إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد .

وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء ، والبصرة عجوز بخراء ، أُوتيت من كل حلي وزينة .

وقال جعفر بن سليمان : العِراق عَين الدنيا ، والبصرة عَين العراق ، والمِرْبد عين البصرة ، وداري عين المِربد .

وقال الأصمعي : تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة . فقال زياد : لوأضْللْت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلّني عليها .

٣٦٠/٣ وقال حذيفة : أهل البصرة لا يَفتحون باب هُدًى ، ولا يُغلقون باب ضلالة ، وقد رفع الطاعون عن جميع أهل الأرض إلا عن أهل البصرة .

أهل الكوفة

ومما نقم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس . طَعنوا الحسن بن علي ، وأنتهبُوا عسكره ، وخذلوا الحسين بن علي بعد أن استدعوه حتى قُتل .

وشكوا سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ، وزعموا أنه لا يُحسن أن يصلّي ، فدعا عليهم أن لا يُرضيهم الله عن وال ، ولا يرضى والياً عنهم .

وقد دعا عليهم علي بن أبي طالب فقال : اللهم أرمهم بالغلام الثقفي . يعني الحجاج بن يوسف .

وشكوا عمّار بن ياسر والمُغيرة بن شُعبة ، وطردوا سعيد بن العاص ، وخذلوا زيدَ بن علي . وأدعى النبوة منهم غيرُ واحد ، منهم المختار بن أبي عُبيد . وكتب

(١) عذية ، بتخفيف الياء : سهلة مريئة بعيدة عن الأحساء والنزوز والريف .

إلى الأحنف : بلغنى أنكم تكذّبوننى وتكذبون رسلى ، وقد كذبت الأنبياء من قبلى ولست بخير من كثير منهم .

وقيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

ولما أرادت سكينة بنت الُحسين بن على رضى الله عنهم الرحيل من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها المُصعب حفّ بها أهلُ الكوفة ، وقالوا : أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : لا جزاكم الله خيراً من قوم ، ولا أحسن الخلافة عليكم ، قتلتم أبى وجدى وأخى وعمى وزوجى ، أيتمتمونى صغيرة وأيَّمتُمونى(١) كبيرة .

ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المصعب ، أقبل إليه جماعة من هؤلاء ، قالوا : أمراؤك أهل الكوفة . قال : قتلة عثمان ؟ قالوا : نعم وقتلة على ! قال : هذه بهذه .

قدم عبدُ الله بن الكوّاء على مُعاوية ، فقال : أخبرنى عن أهل البصرة ، قال : يقبلون معاً ويُدْبِرون شتَّى . قال : فأخبرنى عن أهل الكوفة . قال : أنظرُ الناس فى صغيرة وأوقفهم فى كبيرة . قال : فأخبرنى عن أهل المدينة . قال أحرصُ الناس على الفِتنة وأعجزهم عنها . قال : فأخبرنى عن أهل مصر . قال : لُقمة آكل . قال : فأخبرنى عن أهل الجزيرة . قال : كُناسة بين حُشّين . قال: فأخبرنى عن أهل الشام ، قال : جُند أمير المؤمنين ، ولا أقول فيهم شيئاً . قال : لتقولن . قال : أطوع خَلق الله لمخلوق وأعصاهم للخالق ، ولا يَخشون فى السماء ساكناً .

قَتادة قال : قِيست البصرة فى زمن خالد بن عبد الله القَسرى ، فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين .

(١) أيمها : جعلها أيما ، وهى التى مات عنها زوجها .

الأصمعىّ قال : قال ابن شهابٍ الزُّهرى : مَن قدِم أرضاً فأخذ من تُرابها فجعله فى مائها ثم شرِبه عوفى من وبائها .

الأصمعىّ قال : دخلت الطائف فكأنى كنت أبشر ، وكان قلبى ينضَح بالسُّرور ، وما أجِد لذلك علّةً إلا انفساحَ جوّها ، وطيبَ نسيمِها .

ودخل سليمان بن عبد الملك الطائف ، فنظر إلى بيادر الزّبيب فقال : ما تلك الجِرار السُّود ؟ قيل له : ليست بجرارٍ يا أمير المؤمنين ، ولـكنّها بيادر الزّبيب . فقال : لله درُّ قَسِيٍّ ، فى أى عُشٍّ أودَعَ أفرُخَه ؟

يريد بقسِيٍّ ثقيفاً(١) . كذلك كان اسمه .

الأصمعىّ قال : من أمثال العامة يقولون : حمَّى خيبر ، وطِحال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وطواعين الشام .

الأصمعى قال : ذكروا أن فى باب سمرقند مكتوباً : بين هذه المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ .

قال الأصمعىّ : وبين بغداد وأفريقية ألف فرسخ ، وبين الـكوفة والبصرة ثمانون فرسخا ، وواسط بينهما متوسطة ، ولذلك سميت واسطا .

الشامات

أول حدّ الشّام من طريق مصر أمَج ، ثمّ يليها غزّة ، ثم الرّملة رملة فلسطين ، ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان ، وبها بيت المقدس . وفلسطين هى الشّام الأولى .

ثم الشام الثانية ، هى الأردن ، ومدينتها العظمى طبرية ، وهى التى على
٣٦١/٣ شاطئ البحيرة ، والغور واليرموك . وبيسان فيما بين فلسطين والأردن .

---

(١) قسى : اسم لثقيف ، سمى بذلك لأنه مرّ على أبى رغال ، وكان مصدّقا فقتله ، فسمى قسيا لقسوته . قال راجزهم :

* نحن قسىّ وقسا أبونا *

ثم الشام الثالثة الغوطة، ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس .

ثم الشام الرابعة وهى أرض حمص .

ثم الشام الخامسة وهى قنسرين، ومدينتها العظمى — حيث السلطان — حلب . و بين قنسرين وحلب أربعة فراسخ، وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر، فى داخلها البساتين والأنهار والمزارع، وهى مدينة حبيب النجّار، الذى جاء من أقصى المدينة يَسعى . وبها مسجد يُنسب إلى حبيب النجار .

ومن ثغور الشام الخامسة : المَصيصة وطَرسوس ونهرا جيحان وسيحان .

الجزيرة

ثم الجزيرة ، وهى ما بين دجلة والفرات ، وبهما نهران يقال لهما الخابور والبَليخ، ومخرجهما من رأس العين، مدينة عظيمة بالجزيرة فى داخلها عين هى عنصر الخابور والبليخ . وعلى الخابور منازل ربيعة أكثرها نصارى، وخوارج . ونَصيبين من الجزيرة، وهى مدينة عظيمة مطلّة على جبل الُجودِىّ . والموصل من الجزيرة أيضا . والرّقّة وحَرّان من الجزيرة أيضا . ومن ثغور الجزيرة فى جهة عَمُورية من أرض الروم بَطْرة ومَلَطْيَة . وفى جوف الفرات جزائر فيها مدن يقال لها عانة وعانات . وعلى شط الفرات مما يلى الجزيرة قِرْقِيسيا، ومما يلى الشام الرحبة رحبة مالك بن طوق .

االعراقان

العراقان : هما البصرة والكوفة، وقد تقدّم ذكرها واختلاف الناس فيهما . ومما أحدث الخلفاء بالعراق خلفاء بنى هاشم من المدن الأنبار ، وهى مدينة أبى العباس، أول من ولى الخلافة من بنى هاشم ابتناها واتخذها دار خلافته . ثم ولى أخوه أبو جعفر المنصور، فانتقل إلى بغداد وابتنى بها الكَرْخ، وهى مدينة السلام فى جوف بغداد ، وهى دار خلافة بنى هاشم . حتى قام المُعتصم محمد بن هارون

فانتقل منها إلى سَامَرّا . وتفسير سامرا أن سام بن نوح عليه السلام بناها . و إنما هو بالسريانية ، وهى دار الخلافة إلى الآن .

فارس

منها الأهواز مدينة عظيمة و بلدها واسع جدا ، وهى من سواد البصرة . — الأهواز
وتُستَر مدينة يعمل فيها النسترى من الملاحف . ومدينة يقال لها جُور — تستر — جور
وإليها ينسب ماء الورد الجورى . ومدينة يقال لها إصْطَخْر بها تعمل الأكسية — إصطخر
الإصطخرية الجياد السود . ومدينة يقال لها السُّوس بها تعمل الثياب السوسية من — السوس
الخز وغيره . ومدينة يقال لها العسكر وإليها تنسب الثياب العسكرية . ومدينة يقال — العسكر
لها الأفساسار وبها تعمل الأكسية الأفساسارية الجياد . ومدينة يقال لها دَسْتُوَا ، — الأفساسار — دستوا
وبها تعمل الثياب الدستوائية . ومدينة يقال لها مَيْسان ، وبها يعمل الوِطاء — ميسان
الميسانى . ومدينة يقال لها الدسكرة دسكرة الملك ، كانت لكسرى . ومدينة — الدسكرة
يقال لها حلوان ، وهى أول الجبال من خراسان وآخر العراق . — حلوان

خراسان

أول مدنها الرى ، وهى آخر الجبال من خراسان ، وإليها ينسب من — الرى
الرجال الرازى ، ومن خراسان مَرو ، وهى دار خلافة المأمون ، ومنها خرج — مرو
أبو مسلم صاحب الدعوة . ومن ينسب إليها من الرجال يقال له مَرْوَزى ، ومن
الثياب مروىّ . ومدينة يقال لها قُومَس ، وإليها تنسب الطَّيقان[1] القومسية . — قومس
ومدينة يقال لها سابور بها مُلك بنى طاهر . ومدينة يقال لها هَرَاة إليها ينسب — سابور — هراة
المروى من الرجال والمتاع . ومدينة يقال لها بلخ وإليها ينسب البلخى ، وبها معادن — بلخ
البِجادى العتيق[2] ، وهو جنس من الفصوص تُسميه العامة البزادى . ومدينة
يقال لها خُوارزم وإليها ينسب الخوارزمى ، وهى على شط البحر المحيط . وبلخ — خوارزم ٣٦٢/٣
على شط النهر العظيم ، الذى يقال له جيحان بخراسان . ثم جرجان ، وهى مدينة — جرجان

---

(١) جمع طاق ، وهو ضرب من الثياب ، أو الطيلسان ، أو الأخضر منه .

(٢) البجادى ، بكسر الباء : حجر يشبه الياقوت . نخب الذخائر ١٧ .

قوهى — عظيمة على شط البحر المحيط ، و إليها يُنسب الوشى الجرجانى والمتاع . ثم قُوهَى
كابل — وهى مدينة عظيمة إليها يُنسب القُوهىّ من الثياب . ثم كابُل ، وهى مدينة يؤتى
سمرقند — منها بالإهليلج الكابلى . ثم سمرقند ، وهى مدينة عظيمة إليها يُنسب السمرقندى
كرمان — من الثياب . و بين بغداد و بينها مسيرة ستة أشهر ومما يليها كَرْمان ، وهى على
بطائح السند و بلاد السند من آخر خراسان ؛ ما بين المغرب والمشرق من جهة
تبت — القبلة[1] . وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تُبَّت ، وهى من أرض الترك
فرغانة — و بها مجمع المسك و إليها ينسب المسك التبتى . ومدينة يقال لها فرغانة وأهلها جنس من
العجم يقال لهم الصُّغد ، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن ، إذا مات لهم كبير .

قرميسين — ومن المدن التى فى صدر خراسان مع الجبال مدينة يقال لها قَرْمِيسين . ثم
الدينور — الدِّينَوَر ، و إليها ينسب الدينورى . ومدينة هَمْذان مدينة عظيمة ، وطبرستان
قم — مدينة عظيمة فيها تعمل الأكسية الطبرية ، ثم قُم وهى مدينة عظيمة منها يؤتى
أصبهان — طوس — بالزعفران . ثم أصبهان وهى مدينة عظيمة ، ثم طوس وهى من ثغور الجبال .

مصر

الفسطاط — من ناحية الشام الفسطاط ، وهى مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما
عين شمس — العسكر حيث السلطان . وعين شمس ، بها منبر ، وهى كانت مدينة فرعون ، وفيها
الفرما — العريش — بنيانه قائم . والفرما لها منبر ، والعريش الذى يقال له عريش مصر له منبر ، وهى
بوصير — تنيس — آخر مصر وأول الشام . ومن أسفل الأرض بُوصير ، لها منبر . وتِنِّيس لها منبر ،
شطا — و إليها تنسب الثياب التِّنيسية ، وبها طراز للخليفة . وشَطَا لها منبر و إليها ينسب
دبيق — الاسكندرية — الشَّطَوى . ودَبِيق ، لها منبر و إليها ينسب الدَّبيقىّ من الثياب . والإسكندرية
القلزم — أيلة — لها منبر . من ناحية الحجاز . القلزم لها منبر . وأيلة لها منبر . ومن ناحية الصعيد
القس — الصفن — القَسّ ، و إليها ينسب القَسّىّ من الثياب . والصَّفَن ، و إليها تنسب الأكسية
دلاص — الفيوم — الصفنية الحمر . ودَلَاص لها منبر ، وهى مجمع سحرة مصر . والفيوم مدينة لها منبر

(١) ن : «وهى على بطائح السند من خراسان ما بين الغرب والشرق فى جهة القبلة» .

تؤدّى كل يوم ألف دينار ، وخلف ذلك بُوق ، وبها تكون معادن الذهب والجواهر والزبرجد . بوق

صفة المسجد الحرام

صَحنه كبير واسع ، ذَرعه طولاً من باب بنى جُمَح إلى بابِ بنى هاشم الذى يقابل دار العبّاس بن عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربع أذرع . وذَرعه عرضاً من باب الصفا إلى دار النّدوة لاصقاً بوجه الكعبة الشرقىّ ثلثمائة ذراع وأربع أذرع . وله ثلاث بلاطات مُحدقة به من جهاته كلها ، مُنتظم بعضها ببعض . وهى داخلة فى الذرع الذى ذكرت ، فوقها سماواتها مذهبّة ، وحافاتها على عَمَـد رُخام بِيض عددها فى طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عموداً ، وفى عرضه ثلاثون عموداً ، بين كل عمودين مثل عشر أذرع . وجُملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عموداً ، طول كلّ عمود منها عشر أذرع ودَوْره ثلاث أذرع . والمذهبة من رءوس العَمد ثلثمائة وعشرون رأساً . وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء . وأبوابه على عَمد رخام ما بين الأربعـة إلى الثلاثة إلى الاثنين ، وهى ثلاثة وعشرون بابا لا غَلَق عليها ، يصعد عليهـا فى عدة من درج .

صفة الكعبة

وبيت الله الحرام بوَسَط المسجد ، كان ارتفاعه فى عهد إبراهيم عليه السلام
٣٦٣/٣ فيما يقال والله أعلم تِسع أذرع ، وطوله فى الأرض ثلاثون ذراعاً ، وعرضه اثنتان وعشرون ذراعا . وكان له ثلاثة سُقوف ثم بَنته قُريش فى الجاهلية فاقتصرت على قواعد إبراهيم ورفعتـه ثمان عشرة ذراعا ، ونقصت من طوله فى الأرض ست أذرع وشبراً تركته فى الحِجْر ، فلما هدمه ابن الزبير ردّه على قواعد إبراهيم ورفعه سـبعاً وعشرين ذراعا ، وفتح له بابين : باباً إلى الشرق وباباً إلى الغرب يدخل

من الشرق ويخرج من الغربى . فكان كذلك حتى قتل . فلما تغلب الحجّاج على مكة أستأذن عبد الملك بن مروان فى هَدم ما كان ابنُ الزبير زاده من الحِجْر فى الكعبة . فأذن له فردّه على قواعد قريش وسد الباب الغربى ولم ينقُص من ارتفاعه شيئاً .

ذرع البيت

فذَرْع وجهه القبلى اليوم من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرون ذراعا ، ووجهه الجنوبىّ من الركن العراقىّ إلى الركن الشامى ، وهو الذى يلى الحجر إحدى وعشرون ذراعا . ووجهه الشرقى من الركن الأسود إلى الركن العراقى خمس وعشرون ذراعا . ووجهه الغربى من الركن اليمانى إلى الركن الشامى خمس وعشرون ذراعا .

الدرجة المجصصة

وحول البيت كله إلا موضعَ الركن الأسود درجة مُجصَّصة ، يكون ارتفاعها عظم الذراع فى عرض مثله ، وقاية للبيت من السيل .

باب البيت

وباب البيت فى وجهه الشرقى على قدر القامة من الأرض ، طولُه ستّ أذرع وعشر أصابع ، وعرضه ثلاث أذرع وثمانِ عشرة إصبعا . والبابان من ساج ، غِلظ كلّ باب ثلاث أصابع ، ظاهرهما مُلبَّس بالذهب وباطنهما بالفضة ، فى كلّ باب ستّ عوارض، ولها عُرْوتان يَضْرب فيهما قُفل من ذَهب وحواجبُه كلها مذهَّبة ما عدا الحاجبَ الأيمن ، فإن العَلَوىَّ الثائر لما تغلّب على مكة قلع ذهبه فتُرك على حاله . وتحت العتبة العُليا عَتبة مذهّبة والبابان من ورائهما ، والعتبة السُّفلى مَستورة بالدِّيباج إلى الأرض .

الملتزم

وبين الركن الأسود والباب خمس أذرع أو نحوها ، وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس .

الحجر الأسود

والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر وشُقّت الصخرة الثالثة عليهما مثل إصبعين . والحجر أملس مجزَّع حالك السواد فى قَدر الكفّ المحنية ، قد لُزَّ من جوانبه بمسامير

الفضة . وفيــه صدوع(١) ، وفى جانب منه صفيحةُ فضَّة تحسبها شظيَّة منه شُظِيت فجُبرت بها . وصخر الرُّكن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلا .

سقفا البيت وروازنه

وللبيت سقفان سقف دون سقف ، وفيهما أربع روازن(٢) ينفذ بعضها إلى بعض للضوء ، وللسقف الأسفل ثلاث جوائز من ساج منقّشة مذهّبة . وفى داخل البيت فى الحائط الغربىّ قُبالة الباب الجزَّعة ، على ستّ أذرع من قاع البيت وهى سوداء مخطَّطة ببياض ، طولها اثنتا عشرة إصبعا فى مثل ذلك ، وحولها طوْق من ذهب عرضُه ثلاث أصابع . ذُكر أن النبىّ صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الأيمن حين صلّى فى البيت .

الحجر

والحِجر بجوفىّ البيت محجــور من الركن العراقىّ إلى الركن الشامى تحجيراً محنيا غــير مرتفع . قد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج ، يكون ما بين مُوسَطَةِ جنبى التحجير والبيت كما بين الرُّكنين ، وارتفاعِ التحجير مثل نصف قامة . وهو ملبَّس بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه ، وجعل بين كُل رخامتين عمود من رصاص لزازاً لهما ، وقاع الحِجر كلّه مفروش بالرخام ، ومصبّ الميزاب فيه ، وقبلتنا إليه .

الميزاب

والميزاب مُوسطة أعلى جدار الــكعبة خارجا عنه مثل أربع أذرع فى سمته ،
٣٦٤/٣ وارتفاع حيطانه ثمان أصابع ، ملبَّس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب . والصفائح مسمَّرة بمسامير مروَّسة من ذَهب .

كسوة البيت

والبيت كله مستور إلا الركن الأسود ، فإن الأستار تُفرج عنه مثل القامة ونصف ، وإذا دنا وقت المَوسم كُسِىَ القَباطىّ ، وهو ديباج أبيض خُراسانى ، فيكون بتلك الــكسوة ما كان الناس مُحرمين . فإذا حلّ الناس وذلك يوم النحر ، حلّ البيت ، فــكسى الديباج الأحمر الخُراسانى . وفيــه دارات مكتوب فيها حَمد الله وتَسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العام القابل . ثم يُــكسى

(١) ن : « صدع » .

(٢) الروازن : جمع روزنة ، بالفتح ، وهى الــكوة والنافذة .

أيضا على حال ما وصفتُ . فإذا كثرت الكسوة فخشى على البيت من ثقلها خُفِّف منها ، فأخذ ذلك سدنةُ البيت ، وهم بنو شيبة .

وذكر بعض المصريين أنه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى بلاطه الزعفران واللوبان .

وذكر أيضا عن بعض المكيين حديثاً يرفعونه إلى مشايخهم ، أنهم نظروا

الحجر الأسود

إلى الحجر الأسود إذ هدم ابنُ الزبير البيت وزاد فيه ، فقدّروا طوله ثلاث أذرع ، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلا وجهه الظاهر . وأسوداده فيما ذكروا ، والله أعلم ، لأستلام أهل الجاهلية إياه ، ولطخه بالدم .

المقام

والمَقام بشرقى البيت على سبع وعشرين ذراعا منه ، وجه المصلى خلفه

الركن الأسود

مستقبل البيت إلى الغرب ، والركن العراقى على يمينه ، والباب والركن الأسود على يساره ، وهو فيما ذكر من رآه حجر غيرُ مرفوع يكون ذراعا فى ذراع ، وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام ، وطول القدم مثلُ عظم الذراع . والحجر موضوع على مِنبر لئلا يمرّ به السيل ، فإذا كان وقت الوسمُ وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الأيدى . وحول البيت كُله سوارٍ ست غلاظ مربّعة من حديد مذّهبة ورءوسها مذهبة أيضا ، يوقد عليها بالليل للطائفين ، بين كل عمود منها

زمزم

والبيتِ نحو ما بين المقام والبيت . وزمزم بشرقى الركن الأسود بينهما مثل الثلاثين ذراعا ، وهى بئر واسعة تَنُّورها من حجر(٢) مطوق أعلاه بالخشب ، وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان ، تحت كل ركن منها عمودا رخام متلاصقان ، قد سُدّ ما بين كل ركنين منها بشرجب خشب ، ورُدّ إلى باب من جهة المشرق . وحول القبو كله رفّ مثل البُرطُلَة(٣) ، و بشرقى زَمزم بيت مقدّر سقفه قبو مُزخرف بالفُسيفساء أيضا مقفل عليه ، وشرقىّ هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة أقباء ، وفى كل وجه منه باب .

(١) ن : « عكست » .

(٢) فى اللسان : « وكل مفجر ماء تنور » . ن : « من صخر » .

(٣) البرطلة : المظلة ، ولامه مخففة وقد تشدد .

حمام المسجد

وحَمام المسجد كثير أنيس ، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأُنسه بالناس ، وهو فى لون حمام الأبرجة عندنا إلا أنه أقدر منه ، وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه . ولقد همّنى ذلك فرأيتها حين تكاد أن تُحاذى البيت ، وهى مُستعلية فى طيرانها ذاك ، عكست[1] حتى تصير دونه ، وأخذت عن يمينه أو يساره ، وذَرقها ظاهر بارز على البيوت التى فى المسجد إلا بيت الله الحرام فإنه نقى ليس فيه ولا عليه منه أثر ، فسبحان معظّمه ومقدّسه ومطهّره وتعالى علوا كبيرا .

الشارع

و بين باب الصفا — وهو بقبلىّ البيت — والصفا الشارع وهو بطن الوادى ، و بعد الشارع فناء غير كبير فيه الباعة ، ثم الصفا فى أصل جبل أبى قُبيس قد أحدق بها البناء إلا من الوجه الذى يرقى إليها منه ، والرقىّ إليها على ثلاث دَرج مبنية بالصخر . والواقف على الصفا مستقبل الجوف ينظر إلى البيت من باب الصفا .

الصفا

المروة

والمروة بشرقىّ المسجد وهى أمن الصفا بين المشرق والمغرب ، قد أحدق بها البناء أيضا إلاّ من وجه المُصعد إليها ، وهو من أعلى القصور ، بينها و بين المسجد الحرام الزقاق الضيق ، فالواقف على المروة مُستقبل البيت تُجاه الفرجة يرى الميزاب وما أتصل به من البيت ، و بين الصفا والمروة شبيه بما بين السّقاية والمَسجد الجامع . والساعى بينهما إذا هَبط من الصفا يريد المروة سلك فى الشارع وهو بطن الوادى ، عن يمينه القصور ، وعن يساره المَسجد ، ثمّ يعترضه بطن واد إذا انصبّتْ قدماه فيه أرقَلَ حتى يخرج عن آخره[2] ، وله عَلَمان أخضران فى جانبى الوادى ، أحدهما وهو الأول خلف باب الصفا لاصقا بالسور ، والثانى أمامه بائن عن السور ، جعلا ليفهم بهما حد الوادى الذى يرمل فيه .

٣٦٥/٣

منى

ومِنًى قرية بشرقىّ مكة تنحو إلى القبلة قليلاً ، خارجة عن الحرم على نحو الفرسخ منها ، وفيها بنيان وسقايات ، وأول ما يلقى منها الخارج من مكة إليها جمرة العقبة ثم الجمرتين اللتين ترميان مع جمرة العقبة بعد يوم النحر أيام التشريق .

جمرة العقبة

(١) فى بعض النسخ : « غطست » .

(٢) أرقل : أسرع . ن « حتى يخرج عنه » .

وبها مَسجد أكبر من جامع قرطبة ، وهو مسجد الخَيْف ، له مما يلى المحراب أربع بلاطات معترضة ، سقفها من جرائد النخل ، وعمدها مجصصة ، والمنبر عن يسار المحراب ، والباب الذى يخرج منه الإمام عن يمينه ، وفى مُوسَطة صحن المسجد منارة ، وفى كل جانب منها سقيفة .

المزدلفة والمُزدلفة وهى المشعر الحرام بين منى وعَرفة ، وهى من منى على نحو الميلين ، ولها مسجد مُصحِر لا بناء فيه إلّا الحائط الذى فيه المحراب ، وليس بها ساكن .

عرفة وعَرفة بشرقىّ منى على نحو الفرسخين منها ، ليس بها ساكن ولا بناء إلا سقايات وقَنوات يَجرى فيها الماء ، وليس بمسجدها بنيان إلا الحائط الذىّ فيه المحراب ، وموقف الناس يوم عرفة بعرفة فى الجبل وما يليه مما تحته ، والجبل بين المشرق والجوف من مسجدها ، وفى الموضع الذى يقف فيه الإمام ماء جارٍ . ومحراب منى وعرفة والمزدلفة إلى نحو المغرب .

صفة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم

بلاطاته فى قبلته معترضة من المشرق إلى المغرب ، فى كل صفّ من صفوف عَمدها سبعة عشر عمودا ، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة ، والعَمد التى فى البلاطات القبلية بيض مجصّصة شاطّة جدا[١] ، وسائر عمد المسجد رُخام ، والعمد المجصّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ، ثم السموات على النجف وهى أيضاً منقشة مذهبة . وقبالة المحراب مُوسَطةَ البلاطات[٢] ، بلاط مذهب كله شقت[٣] به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ، وفى البلاط الذى يلى المحرابَ تذهيب كثير ، وفى مُوسطته سماء كالترس المقدر مجوف كالمَحار ، مذهب ، وقد أخذ وجه السور القبلى من داخل المسجد بإزار رُخام من أساسه إلى قدر القامة منه ، وكفّ

---

(١) شاطة : عالية مرتفعة .

(٢) موسطة الشىء ، بضم الميم وفتح السين : ما كان فى وسطه .

(٣) ن : « سعب » بدون إعجام .

على الإزار بطوق رخام فى غلظ الأصبع ، ثم من فوقه إزار دونه فى العرض مخلَّق بالخلوق ، ثم فوقه إزار مثل الأول فيــه أربعة عشر بابا فى صف من الشرق إلى الغرب فى تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام أيضا فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين ، غلظه قدر أصبع ، من سُور قصار المفصَّل ، ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل ، فيه تِرَسَة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر فى حافاته قضبان من ذهب ، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عُظْم الذراع ، لهـا ٣٦٦/٣ قضبان وأوراق من ذهب ثم فوقه إزار فسيفساء عريض ، ثم السماوات عليه . والمحراب فى مُوسَّطة السور القبلى ، على قوسه قُصَّة من ذهب ناتئة غليظة ، فى وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضى الله عنها .

قبو المحراب

مقدر جدا ، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها حُمرٌ وسود ، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة ، تحتها صفائح ذهب مثمنة ، فيها جزعة فى مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رُخام مخلق بالخلوق ، فيه الوتد الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه فى المحراب الأول ، عند قيامه من السجود فيما ذكر . والله أعلم . وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج ، وعن يساره باب صغير شِطرنجىّ قد سد بعوارض من حديد ، وبين هــذين البابين والمحراب تَمَشّى مسطح لطيف .

المقصورة

والمقصورة من السور الغربى لاصــقة بالبــاب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقى ، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد ، وهى قديمة مختصرة العمل ، لهـا شرفات وأربعة أبواب ، وخارج المقصورة قريباً منها عن يسار المحراب سرب فى الأرض يهبط فيه على درج فيفضى منها إلى دار عمر بن الخطاب رضى الله عنــه .

المنبر

والمنبر عن يمين المحراب فى أول البلاط الثالث من المحراب فى روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به . وله درج ، وسمر فى أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن ، والجذع أمام المنبر ، و بشرقى المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقى المسجد فى آخر مسقفه القبلى مما يلى الصحن بينه و بين السور الشرقى مثل عشر أذرع ، قد حظر حوله بحائط بينه و بين السقف مثل ثلاث أذرع ، وله ستة أركان ، ولُبِّس بإزار رخام أكثر من قامة ، وما فوق الرخام مخلَّق بالخَلوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على تُرعة من تُرع الجنة » .

المسجد الحرام

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حِجْر محجور لئلا يمشى عليه ، والبلاطات الجوفية خمسة والغربية أربعة ، منتظم بعضها ببعض فى طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً ، وحنايا المسجد كلها مما يلى الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد من داخله ، مزخرفة بخشب منقش ، وللمسجد ثلاث منارات اثنتان فى الجوف وواحدة فى الشرق ، وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ، وله ثمانية عشر بابا عتبها مذهبة ، وهى أبواب عظيمة لا غلق عليها ، أربعة منها فى الجوف ، وسبعة فى الشرق وسبعة فى الغرب . وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ، ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكَذَّان[1] ، وكذلك الشرفات .

آداب من يدخل المسجد

فينبغى للداخل فى المسجد أن يأتى الروضة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها روضة من رياض الجنة » فيصلى فيها ركعتين ، ثم يأتى قبر النبى

(١) الكذان : الحجارة الرخوة النخرة .

صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ، ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، ولا يلصق بالقبر فإنه من فعل الجهال ، وقد كره ذلك ، فإذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا به ، ورزقنا شفاعته برحمته ، آمين .

صفة مسجد بيت المقدس

وما فيه من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا ، وعرضه أربعمائة ذراع ٣٦٧/٣ وخمس وخمسون ذراعا بذراع الإمام ، ويسرج فى المسجد ألف قنديل وخمسمائة قنديل ، وعدة ما فيه من الخشب ستة آلاف خشبة وتسعمائة خشبة ، وعدد ما فيه من الأبواب خمسون بابا ، وعدد ما فيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون عموداً ، والعمد التى داخل الصخرة ثلاثون عمودا ، والعمد التى خارج الصخرة ثمانية عشر عموداً ، وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفيحة وثلثمائة واثنتان وتسعون صفيحة ، ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ، ومائتان وعشر صفائح ، وجميع ما يسرج فى الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا بمعاليق النحاس وسلاسل النُّحاس ، وكان طول صخرة بيت المقدس فى السماء اثنى عشر ميلا ، وكان أهل أريحاء يستظلون بظلها ، وأهل عَمَواس مثل ذلك . وكان عليها ياقوتة حمراء تضئ لأهل البلقاء ، وكان يغزل فى ضوئها نساء أهل البلقاء . وفى المسجد ثلاث مقاصير للنساء ، طول كل مقصورة ثمانون ذراعا فى عرض خمسين ذراعا ، وفيه من السلاسل لتعليق القناديل ستمائة سلسلة ، طول كل سلسلة ثمان عشرة ذراعا ، وفيه من غرابيل النحاس سبعون غربالا ، وفيه من الصنوبر التى للقناديل سبع صنوبرات ، وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفا ، وفيه من الكبار التى

فى الورقة منها جلد ستة مصاحف على كراسى تجعل فيها ، وفيه من المحاريب عشرة ، ومن القباب خمس عشرة قبة ، وفيه أربعة وعشرون جُبًّا الماء ، وفيه أربعة مناور للمؤذنين ، وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبة ، وله من الخدم بعيالاتهم مائتا مملوك وثلاثون مملوكا ، يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ، ووظيفته فى كل شهر من الزيت سبعمائة قِسْط بالإبراهيمى ، وزن القسط رطل ونصف بالكبير ، ووظيفته فى كل عام من الحصر ثمانية آلاف ووظيفته فى كل عام من الشُّراقة لفتائل القناديل اثنا عشر دينارا ولزجاج القناديل ثلاثة وثلاثون دينارا ، ولصناع يعملون فى سطوح المسجد فى كل عام خمسة عشر دينارا .

آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ببيت المقدس

مربط البراق

مَرْبَطِ البراق الذى ركبه النبى صلى الله عليه وسلم تحت ركن المسجد ،

أبواب المسجد

وفى المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام ، وباب سليمان عليهما الصلاة والسلام ، وباب حِطَّة التى ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى (وقولوا حِطَّة) وهى قول لا إله إلا الله ، فقالوا : حنطة ، وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم ، وباب محمد صلى الله عليه وسلم ، وباب التوبة الذى تاب الله فيه على داود ، وباب الرحمة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه (له بابٌ باطنُه فيه الرَّحمة وظاهرُه من قِبَله العذاب) يعنى وادى جهنم الذى بشرقىّ بيت المقدس ، وأبواب الأسباط أسباط بنى إسرائيل وهى ستة أبواب ، وباب الوليد ، وباب الهاشمى وباب الخضر ، وباب السكينة .

محاريبه

وفيه محراب مريم ابنة عمران رضى الله عنها التى كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ومحراب زكريا الذى بشرته فيه

(١) القسط : الكوز بلغة أهل الأمصار ، أو هو مكيال قدر نصف صاع .

الملائكة بيحيى وهو قائم يصلى فى المحراب ، ومحراب يعقوب ، وكرسى سليمان صلوات الله عليه الذى كان يدعو الله عليه ، ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه
٣٦٨/٣ الصلاة والسلام الذى كان يتخلَّى فيها للعبادة ، والقبة التى عرج النبى صلى الله قبابه
عليه وسلم منها إلى السماء ، والقبة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بالنبيين ، والقبة التى كانت السلسلة تهبط فيها زمان بنى اسرائيل للقضاء بينهم ، ومصلى جبريل عليه السلام ، ومصلى الخضر عليه السلام . فإذا دخلت الصخرة فصلِّ فى أركانها وصل على البلاطة التى تسامى الصخرة ، فإنها على باب من أبواب الجنة . ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميال من المسجد . ومسجد إبراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة . ومحراب المسجد بغربيه .

فضائل بيت المقدس

ينصب الصراط ببيت المقدس ، ويؤتى بجهنم — نعوذ بالله منها — إلى بيت المقدس ، وتزف الجنة يوم القيامة زفًا مثل العروس إلى بيت المقدس ، وتزف الكعبة بحاجّها إلى بيت المقدس ، ويقال لها : مرحباً بالزائرة والمزورة . ويزف الحجر الأسود إلى بيت المقدس ، والحجر يومئذ أعظم من جبل أبى قبيس .

ومن فضائل بيت المقدس ، أن الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيت المقدس ، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس ، ويغلب المسيح الدجال على الأرض كلها إلا بيت المقدس ، وحرم الله على يأجوج ومأجوج أن يدخلوا بيت المقدس ، والأنبياء كلهم من بيت المقدس ، والأبدال كلهم من بيت المقدس[1] . وأوصى آدمُ وموسى ويوسف وجميع أنبياء بنى إسرائيل صلوات الله عليهم أن يدفنوا ببيت المقدس .

---

(١) فى القاموس (بدل) : الأبدال : قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض ، وهم سبعون ، أربعون بالشام وثلاثون فى غيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر .

نتف من الأخبار

ما يجلب طيب الرائحة

فرج بن سلّام قال: حدثنى سليمان بن المغيرة قال: كنت أجد من أبى أيوب المازنىّ رائحة طيبة ليست برائحة شراب ولا رائحة طيب، فقلت له: أخبرنى عن هذه الرائحة، فقال: عنص آمر به، فيدقّ وينخل، فألتّه بقطران شامى، ثم آخذ منه كلّ غداة على إصبعى، فأدلك به أسنانى وعُمُورها، فتطيب نكهتها، وتشتد لثتها وعمورها[1].

الرّياشى قال: كانوا إذا أرادوا جارية مضغت نصف جوزة وأكلتها. فلا تزال طيبة النكهة سائر ليلتها.

ساحرة تطفو

عبد الصمد بن همّام قال: كتب عامل عُمان إلى عمر بن عبد العزيز: إنا أُتينا بساحرة فألقيناها فى الماء، فطفت على الماء. فكتب إليه: لسنا من الماء فى شىء، إن قامت عليها بيّنة وإلا خلّ عنها.

الملائكة والأنبياء

وقال رجل للحسن: أبا سعيد، الملائكة خير أم الأنبياء؟ فقال: قال الله جل ثناؤه: (قُل لا أقُولُ لكم عندى خزائن الله ولاَ أعلَمُ الغَيْبَ ولا أقُولُ لكم إنّى مَلَكٌ). وقال: (لن يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أن يَكون عَبداً لله ولا الملائكة المقرّبون). وقال: (ما نَهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكَين أو تَكُونا من الخالدين).

الاستجابة للأذان

العُتبى قال: حدّثنى أبو النّصر عن جويبر عن الضحّاك، قال: مَن سمع الأذان فى بَيته فقام يصلّى فقد أجاب.

علل تسمية الشهور

أبو حاتم: عن العُتبى قال: سمّى المُحرّم لأنه جعل حَراماً. وصفر لإصفار مكة من أهلها. والربيعان للخصب فيهما. والجاديان لجمود الماء فيهما من شدة البرد. ورجب لترجيب العرب أسنّتها[2]. وشعبان لأنه شعب بين رجب

(١) عمور الأسنان: اللحم الذى بين مغارسها أو اللثة، الواحد عمر، بالفتح.
(٢) الترجيب: التعظيم.

ورمضان[1] . ورمضان لإرماض الأرض من الحر . وشوال لأن الأبل شالت بأذنابها فيه لحملها . وذو القعدة لقعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج . وذُو الحجة للحج .

يونس ورؤبة

الرّياشى عن محمد بن سلّام عن يونس النحوى ، قال : قال لى رؤبة وأنا أسأله عن الغريب : حتى متى تسألنى عن هـذه الأباطيل ، وأزوّقها لك ؟ أما ترى الشيب قد أخذ فى عارضيك ولِحيتك ؟

للخليل بن أحمد

٣٦٩/٣ وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعرف خطأ معلّمك حتى تجلس عند غيره .

للأصمعى

الرّياشى عن الأصمعى ، قال : لا تكون حَطْمة[2] ، حتى يكون قبلها بُرَيق تأتى فتحطم .

عدد النبيين

ومن حديث أبى رافع ، عن أبى ذَرّ : قال قلت : يا رسول الله : صلى الله عليك ، كم عدد النّبيين ؟ قال : مائة الف وأربعة وعشرون ألفا .

طول الدنيا

أبو بكر بن عيّاش : عن العجلى ، عن قَتادة . قال : طول الدنيا مائة ألف وأربعة وعشرون ألف فرسخ .

العرش والوحى

ومن حديث عبد الله بن عمرو ، قال : العرش مطوّق بحية ، والوحى ينزل فى السلاسل .

طول العباس بن عبد المطلب

ومن حديث ابن أبى شَيْبة ، أن العبّاس بن عبد المطلب ، كان أقرب شحمةِ أذنٍ إلى السماء ، وكان إذا طاف بالبيت يُشبَّه بالفُسطاط العظيم ، وإذا مشى بين قوم تحسبه راكباً .

خلق الملائكة والجن والناس

ومن حديث عُروة بن الزبير عن عائشة عن النبى صلّى الله عليه وسلم ، قال : خلق الله الملائكة من نُور ، والجان من نار ، وآدم من تراب .

القيامة

وسأل أعرابى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : متى القيامة ؟ فقال له :

(١) شعب : فرق وفصل . (٢) الحطمة ، بالفتح والضم : السنة الشديدة .

وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء والله غير أنى أحب الله ورسوله . قال : المرء مع من أحب .

الشرك الأصغر

زياد عن مالك أن النبى صلّى الله عليه وسلّم : قال : « إياكم والشرك الأصغر » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء » .

لمالك

زياد عن مالك ، قال : إذا لم يكن فى الرجل خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ، و إذا رأيت الرجل يستحلّ مال عدوه فلا تأمنْه على مال صديقه .

لحذيفة

وقال بعضُهم : سمعتُ حُذيفة يحلف لعثمان فى شيء بلغه عنه ما قاله ، ولقد سمعته يقوله فسألته عن ذلك ، فقال : يابن أخى ، اشترى دينى بعضه ببعض لئلا يذهب كله .

أخذه الشاعر[1] فقال :

نُرقّع دنيانا بتَمزيق ديننا فلا ديننُا يَبقى ولا ما نُرقّع

للرسول صلى الله عليه وسلم

زياد عن مالك أن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « الغَيرة من الإيمان ، والمراء من النفاق » .

للحسن

الأصمعى قال : سأل علىّ بن أبى طالب الحسنَ ابنَه رضوان الله عليهم : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع . قال ، وكيف ذلك ؟ قال : الإيمان كُلُّ ما سمعتْه أذناك وصدّقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبُك ، وليس بين العين والأذنين إلا أربع أصابع .

فى الزنى

الرّياشى قال : ضَرب علىّ كرم الله وجهه بيده زانياً ، فأوجعه إيجاعاً شديداً . فقال له عمّ المضروب : بعضَ هذا الضرب ، فقد قتلته . فقال علىّ رضى الله عنه : إنه وَتَرَ مَن ولدها من قِبَل أبيها وأمها من النبيين والصالحين إلى آدم .

فى الحد

قال الرياشى : فكنت أعجب من شُنعة حد الرجم ، فلما سمعت شنعة الذنب هان علىّ الحدّ .

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم . انظر حواشى الحيوان (٦ : ٥٠٦) .

دم الحيض

الأصمعى عن أبى عمرو قال : دم الحيض غذاء المولود .

الرسول وأعرابى

أقبل أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ينشُد ضالَّةً له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لا وجدتَها لا وجدتَها ، إنما المساجد لما بنيت له » .

أعرق الناس فى الخلافة

الأصمعى عن أبى عمرو قال : أعرق النـاس فى الخلافة عاتكةُ بنت يزيد ابن معاوية ، أبوها خليفة ، وجدّها خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وولدها يزيد بن عبد الملك خليفة ، وأربابها الوليد وسليمان وهشام خلفاء .

إهدار دم أربعة يوم فتح مكة

قتادة عن أنس بن مالك قال : أمّنَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلَّم الناسَ يوم فتح مكة إلا أربعة ، فإنه قال : اقتلوهم وإن وجدتموهم معلّقين بأستار الـكعبة : وهم عبدالعزّى بن يزيد بن خطل ، ومِقْيَس بن صُبابة[1] الـكندى ، وعبدالله بن أبى سَرح ، وأم سارة . فأما عبد العزى فإنه قتل وهو معلّق بأستار الـكعبة . وأما عبد الله ابن أبى سرح فإنه كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ، فأتى به النبى صلى الله
٣٧٠/٣ عليه وسلم فبايعه وشفع له عنـده . وأما مِقْيس ، فإنه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه فقُتِل خطأً ، فبعث معه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بنى فِهر ، ليأخذ له عَقْله من الأنصار ، فلما اجتمع له العقل أخذه وانصرف مع الفِهرى ، فنام الفهرى فى بعض الطريق فوثب عليه مِقْيَس فقتله ، ثم أقبـل وهو يقول :

شَفَى النفسَ من قد بات بالقاع مُسندا ... يضرِّج ثوبَيْـه دماء الأخادع
قتلت به فِهرًا ، وأغرمتُ عقـلَه ... سراةَ بنى النجّار أربابَ فارع[2]
حللتُ به نذرى وأدركتُ ثُؤرتى ... وكنتُ إلى الأوتار أول راجع[3]

---

(١) فى بعض النسخ « بن ضباب » صوابه فى ن والسيرة ٢٨٧ ، ٨١٩ جوتنجن . ومقيس ، بوزن منبر . ورثته أخته فقالت :

لعمرى لقـد أخـزى نميلة رهطه ... وفجـع أضيـاف الشتـاء بمقيس

(٢) فارع : حصن بالمدينة . (٣) الثؤرة : الثأر .

وأما سارَة : فإنها كانت مولاةً لقريش ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشتكت إليه الحاجة ، فأعطاها شيئاً ، ثم أتاها رجلٌ فبعث معها كتاباً إلى أهل مكة يتقرّب به إليهم ليُحفَظ فى عياله ، وكان عيالُه بمكة ، فأخبر جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فبعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى إثرها عمرَ بن الخطاب وعليَّ بن طالب فلحقاها ، ففتّشاها فلم يقدرا على شىء ، فأقبلا راجعين ، ثم قال أحدُهما لصاحبه : والله ما كَذبنا ولا كُذبنا ، ارجع بنا إليها . فرجعا إليها ، فسلاَّ سيفيهما ، ثم قالا : لتدفَعِنّ إلينا الكتابَ أو لنُذيقنك الموت . فأنكرته ، ثم قالت : أدفعه إليكما على أن لا تؤدِّيانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقَبلا منها ذلك ، فحلت عِقاص رأسها ، وأخرجت الكتاب من قَرن من قرونها ، فرجعا بالكتاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفعاه إليه ، فدعا الرّجل وقال له : ما هذا الكتاب ؟ فقال له : أُخبرك يا رسول الله ، إنَّه ليس ممّن معك أحد إلا وله بمكة من يحفظه فى عياله غيرى ، فكتبتُ بهذا الكتاب ليكافئونى فى عيالى ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّى وعدوَّكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة) .

مرة بن محكان وقد هدد بالقتل

أمر المصعبُ بن الزبير رجلاً من بنى أسد بن خُزيمة بقتل مُرّة بن مَحْكان السعدى ، فقال مُرّة :

بنى أسد ، إن تقتُلونى تُحاربوا ... تميماً إذا الحربُ العَوانُ اشمعلّت(١)

ولستُ وإن كانت إلىّ حبيبة ... بباكٍ على الدُّنيا إذا ما تولّت

جرير وعمر بن عبد العزيز

وكان ابن سعد الأسدى قد تولّى صدقات الأعراب لعُمر بن عبد العزيز وأعطياتهم ، فقال فيه جرير يشكو عمر :

حَرمتَ عيالاً لا فواكه عندهم ... وعند ابن سعد سُكّرٌ وزَبيبُ

وقد كان ظَنّى بابنِ سعد سعادةً ... وما الظن إلا مُخطىء ومُصيب

فإن تَرْجعوا رِزقى إلىّ فإنّه ... مَتاعُ ليالٍ والأداء قريب

(١) العوان : التى حورب فيها مرة بعد مرة . اشمعلت : تفرقت وانتشرت .

تُحَيِّا العظام الراجفات من البِلَى ... وليس لداء الرُّكبتين طبيب

جهاد أبى خيثمة

لما توجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبوك كان أبو خَيْثمة فيمن تخلّف عنه ، فأقبل ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدّت كلّ واحدة منهما من طيّب ثمر بُستانها ، ومَهّدت له فى ظل حائط . فقال : أظلّ ممدود ، وثَمرة رطبة طيبة ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الضِّح والرِّيح ، ما هذا بخير . ثم ركب ناقته ومضى فى إثره . فقالوا : يا رسول الله ، نرى رجلاً يرفعه الآل ، فقال : كُن أبا خَيثمة . فكانَهُ .

الضِّحُّ : الشمس ، تقول العرب فى أمثالها : « جاء فلان بالضِّحِّ والريح » ، إذا أقبل بخير كثير .

نتف من الطب

٣٧١/٣ قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : « لا تزالون أصحاء ما نَزعتم ونَزوتم » . يريد ما نزعتم عن القسى ، ونزوتم على ظهور الخيل ، وإنما أراد الحركة والله أعلم ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « سافروا تَصِحّوا » . الرياضة

الاقتصاد فى أمور ثلاثة

وقال بعض الحكماء : لا ينبغى للعاقل أن يخلى نفسه من ثلاث فى غير إفراط : الأكل ، والمشى ، والجماع . فأما الأكل فإن الأمعاء تَضيق لتَرْكه . وأما المشى فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده . وأما الجماع فإنه كالبئر ، إن نُزحت جَمّت ، وإن تُركت تخثّر ماؤها[1] ، وحقُّ هذا كلّه القصدُ فيه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من استقلّ برأيه فلا يتداوى . فرب دواء يورث الدّاء » .

النهى عن الدواء

وقال الحكماء : إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة .

وقالوا : مثل الدواء فى البدن مثل الصابون فى الثوب ، ينقيه ويُخلقه .

الأصمعى عن رجل عن عمّه قال : لقيتُ طبيبَ كسرى شيخاً كبيرا قد

(١) جمت : كثر ماؤها . والخثورة : نقيض الرقة .

شَدّ حاجبيه بخرقة ، فسألته عن دواء المَشْى[1] ، فقال : سَهم يُرمى به فى جوفك أصاب أم أخطأ .

تفسير عبارة هندية

وفى كتاب التفصيل للهند : الدواء من فوق والدواء من تحت ، والدواء لا من فوق ولا من تحت .

تفسيره : من كان داؤه فوق سرته سقى الدواء ، ومن كان داؤه تحت سرته حقن بالدواء ، ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء ولم يحقن به .

لأسماء بنت عميس

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عُميس : « بم كنت تَستمشين فى الجاهلية ؟ قالت : بالشُّبْرُم . قال : حار بار ، ثم قالت : استمشيت بالسَّنا . قال : لو أن شيئاً يرد القدر لرده السنا .

ما قيل فى المن

ومن حديث أبى هُريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ، وهم يتذاكرون الكمأة ، ويقولون فيها : جُدرىّ الأرض ، فقال : إن الكمأة من المَنّ ، وماؤها شفاء للعين ، وهى شفاء من السم .

وفى الزبيب

وأهدى تميمٌ الدارىّ إلى النبى صلى الله عليه وسلم زبيباً ، فلما وضعه بين يديه قال لأصحابه : « كُلوا فنعم الطعام الزَّبيب ، يُذهب النصب ، ويشدّ العصب ، ويُطفئ الغضب ، ويُصفِّى اللون ، ويُطيِّب النَّكهة ، ويرضى الرب» .

وفى السفرجل

وقال طلحة بن عبد الله : دخلتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى جماعة من أصحابه ، وفى يده سَفرجلة يقلّبها ، فلما جلستُ إليه دَحرج بها نحوى ، وقال : دونكها أبا محمد ، فإنها تشد القلب ، وتُطيِّب النفس ، وتذهب بطَخاء الصدر[2] » .

أربع من النشر

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أربع من النُّشَر[3] : شُرب العسل نشرة ، والنظر إلى الماء نشرة ، والنظر إلى الخضرة نشرة ، والنظر إلى الوجه الحسن نشرة » .

(١) المشى : استطلاق البطن . (٢) الطخاء ، بالفتح : الثقل والكرب .
(٣) النشرة ، بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج .

ما لا يحدث بعد الخمسين

وقال عثمان بن عفّان : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ الخمسين أمِن الأدواء الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص » .

لكل داء دواء

ومن حديث زيد بن أسلم : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ، عِلمه من علمه وجِهله من جهله » .

ومن حديث أبى سعيد الخُدرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الدوَاء الذى أنزل الداء » .

ومن حديث زيد بن أسلم أن رجلا أصابه جرح فى بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له رجلين من بنى أنمار ، فقال : أيكما أطبّ ؟ فقال له رجل من أصحابه : فى الطبّ خير ؟ قال : « إن الذى أنزل الداء أنزل الدواء »

ما قيل فى العود الهندى

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « عليكم بهذا العود الهندىّ ، فإن فيه سبعة أشفية يسعط به من العُذْرة[1] ، ويُلَدّ به من ذات الجنب[2] » .

يريد القُسْط الهندى ، وهو الذى تسميه العامة الكُسْت .

وفى الحبة السوداء

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذه الحبّة السوداء ؛ فإن فيها دواء من كل داء إلا السام » يعنى الشُّونيز .

٣٧٢/٣

وفى الإثمد

وفى مُسند ابن أبى شَيبة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالإثمد عند النوم ، فإنه يُحِدّ البصر ، ويُنبت الشعر » .

وفى العسل

وفيه : أن عبد الله بن مسعود قال : عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل .

ما يورث الصرع

الأصمعى قال : ثلاث ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم : الجراد ، ولحوم الإبل ، والفُطْر ، وهو الفَقْع .

ويقول أهل الطب : إن أردأ الفُطْر ما ينبت فى ظلال الشجر ، ولا سيما فى ظلال الزيتون ، فإنه قتّال .

(١) العذرة ، بالضم : داء فى الحلق .

(٢) لده : سقاه اللدود ، هو ما يصب من الدواء بمسعط فى أحد شقى الفم .

الإفطار على الحلوى — وقال وهب بن مُنَبِّه : إذا صام الرجل زاغ بصره ، فإذا أفطر على الحلوى رجع إليه بصره .

النوم فى القائلة — وأقبل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى كنت فى الجاهلية ذا فطنة وذا ذهن ، وأنكرتُ نفسى فى الإسلام . فقال له : أكنت تنام فى القائلة ؟ قال : نعم . قال : « فعُد إلى ما كنت عليه من نوم القائلة » .

الزيتون — وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشجرة التى كلّم الله منها موسى بن عمران ، زيت الزيتون فادّهنوا به ، فإن فيه شفاء من الباسور » .

وقال : فى الزيتونة يقول الله : (وشجرةً تخرج من طُور سَيْناء تَنْبُتُ بالدُّهنِ وصِبْغٍ للآكلين) .

مكث الطعام وانطلاقه — ويقول الأطباء : إذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضَرر ، وإذا أقام فى الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضَرر .

المغيرة ومعاوية — دخل المغيرة بن شعبة على معاوية ، فقال له معاوية : أنكرت من نفسى خَصلتين : قلّ طُعمى[1] ، ورقّ عظمى . فإن تدثرت بالثقيل أثقلنى ، وإن تدثرت بالخفيف أصابنى البرد . قال : نعم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين يدفئانك بشُحومهما ، ويحملان عنك ثِقَل الدثار بمنا كبهما . وأكثِرْ من الألوان ، وكُل من كلّ لونٍ ولو لُقمة ، فإنّ ذلك إذا اُجتمع كثيره نَفَع . فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية : يا أعور ، قد جرّبنا ما قلت فوجدناه موافقا .

التعويذ والرقى

أبو بكر بن أبى شَيبة عن عُقبة عن شعبة عن أبى عِصمة قال : سألتُ سعيد ابن المُسيِّب عن تعليق التعويذ ؟ قال : لا بأس به .

وكان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلّقه عليهم .

دعاء نافع — وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قال إذا أصبح : أعوذ بكلمات الله

(١) الطعم ، بالضم : الطعام .

التامة ، من كل عين لامّة ، ومن كل شيطان وهامّة ، لم يضره عين ولا حية ولا عقرب .

تعويذة

وفى مُسند ابن أبى شيبة : إن خالد بن الوليد كان يفزع فى نومه ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أخبرَنى جبريل أن عفريتاً من الجن يكيدك ، فقل : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، ومن شر كل ذى شر » . فقالهن خالد ، فذهب ذلك عنه .

من دواء اللدغ

وفى مسند ابن أبى شَيبة أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم بينا هو يصلى ذات ليلة إذ وضع يده على الأرض فلدغته عقرب ، فتناول نعلَه فقتلها ، فلما انصرف قال : « لعن الله العقرب ، ما تدع نبيا ولا غيره » . ثم دعا بماء وملح ، فجعله فى إناء ثم صب على أصبعه منه ، ومسحها وعوذها بالمعوِّذتين .

الرقية

وفى مُسند ابن أبى شَيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال . « لا رُقية إلا من عين أو حُمَة » . والحمة : السم .

لابن مسعود

سفيان بن عُيينة قال : بينا عبدالله بن مسعود جالساً تُعرض عليه المصاحف ، إذ أقبلت أعرابية فقالت : أبا فلان ، لرجل جالس إليه : لقد لُدغ مهرك ، وتركتُه كأنه يدور فى فلك ، فقم فاسترق له . فقال له ابن مسعود : لا تسترق له ، واذهب فانفُث فى منخره الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا ، وقل : أذهِب الباس ، يارب الناس ، فإنه لا يذهبه إلا أنت . ففعل ، فلم يبرح حتى أكل وشرب وبال وراث .

الرقية بكتاب الله

٣٧٣/٣ دخل أبو بكر على عائشة وهى تَشْتَكِى ، ويهودية ترقيها ، فقال لها : ارقيها بكتاب الله .

الحجامة والكى

احتجام رسول الله

قال عبد الله بن عباس : احتجم النبى صلى الله عليه وسلم فى رأسه من أذًى كان به .

وفى مُسند ابن أبى شَيبة : أن عُيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فى فأس رأسه ، فقال : ماهذا ؟ قال : « هـذا خير ما تداويتم به » .

خير علاج

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير ما تداويتم به الحجامة والقُسْط العربىّ ، ولا تعذبوا صِبيانكم بالغَمز من العُذرة[1] » .

وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم تحتجمون فيه سبعة عشر ، وتسعة عشر ، وأحد وعشرون .

وفيه أنه قال : « إن كان فى شىء مما تعالجون به خير ففى شرطة من مِحْجم ، أو لذعة من نار تواقع ألما ، أو شربة من عسل ، وما أحب أن أكتوى » .

السم والسحر

الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر

فى مسند ابن أبى شيبة : أن يهود خيبر أهدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاةً مسمومة فقال رسول الله عليه وسلم : « اجمعوا لى مَن هاهنا من اليهود » . فجمعوا له . فقال لهم : هل جعلتم فى هذا الشاة سمّا ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نَستريح منك ، وإن كنت نبيّا لم يضُرّك السم .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما زالت أكلة خيبر تُعادُّنى[2] ، فهذا أوانَ قطعتْ أبهَرى[3] » .

الليث بن سعد عن الزهرى قال : أهدى لأبى بكر طعام ، وعنده الحارث ابن كَلَدة طبيب العرب ، فأكلا منه ، فقال الحارث ، لأبى بكر : لقد أكلنا والله فى هذا الطعام سُم سنة ، وإنى وإيّاك لميتان عند رأس الحول ، فماتا جميعا عند انقضاء السنة .

(١) العذرة ، بالضم : داء فى الحلق .
(٢) تعادنى : تراجعنى ويعاودنى ألم سمها . (٣) الأبهر : وريد العنق .

إبطاله السحر

وفى مُسند ابن أبى شيبة : أن رجلا من اليهود سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، فاشتكى لذلك أياما ، فأتاه جبريل فقال له : إن رجلاً من اليهود سحرك ، عقد لك عُقَدا وجعلها فى مكان كذا وكذا . فأرسل علياً رضى الله عنه فاستخرجها ، وجاء بها ، فجعل يحلها ، فكلما حل عقدة وجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خِفَّة ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما أُنشِط من عِقال[1] .

وفى مُسند ابن أبى شَيبة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : « طُبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — والطِّب : السحر — فبعث إلى رجل فرقاه » .

العـــين

للرسول صلى الله عليه وسلم

تقول العرب : رجل مَعين ، إذا أُخذ بالعين .

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لو سبق القدرَ شىء لسبقتْه العين .

للعرب

وتقول العرب : إن العـين تسرع بالإبل إلى أوصامها[2] ، وبالرجال إلى أسقامها .

إصابة سهل بن حنيف بالعين

ونظر عامر بن أبى ربيعة إلى سهل بن حُنيف يستحم ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مخبَّأة . قال : فلُبِط به[3] ، فأمر النبى صلى الله عليه عامر ابن أبى ربيعة أن يتوضأ له ثم يطهره بمائه ، ففعل ، فقام سهل بن حنيف كأنما أُنْشط من عِقال .

أبيات فى الطب وجدناها فى كتاب فرج بن سلام

النانخاه بشيرج ملتوت ... فيـه شفاء للرياح مميتُ

يغلى لذلك حلبة فى مائها ... تَسقيه مصطبحا وحين يبيت

(١) « أنشط » بالهمزة والبناء للمفعول بمعنى حل .

(٢) الوصم ، بالتحريك : المرض .

(٣) لبط به : صرع من عين أو حمى .

وقال :

ليس شيء أنفى عن الجسم للرِّيـــح من الأنجدان والمَحروث(١)

وقال :

في الحُرْف سبعون دواء وفى الكمون فيما قيــــل ستونا
قد قاله هُرْمس فى كُتْبه فلا تَدَعْ حُرْفاً وكَمّونا

وقال :

٣٧٤/٣ بسعتر بَرٍّ داو كُلّ مبلغم وذا المِرّة الصفراء بالرازيانقِ
وذو المِرّة السوداء ذاك علاجُه تعاهُدُ فَصْد العِرق من كف حاذق
وذو الدم فليكثر لذاك حِجامةً فما غــــيرُها شيء له بمُوافق

وقال :

لا تكن عند أكل سُخن وبهر ودخـــول الحمّام تَشرب ماء
فإذا ما اجتنبتَ ذلك منــــه لم تخف ما حييتَ فى الجوف داء

وقال :

إن أردت الرقاد فى الليـــل فاجعل قُطنة عنـــدها على الأُذنين
فبِــــــه تظهر السلامة للأُذ نين ممـــا يضر بالعينين

وقال :

لا تَشرب الماء بعد النوم من ظمأ ولا تَبِت أبداً من غير منتفض
لجوف من بات من ماء ومن ثقلٍ ومن رياح دعا كُلًّا إلى مرض

وقال :

احسُ فى الحمّام ماء سُخُنا وليكن ذلك فى البيت السخُنْ
يسلم البطن من الداء ولا يَعتريه وجع طــــــول الزمن

وقال :

إن دخلت الحمّام فاضرب على رأ سك بالماء السخن سبع مرارِ

---

(١) المحروث : أصل الأنجدان . ن « بالمجروث » .

فبـــــه تظهر السلامة من كل صُداع بقـــــدرة الجبّار

وقال :

لا تُجامع ولا تمطَّى ولا تد … خل إذا ما شبعتَ فى الحمامِ
فهـــــو دفع لـكل ما يتقيه الـــــمرء من فالجٍ وكل سَقـــــام

وقال :

ما كان فى الرأس أخرجه بغَرغَرة … فالقئ يُخرج مافى الصدر من عَفَنِ
وكل ما كان فى صُلب فذلك لا … يُستل إلا بإخلاط من الُحقن

وقال :

على الرّيق فى البرد احسُ ماء مسخَّنا … وفى الصيف ماء باردا حين تُصبحُ
وذلك فيا قيــــل فيه مَصَحَّــــة … وذاك على إدمانه الجسم يَصلُح

وقال :

إن مَن باكر الغَداء وبعد الـــــعَصر منه تعاهــــدٌ للعشاء
فبإذن الإله يبقى صحيحاً … سالماً فى الحيـاة من كل داء

وقال :

إنّ رأس الطب إن تد … لك بالزّنبـــــق دَلْكا
٣٧٥/٣ باطنى رجليك عنــــــد النوم ينـــــفى السُّقم عَنكا

وقال :

شجر البراغيث الـكَريه مشمّه … يُبرى بإذن الله من داء الحبَن[1]

وقال :

إنّ السـواك ليستحب لِسُنَّة … ولأنه ممـــــا يَطيب به الفَمُ
لم تخش من حَفَر إذا أدمنتَه … وبه يسيل من اللهـاة البلغم[2]

---

(١) الحبن : داء فى البطن يعظم منه ويرم . ن : « الجبن » .

(٢) الحفر : سلاق فى أصول الأسنان أو صفرة تعلوها .

وقال :

أحتجم بين كل شهرين ولتلف على أثرة من الأيام
سبعة منك للزبيب بلا عجم تبديه قبل كل طعام
فهو للعين وللهاة وللحلق أمان له من الأسقام

وقال :

ولا تغطّ الرأس فى وقت ما تخرج من الحمام واخش الضرر
إن بخار الرأس فى وقت ما وصفقه داء يصيب البصر

وقال :

إن الجماع على الحمام مصحّة ولذاذة تاهت على اللذات

وقال :

السمك المالح إن لم يكن بدّ من الأكل له فأنعم
بالطبخ أكثر زيته ثم كل من قبل مأدوماً من المطعم

وقال :

اطل منك الشعر فى كل أربعا لا تدور
وليكن غسلك بالبارد منه والطّهور
إنه يزعر منه شعر الجسم الكثير
إننى طَبٌّ بما يجهله الناس خبير[1]

وحدث محمد بن إبراهيم الورّاق قال : حدثنى محمد بن عبيد الله بن الحارث ابن إسحاق بمصر قال : حدثنا محمد بن داود بن أبى ناجية قال : حدّثنا زياد بن يونس الحضرمى ، عن محمد بن هلال المدنى عن أبيه عن أبى هُريرة قال :

شكوى امرأة زوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

جاءت امرأةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكى زوجها . فقال : إنّها تذكر كثرةَ الجماع . قال : يا رسول الله ، أفأزنى ؟ قال : لا ، ولكن إذا جاءنا

(١) الطب ، بفتح الطاء : الخبير بالشىء العالم به .

سبى ، فتعال حتّى نُعطيك جارية[1] . فقدِم عليه سَبْى ، فجاء إليه ، فقال له : يارسول الله ، وعدى ! فقال له : اختر . فقال له : اخترلى . فقال : « خذ هذه ، فإنّى أراها زَرْقاء[2] ، فلعلَّها » . قال : فما لبثنا أن جاءت المرأة ، فقالت : يارسول الله ، مازاده الأمر إلا تجدُّداً . فقال له النّبى صلى الله عليه وسلم : ماهذا ؟ فقال : يارسول الله ، أفأزنى ؟ قال : لا . ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلك تكثر الاطِّلاء[3] . قال : نعم . قال : « فأقِلّ اطّلاءك يقلّ جماعك » .

قال محمد : قال لى ابن أبى ناجية : وأنا كما ترانى شيخ كبير ، قد أتى علىّ ثمانون سنة ، إذا أحببت الوطء اطّليت فى كلِّ خمسَ عشرةَ ليلة .

٣٧٦ / ٣

الهــــدايا

كتاب سعيد بن حميد فى يوم نيروز

كتب سعيد بن حُميد إلى بعض أهل السلطان فى يوم النَّيروز :

أيُّها السيِّد الشريف ، عشتَ أطول الأعمار ، بزيادةٍ من العمر ، موصولة بقرائنها[4] من الشكر ، لاينقضى حقّ نعمة حتى تجدّد لك أخرى ، ولا يمرّ بك يوم إلاّ كان مقصّرا عما بعده ، موفياً على ماقبله . إنّى تصفّحتُ أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتمست التأسِّىَ بهم فى الإهداء ، و إنْ قصّرت بى الحالُ عن الواجب ، و إنى وَ إن أهديت نفسى فهى ملكٌ لك ، لاحظّ فيها لغيرك ، ورميتُ بطَرفى إلى كرائم مالى ، فوجدتها منك . فكنت إن أهديت منها شيئا كمهدى مالِك إليك ، وفزعت إلى مودتى ، فوجدتها خالصةً لك قديمةً غير مستحدثة ، فرأيت إنْ جعلتُها هديتى لم أجدِّد لهذا اليوم الجديد برّا ولا لطَفا ، ولم أميِّز منزلة من الشُّكر بمنزلة من نعمتك ، إلاّ كان الشكرُ مقصّرا عن الحقّ والنعمة زائدةً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقّك هديةً

(١) ن : « إذا جاءنى سبى فتعال حتى أعطيك جارية » .

(٢) الزرقاء : البيضاء ، وهى أيضا التى فى عينها زرقة .

(٣) الاطلاء ، أراد به استعمال مادة يطلى بها عضوه .

(٤) فى بعض النسخ : « بفرائضها » .

إليك ، والإقرارَ بما يجب لك برًّا أتوصّل به إليك ، وقلت فى ذلك :

إن أُهْـدِ مالا ، فهو واهبُه   وهو الحقيقُ عليه بالشكرِ
أو أهدِ شُـكرًا ، فهو مُرْتَهن   بجميل فِعْلك آخرَ الدهرِ
والشمس تستغنى إذا طلعت   أن تستضىءَ بسُنّة البـدرِ[1]

لبعض الـكتاب إلى بعض الملوك

وكتب بعضُ الـكتّاب إلى بعض الملوك :

النّفس لك ، والمال منك ، والرجاء موقوفٌ عليك ، والأمل مصروف نحوَك ، فما عسى أن أهدى إليك فى هذا اليوم ، وهو يوم سهّلت فيه العادةُ سبيلَ الهدايا للسّادة ، وكرهت أن نخْليه من سُنّته ، فنكون من المقصرين ، أو أن ندّعى أنّ فى وسـعنا مايفى بحقّك علينا ، فنكون من الـكاذبين ، فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق ، وتنفى بعضَ الحقد ، وتقوم عندك مقام أجل البِر . ولا زلتَ أيُّها الأمير دائمَ السرور والغبطة ، فى أتمّ أحوال العافية ، وأعلى منازل الـكرامة ، تمرُّ بك الأعياد الصالحة ، والأيام المفرحة ، فتُخلِقُها وأنت جديد ، تستقبل أمثالها ، فتلقاك ببهائها وجمالها . وقد بعثت الرّسول بالسّـكّر لطيبه وحلاوته ، والسّفرجل لفأله[2] وبركته ، والدرهم لبقائه عنـد كل مَن ملـكه[3] ، ولا زلت حُلو المذاق على أوليائك ، مرًّا على أعدائك[4] ، متقدّما عند خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتُك وتحسُن أفنيتَهم بمثلك . وقد جمعنا فى هـذه القصيدة ثناء ومسرّةً واعتذارا وتهنئة . وهى :

غادِ فى المهرجان كأساً شمولا   وأطِعْنى ولا تُطيعَنْ عَذُولاَ[5]

---

(١) السنة : الوجه ، أو دائرته .

(٢) هـذا . والمعروف أنهم كانوا يتطيرون من « السفرجل » . وجاء فى حلبة الـكميت ٢٥٨ :

أهـدى إليه سفرجلا فتطيرا   منه فظل نهاره متحـيرا
خاف الفراق لأن شطر هجائه   سفر وحـق له بأن يتطيرا

(٣) فى بعض النسخ : « لبقائه على كل من ملـكه » .

(٤) ن : « على وليك ، مرا على عدوك » .

(٥) فى بعض النسخ : « عاط » بدل « غاد » .

فَهْو يوم قد كان آباؤك الغُـرّ يُحِلّونه محـلاً جليلا
إنّ للصّيف دولةً قد تقضّت   وأراك الشتاء وجهاً جميلا
وتجلّت لك الرياضُ عن النّو   رِ فكانت من كل شيء بَديلا
فتمتّعْ باللهو . لازلت جذلا   نَ وطَرْفُ الزمان عنك كَلِيلا
لم أجد لى هديةً حين حصّلـ   ـتُ كثيرا مَلَكتُه وقليلا
يعدِل الشكر والثناء ، وإن لم   يكُ شكرى لما أتيتَ عديلا
فجعلت الذى أُطيق من الشكر   على ما عجِـزتُ عنه دليلا
يا لها من هـديةٍ تَقْنع المهْ   دَى إليـه ولا تُعنِّى الرسولا

كتاب لبعض الشعراء فى المهرجان

وكتب بعضُ الشعراء إلى بعض أهل السلطان فى المهرجان :

٣٧١/٣ هذه أيام جرت فيها العادة ، بإلطاف العبيد للسادة ، وإن كانت الصّناعة تقصّر عما تبلغه الهمّة ، فكرهت أن أهدىَ فلا أبلغَ مقدار الواجب ، فجعلت هديتى هذه الأبيات ، وهى :

ولما أن رأيتُ ذوى التّصافى   تبارَوْا فى هَـدايا المِهْرجان
جعلتُ هـديّتى ودًّا مُقيما   على مرّ الحوادث والزمان
وعبدًا حين تُـكرمه ذليلا   ولكن لا يَقِرُّ على الهوان[1]
يَزيدك حين تُعطيه خُضوعا   ويرضى من نَوالك بالأمانى[2]

لأبى العتاهية وقد أهدى نعلا

وأهدى أبو العتاهية إلى بعض الملوك نعلاً وكتب معها :

نعـلٌ بعثت بها لتلبسها   تسعى بها قدمٌ إلى المَجد
لو كان يَصلُح أن أشرِّكها   خدِّى جعلتُ شِراكَها خدّى[3]

لعلى بن الجهم وقد أهدى كلبا

وأهدى علىّ بن الجهم كلباً ، وكتب :

أُستوص خـيرًا به فإنّ له   عندى يداً لا أزال أحمدها

---

(١) يقر : يقيم ويستقر . وفى بعض النسخ : « لايعز » .
(٢) الأمانى : جمع أمنية . ن : « بالأمانى » .
(٣) الشراك ككتاب : سير النعل . وأشركها وشركها : جعل لها شراكا .

يدلُّ ضيفى علىّ فى غسق الـ ـليل إذا النـار نام مُوقدُها

لأحمد بن يوسف

أهدى أحمدُ بن يوسف مِلحاً طيِّباً[1] إلى إبراهيم بن المهدى ، وكتب إليه : الثّقة بك سهّلت السبيل إليك ، فأهديت هديّة مَن لا يحتشم ، إلى من لا يَغتنم .

لإبراهيم بن المهدى

وأهدى إبراهيم بن المهدى إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى جرابَ ملح ، وجراب أُشنان[2] ، وكتب إليه :

لولا أنّ القلّة قصّرت عن بلوغ الهمة لأتعبتُ السابقين إلى برك ، ولكنّ البضاعة قعدت بالهمّة[3] ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر[4] ، فبعثت بالمبتدأ به ليُمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته وأمّا ما سوى ذلك فالمعبِّر عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول : (ليس على الضُّعفاء ولا عَلى المَرضى ولا على الذين لا يَجدُون ما يُنفِقُون حَرَج) إلى آخر الآية .

وله أيضا

وكتب إبراهيم بن المهدى إلى صديق له : لو كانت التُّحفة على حسب ما يوجبه حقك لأَجْحف بنا أدنى حقوقك ، ولكنّه على قدر ما يُخرج الوحشة ، ويُوجب الأنس . وقد بعثت بكذا وكذا .

لبعضهم وقد أهدى إلى المتوكل دهن أترج

وكتب رجل إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورةً من دهن الأُترجّ : إنّ الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطُفت ودقّت كانت أبهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصّغير فكلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع . وأرجو أن لا تكون قصّرت بى همةٌ أصارتنى إليك ، ولا أخّرَنى إرشادٌ دلّنى عليك ، وأقول :

ما قصّرت همّةٌ بلغت بها بابك ياذا النّدَى وذا الكرم
حَسبى بودّيكَ أن ظفرت به ذخراً وعزًّا يا واحدَ الأمم

(١) فى بعض النسخ : « مطيبا » .
(٢) الأشنان : نبت من الحمض تغسل به الأيدى .
(٣) ن : « بالمقة » . (٤) ن : « صحيفة ليس فيها ذكر » .

لأبى تمام وقد أهدى قلما

أهدى حبيب بن أوس الطائى إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب معه إليه هذه الأبيات :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـــه بشىء فكن له ذا قبول
لا تقسْه إلى ندى كفك الغمـ ـر ولا نيلك الكثير الجزيل
فاستجز قلّة الهديّة منى إنّ جهد المقلّ غير قليل

لابن عبد ربه فى هدايا مختلفة

٣٧٨/٣ ومن قولنا فى هذا المعنى وقد أهديت سلّ عنب[1] ومعهما :

أهديتُ بيضاً وسُودا فى تلوّنها كأنّها من بنات الرّوم والحبَش
عذراء تؤكل أحياناً وتُشرب أحـــياناً فتعصم من جُوع ومن عطش

وأهديت حُوتين وكتبت معهما :

أهديتُ أزرقَ مقروناً بزَرقاء كالماء لم يَغْذها شىء سوى الماء
ذكاتُها الأخذُ ماتنفكّ طاهرةً بالبرّ والبحـر أمواتا كأحياء[2]

وأهديت طبق وَرد ومعه :

رياحينُ أهديها لرَيحانة المجد جنتها يدُ التّخجيل من حُمرة الخد
وورد به حُيّيت غُرة ماجـــد شمـــائلُه أذكى نسيماً من الورد
ووَشْىُ ربيعٍ مشرقِ اللون ناضرٍ يلوح عليه ثوبُ وشى من الحمد
بعثت بهـا زهراء من فوق زهرة كتركيب معشوقين خدّا على خدّ

وكتبت على كأس :

اشربْ على منظر أنيـــقِ وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلُل وشاح الكَعاب رفقاً واحذَر على خصرها الرّقيق
وقُل لمن لامَ فى التّصابى إليك خَــلّ عن الطريق

(١) السل : السلة .

(٢) أى إن أخذها من البحر يغنى عن ذكاتها ، والذكاة : الذبح . ومثله فى البيان والتبيين (١ : ١٧٥ طبع لجنة التأليف) فى الكلام على الجراد : «ذكاته صيده».

لابن أبى طاهر وأنشد أحمدُ بن أبى طاهر فى هذا المعنى :

ما ترى فى هـديّةٍ من فَقير   جِيلَ ما بينه و بين اليَسار
يُغرِب النّاسُ فى الهَدايا إلى النا   س ، ويُهدِى غرائب الأشعار
مُحكماتٍ كأنّها قِطع الرّو   ضِ تحلّت أنوارُه بالبَهـار[1]

ليزيد بن المهلب وأنشد يزيد بن المهلب فى المعتمد :

سَيبقى فيك ما يُهدى لسانى   إذا فنيت هـدايا المِهرجانِ
قصائدُ تملأُ الآفاق ممّا   أحلّ الله من سِحر البيان

وقال آخَر :

جُعلت فِداك ، للنَّيروز حقٌّ   وأنت علىّ أوجب منه حقّا
ولو أهديت فيه جميع مِلكى   لكان جميعُه لك مسترَقّا
وأهديت الثّناء بنَظْم شِعر   وكنتَ لذاك منّى مستحِقّا
لأنّ هديّة الألطاف[2] تفنَى   وأنّ هـديّةَ الأشعار تبقى

لأبى تمام وقال حبيب :

فوالله لا أنفكُّ أهـدى شوارِدًا   إليك يُحمِّلْن الثناء المنخَّلا
ألذَّ من السـلوى وأطيب نَفحةً   من المسك مفتوقًا وأيسرَ مَحملا

لمروان بن أبى حفصة وقال مروان بن أبى حفصة :

بدولة جعفر حُمِـد الزمانُ   لَنا بك كلّ يوم مِهرجانُ
جعلتُ هديّتى لك فيـه وشياً   وخير الوَشى ما نسجَ اللسانُ

لأحمد بن أبى طاهر وقال أحمد بن أبى طاهر :

٣٧٩/٣ مِن سُنّة الأملاك فيما مضى   مِن سالف الدهر و إقباله
هـديّةُ العبـد إلى ربّه   فى جِـدّة الدهر وأحواله

(١) البهار ، بالفتح : نبت طيب الرائحة . ن : « من هدايا كأنها قطع الروض » .
(٢) الألطاف : جمع لطف ، بالتحريك ، وهو الهدية .

فقلتُ ما أهدى إلى سيِّدى … حالى وما خُوِّلت من حاله
إن أهدِ نفسى فهى من نفسه … أو أهدِ مالى فهو من ماله
فليس إلا الحمد والشكر والـ … ـمدح الذى يبقى لأمثاله

الحمدونى وقد أهديت إليه ضحية مهزولة

وقال الحمدونى ، وأهدى إليه سعيد بن حُميد أضحيَة مهزولة ، فقال فيها :

لسعيد شُويهة … نالها الضُّرّ والعَجَفْ
فتغنَّت وأبصرت … رجلاً حاملاً علفْ
« بأبى من بكفّه … بُرء دائى من الدنَف »
فأتاها مطمِّماً … وأتته لتعتلف
ثم ولَّى فأقبلت … تتغنَّى من الأسف
« ليته لم يكن وقف … عذَّب القلب وانصرف »

وله أيضا

وقال الحمدونى : كتبت إلى الحسن بن إبراهيم ، وكان كلَّ سنة يبعث إلىَّ بأضحية ، فتأخَّر عنِّى سنة ، فكتبت إليه :

سيِّدى أعرَضَ عنى … وتناسَى الودَّ منى
مرَّ بى أضحى وأضحى … أخلفانى فيه ظنِّى
لا يَرانى فيهما أهلا … لِطِلف ولقَرْن
فتعزَّيت بيأس … ثم ضحَّيت بجِنِّى
واصطحبت الراحَ يوماً … ثم أنشدتُ أغنِّى
لا بجُرمٍ صدَّ عنى … صدَّ عنى بالتجنِّى

لجارية من جوارى المأمون وقد أهدت إليه تفاحا

أهدت جاريةٌ من جوارى المأمون تفاحةً له ، وكتبت إليه : إنى يا أمير المؤمنين لما رأيتُ تنافُس الرعية فى الهدايا إليك ، وتواتُرَ ألطافهم عليك ، فكَّرت فى هديةٍ تخفُّ مؤونتها ، وتهون كُلفتها ، ويعظُم خَطَرها ، ويجِلّ موقعُها ، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ، ويكمُل فيه هذا الوصف إلا التفَّاح ، فأهديت

إليك منها واحدةً فى العدد ، كثيرة فى التصرُّف ، وأحببت يا أمير المؤمنين أن أُعرِبَ لك عن فضلها ، وأكشفَ لك عن محاسنها ، وأشرحَ لك لطيفَ معانيها ، ومقالةَ الأطباء فيها ، وتفنّن الشعراء فى وصفها ، حتى ترمقَها بعين الجلالة ، وتلحظَها بمُقْلة الصيانة ، فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه : أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدُّرِّيّة ، والحمرة الخمرية ، والشُّقرة الذهبية ، وبياض الفضة ، ولون التبر ، يلذّ بها من الحواس العينُ ببهجتها ، والأنفُ بريحها ، والفم بطعمها . وقال أرسطاطاليس الفيلسوف ، عند حضوره الوفاة ، وأُجتمع إليه تلاميذه : التمسوا لى تفاحة أعتصمُ بريحها ، وأقضى وطرى من النظر إليها . وقال إبراهيم بن هانئ : ما عُلِّل المريض المبتلَى ، ولا سكنت حرارة الثكلَى ولا رُدّت شهوة الحُبلى ، ولا جُمعت فِكرة الحيران ، ولا سُلَّت حسيفة الغضبان[1] ولا تَحيّت الفِتيان فى بيوت القِيان ، بمثل التفاح . والتفاحة يا أمير المؤمنين إن حملتَها لم تؤذِك ، وإن رُميت بها لم تؤلمك ، وقد اجتمع فيها ألوانُ قوسِ قُزَحَ ٣٨٠/٣
من الخضرة والحمرة والصفرة ، وقال فيها الشاعر :

حُمرة التفاح مع خُضرته أقرب الأشياء من قوس قُزَح
فعلى التفاح فاشرب قهوةً وأسقنيها بنَشاط وفرح
ثم غَنّ الآن كى تطربَنى طرفك الفتّان قلبى قد جرحْ

فإذا وصلتْ إليك يا أمير المؤمنين فتناولْها بيمينك ، وأصرف إليها يقينَك ، وتأمّل حُسنَها بطرفك ، ولا تخدشها بظُفرك ، ولا تُبعدها عن عينك ، ولا تبذلها لخدمك ، فإذا طال لُبثها عندك ، ومُقامُها بين يديك ، وخفْت أن يرميَها الدهر بسهمه ، ويقصدها بصَرفه ، فيُذهب بهجتها ، ويُحيل نَضرتَها ، فكلْها .

* هنيئاً مريئاً غير داء مخامر[2] *

(١) الحسيفة : الغيظ . وفى بعض النسخ : « ولا سكنت حنقة الغضبان » .
(٢) لكثير عزة . وعجزه : * لعزة من أعراضنا ما استحلت *

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال المأمون : احملوا إليها من كلّ ما أهدىَ لنا فى هذا اليوم .

للعباس الهمدانى فى يوم نيروز

وكتب العباس الهمدانى إلى المأمون فى يوم نَيروز :

أهـدى لك الناس المَرا ... كب والوصائفَ والذهبْ[(١)]
وهـديّتى حـلوُ القصا ... ئد والمـدائحُ والخطب
فاسـلمْ سلمتَ على الزّما ... ن من الحوادث والعَطبْ

(١) المراكب : اسم لما يركب من الدواب .

فرش كتاب الفريدة الثانية

فى الطعام والشراب

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مَضى قولُنا فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان والنتف ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الطعام والشراب اللذين بهما نمو الفِراسة[1] ، وهما قِوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح .

قال المسيحُ عليه الصلاة والسلام فى الماء : هذا أبى ، وفى الخبز : هذا أمى . يريد أنهما يغذّيان الأبدان كما يغذّيها الأبوان .

وهذا الكتاب جزآن ، جزء فى الطعام ، وجزء فى الشراب . فالذى فى الطّعام منهما متقصٍ جميعَ ما يتمّ ويتصرّف به أغذيةُ الطعام[2] ، من المنافع والمضار ، وتعاهُد الأبدان بما يصلحها من ذلك فى أوقاته ، وضرُوب حالاته واُختلاف الأغذية مع اُختلاف الأزمنة بما لا يُخْلِى المعدة وما لا يكظُّها ، فقد جعل الله لكلّ شىء قَدْراً .

والذى فى الشراب منهما مُشتملٌ على صنوف الأشربة ، وما اُختلف الناس فيه من الأنبذة ، ومحمودِ ذلك ومذمومه ، فإنا نجد النَّبيذ قد أجازه قوم صالحون ، وكرهه قوم صالحون .

وقد وضعنا لكلّ شىء منْ ذلك بابا ، فيحتاط كلُّ رجلٍ لنفسه بمبلغ تحصيله ، ومنتهى نظره ، فإنّ الرّائدَ لا يَكذِب أهلَه .

أطعمة العرب

الوَشيقة من اللحم ، وهو أن يُغلى إغلاءةً ثم يرفع ، يقال منه وشَقت أشِق وَشْقا ، قال الحسن بن هانئ :

---

(١) الفراسة : فسيل النخل ، وقد عنى به نمو البدن حتى يكبر . فى بعض النسخ « تنمو الفراسة » .

(٢) ن : « ما تتصرف فيه أغذية الطعام » .

حَتَّى رفعنا قِدرَنا بضِرامِها   واللَّحم بين مُوذَّم وموشَّق(١)

والصفيف مثله ، ويقال : هو القديد ، يقال : صَفَفته أصُفُّه صفا .

والرَّبيكة : شىء يطبخ من برٍّ وتمر ، ويقال : منه ربكته أربُكه ربكا .

والبَسيسة : كلُّ شىء خلطتَه بغيره ، مثل السَّويق بالأقِط ، ثم تَلُتُّه بالسمن أو بالزَّيت(٢) ، أو مثل الشعير بالنَّوى للإبل ، يقال : بسسته أبُسّه بسًّا .

والعَبيثة : بالعين غير معجمة : طعام يُطبخ ويجعل فيه جَراد ، وهو الغثيمة أيضا .

٣٨١/٣ والبَغيث والعَليث : الطعام المخلوط بالشَّعير . فإذا كان فيه الزُّؤان فهو المغلوث(٣) .

والبَكيلة والبَكالة جميعا : وهى الدقيق يُخلط بالسويق ، ثم يبلّ بماء أو سمن أو زيت ، يقال : بكلته أبكُله بكلا .

والفريقة : شىء يعمل من اللبن .

فإذا قطّعت اللحم صغاراً قلت : كتَّفته تكتيفا .

أبو زيد قال : إذا جعلت اللحم على الجمر قلت : حَسحسته ، وهو أن تقشِر عنه الرماد بعد أن يخرج من الجمر . فإذا أدخلته النار ولم تبالغ فى طبخه قلت : ضهَّبته ، وهو مُضَهَّب .

والمَضيرة سمِّيت بذلك لأنها طُبخت باللبن الماضر ، وهو الحامض . والهريسة لأنها تهرس . والعصيدة لأنها تُعصَد أى تُلوَى ، واللَّفيتة لأنها تلفت .

والفالوذ : وهو السَّرطراط(٤) . ومن أسماء الفالوذ أيضا : السُّرَّيط ، لأنه

(١) الموذم ، بالذال المعجمة : المقطع . فى بعض النسخ « موزم » تحريف .

(٢) ن : « بالرب » .

(٣) فى بعض النسخ : « العليث » ثم « المعلوث » ، وكلاهما صحيح ، يقال بالمعجمة والمهملة فيهما .

(٤) السرطراط ، بكسر السين والراء ، وبفتحهما أيضا .

يُسترط مثل يُزدرد . ويقال : « لا تكن حُلوًا فتُستَرَط ، ولا مُرًّا فتعقِي[1] » . يقال : أعقَى الشيء : اشتدّت مرارته .

الرغيدة : اللبن الحليب يُغلَى ثم يذرّ عليه الدقيق حتى يختلط فيُلعق لعقا .

الحريرة : الحساء من الدسم والدقيق .

والسخينة : حَساء كانت تعمله قريش في الجاهلية ، فسمِّيت به ، قال حسان :

زعمت سَخينةُ أن ستَغلب ربَّها ... وليُغلبنّ مُغالبُ الغــــلاّب

والعكِيس : الدقيق يصبّ عليه الماء ثم يشرب : قال منظور الأسَدى :

ولما سقيناها العكيس تمذّحت ... خواصرها وازداد رشحاً وريدُها[2]

تمذّحت ، أى انتفخت .

أسماء الطعام

الوليمة : طعام العُرس . والنقيعة : طعام الإملاك[3] . والإعذار : طعام الختان . والخُرس : طعام الولادة . والعَقيقة : طعام سابع الولادة . والنّقيعة : طعام يصنع عند قُدوم الرجل من سفره ؛ يقال : أنقعت إنقاعا . والوكيرة : طعام يُصنَع عند البناء يبنيه الرجل فى داره . والمأدُبة : كلُّ طعام يصنع لدعوة ، يقال : آدبت أودب إيدابا . وأدَبت أدْبا . قال طرفة :

نحن فى المَشتاة ندعو الجَفَلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقِرْ

الآدب : صاحب المأدبة . والجفَلى : دعوة العامة . والنّقَرى : دعوة الخاصة .

والسُّلْفة : طعام يُتعلّل به قبل الغَداء . والقفيّ : الطعام الذى يُكرَم به الرجل ، يقال منه : قفوته فأنا أقفوه قفوا . والقَفاوة : ما يرفع من المرق للإنسان ، قال الشاعر[4] :

ونُقفِى وليدَ الحىّ إن كان جائعا ... ونُحسِبه إن كان ليس بجائع

(١) هذا الضبط هو ما يقتضيه التفسير بعد ، وهى إحدى روايتين للمثل فى اللسان (١٩ : ٣١٤) . وروى أيضا بفتح القاف ، أى تلفظ لمرارتك .

(٢) ن : « جبينها » صوابه ما أثبتنا من سائر النسخ ، ومن اللسان (عكس ، مذح ، ذخر) ومقاييس اللغة (ذخر) . (٣) الإملاك : التزويج .

(٤) هو امرأة من بنى قشير كما فى اللسان (حسب) . نحسبه : نعطيه حتى يقول حسبى .

صفة الطعام وفضله

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أكرموا الخُبز فإن الله سخر له السموات والأرض . وكلوا سَقَط المائدة(١) .

وقال الحسن البصرى : ليس فى الطعام سَرَف ، وتلا قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات جُنَاحٌ فيما طَعِموا) .

الأصمعى
وقال الأصمعى . السكبادات(٢) أربعة : العصيدة ، والهريسة ، والحَيس ، والسَّميذ .

السويق
أبو حاتم : والسويق طعام المسافر ، والعَجلانُ ، والحزين(٣) والنفَساء ، وطعامُ مَن لا يشتهى الطعام .

أبو حاتم ، عن الأصمعى قال : قال أبو صوارة : الأرز الأبيض بالسمن المسلىّ والسكر الطَّبَرزَذ(٤) ليس من طعام أهل الدنيا .

أكل الخبيص
وقال مالك بن أنس ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن : أكلُ الخبيص يزيد فى الدماغ .

الحسن وفرقد السبخى
وقال الحسن لفرقد السبَخىّ : بلغنى أنك لا تأكل الفالوذج ! قال : يا أبا سعيد أخاف أن لا أؤدّى شكره ! قال : يا لُكَعُ ، وهل تؤدّى شكر الماء البارد فى الصيف ، والحارِّ فى الشتاء ؟ أما سمعت قول الله تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا كُلُوا مِن طيِّباتِ ما كسَبتم) .

الحسن والفالوذج
وسمع الحسن رجلاً يعيب الفالوذج ، فقال : لُباب البُرِّ بلعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مُسْلم .

---

(١) السقط ، بالتحريك : ما يسقط ولا يعتد به .
(٢) ن : « السكبارات » وكلاهما غير متجه .
(٣) فى بعض النسخ : « والحريق » . وبعد الكلمة فى ن « والسد » بدون إعجام .
(٤) فى اللسان والقاموس : الطبرزذ : السكر كأنه نحت من نواحيه بالفأس .

الأحنف والكمأة

وقال رجل فى مجلس الأحنف : ماشىء أبغضَ إلىَّ من الزُّبد والكمأة[١] . ٣٨٢ / ٣
فقال الأحنف : « رُبَّ ملوم لا ذنب له » .

لشريح

وقيل لشُريح القاضى : أيُّهما أطيب ، اللَّوز ينق أو الجَوز ينق ؟ فقال : لا أحكم على غائب !

لمساور الوراق

ولد لعبد الرحمن بن أبى ليلى غُلامٌ فصنع الأخبصة ، ودعا الناس ، وفيهم مساورٌ الورَّاق ، فلما أكلوا قال مساور الوراق :

مَن لم يدسِّم بالثَّريد سِبالَنا بعد الخَبيص فلا هَناهُ الفارس[٢]

رقبة بن مصقلة وحماد الرواية

الرقاشىُّ قال : أخبرنا أبو هِفَّان أن رَقَبة بن مَصقلةَ طرح نفسه بقُرب حماد الراوية فى المسجد ، فقال له حماد : ما لك ؟ قال : صريع فالوذَج . قال له حماد : عند مَن ؟ فطالما كنتَ صريع سمك مملوح خبيث . قال : عند من حكم فى الفُرقة[٣] وفَصَل فى الجماعة . قال : وما أكلتم عنده ؟ قال : أتانا بالأبيض المُنضود ، والملوَّز[٤] المعقود ، والذَّليل الرعديد ، والماضى الموُدود[٥] .

طعام عبد الأعلى ابن عبدالله بن عامر

محمد بن سلّام الجمحى قال : قال بلال بن أبى بُردة ، وهو أمير على البصرة للجاوود بن أبى سبرة الهذلى : أتحضُر طعام هذا الشيخ ؟ يعنى عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، قال : نعم . قال : فصِفه لى . قال : نأتيه فنجده متصبِّحا[٦] ، يعنى نائما ، فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن لنا فنُساقِطه الحديث ، فإن حدَّثناه أحسن الاستماعَ ، وإن حدثَنا أحسن الحديث ، ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدَّم إلى جواريه وأُمهات أولاده أنْ لا تُلْطِفه واحدة منهنّ إلا إذا وُضعت مائدته ، ثم

(١) فى الحيوان (١ : ٢٤) : « الكمأة بالسمن » . وفى بعض النسخ : « الزيت والكمأة » .
(٢) كانوا إذا ولد لأحدهم غلام قالوا له : « ليهنئك الفارس » تفاؤلا . انظر البيان (٣ : ٢٨٤) طبع لجنة التأليف .
(٣) أشير فى ن إلى أنها فى نسخة : « من قضى فى الفرقة » .
(٤) ن : « الملون » .
(٥) فى بعض النسخ : « المردود » .
(٦) التصبيح : النوم بالغداة .

يقبل خَبّازه ، فيمثُل بين يديه ، فيقول : ما عندك اليوم ؟ فيقول : عندى كذا عندى كذا ، فيعدّد كلّ ما عنده ، ويصفه ، يريد بذلك أن يحبس كلُّ رجل نفسَه وشهوتَه على ما يريد من الطعام ، وتُقبل الألطاف من ها هنا وها هنا ، وتوضع على المائدة ، ثم يُؤتى بثريدة شهباء من الفُلفل ، رقطاء من الحِمّص ، ذات حِفافين من العُراق(1) ، فنأكل معه ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون جثا على ركبتيه ، ثم استأنف الأكل معهم . فقال أبو بردة : لله درّ عبد الأعلى ، ما أربط جأشَه على وقع الأضراس .

وحضر أعرابىّ طعام عبد الأعلى ، فلما وقف الخبّاز بين يديه ووصف ما عنده قال : أصلحك الله ، أتأمر غلامك يَسقينى ماء ؟ فقد شبعت من وصف هذا الخبّاز .

وقال له : عبد الأعلى يوما : ما تقول يا أعرابىّ لو أمرتُ الطباخ فعمِل لونَ كذا ، ولون كذا ؟ قال : أصلحك الله . لو كانت هذه الصفة فى القرآن لكانت موضعَ سجود .

الفرزدق ويحيى بن المنذر

أبو عبيدة قال : مرّ الفرزدق بيحيى بن المنذر الرّقاشى فقال له : هل لك أبا فراس فى جدىٍ رضيع ، ونبيذٍ صليب من شراب الزبيب(2) ؟ قال : وهل يَأبى هذا إلا ابنُ المراغة .

الأحوص وجرير

وقال الأحوص لجرير لما قدم المدينة : ماذا ترى أن نُعِدّ لك ؟ قال : شواء وطِلاء ، وغناء(3) . قال : قد أعدّ لك .

لمساور الوراق فى وصف الطعام

وقال مساورٌ الورّاق فى وصف الطعام :

اسمع بنعتى للملوك ولا تكن ... فيما سمعتَ كميّت الأحياء

(1) العراق بالضم : جمع العرق بالفتح ، وهو القدرة من اللحم ، وهى من الجمع النادر .
(2) الصليب : الشديد .
(3) الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .

إنّ الملوك لهم طعامٌ طيّب … يستأثرون به على الفُقَراء

إنّى نعتُّ لذيذَ عيشى كله … والعيش ليس لذيذُه بسواء

ثم أختصصتُ من اللذيذ وعَيشه … صفةَ الطعام لِشهوة الحلْواء

فبدأتُ بالعسل الشديد بياضُه … شهد تُباكره بماء سماء(١)

إنّى سمعتُ لقول ربّك فيهما … فجمعتُ بين مُبارك وشِفاء

٣٨٣/٣ أيّام أنت هناك بين عِصابة … حضروا ليوم تنعّم أكفاء

لا ينطقون إذا جلستَ إليهمُ … فيما يكون بلفظةٍ عوراء(٢)

مُتنسّمين رياحَ كلِّ هَبوبة … بين النَّخيل بغُرفة فيحاء(٣)

فقعدتُ ثم دعوتَ لى بمبذرق … متشمّر يَسعى بغير رداء(٤)

قد لفّ كُمّيه على عَضَلاته … قَلِصِ القَميص مُشمِّر سعّاء

فأتى بخُبز كالمُلاء منقَّط … فبناه فوق أخاون الشِّيزاء(٥)

حتى ملاها ثم ترجم عندها … بالفارسيّة أُداعيًا بوَحاء(٦)

فإذا القِصاعُ من الخَلَنْج لديهمُ … تَبدو جوانبُها مع الوُصفاء

ارفع وضَع وهنا وهاك وهاهنا … قَصف الملوك ونَهمة القُرّاء

يؤتون ثَمَّ بلون كُلِّ طريفة … قد خالفتْه موائدُ الخلفاء

من كُل فُرْنِىّ وَجْدى راضع … ودَجاجة مَربوبة عَشواء(٧)

ومَصُوص دُرّاج كثير طيّب … ونَواهض يُؤتَى بهن شِواء(٨)

(١) ن : « نباكره » بالنون .

(٢) العوراء : القبيحة .

(٣) فيحاء : واسعة . (٤) المبذرق : الخفير .

(٥) الأخاون : جمع إخوان ، وهو لغة فى الخوان . والخوان ، كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام . والشيزاء : الشيزى ، مده للشعر . والشيزى خشب تعمل منه القصاع والجفان .

(٦) الوحاء والوحى : السرعة .

(٧) الفرنى : خبز غليظ . فى بعض النسخ « من كل ذى قرن » .

(٨) المصوص : لحم ينقع فى الخل ويطبخ . والدراج : ضرب من الطير . والنواهض : جمع ناهض ، وهو فرخ الطير الذى استقل للنهوض .

وثَرِيدة مَلْمومة قد سُقِّفت — من فوقها بأطايب الأعضاء
وتزيَّنت بتوابل مَعلومة — وخُبَيِّصاتٍ كالجُمان نقاء
هذا الثَّريد وما سواه تعلَّل — ذَهب الثريد بنَهمتى وهوائى
ولقد كَلِفت بنَعت جَدْى راضع — قد صُنْته شهرين بين رِعاء
قد نال من لَبن كثير طيِّب — حتى تفتَّق من رضاع الشاء
من كُلِّ أحمر لا يقَرُّ إذا ارتوى — من بين رَقْص دائم ونُزاء[1]
متمكِّن الجنبين صافٍ لونُه — عَبْل القوائم من غِذاء رَخاء
فإذا مرضتُ فداونى بلحومها — إنّى وجدتُ لُحومَهن دوائى
ودَع الطبيبَ ولا تثق بِدَوائه — ما خالفتْك رواضعُ الأجزاء
إنّ الطَّبيب إذا حَباك بشَربة — تركَتْك بين مَخافة ورجاء
وإذا تنطّع فى دَواء صديقه — لم يَعْدُ مافى جُونة الرَّقاء[2]
نَعَت الطبيبُ هَليلجا وبليلجاً — ونعتُّ غيرَهما من الحلواء[3]
رُطَبَ المُشَان مجزَّعا يؤتى به — والرازقىَّ فما هما بسواء[4]
وبَنانياً زُرقا كأنّ بُطونها — قِطع الثُّلوج نَقيَّة الأمعاء[5]
ليست بآكلة الحشيش ولا التى — يَبتاعها الخنّاق فى الظلماء[6]

باب آداب الأكل والطعام

من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: «الأكل فى السُّوق دناءة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أكل أحدكم فليأكلْ بيمينه، ويشربْ

(١) النزاء، بالضم: الوثب. وعنى بالأحمر الجدى. انظر الحيوان (٢: ٢٤٩).
(٢) الجونة، بالضم: السلة. والرقاء: الذى يرقى بالرقية.
(٣) الأهليلج، وقد تحذف همزته: ثمرشجرة هندية. ومثله «البليلج»: ثمر هندى فى حجم الزيتون.
(٤) المشان، كغراب: ضرب من أجود التمر. والرازقى: ضرب من العنب.
(٥) البنانى: جمع بنى، بضم الباء كالمنسوب إلى البن، وهو نوع من السمك.
(٦) فى بعض النسخ: «الختان» بدل «الخناق».

بيمينه ، فإنّ الشيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سمّوا إذا أكلتم ، واْحمدوا إذا فرغتم » . وكان يلطع أصابعَه بعد الطعام .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، و بعد الطعام ينفى اللّمَم[1] » .

ومن الأدب فى الوضوء أن يبدأ صاحب البيت فيغسل يديه قبل الطعام ، ويقدّم أصحابه بعد الطعام . ٣٨٤/٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم : طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة .

وقال صلى الله عليه وسلم « أمِلكوا العجين فإنه أحد الرَّيعَين »[2] .

لصيحة فرقد لأصحابه

وكان فرقد يقول لأصحابه : إذا أكلتم فشُدّوا الإزار على أوساطكم ، وصغّروا اللقم ، وشدوا المضغ ، ومصوا الماء ، ولا يحُلّ أحدُكم إزاره فيتّسع مِعاه ، و يأكلُ كلُّ واحد ما بين يديه .

مباكرة الغداء

وقالوا : كان ابن هُبيرة يباكر الغَداء ، فسئل عن ذلك فقال : إن فيه ثلاث خصال : أما الواحدة: فإنه ينشّف المِرّة ، والثانية : أنّه يطيّب النَّكهة ، والثالثة : أنّه يعين على المروءة . فقيل له : وكيف يعين على المروءة ؟ قال : إذا خرجتُ من بيتى وقد تغدّيت ، لم أتطلّع إلى طعام أحدٍ من الناس .

البطنة وقولهم فيها

قالوا : البِطنة تُذهب الفطنة .

قول ملك الروم فى الأحمق

وقال مسلمة بن عبد الملك لأليون ، ملك الروم : ما تعدُّون الأحمق فيكم ؟ قال : الذى يملأ بطنه من كلّ ما وجد .

(١) اللمم : الجنون .

(٢) ملك العجين وأملكه أيضا : أنعم عجنه . الريع : الزيادة .

معاوية وأبو بكرة

وحضر أبو بكرة سُفْرة معاوية ومعه ولده عبدالرحمن ، فرآه يَلقَم لقما شديداً ، فلما كان بالعشى راح إليه أبو بكرة ، فقال له معاوية : ما فعل ابنك التِّلقامة[1] ؟ قال : اعتلّ . قال : مثله لا يعدَم العلّة .

لأبى الأسود

ورأى أبو الأسود الدؤلى رجلاً يلقَم لَقْما منكرا ، فقال : كيف اسمك ؟ قال : لقمان ، قال : صدق الذى سمّاك .

لبعض الأعراب

ورأى أعرابىّ رجلا سميناً ، فقال له : أرى عليك قطيفة من نَسج أضراسك . وقعد أعرابىّ على مائدة المُغيرة ، فجعل ينهش و يتعرّق ، فقال المغيرة : ياغلام ، ناوله سكّينا . قال الأعرابى : كلّ امرئ سكّينُه فى رأسه[2] .

قال أعرابى : كنت أشتهى ثريدة دَكْناء من الفُلفل ، رقطاء من الحِمّص ، ذات حِفافَين من العُراق[3] ، فأضربُ فيها كما يضرب الولىُّ السّوء فى مال اليتيم .

وقال أعرابىّ :

ألا ليت لى خبزاً تَسربلَ رائبا وخيلاً من البَرْنى فُرسانها الزُّبد[4]
فأطلُبَ فيما بينهن شهــادةً بموتِ كريمٍ لا يُعَدّ له لحدُ

وأصطحب شيخٌ وحَدَثٌ من الأعراب فى سفر ، وكان لهما قُرصٌ فى كل يوم ، وكان الشيخ مخلّع الأضراس ، وكان الحدَث يبطش بالقرص ثمّ يقعد يشكو العِشق ، والشيخ يتضوّر جوعا ، وكان الحدَث يسمى جَعفرا ، فقال الشيخ فيه :

لقد رابنى من جَعفر أنّ جعفراً يَطيش بقُرصى ثم يبكى على جُمْل
فقلت له لو مَسّك الحب لم تَبِت بطيناً وَنسّاك الهوى شدّة الأكل

الأصمعى قال : تقول العرب فى الرجل الأكول : إنّه بَرَم قَرُون .

---

(١) التلقامة : العظيم اللقم .
(٢) أى أسنانه التى فى رأسه تغنى عن السكين .
(٣) انظر ما سبق فى ص ٢٩٥ س ٥ .
(٤) البرنى ، بالفتح : ضرب من أجود التمر .

البَرَم : الذى يأكل مع الجماعة ولا يجعل شيئاً[١] . والقَرون : الذى يأكل تمرتين تمرتين ويأكل أصحابه تمرة تمرة . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القِران .

النهى عن القران فى الطعام

وكان عبد الله بن الزُّبير إذا قُدِّم التمر إلى أصحابه قال عبدُ الله بن عمر : إياكم والقِران ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم نَهى عنه .

لبسرة الأحول

وقيل لبُسرة الأحول : كم تأكل كلَّ يوم ؟ قال : مِن مالى أو من مال غيرى ؟ قيل له : مِن مالك . قال : مَكُّوكاً[٢] . قيل : فمن مال غيرك ، قال : أخبزوا واطرحوا[٣] .

قينة حفص الكاتب

وقال رجل من أهل العراق فى قَينةِ حفصٍ الكاتب :

قَينةُ حَفص ويلَهَا فيها خِصالٌ عَشَره
أوّلهـا أنّ لها وجهاً قبيحَ المَنظره
ودارُها فى وَهدةٍ أوسعُ منها القَنطره
تأكل فى مقعدها ثوراً وتَخرَى بقره

لتأبط شراً

قال تأبّط شرًّا : ما أحببت شيئا قطّ حبّى ثلاثة : أكل اللحم ، وركوب اللحم ، وحكّ اللحم باللحم .

شره هلال بن الأسعر وزوجه

٣٨٥/٣ وقال أبو اليقظان : كان هلال بن الأسعر التميمى أكولا ، فيزعمون أنّه أكل جملا ، وأكلت امرأته فَصيلا ، فلما أراد أن يُجامعها لم يصل إليها ، فقالت له : وكيف تصل إلىّ وبينى وبينك بعيران .

نهم الواثق

وكان الواثق واسمه هارون بن محمد بن هارون أكولا ، وكان مَفتونا بحبّ الباذِنجان ، وكان يأكل فى أكلة واحدة أربعين باذنجانة ، فأوصى إليه أبوه — وكان ولىّ عهده — ويلك متى رأيت خليفةً أعمى ؟ فقال للرسول : أعلِمْ أميرَ المؤمنين أنّى تصدّقت بعينىّ جميعا على الباذنجان .

---

(١) أى لا يخرج شيئا يشاركهم به . وأصل استعماله فى الميسر .
(٢) المكوك : صاع ونصف . (٣) ن : « اخبز واطرح » .

نهم سليمان بن عبد الملك

وكان سليمان بن عبد الملك من الأكَلة ، حدّث العتبي عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قَدِم سليمانُ الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستاناً لعمرو بن العاص[1] فجالَ فيه ساعة ، ثم قال : ناهيكم بمالكم هذا مالا ، ثم ألقى صدرَه على غُصن ، وقال : ويلك ياشمردل ماعندك شيء تُطعمني ؟ قال : بلى إنّ عندى جدياً كانت تغدو عليه بقَرة وتروح عليه أخرى . قال : عجّل به . قال : فأتيته به كأنه عُكّة سمن ، فأكله وما دعا عمرَ ولا أبنه ، حتى إذا بقى الفَخِذ ، قال : هلم أباحَفْص . قال : إنى صائم . فأتى عليه ، ثم قال : ويلك يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمنى ؟ قال : بلى والله عندى خمس دَجاجات هنديات كأنهنّ رئلان النعام[2] . قال : فأتيت بهنّ فكان يأخذ برجلَى الدّجاجة فيُلقى عظامها نَقيّة حتّى أتى عليهنّ ، ثم قال : يا شمردل ، ما عندك شيء تُطعمنى ؟ قلت : بلى والله ، إن عندى حَريرة كأنها قُراضة الذهب[3] . فقال : عَجّل بها . فأتيته بعُسٍّ يغيب فيه الرأس ، فجعل يلاطمها بيديه ويَشرب ، فلما فرغ تجشّأ فكأنما صاح فى جُبّ ، ثم قال : ياغلام ، أفرغتَ من غدائى[4] ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال : ثمانون قِدرا ، قال : ائتنى بها قدرا قدرا ، قال : فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم ، وأقلّ ما أكل لقمة ، ثم مَسح يده واستلقى على فراشه ، ثم أذِن للناس ووضعت المائدةُ وقعد فأكل مع الناس ، فما أنكرت من أكله شيئا .

جشع مزرد أخى الشماخ ونهمه

وقال الأصمعى : كنت يوماً عند هارون الرشيد ، فقُدمت إليه فالوذجة ، فقال : يا أصمعى . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : حدّثنى بحديث مُزَرِّد أخى الشمّاخ . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، إن مُزرِّدا كان رجلاً جَشِعا نَهِما ، وكانت أمّه تُؤثر عيالَها بالزاد عليه ، وكان ذلك مما يُضرّبه ويُحفِظه ، فذهبَتْ يوماً فى بعض حقوق أهلها وخلفت مزرِّدا فى بيتها ورَحلها ، فدخل الخيمةَ فأخذ

(١) ن : «لما قدم سليمان الطائف ومعه عمر بن عبد العزيز وابنه أتى إلى بستان لنا» .
(٢) الرئلان : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .
(٣) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم .
(٤) أى هل أتممت إعداده . كأنه جعل ما التهمه من قبل مقدمة لغدائه .

صاعين من دقيق ، وصاعا من عَجوة ، وصاعا من سمن ، فضرب بعضَه ببعض فأكله ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا مضت أمى تَزور عيالَهـا … أغرتُ على العِكم الذى كان يُمنَع[(١)]
خلطت بصاعَىْ حنطةً صاعَ عجوة … إلى صـاع سَمن فوقه يتريّعُ
ودبّلت[(٢)] أمثالَ الأثافى كأنها … رُءوس رخال قُطِّعت لا تَجمَّع[(٣)]
وقلت لبَطنى أبشرى اليوم إنه … حِمى أمِّنا مما تُفيـد وتَجمع
فإنْ كنتَ مصفورا فهذا دواؤه … وإن كنتَ غَرثانا فذا يومُ تَشبع

قال : فاستضحك هارون حتى أمسك على بطنه واستلقى على ظهره ، ثم قعد فمدَّ يده ، وقال : خذ ، فذا يومُ تَشبع يا أصمعى .

هجاء حميد الأرقط لأضيافه

وقال حُميدٌ الأرقط ، وهو الذى يقال له : « هجّاء الأضياف » ، يصف أكل الضيف :

ما بين لُقمته الأولى إذا انحدرت … وبين أُخرى تليهـا قِيدُ أُظفورِ[(٤)]

وقال أيضا[(٥)] :

تُجهِّز كفّاه ويَحـدِر حلقُه … إلى الزَّور ماضُمَّت عليه الأنامل ٣٨٦/٣
أتانا وما ساواه سَحبانُ وائل … بيانًا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنـه اللّقم حتى كأنه … من العِىِّ لمّا أنّ تكلّم باقل

وقال :

لا أُبغض الضيف مابى جُلُّ مأكَلِه … إلاّ تنفُّجَه حـولى إذا قعدا[(٦)]

(١) العكم ، بالكسر : ما عكم به المتاع ، أى شد وربط .
(٢) دبل اللقمة تدبيلا : كبرها .
(٣) الرخال : جمع رخل ، وهى الأنثى من ولد الضأن . ن : « نقاد » . والنقد ، بالتحريك : جنس من الغنم .
(٤) قيد ، بالكسر ، بمعنى قدر .
(٥) ن : « ولغيره » ، والصواب فى سائر النسخ . فإن الأبيات لحميد الأرقط ، كما فى اللسان (بقل) . وانظر البيان للجاحظ (١ : ٦) طبع لجنة التأليف .
(٦) التنفج : ارتفاع البطن .

مازال ينفُخ جنبيه وحُبــوتَه ... حتّى أقولُ لعــلّ الضيفَ قد وَلَدا

وقال :

لا مرحباً بوُجوه القوم إذْ نَزلوا ... دُسمَ العَمائم تحكيها الشَّياطين(1)
ألقيتُ جُلّتنا الشّهرِيزَ بينهـــم ... كأن أظفارهم فيها سَكاكين(2)
فأصبحوا والنوى عالى معرّسهم ... وليس كلَّ النوَى يُلقِى المساكين

نهم سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائنى قال : أقبــل نَصرانىّ إلى سليمان بن عبد الملك ، وهو بدابق ، بسَلّين ، أحدهما مملوء بيضاً ، والآخر مملوء تيناً ، فقال : اقشروا ، فجعل يأكل بيضــةً وتينة حتى فرغ مِن السَّلّين ، ثم أتوْه بقَصعة مملوءة مُخًّا بسكر فأكله ، فأتخم ومرض فمات .

عيب الأكلة للحمية

والأكلة كلُّهم يعيبون الحِمية ، ويقولون : الحِمْية إحدى العلّتين .

وقالوا : من احتمى فهو على يقين من المكروه ، وفى شك من العافية .

وقالوا : الحمية للصحيح ضارّة ، وللعليل نافعة .

الحِمْية وقولهم فيهـا

لبقراط

قيل لبقراط : مالك تُقلُّ الأكل جدا ؟ قال : إنى إنّما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل .

من أقوال الأطباء

وأجمعت الأطبّاء على أنّ رأس الداء كلّه إدخالُ الطعام على الطعام ، وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ، فإنه ربما قَتل السِّباع فى القَفر . وأكثر العِلل كلِّها إنما يتولّد من فضول الطعام .

الحمية فى الحديث الشريف

والحِمية مأخوذة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : رأى صُهيبا يأكل تمراً وبه رَمد ، فقال : « أتأكل تمراً وأنت أرمد(3) ؟ » .

---

(1) ن : « دكن التبابين » . والتبابين : جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير .
(2) الشهريز ، ويقال أيضا السهريز : ضرب من التمر .
(3) ن : « رمد » .

ودخل على عليّ رضى الله عنه ، وهو عليلٌ و بيده عُنقود عِنب ، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تُكرهوا مَرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم » .

للحارث بن كلدة

وقيل للحارث بن كَلَدة طبيب العرب : ما أفضلُ الدواء ؟ قال : الأَزْم . يريد قلّة الأكل . ومنه قيل للمجَاعة : الأزمة ، وللكثير أزَمات .

لآخر

وقيل لآخر : ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تَشتهيه .

المنذر بن جندب وولده

أبو الأشهب عن أبي الحسن قال : قيل للمُنذر بن جُندب : إن ابنك أكل طعاماً كظّه حتى كاد يقتله . قال : لو مات ما صليتُ عليه .

عبد الملك وبعض الشرهين

ودعا عبدُ الملك بن مروان رجلاً إلى الغَداء ، فقال : ما فيّ فضلٌ يا أمير المؤمنين . قال : لا خيرَ في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فَضل .

للأحنف بن قيس

وقال الأحنف بن قَيس : جَنِّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل أنْ يكون وصّافا لبطنه وفَرجه .

لبعض الحكماء

وقيل لبعض الحكماء : أي الأدواء أطيب ؟ قال : الجوع ما ألقيت إليه من شيء قَبِله .

بين شامي ومديني

وقال رجل من أهل الشام ، لرجلٍ من أهل المدينة : عجبتُ منكم ، أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ، ومجانينكم أظرف من مجانيننا[1] ، قال : أَوَ تدرى من أين ذلك ؟ قال : لا أدرى . قال : من الجوع ، ألا ترى أنّ العود إنما صفا صوتُه لمّا خلا جوفُه .

أبو عثمان الثوري وولده

وقال الجاحظ[2] : كان أبو عثمان الثورى[3] يُجلس ابنَه معه يوم الرأس ، وكان له يوم معروف يأكل فيه رأسا لا مَحالة ، وكان يُجلِس ابنه معه : ويقول :

---

(١) ن : « أطرف » بالطاء المهملة في الموضعين .

(٢) في كتاب البخلاء ٩٦ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢١٦) .

(٣) في الكتابين المتقدمين : « أبو عبد الرحمن الثورى » .

٣٨٧/٣ إياك يا بُنىَّ ونهم الصبيان ، وأخلاق النوائح ، ونَهش الأعراب ، وكل مِمَّا يليك ، وأعلم أنه إذا كان فى الطعام لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، أو شىء مُستطرف ، فإنما ذلك للشيخ المُعظَّم ، أو للصبىّ المدلَّل ، ولستَ بواحد منهما . وقد قالوا : مُدمن اللحم كمدمن الخمر . أى بنى ، عَوِّد نفسك الأُثرة ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهشَ السباع ، ولا تخضم خَضمَ البراذين ، ولا تُدمن الأكل إدمان النِّعاج(1) ، ولا تَلَقَّم لقم الجمال ، فإنّ الله جعلك إنسانا ، فلا تجعل نفسك بهيمة . واحذر صَرْعة الكِظّة ، وسرف البطنة ، فقد قال بعضُ الحكماء : إذا كنتَ نهماً فعُدَّ نفسك من الزَّمْنَى ، وأعلم أن الشِّبع داعيةُ البَشَم ، والبَشَم داعيةُ السّقم ، وأنّ السقم داعية الموت ، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، لأنه قاتلُ نفسِه ، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره .

أى بنى ، والله ما أدَّى حقَّ الرُّكوع والسجود ذو كِظّة ، ولا خَشع لله ذو بطنة ، والصومُ مَصَحَّة ، والوجَبات عيشُ الصالحين(2) .

أى بنى ؛ لأمرٍ ما طالت أعمارُ أهل الهند ، وصحّت أبدان العرب ، ولله درّ الحارث بن كَلَدة ، إذ زعم أن الدواء هو الأزْم(3) ، فالداء كلّه من فضول الطعام ، فكيف لا ترغب فى شىء يجمع لك صحّةَ البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاحَ الدين والدنيا ، والقُربَ من عيش الملائكة ؟

أى بنى ، لِمَ صار الضبُّ أطولَ عمرا ، إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم ؟ ولِمَ قال الرسولُ عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وِجاء(4) ؟ إلّا لأنّه جعله حجازاً دون الشهوات ؟ فافهمْ تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسّلام .

أى بنى ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نقص لى سن ، ولا انتشرَ لى عَصب ، ولا عرفت ذَنين أنف(5) ، ولا سَيلان عين ، ولا سَلَس بول ، ما لذلك علّة

(1) انظر الحيوان (١ : ١١٢/ ٥ : ٤٨٧) .
(2) الوجبة : أكلة واحدة فى اليوم والليلة . (3) الأزم : الحمية .
(4) أى يقطع الشهوة . وأصل الوجاء أن تدق عروق الخصيتين بين حجرين ، وما بحالهما .
(5) ذنين الأنف : سيلان مخاطه .

إلاّ التخفيف من الزاد . فإن كنت تُحبُّ الحياة فهذه سبيلُ الحياة ، و إن كنت تُحب الموتَ فلا أبعد الله غيرك .

سياسة الأبدان بما يصلحها[1]

نصيحة الباذون طبيب الحجاج

قال الحجّاج بن يوسف للباذون طبيبه : صِف لى صفةً آخذ بها نفسى ولا أعدُوها . قال له : لاتتزوّجْ مِن النساء إلا شابّةً ، ولا تأكل اللّحمَ إلاّ فتيّا ، ولا تأكله حتى تُنعِم طبخه ، ولا تشرب دواء إلاّ من علّة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجَها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مَضغه ، وكل ما أحبَبت من الطعام ، واشرب عليه ، فإذا شربت فلا تأكلْ ، ولا تحبس الغائط ولا البول ، و إذا أكلت بالنهار فنم ، و إذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة .

سياسة يهود خيبر

قيل ليهود خَيبر : بِمَ صَححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثّوم ، وشُرب الخَمر ، وسكنى اليَفاع[2] ، وتجنّب بطون الأودية ، والخروج من خَيبر عند طلوع النجم وعند سُقوطه[3] .

قيصر وقس بن ساعدة

وقال قيصر لقُسّ بن ساعدة : صِف لى مقدار الأطعمة . فقال : الإمساكُ عن غاية الإكثار ، والبُقيا على البدن عند الشهوة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة الإنسان قدره . قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف الإنسان عند منتهى علمه .

عبد الملك وأبو المفوز

وسأل عبدُ الملك بن مروان أبا المفوّز : هل أتخمت قط ؟ قال : لا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مَضغنا دَقّقنا ، ولا نُكظّ المعدة ولا نُخليها .

(١) ن : « وما يصلحها » .

(٢) اليفاع ، كسحاب : ما أشرف وعلا من الأرض .

(٣) النجم هو الثريا ، تطلع مع الصبح فى العشر الأوسط من أيار ، وتغرب مع الصبح فى العشر الأوسط من تشرين الآخر . لسان العرب (١٦ : ٤٧) .

لبزرجمهر

وقيل لبُزُر جِمهر : أىُّ وقت فيه الطعام أصلح ؟ قال : أمّا لمن قَدَر فإذا جاع ولمن لم يقدر فإذا وجد .

وقال[1] : أربع يهدمن العمر ، وربما قتلن : الحمّام على البِطنة ، والمُجامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجافّ ، وشرب الماء البارد على الريق .

لإبراهيم النظام

وقال إبراهيم النظّام : ثلاثة أشياء تُفسد العقل : طول النظر فى المِرآة ، والاستغراق فى الضحك ، ودوام النظر فى البحر .

أنجع الأدوية

الأصمعى قال : جمع هارون من الأطبّاء أربعة : عراقيا ، وروميّا ، وهنديّا ، ويونانيا ، فقال : ليصف لى كلٌّ واحد منكم الدّواء الذى لا داء معه . فقال ٣٨٨/٣ العراقى : الدواء الذى لا داء معه حَبُّ الرشاد الأبيض . وقال الهندى : الإهليلج الأسود . وقال الرّومىّ : الماء الحارّ ، وقال اليونانى — وكان أطبّهم — حبّ الرشاد الأبيض يولّد الرطوبة ، والماء الحارّ يرخى المعدة ، والإهليلج الأسود يرقّ المعدة ، لكن الدواء الذى لا داء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه ، وتقوم عنه وأنت تشتهيه .

تدبير الصحة

ثم نَذكر بعد هذا من وصف الطعام وحالاته ، وما يدخل على الناس من ضروب آفاته ، باباً فى تدبير الصحة التى لا تقوّم الأبدان إلا به ، ولا تنمّى النفوس إلا عليه .

وقد قال الشافعى : العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان .

ولم نجد بُدًّا — إذ كانت جملة هذه المطاعم التى بها نموّ الغِراسة ، وعليها مدار الأغذية تضرّ فى حالة ، وتنفع فى أخرى — من ذكر ماينفع منها ومقدار نفعه ، وما يَضر منها ومبلغ ضرّه ، وأن نحكم على كل ضرب منها بالأغلب عليه من طِباعه ،

(١) ن : « وقالوا » .

وقلما نجد شيئا ينفع فى حالة إلاّ وهو يضرّ فى الأخرى ، ألا ترى أنّ الغيث الذى جعله الله رحمةً لخلقه ، وحياةً لأرضه ، قد يكون منه السّيولُ المهلكة ، والخرابُ المجحف ؟ وأنّ الرياح التى سخرها الله مبشّراتٍ بين يدى رحمته ، قدأهلك بها قوما وانتقم بها من قوم ؟ وفى هذا المعنى قال حبيب الطائى :

ولم تر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم تر ضَرًّا عند من ليس ينفعُ

قال خالد بن صفوان لخادمه : أطعمينا جُبناً ، فإنه يُشهِّى الطعام ، ويهيج المعدة ، وهو حَمْض العرب . قال : ما عنـدنا منه شىء . فقال : لا عليك ، فإنه يقدح الأسنان(١) ، ويشُدّ البطن .

ولما كانت أبدان الناس دائمة التحلّل ، لما فيها من الحرارة الغريزية من داخل ، وحرارة الهواء المحيط بها من خارج ، احتاجت إلى أن يُخلَف عليها ما تحلّل ، واضطرت بذلك إلى الأطعمة والأشربة ، وجُعلت فيهـا قُوّة الشهوة ليعلم بها وقت الحاجة منها إليهـا ، ومقدار ما يُتناول منها ، والنوع الذى يُحتاج إليه ، ولأنه لا يخلف الشىء الذى يتحلّل ولا يقوم مقامه إلاّ مثلُه ، وليس تستطيع القوّة التى تُحيل الطّعام والشراب فى بدن الإنسان أن تُحيل إلاّ ماشا كَلَ البدن وقاربه . فإذا كان هذا هكذا ، فلا بدّ لمن أراد حفظَ الصحة أن يقصد لوجهين : أحدهما أن يدخل على البدن الأغذيةَ الموافقة لما يتحلّل منه ، والآخر أن يَنفى عنه ما يتولّد فيه من فضول الأغذية .

ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية

وينبغى لك أن تعرف اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، لتعرف بذلك موافقة كُلِّ نوع من الأطعمة لكل صِنف الناس . وذلك أنّ الأغذية مختلفة ، فمنها معتدلة ، كالتى يتولّد منها الدّم الخالص النقى ، ومنها غير معتـدلة ، كالتى

(١) يقدحها : يحدث فيها أ كالا .

يتولد منها البلغم والمِرّة الصفراء والسوداء ، والرياح الغليظة ، ومنها لطيفة ، ومنها غليظة ، ومنها ما يتولّد منه كَيموس(١) لزج ، وكيموس غير لزج . ومنها ماله خاصة منفعةٍ أو مضرة فى بعض الأعضاء دون بعض . وكذلك الأبدان أيضا ، منها معتدل مستولٍ عليه فى طبيعته الدّم الخالص النقى ، ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أو إحدى المِرّتين ، ومنها ماهو متخلخل سريع التحلّل ، ومنها مستحصف عسر التحلُّل ، ومنها ما يكون فى بعض أعضائها دون بعض . فقد يجب متى كان المستولى على البدن الدم النقى أن تكون أغذيته قَصداً فى قدرها ، ٣٨٩ ٣ معتدلةً فى طبائعها . ومتى كان الغالب عليه البلغم ، فيجب أن تكون مسخنة أو يغتذى بما يزيد فى الحرارة ، ويقمع الرطوبة . ومتى كان الغالب عليه المِرّة السوداء ، فينبغى له أن يغتذى بالأغذية الحارّة الرطبة . ومتى كان الغالب عليه المِرّة الصفراء ، فيغتذى بالأغذية الباردة الرطبة ، ومتى كان البدن مستحصفا عسر التحلل ، فينبغى أن يغتذى بأغذية يسيرة لطيفة جافة ، ومتى كان متخلخلا فينبغى له أن يتغذى بأغذية لزجة ، لكثرة ما يتحلّل من البدن .

فهذا التدبير ينبغى أن يلتزم ، مالم يكن فى بعض أعضاء البدن [ألَم] ، فينبغى أن يستعمل النّظر فى الأغذية الموافقة للعضو الألِم ، لأنّا ربما اُضطررنا إلى استعمال ما يوافق العضو الآلم إن كان مخالفاً لسائر البدن ، كما أنه لو كانت الكبد باردة ضيّقة المجارى ، احتجنا إلى استعمال الأغذية اللطيفة ، وتجنّب الأغذية الغليظة ، وإن كان سائر البدن غير محتاج إليها لضعف أو نحافة ، لئلاّ تحدث الطبيعة فى الكبد سُدَدا ، وربّما كانت الكبد حارّة فتحذّره الأغذية الحلوة ، وإن احتاج إليها ، لسرعة استحالتها إلى المرة الصفراء . وربما كانت المعدة ضعيفة ، فتحتاج إلى مايقوّيها من الأغذية ، وربّما كان يولّد الطعام فيها بلغما ، فتحتاج إلى مايجلوه ويقطعه ، وربّما كان يتولّد فيها المرة الصفراء سريعا ، فتحتاج إلى مايقمعُ الصفراء ،

(١) فى القاموس : « الكيموس : الخلط ، سريانية » . وأخلاط البدن : ما يستحيل إليه الغذاء من الدم ، والبلغم : والصفراء ، والسوداء .

و إلى تجذُّب الأشياء المولّدة لها . وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافيا ، فيستعمل الأغذية الغليظة الراسية ليتثقل بثقلها إلى أسفل المعدة ، وتأمره بحركة يسيرة بعد الطعام ، لينحطّ الطعام عن رأس المعدة . وربما كان فَضْل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والأمعاء ، فتحتاج إلى ما يَحدِره ويليّن البطن . وربما كان رأس المعدة حارّا قابلا للحارّ فيتجنب الأغذية الحارة ، وإن أُحتاج إليها سائر البدن .

الحركة والنوم مع الطعام

وينبغي ألاّ يقتصرَ على ما ذكرنا دون النّظر فى مقدار الحركة قبل الطعام ، والنوم بعده ، فمتى كانت الحركة قبل الطعام كثيرةً ، غذيناه بأغذية كثيرة غليظة لزجة إلى اليبس ماهى ، بطيئة التحلُّل ، ولم نأمره بالحمية ، لقلة الحاجة إليها . ومتى لم تكن قبل الطعام حركة ، أو كانت يسيرة ، فينبغى ألاّ يقتصر على الحمية ، بقلّة الطعام ولطافته ، دون أن يستعين على تخفيف ما يتولّد فى البدن من الفضول باستفراغ الأدوية المُسْهلة ، وبالحمام ، وبإخراج الدم . ومتى كانت الحركة كافية ، استعملنا الأغذية المعتدلة فى كثرتها ، وقدر لطافتها وغلظها . ومتى كان النوم بعد الطعام كثيرا احتجنا إلى استعمال أغذيةٍ كثيرة غزيرة الغذاء ، لطول الليل ، وكثرة النوم . ومتى كان النوم قليلا احتجنا إلى الطعام القليل الخفيف اللطيف ، كالذى يغتذى به فى الصّيف ، لقصر الليل وقلة النوم .

تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر

ويجب فى الطعام أن يقدَّر فيه أربعة أنحاء : أولها ملاءمة الطعام لبدن المغتذى به فى الوقت الذى يغتذى به فيه ، كما ذكرنا آنفا : أنه متى كان الغالب على البدن الحرارة احتاج إلى الأغذية الباردة . ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج إلى الأغذية الحارة ، ومتى كان معتدلا أُحتاج إلى الأغذية المعتدلة المشاكلة له .

والنحو الثانى : تقدير الطعام بأن يكون على مقدار قوّة الهضم ، لأنه وإن كان فى نفسه محموداً وكان ملائما للبدن ، وكان أكثر من قدر احتمال قوّة الهضم، ولم يستحكم هضمُه ، تولد منه غذاء ردىء .

٣٩٠/٣ والنحو الثالث : تقديم ما ينبغى أن يقدّم من الطعام ، وتأخير ما ينبغى أن يؤخَّر منه . ومَثَلَ ذلك أنه ربَّما جمع الإنسان فى أكلة واحدة طعاما يليّن البطن ، وطعاما يحبسه . فإنْ هو قدم الملينَ وأتبعه الآخر سهل انحدار الطعام منه ، ومتى قدم الطعام الحابس وأتبعه الملين لم ينحدر وفسدا جميعا[1] . وذلك أن الملين حالَ فيما بينه وبين النّزول الطعامُ الحابس ، فبقى فى المعدة بعد انهضامه ، ففسد به الطعام الآخر . ومتى كان الطعام الملين قبل الحابس انحدر الملين بعد انهضامه ، وسهّل الطريق لانحدار الحابس . وكذلك أيضا إنْ جمع أحدٌ فى أكلة واحدة طعاماً سريع الانهضام وآخر بطىء الانهضام ، فينبغى له أن يقدم البطىء الانهضام ويُتبعه السريع الانهضام ، ليصير البطىء الانهضام فى قعر المعدة ؛ لأن قعرَ المعدة أسخن ، وهو أقوى على الهضم ، لكثرة مافيه من أجزاء اللحم المخالطة له ، وأعلى المعدة عصبى بارد لطيف ضعيف الهضم . ولذلك إذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم .

والنحو الرابع : أن من يتناول الطعام الثانى بعد انحدار الأول ، وقد قدّم قبله حركة كافية ، وأتبعَه بنوم كاف ، استمرأه . ومن أخذ الطعام وقد بقى فى معدته أو أمعائه بقية من الطعام الأول غير منهضمة ، فسد الطعام الثانى ببقية الأول .

باب الحركة والنوم مع الطعام

ومن أكل الطعام بعد حركة كافيـة ، وأخذه على حاجةٍ من البدن إليه ، وافَى الطعام الحرارة الغريزية بمنزلة النار إذا اشتعلت . ومن تناول طعاماً من غير

(١) ن : « وأفسدها جميعا » .

حركة وأخذه على غير حاجة من البدن إليه وافى الطعام الحرارة الغريزية خامدة ، بمنزلة النار الكامنة في الزناد . ومَن اتبع الطعام بنوم بطنت الحرارة الغريزية فيه ، فاجتمعت فى باطن البدن ، فهضمت طعامه . ومن أُتبع الطعام بحركة انحدر عن معدته غير منهضِم ، وانبثّ فى العروق غير مستحكم ، فأحدث سُدَدا وعللاً فى الكبد والكُلى وسائر الأعضاء . وربّما كانت الأطعمة لضعف المعدة تطفو فيها وتصير فى أعلاها ، فلا نأمرُه بالنوم حتّى ينحدر الطعام عن المعدة بعض الانحدار ، حتى يصير فى قعر المعدة . وربّما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفا لانحدار الطعام عن المعدة بعض الانحدار . وإن أكثر الشراب منع الطعام من الانهضام ، لأنّه يحول فيما بين جِرم المعدة وبين الطعام ، وإذا لم تلق المعدةُ الطعام لم تُحِله إلى مشاكلة البدن وموافقته ، فيبقى فيها غير منهضم ، فيجب لذلك على مَن أخذ الطعام أن يتناول معه من الشراب ما يسكّن به جُلّ العطش ويصبر على قدر احتماله من العطش ، ويصبر[1] حتى ينهضم ، ثم يتناول بعد ذلك من الشّراب ما أحبّ ، فإنه عند ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه ، لتنفيذه[2] فى المجارى الدّقاق . ويجب أيضا أن يكون أخْذُه للطعام فى وقت حركة الشهوة . وذلك أنّه إذا تحركت الشهوة ولم يبادر بأخذ الطعام اجتذبت المعدةُ من فضول البدن ما إذا صار[3] فى المعدة أبطل الشهوة ، وأفسد الطعام إذا خالطه .

الأوقات التى يصلح فيها الطعام

أجود الأوقات كلِّها للطعام : الأوقات الباردة ، لجمعها الحرارة فى باطن البدن، فأمّا الأوقات الحارة فينبغى أن يُجتنب أخذ الطعام فيها ، لأنّ حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية إلى ظاهر البدن ويخلو منها باطنه ، فتضعف الحرارة فى

(١) ن : « ويلبث » .
(٢) ن : « ويرقه بسعيه » .
(٣) ن : « فإذا سار » .

باطن البدن عن هضمه ، فلذلك كانت القدماء تفضّل العَشاء على الغَداء ، لما يلحق العشاء من اجتماع الحرارة فى باطن البدن ، لبَرد الليل والنوم ، ولأن الحرارة فى النوم تبطن وتسخّنُ باطن البدن ويَبرد ظاهرُه ، واليقظة على خلاف ذلك ، لأنّ الحرارة تنتشر فى ظاهر البــدن وتضعف فى باطنه .

٣٩١/٣

والذى يحتاج إلى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة ، وكانت كبده لحرارتها سريعة التوليد للمرّة الصفراء ، فلذلك يحتــاج إلى الأطعمة الغليظة البطيئة الانهضام ويَستمرئها ، ويَستمرئُ لحم البقر ، ولا يَستمرئُ لحم الدجاج وما أشبهه من الأطعمة الخفيفة . ولا يصلح شىء من هــذه إلّا فى وقت تحرك الشهوة ، فإنّه أفضل وقتٍ يؤخذ فيــه الطعام . وللعادة فى هذا حظ عظيم ، ألا ترى أنّه من اعتاد الغَداء فتركه واقتصر على العشاء عظُم ضرر ذلك عليه ، ومن كانت عادته أكلةً واحدة فجعلها أكلتين لم يستمرئْ طعامَه ؟ ومن كانت عادتُه أن يجعل طعامه فى وقتٍ من الأوقات ، فنقله إلى غير ذلك الوقت أضرّ ذلك به ، وإن كان قد نقله إلى وقت محمود . فيجب لذلك أن يتبع العــادة إذا تقادمت فطالت ، وإن كانت ليست بصواب ، إذا لم يحدث شىء اضطره إلى نقلها ، لأنّ العادة طبيعة ثانية ، كما ذكر الحــكيم أبقراط . فإن حدث شىء يدعوه إلى الانتقال عنها فأوفقُ الأمور فى ذلك أن ينتقل عنها قليلا قليلا . وللشهوة أيضا فى استمراء الطعام أعظم الحظ ، لأنها دليل على الموافقة والملاءمة ، فمتى كان طعامان مستويان فى الجودة ، وكانت شهوة المحتاج إليهما أميلَ إلى أردئهما ، اخترناه على الأجود ، إذا لم نخف منــه ضرراً أكثر مما ينال منه من المنفعة ، لحسن قبول المعــدة له واستمرائها إياه .

فقد بان أنّه يحتاج فى حسن استعمال الأغذية وجودة تخير الأطعمة إلى معرفة اختلاف الطبائع وحالاتها .

فقد بيّنت اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، وما يجب على كل واحدة منها

من أنواع الأطعمة والأشربة . وبقى أن نُبين اختلاف قوى الأطعمة والأشربة ، وأن أصف أنواع الأغذية ، وأسمِّى ما فى كل صِنف منها ، إن شاء الله تعالى .

الأطعمة اللطيفة

هى التى يتولّد منها دم لطيف . فمنها لُباب خُبز الحِنطة ، والحبُّ المقْشُور[١] ، ولحم الفَراريج ، ولحم الدُرّاج[٢] والطّيهوج ، والحَجَل ، وأجنحة جميع الطيور ، وما لانَ لحمه من صِغار السمك ولم تكن فيه لُزوجة ، والقرع ، والماشُ ، وما أشبهه . وهذا الجنس من الأطعمة نافعٌ لمن ليست له حركة ، وكانت الحرارة الغريزية فى بدنه ضعيفة ، ولم يأمن أن يتولّد فى بدنه كَيموس غليظ ، ويتولّد فى كبده أو طِحاله سُدَد ، أو فى كلاه ، أو فى صدره ، أو فى دماغه ، أو فى شىء من مفاصله من البلغم .

الأطعمة اللطيفة فى نفسها الملطفة لغيرها

هى التى يكون ما يتولد منها لطيفاً ، وتلطّف ما تلقاه من الكيموس اللزج الغليظ فى البدن .

وهذا الجنس من الأطعمة أربعة أصناف : صنف منها حلو لطيف ، لما فيه من قوة الجِلاء ، مثل ماء الشعير ، والبطيخ ، والتين اليابس ، والجوز ، والقسطل ، والعسل ، وما يعمل منه من الناطف . وهذا الجنس فى منفعته من جنس الأوّل من الأطعمة اللطيفة ، إلا أنّه أبلغ فى تلطيف البدن .

والصنف الثانى حار حِرّيف : كالحُرْف ، والثُّوم ، والكُرّاث ، والكَرَفْس والكُرُنب[٣] والجِرجير ، والصَّعتر ، والنُّعْنُع ، والرّازِيانَج ، والشّراب الأصفر اللطيف العتيق الحارّ .

(١) فى الأصول : « المغسول » .
(٢) ن : « الدجاج » .
(٣) هذه الكلمة ليست فى ن . يقال كرنب بضمتين وبفتحتين .

٣٩٢/٣ وهـذا كله نافعٌ لمن أحتاج إلى فتح السُّدَد التى فى الـكبد والطِّحال والصدر والدماغ ، وتَقطيع البلغم وترقيقه . ولا ينبغى لأحد أن يُـكثر استعماله لأنه يرَقّق الدم أوّلاً ويصيّره مائيّا ، فيقلّ لذلك غذاء البدن . ويضعف ، ثم إنّه يسخن البدن سُخونة مفرطة ، فيصير أكثره مِرّةً صفراء ، ثم إنه بعد ذلك إذا تمادى مستعملُه فى أستعماله حَلّل لطيف الدم وترك غليظَه ، فصار أكثره مِرّة سوداء ، وربما تولّد من ذلك حجارةٌ فى الـكلى . ومضرّة هـذا الصِّنف أشدّ ما تـكون على من كانت المرة الصفراء غالبة عليه .

والصنف الثالث : يذيب ويلطّف بملوحته ، كالمُرِّى[1] ، وما لان لحمه وقلّ شحمه من السَّمك إذا ملّح ، والسُّلْق ، وماء الُجبن ، وكلُّ ما جعل فيه من الأطعمة الملحُ والمرى والبُورَق . ومنافع هـذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الأشياء الحرِّيفة ومضارها ، إلا أن هذا الصنف فى تنقية المعدة والأمعاء وتليين الطبيعة أبلغ .

والصنف الرابع : يقطع ويلطف بحُموضته ، كالخلّ ، والسَّـكنجَبين ، وحُمّاض الأترجّ[2] ، وماء الرّمان الحامض ، وكلُّ ما يتّخذ بها من الأطعمة . وهذا الصنف نافعٌ لمن كان معدته وسائر بدنه حاراً إذا تولّد فيها بلغم من غلظ ما يتناول من الأغذية ومِن كثرتها .

الأطعمة الغليظة فى نفسها الملطفة لغيرها

منها البصل ، والجزَر ، والفُجْل ، والسّلجَم ، وما أشبه ذلك . فهذه الأطعمة فى نفسها غليظة وتلطّف ما تلقى من الشىء الغليظ ، بما فيها من الحدّة والحرافة ، وهى تولّد كيموساً غليظاً . ومتى ما طُبخ شىء منها أو شُوِى ذهب عنـه قوّة

(١) المرى : ضرب من الأدوية القديمة التى استخرجها الـكلدانيون والقبط ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير والفوتنج البرى والملح . انظر صفته فى تذكرة داود الأنطاكى . وضبطه بضم الميم .

(٢) حماض الأترج : ما فى جوفه . والأترج : ضرب من الفاكهة .

الحرافة والتقطيع ، و بقى جرمُه غليظاً رديئاً ، وقد يتناول المنفعة بتقطيع هـذه الأطعمة وتلطيفها ، ويسلم من غلظ جرمها على إحدى ثلاث جهات : إما أن تُطبخ فتلطُف ، كالذى يفعل بالبصـل ، و إمّا أن تُعصَر أو تطبخ ثم يستعمل ماؤها ، و إما أن تؤكل نيئة فتقطع البلغم ، كالذى يفعل بها جميعاً .

الأطعمة الغليظة

الغالب على الأطعمة الغليظة كلها اليُبس واللزوجة . فمنها شيء يكون اليبس واللُّزوجة من طبعه . ومنها ما يكتسب اليبس من غيره . فالذى يكون اليبس من طبعه العدَس ، ولحم الأرانب ، والبلُّوط ، والشاه بلّوط ، والـكمأة ، والباقِلّى المقلوّ . هذه كلُّها غليظة ، لأنّ اليُبس فى طبائعها . وأما الذى يكتسب اليُبس من غيره فالـكبُود والبيض المسلوق والمشوىّ وما قلى منه ، واللبنُ المطبوخ طبخاً كثيراً ، والضُّروعُ ، وعصير العنب المطبوخ ، لا سيما إن كان العصير غليظاً . فهذه كلُّها غليظة ، لأنّ الحرارة بالطبخ أحدثت لها يُبسا وانعقاداً . وأما لحوم الإبل ، ولحوم التيوس ، ولحوم البقر ، والـكروش والأمعاء ، فإنها غليظة بصلابتها . وكذلك التّرمس ، وثمر الصنوبر ، والسَّلجم ، واللوبيا ، وما خُبز على الفُرن ، فإن ظاهره غليظ لمـا أحدثت له النار من اليبس ، و باطنه غليظ لما فيه من اللزوجة . وكذلك كل ما لم يُجَوَّد عجنه أو خَبزه أو إنضاجه من خبز التنّور ، وكل ما خُبز على الطابق بدُهن أو غيره ، والسَّمْن والفطْر والشُّهد واللبن والأدمغة ، فإنَّها كلَّها غليظة للزوجة فيها طبيعية . وأما الفالوذج فإنه غليظ للزوجته ، والانعقادِ الحادث له من الطبخ . وأمّا الباذنجان فإنّه غليظ لليبس وللزوجة فى طبعه . وأما الخبز فإنه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيـه . فأمّا السمك الصُّلب اللزج فإنه غليظ ، لأجتماع الصلابة واللزوجة فيـه . وأما الآذان والشفاه وأطراف العَضَل ، فإنها تولّد كيموسا لزجاً ليس بالغليظ ، وقد تولد ما يعرض من الأغذية البـاردة[1] عن

(١) كذا وردت العبارة فى الأصول .

هضمها وتلطيفها ، كالذى يعرض من أكل الفاكهة قبل نُضجها ، ومن أكل ٣٩٣/٣ الخيار والقثاء ، وشحم الأترجّ واللبن الحامض . فهذه الأطعمة الغليظة كلها إن صادفت بدناً حاراً كثير التعب قليل الطعام كثير النوم بعد الطعام ، انهضمت وغذّت البدن غذاء كثيرا نافعا ، وقوّته تقوية كثيرة . وأحمد ما تُستعمل هذه الأغذية فى الشتاء ، لاجتماع الحرارة فى باطن البدن وطول النوم ، ومتى أحسّ أحدٌ فى بدنه نقصاناً بيناً . وإن أكلها من يجد الحرارة فى بدنه قليلة ولا سيما فى معدته ، وتعبه قليل ، ونومه بعد الطعام قليل ، لم يستحكم انهضامها ، وتولد منها فى البدن كيموس غليظ حار يابس يتولد منه سدد فى الكبد والطِّحال . فلذلك ينبغى لمن أكل طعاما غليظاً من غير حاجة إليه لعلة أو شهوة أن يقل منه ولا يُفرْده ، ولا يُدمنه . وما كان من الأطعمة الغليظة له مع غِلظه لزوجة فهو أغذاها للبدن ، فإن لم تنهضم فهو أكثرها توليداً للسدد .

الأطعمة المتوسطة

المتوسطة بين الغليظة واللطيفة ، تصلح لمن كان بدنه معتدلاً صحيحا ، ولم يكن تعبُه كثيراً . وأجود الأغذية له المتوسطة ، لأنها لا تنهكه ولا تضعفه كاللطيفة ، ولا تولِّد خَامًا(١) ولا سُدَدا كالغليظة ، وهى كل ما أحكم صنعه من الخبز، ولحوم البقر ، والدجاج ، والجداء ، والحولية من الماعز . وأما لحوم الخرفان والضأن كلها فَرطبة لزِجة . وأما لحم فراخ الحمام والقطا فهى تولّد دما سخنا ، وأغلظ من الدم المعتدل(٢) . وأما فِراخ الوَرَاشين فإنها مثلُ فراخ الحمام والقطا والإوَزّ ، فأجنحتها معتدلة ، وسائر البدن كثير الفضول .

وكلُّ ما كثُرت حركتُه من الطير وكان مرعاه فى موضعٍ جيِّد الغذاء ،

(١) الخام ، جاء فى النزهة المبهجة ، بهامش تذكرة داود (١ : ٦٧) : « وغيره — أى غير الدم — إما فاسد فى نفسه وهو النفه المائى ، ورقيقه المخاطى ، وغليظه الماسخ المعروف بالخام » .

(٢) ن : « دما أغلظ من الدم المعتدل » .

صافى الهواء ، كان أجودَ غذاء وألطف . وكلُّ ما كان على خلاف ذلك فهو أردأ غِذاء وأوسخ .

وكلُّ ما لم يستحكم نضجُه من البيض ، وخاصَّةً ما أُلقِىَ على الماء الحارّ ، وأخذ من قبل أن يشتدَّ ، فهو معتدل . وكلُّ ما كان من لحم السمك ليس بصُلب ولا كثير اللزوجة والزُّهومة ، وكان مرعاه ماء نقيًّا من الأوساخ والحَمْأة فهو معتدلٌ جيِّد الغذاء .

ومن الفواكه التين والعنب ، إذا استَحكم نضجُهما على الشجر وأسرعت الانحدارَ إلى الجوف ، كان ما يتولَّد منها معتدلاً ، فإن لم تسرع الانحدارَ فلا خير فيها .

ومن البقول الهِندَبا ، والخسّ ، والهِلْيَون .

ومن الأشربة ما كان لونه ياقوتيًا صافيا ، ولم يكن عتيقا جدا .

الأطعمة الحارة

يَحتاج إليها مَن كان الغالب عليه البرودة ، وفى الأوقات الباردة والبلاد الباردة . وينبغى أن يجتنبها من كان حارَّ البدن ، وفى الأوقات الحارة ، وفى البلاد الحارة . منها الحِنطة المَطبوخة ، والخبز المتَّخذ من الحنطة ، والحِمّص ، والحُلبة ، والسّمسم ، والشَّهدانِجُ ، والعنب الحلو ، والكَرَفْس ، والجِرجِير ، والفُجْل ، والسَّلجم ، والخردل ، والثُّوم ، والبصل ، والكُرّاث ، والخمر العتيق . وأسخن الأشربة الحارّةِ العتيقُ الأصفر .

الأطعمة الباردة

ينبغى أن يستعملها مَن كان حارّ البدن ، وفى الأوقات الحارة ، والبلد الحار . وهى الشعير وكلُّ ما يتَّخذ منه ، والجاوَرْس ، والدُّخْن ، والقَرع ، والبِطِّيخ ، والخيار ، والقِثّاء ، والإجّاص[1] ، والخَوخ[2] ، والجُمّار ، وما بين الحموضة

(١) الإجاص ، هو المعروف فى مصر بالبرقوق . تذكرة داود .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة «الجزر» فى فصل (الأطعمة التى غذاؤها قليل) ساقط من ن .

والعُفوصة[1]، من العنب والزَّبيب ، والطَّلْع ، والبلَح ، والخسّ والهِندَبا ، والبقلة الحمقاء ، والخَشْخاش ، والتُّفَّاح ، والكُمَّثْرَى ، والرُّمان . فما كان من الرمان عَفِصا فهو بارد غليظ ، وما كان حامضاً فهو بارد لطيف . فأمّا الخلّ فهو باردٌ لطيف ، وهو ضارٌ بالعصب . وما كان أيضاً من الشَّراب عَفِصا فهو أقلُّ حرارة ، وما كان من ذلك حديثاً غليظا فهو بارد .

الأطعمة اليابسة

يَحتاج إلى الأطعمة اليابسة مَن كان الغالب على بدنه الرُّطوبة ، وفى الأوقات الرَّطْبة ، وللبلد الرطب . منها العدَس ، والكُرُنب ، والسَّويق ، وكل ما يُشوَى ويُطبخ ويقلى ، وكل ما أكثر فيه السَّذَاب والمُرْى[2] والخلُّ والأبزار والخردل ، ولحمُ المُسنِّ من جميع الحيوان .

الأطعمة الرطبة

٣٩٤/٣ يَحتاج إلى الأطعمة الرَّطبة من أفرط عليه اليُبس ، وفى الأوقات اليابسة والبلد اليابس . وهى : الشعير ، والقَرع ، والبِطِّيخ ، والقِثّاء ، والخيار ، والجَوْز الرَّطب ، والعِنب ، والنَّبق ، والإجَّاص ، والتُّوت ، والجُمّار ، والخَسّ ، والبقلة اليمانِيَة ، والقِطف[3] ، والباقِلاء الرَّطب[4] ، والحِمّص الرَّطب ، واللُّوبيا الرَّطبة ، وكلُّ مايُطبَخ بالماء ويُسلق به وتُقُل فيه الأبزار والخلّ والمُرْى والسَّذَاب ، وجميعُ لحومِ صغار الحيوان .

(١) العفوصة : المرارة والقبض . والوصف منها عفص ككتف .

(٢) انظر ما سبق من شرحه فى ص ٣١٥ .

(٣) القطف ، بالكسر : بقلة تشبه الرجلة .

(٤) الباقلاء ، بتخفيف اللام والمد ، ومثله الباقلى ، بتشديد اللام وتخفيفها : الفول .

الأطعمة القليلة الفضول

أجنحةُ الطيور ، وأكارع المواشى ، ورقابُها ، وما يرتى فى البرّ من الحيوان فى المواضع الجافّة .

الأطعمة الكثيرة الفضول

منها لحم الأوزّ خلا الأجنحة ، والأكباد كلها من جميع الحيوان ، والنُّخَاع والدِّماغ ، والطّيور التي فى الفيافى والآجام ، والحِمص الطرىّ ، والباقلاء الطّرى ولحم الضأن ، ولحم المراضع من كلّ الحيوان ، ولحم كلّ ساكنٍ غير سريع النهوض ، وما كان من السّمك على ماذكرنا صُلبا لزِجا .

الأطعمة التى غذاؤها كثير

كلُّ ما غلُظ من الأطعمة إذا انهضم غذّى غذاء كثيرا . وكلّ ما كان له فضولٌ كان غذاؤه كثيراً .

وقد يَحتاج إلى الأطعمة الكثيرة الغذاء مَن احتاج إلى أن يأخذ طعاما قليلا يغذِّى غذاء كثيرا ، كالناقِهِ والمسافر ، وكالذى يُثقِل معدته الكثيرُ من الطّعام وبدنُه يحتاج إلى غذاء كثير .

فمن ذلك لحم البقر ، والأدمغة ، والأفئدة ، وحواصل الطّير كلها ، والسّمك الغليظ اللّوح ، والسّميد ، والباقلاء ، والحمّص ، واللّوبيا ، والتُّرمُس ، والعدَس ، والتّمر ، والبَلُّوط ، والشاهْ بَلُّوط[1] ، والسّلجم[2] ، تغذو غذاء كثيرا لغلظها . واللبن الحليب والشّراب الأحمر . وغذاء اللّبن كلّه أغلظِه وأرقِّه ، أقل غذاء . وأغلظ اللبن لبن البقر ولبن النعاج ، وأرقّه لبن الأُتن[3] وألبان اللّقاح . وألبان الماعز متوسِّطة بين ذلك .

(١) الشاه بلوط : شجر يسمى بالقسطل ، وثمره هو ما يدعى بأبى فروة . تذكرة داود .
(٢) السلجم ، هو اللفت :
(٣) الأتان : أنثى الحمار ، تجمع على آتن ، وأتن بضمة ، وبضمتين أيضا .

وأغذى الأشربة النبيذُ الأحمر الغليظ الحلو ، ثم الغليظ الأسود الحلو ، ثم الغليظ الأبيض الحلو ، ثم مِن بعد هذه الأشربةُ العَفِصة الغليظة الحلوة . وكُلما مال إلى الحمرة والحلاوة كان أغذى . والأبيضُ أقلها غذاء .

الأطعمة التى غذاؤها قليل

كلُّ ما كان من الأطعمة لطيفًا كان غذاؤه قليلا ، وكلُّ ما أفرط فيه اليُبس أو الرُّطوبة ، أو كَثْرة الفَضْل قلّ غذاؤه ، كالأكارع ، والكروش ، والمصارين ، والشَّحم ، والآذان ، والرِّئة ، ولحم الطَّير كلّه . وما مُلّح من الحيوان قليل الغذاء ، لليبس الذى فيه . وكذلك الزَّيتون ، والفُستَق ، والجوز ، واللَّوز ، والبندق ، والقُبَيرا[1] والزُّعرور[2] ، والخَرُّوب ، والبُطم[3] ، والكُمَّثْرَى العَفِص ، والزَّبيب العفِص ، فإنما قلّ غذاؤه للعفوصة[4] .

وأما السَّمك والقرع ، والرُّمان والتوت ، والإجّاص والمِشمِش ، فإنّما قلّ غذاؤها لكثرة رطوبتها . وغذاؤها غير باقٍ سريعُ التحلُّل .

وأمّا خبز الشَّعير والخُشْكار[5] ، والباقِلاء الرَّطب ، وجميعُ البقول ، مثل الكَرُنْب ، والسِّلق ، والحُمّاض ، والبقلة الحمقاء ، والفُجل ، والخَردل ، والحُرْف[6] ، والجزَر ، فقليلةُ الغذاء ، لكثرة الفَضْل فيها . وأمّا البصل والثُّوم والكُرّاث فإنّها إذا أُكلت نِيئَة لم تغذّ . وإذا طبخت غذّت غذاء يسيرا . وأمّا التّين والعنب فإنّهما بين ما قلّ غذاؤه وما كثر غذاؤه .

(١) القبيرا ، هو ما يسمى بالقراصيا . تذكرة داود .

(٢) الزعرور ، ويسمى أيضا « التفاح الجبلى » ، وهو ما يعرف فى مصر بالبشملة . انظر تذكرة داود .

(٣) البطم ، بضمة وبضمتين : الحبة الخضراء ، ثمرها شبيه بالفستق .

(٤) انظر ماسبق فى ص ٣١٩ .

(٥) الخشكار : لفظة فارسية لم ترد فى المعاجم العربية . وفسرها استينجاس فى معجمه ٤٦٢ بأنها الدقيق الخشن الذى لم ينخل .

(٦) الحرف ، بالضم : حب الرشاد .

الأطعمة التى تولّد كيموسا جيدا

كلُّ ما كان معتدلا من الأطعمة لم تُفرِط فيه قوّة ولا تجاوزت القدرَ فيه ولّد دماً خالصا نقيّا صحيحا. وكلُّ ما كان كذلك فهو موافقٌ لجميع الأبدان، وفى جميع الأوقات، وهو لجميع الأبدان المعتدلة فى الأوقات المعتدلة أوفق، لأنّ ما تجاوزَ الاعتدالَ من الأبدان يحتاج من الأطعمة إلى ما فيه قُوّة تجاوز الاعتدال، وكذلك الأبدان المعتدلة فى الأوقات التى ليست بمعتدلة. ٣٩٥/٣

وفى الأطعمة المعتدلة ما هو غليظ، وما هو لطيف، وما هو بين ذلك. وأجودُها لجميع الناس ما كان معتدلاً منها، بين الغليظ واللطيف. وقد وصفنا الأطعمةَ الغليظة واللطيفة والمتوسطة، ومتى يصلُح كلُّ صِنف منها. فبقى علينا أن نخبر بجملةِ الأطعمة المولّدة الكَيموسَ الجيّد، وقِسمتها على ما قسمناها.

فمن ذلك: خبز الحِنطة النقىّ المحكم الصّنعة إن كان من يومه، ولحم الدّجاج والجِداء، وحَوليّة الماعز، وما كان من السمك ليس بصلب ولا كثير اللزُّوجة، وما لم يكن له زُهومة، وما لم يكن له سِمَن كثير، وما كان مرعاه فى ماء ليس فيه أوساخ ولا حَمْأة، ولم يكن سريعَ العفونة، وكلُّ ما اشتدّ واستحكم نُضجه من البيض، وكلُّ شراب طيّب الريح، ياقوتىّ اللون، ليس فيه حلاوة، وكلُّ ذلك يولّد كيموسا معتدلاً بين اللطيف والغليظ.

وأمّا الدُّرّاج والفراريج، وأجنحةُ جميعِ الطير، وما صَغُر من السمك وكان مرعاه على ما وصفنا، وما ألقى عليه من السّمك الملحُ فصار رَخْصا، وذهبت لزوجته، وأمّا كَشْكُ الشّعير(١)، والشّرابُ الطيّب الرائحة، الأحمر. فكلُّ ذلك جيد الكيموس لطيف.

وأمّا اللبن الحليب فإنّه جيد الكَيموس، إلا أنّ فيه غلظا. ولذلك ربّما تجبّن فى المعدة. فلهذه العلّة يُخلط به العسل والملح ويُرَقّ بالماء. وأجود اللبن

(١) كشك الشعير بالفتح: ماؤه.

وأعدله لبنُ الماعز ، لأنّه ألطف من لبن الضأن والبقر ، وأغلظ من لبن الأتن واللِّقاح[(١)] .

وينبغى للّبن أن يؤخذ من حيوانٍ صحيح شابّ ، جيّد الغذاء . ولا يستحبُّ فى وقتِ ما يضع الحيوان ، ولا بعدَ ذلك بزمانٍ طويل ؛ لأنّ اللبن من الحيوان فى وقتِ ما يَضعُ غليظٌ ، ثم يرقّ بعد ذلك قليلاً قليلا حتى يصير مائيا ، فلذلك كان أوّلُه وآخره رديئا . وأجود ما يُؤخَذ اللبن ساعةَ يحلب ، قبل أن يغيِّره الهواء ، لأنّه سريع الاستحالة . وأما الخُشْكار من الخُبز الرَّطب ، وكلُّ ما لم تُحكَم صنعتُه من خُبز السَّميد ، وخُبز الفرن ، ولحم العجل ، ومن أجزاء الغنم : الضَّرع والكبد والفؤاد ، ومن الحبوب الباقِلاء ، ومن الشراب ما كان طيِّب الرائحة حُلوًا ، فكلُّ ذلك يولد كيموسا غليظا جدا .

الأطعمة التى تولد كيموسا رديئا

كلُّ ما لم يكن معتدلا من الأغذية لم يولد دما خالصا صافيا .

والأطعمة الرديئة الكيموس ثلاثة أصناف : منها ما يزيد فى البلغم ، ومنها ما يزيد فى الصَّفراء ، ومنها ما يزيد فى السوداء .

وينبغى لجميع الناس أن يتجنّبوا الإكثار منها ، وإدمانَ استعمالها ، وإن كانوا لها مستمرئين ، لأنّها وإن لم يتبيَّنْ لها ضررٌ فى عاجل الأمر يجتمع منها فى بدن مُدمنِ استعمالها مع طول الزّمان كيموس ردىء ، يولد أمراضا رديئة . وأولَى النّاسِ بتجنُّب كلِّ صِنف من أصنافها مَن كان الغالب على بدنه ما يزيد فيه ذلك الصنف .

فأقول : إنّ كلّ ما يُتّخذ من الخبز من دقيق كثير النُّخالة ، أو ما عُتّق من الحنطة ، رديء الكيموس ، يزيد فى السوداء .

(١) اللقاح : جمع لقحة ، بالكسر ، وهى الناقة الحلوب .

ولحمُ الضّأن كلّه يزيد في البلغم ، ولحم الماعز المسنّ كلّه يزيد في السوداء ، وأردؤه لحم التُّيوس . ولحم البقر والجزور والأرانب والظِّباء والأيايل[1] كلُّ هذا يزيد في السوداء ، وشرُّ هذه اللحوم لحم الجزور ، وبعده لحم التيوس ، لا سيّما مالم يُخْصَ منها ، وبعده لحم المسنِّ من الضأن ، وبعده لحم البقر . وكلُّ ما خُصِى من هذه كان أجود غذاء . ٣٩٦/٣

وأمّا لحوم الأرانب والظباء والأيايل فهو دونَ جميعِ ما ذكرنا في الرداءة . ومن أعضاء جميع الحيوان الكُلى رديئة الكيموس ، لزُهومتها وما استفادت من رداءة البَوْل .

والدِّماغ يزيد في البلغم ، وكلُّ البطون تزيد في البلغم ، لكثرة الفضول فيها . والبيض المطجَّن[2] يولد غذاء غليظا فاسدا ، وكذلك الجبن ، ولا سيّما ماعَتُق منه . والعدَس يزيد في السوداء . والدُّخْن والجاوَرْس يولدان دما غليظا . وما صلُب لحمه من السمك وغلبت عليه اللُّزوجة يولد البلغم ، فإن مُلِّح وعُتِّق ولّد السَّوداء .

والتِّين اليابس إنْ أُكثِر أكلُه ولّد فَضْلا عَفِنا يكثر منه القمل . والكُمَّثرى والتّفاح إنْ أُكلا غيرَ نضيجَين ولّدا كيموسا رديئا بارداً . وكذلك القِثّاء والخِيار . فأمّا البِطِّيخ والقرع فربّما انهضما ولم يُحدِثا في البَدن حدثًا رديئا ، وربُما فسدا في المعدة ، فولَّدا كيموسا رديئا ، ولا سيّما إن صادفا في المعدة فَضْلا رديئا ، فلذلك تعرِض الهَيْضة[3] كثيراً لمن أكل البِطِّيخ .

والبقول كلها رديئة الكيموس ، لكثرة الفَضْل فيها ، وقلّة الغذاء . وأمّا البصل والثُّوم والكُرّاث والفُجل والجزر والسَّلجم فرديئة ، لما فيها من

(١) الأيايل : جمع إيَّل والأنثى إيلة ، فالإيل : الوعل ، وأنثاه الأروى .

(٢) المطجن ، كمعظم : المقلو في الطاجن .

(٣) الهيضة : القياء .

الحرارة والحَرَافة ، وربّما زادت فى الصفراء ، وربّما زادت فى السّوداء أيضا، كما ذكرت لك آنفا ، إلا أنها إن طبخت وصُبّ ماؤها وطبخت بماء ثان ذهبت الحرافةُ والرّداءة عنها .

والباذَرُوج[1] يسخّن الدم ويجفّفه تجفيفاً شديدا . والكرنب يولد السوداء وكذلك جميع البقول الرديئة .

الأطعمة المتوسطة الكيموس

وهى بَينَ ما يولّد الكيموس الجيّد ، وما يولّد الكيموس الردىء ، فنهـا خبز الخُشْكار ، ولحم الخِصيان من المعز والضّأن . ومن الأعضاء : اللسان ، والأمعاء والذَّنَب. ومن الفاكهة : العنب ، والبطيخ ، والمعلّق من العنب أجود والتين اليابس مع الجوز ، والشّاهْبلّوط ، ومن البقول الخسّ وبعده الهِندَبا ، وبعده الخُبّازَى ، وبعده القِطْف ، والبقلة الحمقاء اليمانية ، والحُمّاض ، وما لم يكن فيه حدّةٌ كثيرةٌ من الأصول .

الأطعمة السريعة الانهضام

وإنما يسرع الانهضام لأحد وجهين :

فالوجه الأوّل منهما إذا كانت الأطعمة غير يابسة كالعـدَس ، ولا صلبة كالتُّرمُس ، ولا لزجة كالحِنطة ، ولا خشِنة كالسِّمسم ، ولا كريهة كالسّذاب[2] ، ولا كثيرة الفضول كالأرز ، ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ، ولا حرٌّ شديد كالعسل .

والوجه الثانى : لطبيعة البطن المستمرئ لها ، وذلك لأحد وجهين :

الأوّل موافقة الأغذية ، ومشاكلة الأبدان الطبيعية ، كالأطعمة التى يشتهيها

(١) الباذروج : بقلة تسمى « الريحان الأحمر » .
(٢) ن : « كالشراب الأبخر » .

ويلذّها الإنسان ، فقد تجد النّاسَ يختلفون فى شهواتهم ويستمرئ كلُّ واحدٍ منهم ما شهوته إليه أميَل ، وإن كان الذى لا يشتهيه أحمدَ من الذى يشتهيه .

والوجه الثانى : لِمزاجٍ عارِض يصادف من الطعام مضادّة كالذى ترى ، أنّ من غلب عليه الحرّ لعلّةٍ من العلل كان للأطعمة الباردة أشدَّ استمراء ، لما تُطفئ من حرارة البدن وتعدّله . ومَن غلب عليه البرد استمرأ الحار ولم يستمرئ البارد . ومن رَطُب بدنُه كله أو معدته استمرأ الأطعمة الجافة ولم يستمرئ الرّطبة ، ومَن عرض له اليُبْس خلاف ذلك .

فقد بان بما ذكرناه أن الأطعمة اللطيفة والمتوسّطة فى نفسها ، سريعةُ الانهضام . وقد يجوز أن تكون الأطعمةُ الغليظة أسرعَ انهضاما فى بعض الأبدان أيضا . فقِشر الخبز المحكم ، ولحم الدجاج والفراريج والدُّرّاج والحجَل ، وكبود الإوزّ وأجنحتها ، سريعة الانهضام . وفى الجملةِ : الجناحُ من كلّ طائرٍ أسرعُ انهضاما من سائره . وليس الطير كله بأسرع انهضاما من المواشى . ٣٩٧/٣

وكلُّ ما كان من الحيوان يابساً فصغيرُه أسرعُ انهضاما . وكذلك لحم العجاجيل أسرع انهضاماً من لحم البقر ، ولحم الجدى الحولىّ أسرعُ انهضاماً من لحم المسنّ من الماعز .

وكلُّ ما كان من الحيوان أرطبَ فكبيره مِن قبل أن يشتدّ(١) أسرعُ انهضاما من صغيره . ألا ترى أنّ الحولىّ من الضأن أسرع انهضاماً من الخروف ؟

وكلُّ ما كان مرعاه فى المواضع اليابسة أسرعُ انهضامًا مما كان مرعاه فى المواضع الرطبة . وكلُّ ما كان جِرمه متخلخلا فهو أسرعُ انهضاما مما كان جرمه متلزّزا . ولذلك كان الجوز أسرع انهضاما من البندق . والبيض [illegible] أمرأ] من البيض البارد . والشراب الحلو أمرأ من العَفِص(٢) .

(١) فى بعض النسخ : « يسن »

(٢) العفص ، ككتف : ما كان فيه العفوصة ، وهى المرارة والقبض .

الأطعمة البطيئة الانهضام

وإنما يعسر الانهضام من الطبيعة فى الطعام إذا كان يابسا ، أو صلبا ، أو لزجا ، أو متلزّزا(١) ، أو كثير الدسم ، أو كثير الفضول ، أو كريه الطعم ، أو الحرافةُ فيه مفرطةٌ أو البردُ أو الحرّ ، أو مخالفا للمزاج الطبيعى إذا لم يُشتَه . فلحمُ البقر ولحم الإبل ، والكروشُ والأمعاء ، والأوزّ ، والآذان من جميع الحيوان ، والجبن اليابس البارد ، عسرة الانهضام ليُبسها وصلابتها . وكذلك من الطير الوَرَاشِينُ والفَواخت والطّواويس . والقوانص من جميع الطير عسرة الانهضام .

ومن الحبوب : الأرز ، والتُّرمس ، والعدَس ، والدُّخن ، والجاوَرس والبلّوط والشاهبلّوط .

وأمّا لحم التيوس ، وأ كارعُ البقر ، فعسرة الانهضام ، لزهومتها وكراهتها . وأمّا لحم الضأن ، والكبودُ من جميع الحيوان والإوزّ ، فلكثرة الفضول فيها وأمّا الجبن الحامض فلبرده . وأما الحِنطة المسلوقة فللزُوجتها وتلزّزها . وأما الباقلاء واللّوبياء فلكثرة النّفْخ فيها . وأما السمسم فلكثرة دُهنه . وأمّا العنب والتين وسائرُ الفواكه إذا لم يستحكم نضجُها ، والأترجّ والباذَرُوج والسَّلجَم والجوز والشّراب الحديث الغليظ ، فلكثرة الفضولِ فيه .

الأطعمة الضارة للمعدة

السَّلْق ردىء للمعدة ، للذعه إيّاها ، ولما فيه من الحِدّة البُورَقيّة ، والباذَرُوج والسَّلجم ما لم يُستقصَ طبخهما اللذع فيهما . والبقلة اليمانية والقِطف للزوجتهما ، فلذلك ينبغى أن يؤكلا بالخلّ ، والمُرْى(٣) . والحلبةُ رديئة للمعدة ،

(١) المتلزز : المجتمع الشديد .
(٢) ن : « لم يشتد » .
(٣) سبق تفسيره فى ص ٣١٥ .

للذعها إياها ، والسِّمسم ردىء المعدة لُزوجته وكثرة دهنــه ، واللبن لسرعة استحالته فى المعدة ، والعسل ما أكثِر منه لَذَع المعدة وأغثَاها . والبطِّيخ أيضا يُغثى ، وإذا لم ينضُج فى المعدة ولّد كيموسا رديئا ، فينبغى بعد أكل البِطّيخ أن يأكل طعاما كثيرا جيّد الـكيموس .

والأدمغة أيضاً كلها رديئة المعدة ، فلذلك ينبغى أن تؤكل بالصَّعتر ، والفُودَنج البرِّىّ ، والخردلِ ، والملح . وكذلك أيضاً المِخَاخ[1] . والنّبيذ الحديث الغليظ الأسود العَفِص يُسرع الحموضة فى المعدة ويُغثى .

الأطعمة التى تفسد فى المعدة

المِشمِش ، والسمسم[2] ، والتُّوت ، والبِطّيخ ، إذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت فيها كيموساً رديئا أسرع إليها الفساد . فيجب أن تؤكل قبـل الطعام والمعدةُ نقيّة ، ليسرعَ انحدارُها عنها ، ويسهلَ الطريقُ لما يؤكل بعدَها من الطعام ، فإن أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها فى المعـدة ، وأفسدت سائرَ الطعام بفسادها ، وربّما بلغ الفسادُ بها إلى أن تصير بمنزلة السم القاتل .

الأطعمة التى لا يسرع إليها الفساد فى المعدة

من كان يفسد طعامه فى معـدته فأجود الأطعمة له ما كان غليظاً بطىءَ الانحدار ، مثل لحم البقر ، وأكارعها ، وما أشـبه ذلك ، ممـا قد ذكرناه فى الأطعمة الغليظة .

الأطعمة الملينة المسهلة للبطن ٣٩٨/٣

كلُّ ما كان من الأطعمة فيه حلاوةٌ أوحِدّة أوملوحة أولزوجة . فمن ذلك

(١) المخاخ ، بالـكسر : جمع مخ . ن : «الأمخاخ» ، ولم يعرف فى جمعه إلا «مخخة» كعنبة ، ومخاخ أيضا .

(٢) هذه الـكلمة ساقطة من ن .

ماء العدَس، وماء الكرُنب[١] يلينان البطن، وجِرمُهما يُمسِك البطن، وكذلك مَرقة الديوك العتيقة، وخُبز الخُشْكار، وماء الحلبة مع العسل، وزيتونُ الماء إذا كان قبل الطعام مع مُرْى ليَّنَ البطن، فإن كان أيضا بعد الطعام بلا مُرْى فإنَّه يقوِّى المعدةَ على دفع الطعام لعفُوصته. وكذلك ما عمل منه بالخلّ.

وكلُّ طعام عَفِص فإنَّه دابغٌ للمعدة مقوٍّ لها.

فأمَّا اللبن وماء الجبن فيليِّنان البطن، ولا سيا إذا خلط به الملح.

ولحم الصغير من الحيوان، والسِّلقُ، والقِطف، والبقلة اليمانية، والقرع والبِطِّيخ، والتين، والزبيب الحلو، والتُّوت الحُلو، والجوز الرَّطب، والإجَّاص الرطب، والسَّكَنجَبين[٢] والنبيذ الحلو، مليِّن للبطن.

الأطعمة التى تحبس البطن

إذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجْنا إلى الأطعمة المُمسكة الحابسة للبطن.

وكلُّ ما غلب عليه من الأطعمة اليبس أو العفُوصة أو الغِلظ، كالسَّفرجَل والكُمَّثرى، وحَبّ الآس، وثمر العَوسَج، وجرم العدس[٣]، والبلّوط، والشاهْبَلّوط. والنبيذ العَفِص، يمسك البطن، لعفوصته وقبضه. والجاوَرْس، والدُّخن وسويق الشّعير، تمسك البطن بيبوستها. ولحم الأرانب، والكرُنب المطبوخ بعد صب مائه الأوّل عنه، ثم يطبخ بماء ثان، فإنه يمسك البطن بيبسه. واللبن المطبوخ، والجبن، كلاهما يمسك البطن لغلظه. وذلك أن يطبخ اللبن حتى تفنى مائيَّته، ويبقى جِرمُه، وربّما ولَّد سُدَداً فى الكبد، وحجارة فى الكُلَى.

(١) يقال بضمتين فى أوله، وبفتحتين أيضا.
(٢) السكنجبين: كل شراب حلو حامض، يتخذ دواء للصفراء. وهو فى لغة الأطباء من غير العرب (Oxymel). انظر صنعته فى مادة (شراب) من تذكرة داود، ومنهاج الدكان ص ٣١ — ٣٢، ٣٨ — ٣٩، وحواشى الحيوان (٥: ١٤٦).
(٣) أى جسمه ومادته، لا ماؤه.

وأمّا الأشياء الحامضة كالتُّفاح الحامض ، والرّمان الحامض ، فإن صادفت فى المعدة كيموساً غليظا قطعته وحَدَرته ، وليّنت البطن ، وإنْ صادفت المعـدة نقيّة أمسكت البطن .

الأطعمة التى تولد السُّدَد

اللبن الغليظ والُجبن ربما أحدثا سُدَدا فى الكبد ، وحجارةً فى الكلى ، لمن أكثر استعمالهما ، وكانت كُلاه وكبدُه مستعدّةً لقبول الآفات .

وجميعُ الأطعمةِ الحلوةِ رديئةٌ للكبد والطِّحال ، فإذا أُكِل معها الفُوذَنج الجبلىّ ، والصَّعتر ، والفُلفُل ، فتح سُدَد الكبد والطِّحال .

والرُّطَب ، والتمر ، وجميعُ ما يتَّخذ من الحنطة سوى الخبز الجيّد الصنعة ، والأشربة الحلوة أيضاً تولّد سُدَدا فى الكبد ، وحجارةً فى الكلى ، وتغلِّظ الطِّحال .

الأطعمة التى تجلو المعدة وتفتح السدد

ماء الكَشْك كَشْكِ الشعير يجلو المعـدة ، ويفتح السُّدد . والُحلبة ، والبِطِّيخ ، والزّبيب الحلو ، والباقِلاء ، والحِمّص الأسود ، ينقِّى الكلى ، ويفتّت الحجارة المتولّدة فيها . والكَبَر بالخلّ ، والعسلُ إذا أُكل قبل الطعام فإنّه يجلو وينقى المعـدة والأمعاء ، ويفتح السُّدد . والسِّلق أيضا يجلو ويفتح السُّدد فى الكبد ، ولاسيا إذا أُكِل بالخردل . والبصل ، والثوم ، والكُرّاث ، والفُجْل يقطِّع ويلطّف الكيموس الغليظ . والتِّين رطبُه ويابسُه يجلو وينقِّى الكلى . واللوز كلّه ، ولا سيّما المرّ منه فإنّه يجلو ويلطّف ، ويفتح سُدَد الكبد والطِّحال ، ويعين على نَفْث الرطوبة من الصّدر والرئة . والفُستُق يقوّى الكبد ويفتح سُدَدها .

وعَسل النَّحل حارٌّ يابس وماء العسل يلطّف البصاقَ الغليظ ، ويُعين على

نفثه . والسكَنْجَبين يلطِّف و يقطع الرُّطوبة الغليظة . ويفتح سُدَد الكبد والطِّحال ، و ينقِّى الصدر والرئة .

والنَّبيذ اللطيف إذا كانت له حِدّة وحرافة يصفِّى اللون ، و ينقِّى العروق من الكيموس الغليظ ، ويَنتفِع به مَن كان يجد فى بدنه كيموساً غليظا باردا . وأمّا النبيذ الرقيق المائىّ فإنّه يعين على نفث الرُّطوبة من الرئة ، بتقويته الأعضاء وتلطيفه لما بِها من الفَضْل الغليظ ، وقد يفعل ذلك النبيذُ الحلو .

الأطعمة التى تنفخ

٣٩٩/٣ الحِمّص والباقِلاء ، ولاسيما إنْ طُبِخ بقشره ، فإن طُبِخ مقشّراً أو مسحوقا كان أقلّ نفخا ، و إنْ قُلى أيضا كان أقلّ نفخا . و بعد هذه اللُّوبياء ، والماشُ ، والعدَس ، والشَّعير إذا لم ينعم طَبخُها .

والنَّعناع(١) ، والأنجُذانُ ، والحِلْتيت(٢) ، والتين الرطب ، يولد نَفْخا إلا أنه يتحلَّل سريعا لسرعة انحداره .

وما استَحكم نضجُه من التِّين والعنب كان أقلّ نفخا . ويابس التِّين أقلُّ نفخا من رطبه .

واللبن يولِّد رياحا فى المعدة . والعسل إذا طُبخ ونزعت رِغوتُه قلّ نفخه . والنبيذ الحلو العَفِص يولد نفخا .

ما يذهب النفخ من الأطعمة

كلُّ طعام نافخ إذا أُحكمت صنعته ، وأجيد طبخُه و إنضاجه قلَّ نفخُه . وكلُّ ما قُلى منه قلّ نفخه . وكل ما خلط به الأبزار المحلّلة للرياح كالكمّون

(١) بدله فى ن : « والفقع » ، وهو ضرب من الكمأة أبيض رخو .
(٢) الحلتيت ، هو صمغ الأنجذان .

والسَّذَاب ، والأَنِيسونِ والكاشِم[1] يقلّ نفخه . والخل الممزوج بالعَسل يلطِّف الرياح ، ويذهب بالنَّفخ .

كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه

كتب إسحاق بن عمران المعروف بسمّ ساعة إلى رجلٍ من إخوانه :

اعلم رحمك الله أنّ الخامَ[2] والبلغم يظهران على الدّم والمِرّة بعد الأربعين سنةً فيأكلانهما ، وهما عدوّا الجسد وهادماه . ولا ينبغى لمن خلَّف الأربعين سنةً أن يحرّك طبيعةً من طبائعه غير الخام والبلغم ، ويقوّى الدم جاهدا ، غير أنه ينبغى له فى كل سبع سنين أن يفجُر من دمه شيئا ، ومن المِرّةَ مثلَ ذلك ، لقلّة صبره على الطعام اللذيذ ، والمشروب الروىّ .

فتعاهَدْ أصلحك الله ذلك من نفسك ، واعلم أنّ الصحّة خيرٌ من المال والأهل والولد ، ولا شىء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خيرٌ من العافية .

وما تأخذ به نفسك ، وتحفظ به صحتك أنْ تلزَم ما أكتب به إليك :

فى شهر ينير تشرب شرابا شديدا كلّ غداة . وفى شهر فبرير لا تأكل السِّلق . وفى مارس لا تأكل الحلواء كلها وتشرب الأفسنتين[3] فى الحلاوة . وفى أبريل لا تأكل شيئا من الأصول التى تنبت فى الأرض ولا الفُجل . وفى مايه لا تأكل رأسَ شىء من الحيوان . وفى يونيه تشرب الماء البارد بعد ما تطبخُه وتبرِّده ، على الريق . وفى يوليه تجنّب الوطء . وفى أغشت لا تأكل الحِيتان[4] . وفى سبتمبر تشرب اللبنَ البقرىّ . وفى أكتوبر لا تأكل الكرات نيئاً ولا مطبوخا . وفى نُبنبر لا تدخل الحمام . وفى دِجنبر لا تأكل الأرنب .

زعم علماء الطبّ أنّ فى الجسد من الطبائع الأربع اثنى عشر رطلا : فللدم

(١) الكاشم : نبت يشبه السذاب .
(٢) سبق تفسيره فى ص ٣١٧ .
(٣) الأفسنتين : نبت له ورق كالصعتر .
(٤) ن : « لا تأكل نيئا ولا مطبوخا » محرف .

منها ستة أرطال ، وللمرة الصَّفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ، فإن غلب الدمُ الطبائعَ تغيَّر منــه الوجه وورم ، وخرج ذلك إلى الجُذام ، وإن غلبت الثلاثُ الطبائع الدمَ أنبتت المدّ .

قال : فإذا خاف الإنسانُ غلبةَ هــذه الطبائع بعضها بعضا فليعدِّل جسده بالاقتصاد ، وينقّه بالمشى ، فإنّه إن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إمّا جُذام ، وإما مدّ . نسأل الله العافية .

ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الأزمان إلاّ أيام السَّمُوم ، إلاّ أن ينزل فيها مرض شديدٌ لا بدّ من مداواته ، أو يظهر فيها مُومٌ[1] ، أو ذات الجنب ، فإنّه ينبغى للطبيب أن يعانيَه[2] بفصاد ، أو شىء خفيف ، فإنها أيام ثقيلة . وهى خمسةَ عشر يوماً من تَمُّوز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيهـا علاج ، وكان بقراطيس[3] يحملُها تسعةً وأربعين يوما ، ويقطع القَرَر والخطر فى أيام القيظ ، فإذا مضى لأيلولَ ثلاثةُ أيام طاب التّداوى كلُّه .

وأمر جالينوس فى الربيع بالحِجامة ، والفُورة ، وأكل الحلاوة وشُربها ، ونَهى عن القَطانىّ[4] واللبن الرائب ، وعتيق الجُبن ، والمالح ، والفاكهة اليابسة ، إلاّ ما كان مسلوقاً .

وفى القيظ وهو زمان المِرّة الصفراء يأكل البارد الرطب على قدر قوّة الرجل
٤٠٠/٣ فى طبعه وسنّه ، وترك الجماع ، وأكل الحوت الطرىّ ، والفاكهة الرطبة والبقول ولحم البقر والمعز ، ومن القطانى العدس ، ومن الأشربة المربّب بالورد ، والسُّكُرْكة من الشعير[5] ، والسكر بالماء المطبوخ ، وأكل الكزبرة الخضراء فى الأطعمة وأكل الخيار والبطيخ ، ولزوم دُهن الورد ، وماء الورد ، ورشّ المـاء ، وبسط

(١) الموم : أشد الجدرى .
(٢) المعاناة : حسن السياسة ، والمباشرة . ن : « يعينه » .
(٣) ن : « ديمقراطس » .
(٤) القطانى : جمع قطنية ، بكسر القاف وضمها ، مع تشديد الياء فيهما ، هى من الحبوب ما كان مثل العدس والفول والحمص واللوبيا ، مما يقتات به .
(٥) السكركة ، أصلها شراب الذرة ، كما فى القاموس .

البيت بورق الشجر ، ومن الدواء السكر بالمصطكى ، يسحقهما مثلاً بمثل ، ويأخذ منهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا .

وفى زمان الخريف وهو زمان السوداء ، وهو أثقل الأزمنة على أهل تلك الطبيعة ، من الطعام والشراب بالحارّ الرطب ، مثل الأحساء بالحلاوة ، وأكل العسل وشربه . ونهى فيه عن الجماع ، وأكل لحم المعز والبقر ، وأمر بأكل صُيود البر والبحر ، وحَسو البيض والدُّهن قبل الحمام ، وإتيان النساء على غير شبع فى آخر الليل وفى أول النهار ، والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة ، فإنّ أولاد ذلك الزمان أسدّ وأقوى تركيبا من غيرهم ، كما قالت الحكماء .

الخمر المحرمة فى الكتاب

أجمعَ الناسُ على أنّ الخمر المحرّمةَ فى الكتاب خمرُ العنب ، وهى ما غلا وقذَف الزّبدَ من عصير العنب ، من غير أن تمسّه نار . ولا تزال خمراً حتى تصير خَلاًّ ، وذلك إذا غلبت عليها الحموضة ، وفارقتها النَّشوة ؛ لأنّ الخمر ليست محرّمةَ العين ، كما حُرّمت عينُ الخنزير ، وإنّما حرّمت لعرض دخلها ، فإذا زايلها ذلك العرَض عادت حلالا ، كما كانت قبل الغليان حلالاً ، وعينُها فى كلّ ذلك واحدة ، وإنما انتقلت أعراضها من حلاوةٍ إلى مرارة ، ومن مرارة إلى حموضة ، كما ينتقل طعم الثّمرة إذا أينعت من حموضةٍ إلى حلاوة ، والعينُ قائمة ، وكما ينتقل طعمُ الماء بطول المكث فيتغيّر طعمُه وريحُه ، والعينُ قائمة .

ونظير الخمر فيما يحلّ ويحرم بعرض : المسك ، الذى هو دمٌ عبيط حرام ، ثم يجفُّ وتوجد رائحتُه فيصير حلالاً طيبا .

فهذه الخمرُ بعينها المجمَع على تحريمها . وأصحابُ النّبيذ إنّما يدورون حولَها ويتعلّلون بأنهم يشربون ما دون المُسكِر ، ولا لذّةَ لهم دون مواقعة السُّكْر ، كما قال الشاعر :

يدورُونَ حـول الشَّيخ يلتمسونه ... بأشربةٍ شتّى هى الخمـر تُطلبُ

وكقول القائل[١] :

* إيّاكِ أعنى فاسمعى يا جاره[٢] *

قيل للأحنف بن قيس : أىُّ الشراب أطيَب ؟ فقال : الخمر . قيل له : وكيف علمتَ ذلك ، وأنت لم تشربها ؟ قال : إنى رأيت من حلّتْ له لا يتعدّاها ، ومن حَرُمت عليه إنّما يدور حولها . للأحنف بن قيس

وقال ابن شُبرُمة : لابن شبرمة

ونبيذ الزّبيب ما اشتدّ منه فهو للخمر والطِّلاء نَسيبُ[٣]

وقال عبد الله بن القَعقاع : لابن القعقاع

أتانا بها صفراء يزعُم أنّها زبيبٌ فصدّقناه وهو كَذوبُ
فهل هى إلاّ ساعةٌ غاب نحسُها أصلِّى لربِّى بعدَها وأتوبُ

وقال ابن شُبرمة : أتانا الفرزدق ، فقال : اسقُونى . فقلنا : وما تريد أن نسقيَك ؟ قال : « أقربَهُ إلى الثّمانين » ، يعنى حدَّ الخمر . للفرزدق

وقال قيصر لقُسّ بن ساعدة : أىُّ الأشربة أفضل عاقبةً فى البدن ؟ قال : « ما صفا فى العين ، واشتدَّ على اللسان ، وطابت رائحتُه فى الأنف ، من شراب الكَرْم » . قيل له : فما تقول فى مطبوخِهِ ؟ فقال : « مرعًى ولا كالسَّعدان ! » . قيل له : فما تقول فى نبيذ الزّبيب ؟ قال : ميت أُحيِىَ ، فيه بعض المتعة ، ولا يكاد يحيا مَن مات مَرّة . قيل له : فما تقول فى العَسل ؟ قال : نِعم شراب الشّيخ ذى الإبرِدة[٤] ، والمعدة الفاسدة . قيصر وقس بن ساعدة

(١) هو سهل بن مالك الفزارى ، يقوله فى أخت حارثة بن لأم الطائى . مجمع الأمثال .

(٢) قبله :

يا أخت خير البدو والحضاره كيف ترين فى فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره

(٣) انظر كتاب الأشربة لابن قتيبة ٢١ وعيون الأخبار (١ : ٣٢٥) .

(٤) الإبردة ، بكسر الهمزة والراء : علة من غلبة البرد والرطوبة ، تفتر عن الجماع .

الوليد وابن شراعة

علىّ بن عياش قال : إنّى عندالوليد بن يزيدَ فى خلافته ، إذ أُتِىَ بابن شُرَاعة من الـكوفة ، فوالله ما سأله عن نفسه ولا سفره ، حتى قال له : يا ابن شُراعة ، إنّى والله ما بعثت فيك لأسألك عن كتاب الله ، ولا سـنّة رسوله . قال : والله لوسألتنى عنهما لأصبتنِى فيهما حماراً . قال : فإنما أرسلتُ إليك لأسألك عن القهوة . قال : فأنا دِهقانُها الخبير[1] ، وطبيبُها العليم . قال : فأخبرْنى عن الطّعام ؟ قال : ليس لصاحب الشّراب على الطعام حُـكم ، غيرَ أنَّ أنفعَه أدْسَمُهُ ، وأشهاه أمرَؤُه ، قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : ليسألْ أمير المؤمنين عمّا بدا له . قال : فما تقول فى الماء ؟ قال : لابدّ لى منه ، والحمارُ شريكى فيه . قال : فما تقول فى السويق ؟ قال : شَرابُ الحزينِ والمستعجِل والمريض . قال : فمـا تقول فى اللبن ؟ قال : ما رأيتُه قط إلاّ استحييتُ من أمّى ، من طولِ ما أرضَعَتْنِى به . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : سريع الامتلاء ، سريع الانفشاش . قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال : حامَوْا به عن الشراب . قال : فما تقول فى الخمر ؟ قال : أوْهِ ، تلك صديقةُ روحى . قال : وأنتَ والله صديقُ روحى . قال : وأىُّ المجالس أحسن ؟ قال : ماشرب النّاسُ على وجهٍ قطُّ أحسَنَ من السّماء[2] .

٤٠١ / ٣

الأصمعى وهارون الرشيد

قال الأصمعى : دخلت على هارون الرشيد ، وهو فى الفُرُش منغمسٌ كما ولدته أمّه ، فقال لى : يا أصمعىُّ ، من أين طُرِقت اليوم[3] ؟ قال : قلت احتجمت . قال : وأىَّ شىء أكلتَ عليها ؟ قلت : سِكباجَةً[4] وطَباهِجةً[5] . قال : رميتَها بحجَرها . قال : هل تشرب ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين :

---

(١) الدهقان بكسر الدال وضمها : التاجر .

(٢) فى بعض النسخ : « من السماء » .

(٣) ن : « طرفت » بالفاء . طرق الرجل فهو مطروق : أصابه استرخاء وضعف .

(٤) السكباج ، ويقال له « الخلية » و « المخللة » و « الصفصافة » ، وهو لحم يعالج بالخل والتوابل ، ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر محاضرات الراغب (١ : ٢٩٢) .

(٥) الطباهجة : ضرب من اللحم المقلى ، وهو ما يسمى بالـكباب . انظر تحقيقه مسهبا فى حواشى الحيوان (٥ : ٢٢٢) .

أسقنى حتّى ترانى مائلاً وترى عُمرانَ دينى قدخَرِبْ

قال : يا مسروق ، أىُّ شىء معك ؟ قال : ألف دينار . قال : أدفعها إليه .

آفات الخمر وجناياتها(١)

أول ذلك أنها تُذهب العقل — وأفضل ما فى الإنسان عقلُه — وتحسِّن القبيح ، وتُقبِّح الحسَن . قال أبو نواس : لأبى نواس

اسقنى حتّى ترانى حَسَنٌ عندى القَبيح

وقال أيضا :

اسقنى صِرفًا حُميّا تترك الشيخَ صَبِيّا

وتُريه الغَىّ رُشدًا وتُريه الرُّشد غَيّا

وقال أيضا :

عُتّقت فى الدّنّ حولاً فهى فى رقّة دينى

وقال النّاطق بالحق : للناطق بالحق

تركتُ النبيذَ وشُرّابَه وصرتُ خَدينا لمن عابه(٢)

شراب يُضِلّ سبيلَ الرّشاد ويَفتح للشر أبوابَه

وإنّما قيل لمُشارِب الرّجل « نديم » من الندامة ، لأنّ معاقر الكأس إذا سكِر تكلّم بما يندم عليه ، وفعَل ما يندم عليه ، فقيل لمن شارَبَه نادمه ، لأنّه فعل مثلَ ما فعلَه ، فهو نديمٌ له ، كما يقال جالسه فهو جليسٌ له(٣) . والمعاقر : المدمن ، كأنّه لزم عُقْرَ الشىء ، أى فِناءه . تسمية النديم

وقال أبو الأسود الدؤلى : لأبى الأسود الدؤلى

دَع الخمر يشربْها الغُواةُ فإنّنى رأيتُ أخاها مُغنيا بِمكانِها

(١) هذا ما فى ن . وفى سواها : « وخباثتها » .

(٢) البيتان فى الأشربة لابن قتيبة ٢١ .

(٣) انظر الأشربة ٣٥ — ٣٦ .

فإلاّ يَكُنْها أو تَكُنْه فإنه أخوها غـذَته أُمُّه بلِبانها[١]

ما قيل فى عيب أصحاب الشراب

وقد شُهِر أصحابُ الشّراب بسوء العهد ، وقِلة الحِفَاظ ، وأنّهم صديقُك ما استغنيتَ حتّى تفتقر ، وما عُوفيتَ حتى تُنكَب ، وما غَلَتْ دِنانُك حتى تُنزَف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك[٢] . قال الشّاعر : ٤٠٢/٣

أرى كلَّ قومٍ يَحفظون حريمَهم وليس لأصحاب النبيذ حـريمُ
إذا جئتَهم حيَّـوك ألفاً ورحّبوا وإن غبتَ عنهم ساعةً فذَميمُ
إخاؤهم ما دارت الـكأس بينهم وكلهمُ رثّ الوصـال سئوم
فهذا ثنائى لم أقُل بجهَـالة ولكنّنى بالفاسقين عَليمُ[٣]

لقصى بن كلاب

وقال قُصىُّ بن كلابٍ لبنيه : أجتنبوا الخمر ، فإنّها تُصلِح الأبدان ، وتُفسِد الأذهان .

لعدى بن حاتم

وقيـل لعدىّ بن حاتم[٤] : مالَكَ لا تشرب الخمر ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عَقْلى .

وقيل له : مالك لا تشرب النّبيذ ؟ قال : مَعاذ الله أنْ أُصبحَ حكيمَ قومى وأُمسِىَ سفيهَهم[٥] .

لأعرابى

وقيل لأعرابىّ : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلى .

ليزيد بن الوليد

وقال يزيد بن الوليد[٦] : النَّشوة تَحلُّ الحُبْوة .

لعثمان بن عفان

وقيل لعثمان بن عفّان رضى الله عنه : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهلية ،

---

(١) اللبان ، بالـكسر : ما يرتضع الصبى من ثدى أمه .
(٢) هذا الـكلام وما بعده من الإنشاد تجده فى كتاب الأشربة ٣٧ — ٣٨ .
(٣) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم .
(٤) الـكلام بعده إلى كلة « له » ليس فى ن .
(٥) نسب هذا القول إلى العباس بن مرداس فى كتاب الأشربة ٥٢ .
(٦) هو يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك ، وكان ممن ينعى على الوليد بن يزيد ابن عبد الملك شربه الخمر وانهماكه فى اللذات ، فعمل على خلعه وقتله وتم له ذلك سنة ١٢٦ . ومات يزيد فى هذه السنة بعد خلافة مضطربة دامت ستة أشهر .

ولا حرجَ عليك فيها ؟ قال : إنِّى رأيتها تُذهِب العقل جُملة ، وما رأيت شيئا يَذهب جُملةً ويعود جملة .

وقال أيضاً : ما تغنّيت ، ولا تفتّيت[1] ، ولا شربت خمرا ، ولا مسستُ فرجى بيدى بعد أن خططت بها المُفصّل[2] .

عبد العزيز بن مروان ونصيب

وقال عبد العزيزُ بن مروانَ لنُصَيب بن رَبَاح : هل لك فيما يُثمِر المُحادثة ؟ يريد المنادمة . قال : أصلح الله الأمير ، الشَّعَر مُفلفَل ، واللون مُرمَّد ، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ، ولا بحُسن منظَر ، وإنما هو عقلى ولسانى ، فإنْ رأيت ألَّا تفرق بينهما فافعلْ .

أثر الخمر وما قيل فيه

وربّما أذهبتِ الكأس البيان ، وغيّرت الخِلقة ، فيعظُم أنفُ الرجل ويحمرّ ويترهّل[3] .

لجرير

وقال جرير فى الأخطل :

وشربتَ بعد أبى ظُهير وأبنه ... سَكَرَ الدِّنان كأنّ أنفَك دُمّلُ[4]

شبّه أنفه بالدمّل فى ورمه وحُمرته .

لآخر فى حماد الراوية

وقال آخر[5] فى حماد الراوية :

نِعم الفتى ، لو كان يعرف ربّه ... ويُقيم وقت صلاته حمّاد

هدلت مَشافِرَه الدِّنانُ ، فأنفُه ... مثلُ القَدُوم يسُنُّها الحدّاد

وأبيضّ من شُرْبِ المدامة وجهُه ... فبياضُه يومَ الحساب سَواد

(١) ن : « ولا تمنيت » . تفتى : صنع صنع الفتيان .

(٢) المفصل من القرآن من الحجرات إلى آخره فى أصح الأقوال . سمى بذلك لكثرة الفصول بين سوره ، أو لقلة المنسوخ فيه .

(٣) ن : « ويندمل » وفيما عداها : « ويذهل » . وجاء فى كتاب الأشربة لابن قتيبة ٤١ : « فعظم أنف الرجل واحمر وترهل » .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر .

(٥) هو حماد بن الزبرقان ، كما فى الحيوان (٤ : ٤٤٥) . ونسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبى الغول ، وكان حماد قد عاب شعرا له . وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) .

عبد الملك وأمية ابن عبد الله

ودخَل أُميّة بن عبد الله بن أَسِيد[1] على عبد الملك بن مروان و بوجهه أثر ، فقال : ما هذا ؟ فقال : قمتُ بالليل فأصاب الباب وجهى . فقال عبدُ الملك :

رأتنى صريعَ الخمر يوماً فسؤتُها وللشّاربيها المُدمِنيها مَصارعُ

فقلت : لا واخَذَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين بسوء ظنّك . فقال : بل وَاخذَكَ اللهُ بسوء مصرعِك .

لحسان بن ثابت

وقال حسّان بن ثابت :

تقول شعثاء لو صحوتَ عن الـــكأس لأصبحتَ مُثرِيَ العددِ
أنسَى حديث النَّدمان فى فلق الـــصُّبْح وصوتَ المسامِرِ الغردِ
لا أخدِش الخدشَ بالجليس ولا يَخشى نديمى إذا انتشيتُ يدى
يأبى لىَ السّيفُ واللسان وقو مٌ لم يُسامَوْا كلبدة الأسدِ

لابن الموصلى

وقال ابن الموصلى :

سلامٌ على سير القلاص مع الرّكب ووصلِ الغوانى والمُدامة والشّربِ
سلام أمرئٍ لم تَبق منه بقيّة سوى نظر العينين أو شَهوةِ القلب
لعمرى لئن نكّبت عن مَنهل الصِّبا لقد كنتُ وَرّاداً لمشربه العذب
ليالىَ أمشى بين بُرْدَىَّ لاهياً أمِيس كغُصن البانة الناعم الرّطبِ ٤٠٣ / ٣

الحسن بن زيد وإبراهيم بن هرمة

و يُروى أنّ الحسن بن زَيد لما ولى المدينة قال لإبراهيم بن هَرْمة : لا تحسبنّى كمن باع لك دِينَه رجاء مدحك ، وخوفَ ذمك ، فقد رزقنى الله بولادة نبيِّه المادح ، وجنّبَنى المقابح ، و إنّ من حقّه على ألّا أغضِىَ على تقصير فى حقّه ، وإنّى أقسم لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنّك حدَّين : حدّ الخمر ، وحدّ السُّكر ولأزيدنّك لموضع حُرمتك ، فليكن تركُك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تدَعْها للناس فتوكلَ إليهم . فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهانى ابنُ الرسول عن المُدامِ وأدّبنى بآدابِ الكرام
وقال لىَ اصطبر عنها ودَعْها لخوف الله لا خوفِ الأنامِ

(١) فى كتاب الأشربة ٢٧ : « أمية بن خالد بن أسيد » .

وكيف تصبُّرى عنها وحُبِّى   لها حُبٌّ تمكّنَ فى العظامِ
أرى طِيبَ الحلال علىَّ خُبثا   وطيبُ النفس فى خُبْث الحرام

زياد وحارثة بن بدر

وذكروا أن حارثة بن بدر الغُدَانىّ كان فارسَ بنى تميم وشريفَها ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشراب قد غلب عليه ، فقيل لزياد : إنّ هذا قد غلب عليك ، وهو رجلٌ مُستهتَر بالشّراب . فقال لهم : كيف باطّراح رجلٍ ما راكبنى قطُّ فمسّت ركبتى ركبتَه ، ولا تقدّمنى فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخّر عنى فلويتُ إليه عنقى ، ولا سألتُه عن شىء قطُّ إلّا وجدتُ علمه عنده . فلما مات زيادٌ جفاه ولده عُبيد الله بنُ زياد ، فقال له حارثة : أيُّها الأمير : ما هذا الجفاء مع معرفتك بحالى عند أبى المغيرة ؟ فقال له عُبيد الله : إن أبا المغيرة قد برع بُروعاً لم يلحقه معه عَيب ؛ وأنا حَدَثٌ ، وإنما أُنسَب إلى مَن تغلّب علىّ ، وأنت رجلٌ نديمُ الشراب ، فدَع النبيذَ وكنْ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج . فقال حارثة : أنا لا أدعُه لله ، أفأدعه لك ؟ قال : فاختَرْ من عملى ما شئت ! قال : ولّنى رامَهُرْمُز ، فإنّها عَذِيَة[1] ، وسُرّق[2] ، فإن بها شرابا وُصف لى عنه . فولّاه إياها ، فلما خرج شيّعه الناس . وكتب إليه أنس بن أبى أنيس[3] :

لأنس بن أبى أنيس

أحار بنَ بدرٍ قد وليتَ ولايةً   فكُن جُرذا فيها تَخون وتَسْرِقُ
ولا تَحقِرنْ يا حار شيئًا تخونُه   فحظُّك من مُلك العِراقين سُرّق
وبادر تميماً بالغِنى إنّ للغنى   لسانا به المرء الهَيوبةُ ينطق
فإنّ جميع الناس إما مكذِّب   يقول بما تَهوَى ، وإمّا مصدّق

(١) العذية ، كفرحة : الطيبة البعيدة عن الماء والوخم ، ومثلها « العذاة » . ن : « عذاة » .

(٢) سرق ، كسكر : إحدى كور الأهواز . انظر معجم البلدان حيث تجد الخبر بعبارة أخرى .

(٣) فى الحيوان (٣ : ١١٦/٥ : ٢٥٥) : « أنس بن أبى إياس الديلى » . وفى معجم البلدان أن القائل أبو الأسود الدؤلى . وانظر أمالى المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١) وزهر الآداب (٤ : ٥٨) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) ومحاضرات الراغب (١ : ٨٣).

يقولون أقوالاً ولا يَعلمونها ... ولو قيل يوما حقّقوا لم يُحقّقوا

فوقّع حارثة فى أسفل كتابه « لا بعُد عنك الرُّشد[١] » .

مديح حارثة ابن بدر

ولمّا خرجت الأزارقة على أهل البصرة لاقاهم حارثة بن بدر ، وتولّى حربَهم فى أصحابه فى فرسانٍ من بنى يربوع ، حتى أصيب فى تلك الحروب . وقال فيه الشاعر :

فلولا ابن بدرٍ للعراقين لم يقم ... لما قام فيه للعراقين إنسان

إذا قيل مَن حامِى الحقيقة أومأت ... إليه معدٌّ بالأكفّ وقحطانُ

لبعضهم

وقال الشاعر :

شربنا من الداذىّ حتّى كأنّنا ... ملوكٌ لهم فى كل ناحية وَفْرُ[٢]

فلما علت شمسُ النهار رأيتُنا ... تخلّى الغنى عنّا وعاوَدَنا الفَقر

ولوع أبى الهندى بالشراب

وكان أبو الهِندىّ من ولد شَبَث بن رِبعىّ الرِّياحىّ ، من بنى يربوع ، وكان قد غَلب عليه الشراب ، على كريم مَنصبه ، حتى كاد يُبطله ، وكان قد ضاف إلى راعٍ يسمى سالما[٣] ، فسقاه قَدحا من لبن ، فكرهه وقال :

سيُغنى أبا الهِندىّ عن وَطْب سالم ... أباريقُ كالغزلان بيضٌ نحورُها

مفدّمة قزًّا كأنّ رقابها ... رقابُ كَراكٍ أفزعتها صُقورها[٤]

٤٠٤/٣ فما ذرّ قرنُ الشمس حتّى كأنّما ... أرى قريةً حولى تَزَلزَلُ دورُها[٥]

---

(١) فى الحيوان (٥ : ٢٥٥) : « لا يعمى عليك الرشد » . ن : « لا يغب عليك الرشد » .

(٢) الداذى : نبت حبه على شكل الشعير ، يوضع مقدار رطل منه فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره . وفى اللسان (دوذ) : « ملوك لنا بر العراقين والبحر » . والوفر : الغنى .

(٣) ضاف إليه : نزل عليه ضيفا . وسالم هذا هو مولى قديد بن منيع المنقرى ، كما فى الشعر والشعراء ٦٦٤ .

(٤) مفدمة : موضوع عليها الفدام ، وهو الصفاة توضع على فم الإبريق . والكراكى : جمع كركى : ضرب من الطير . وانظر الشعر والشعراء ، حيث تجد لأبى الهندى نظير هذا الشعر .

(٥) ن : « قرية تؤتى » .

أقوال لأبى الهندى

ولقيه نصر بن سيّار، والى خراسان، وهو يميد سُكراً فقال له: أفسدت مروءتك وشرفك. قال: لو لم أفسد مروءتى لم تكن أنت والىَ خراسان.

ومرض أبو الهندىّ، فلما وجد فقْدَ الشّرابِ جعل يبكى ويقول:

رضيعُ المُدام فارق الرّاحُ روحَه ... فظلّ عليها مُستهلّ المَدامعِ[1]

أديرا علىّ الكأس إنّى فقدتُها ... كما فقد المَفطومُ دَرّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبى الوليد الكنانى، وكان أبو الوليد ناسكا، فاستعدى عليه وعلى ابنه، فهرب معه، وقال فيه أبو الهندى:

قل للسرىّ أبى قيس أتُوعدنا ... ودارُنا أصبحتْ من داركم صَدَدَا

أبا الوليــد أمَا والله لو عملتْ ... فيك الشَّمولُ لما حرّمتَها أبدا

ولا نَسيتَ حُمياها ولذّتها ... ولا عَدلت بها مالاً ولا ولدا[2]

وشرب أبو الهندىّ فى غرفة مع نديم له، فاطّلع منها فإذا بميّت يُزَفُّ به على شَرجع[3]، فالتفت إلى صاحبه فقال:

اصبب على قلبك من بردها ... إنى أرى النّاس يموتونا

فكان هذا القول منه [دليلا] على [عدم] اتّعاظه بالموت.

وكان أبو الهندىّ عجيب الجواب، وجلس إليه رجلٌ كان صُلِب أبوه فى جناية[4]، فجعل يعرّض له بالشراب، فقال أبو الهندىّ: أحدهم يبصر القذى فى عين أخيه، ولا يُبصر الجِذع المعترض فى أست أبيه[5]!

(١) فى الأغانى (٢١ : ١٧٩): «حليف مدام».

(٢) الحميا: سورة الكأس وأخذها بالرأس.

(٣) يزف به: يسرع به. والشرجع: النعش.

(٤) ن: «فى حرابة» صوابه «خرابة» كما فى الأغانى (٢١ : ١٨٠). والخرابة: سرقة الإبل خاصة. وقد ذكر أبو الفرج أن اسم ذلك الرجل «برزين» وكان ناسكا من أهل خراسان.

(٥) الأغانى: «ولا يرى الخشبة فى است أبيه».

لعبد الرحمن بن أم الحكم

وقال عبد الرحمن بن أم الحكم :

وكأس ترى بين الإناء وبينها ... قذى العين قد نازعت أم أبان[١]
ترى شاربَيْها حين يعتوِرانها ... يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظَنُّ ذا الواشى بأروعَ ماجد ... وعَذراء خَوْد حين يلتقيان[٢]
دعتنى أخاها أمُّ عمرو ولم أكُن ... أخاها ولم أرضع لها بلِبانِ
دعتنى أخاها بعد ما كان بيننا ... من الأمر ما لا يفعلُ الأخَوانِ

وقال[٣] :

لا هَنيئاً بما شربت مريئا ... ثم قُم صاغراً وغيرَ كريم[٤]
لا أُحبُّ النديمَ يُومض بالعيـ ... ـن إذا ما انتشَى لعرس النديم[٥]

شرب المأمون

وقال أبو العبّاس المبرّد : ودخل عمرو بن مَسعدة على المأمون ، وبين يديه جامُ زُجاج ، فيه سكَّرٌ طبرزذ ، ومِلحٌ جريش ، قال : فسلَّمت عليه ، فردّ وعرض علىّ الأكل ، فقلت : ما أريد شيئاً . هَنأك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرتُ الغَداء . قال : بت جائعاً ! ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

اعرِض طعامَك وابذُلْه لمن دخلا ... وأعزم على مَن أبى واشكُر لمن أكلا
ولا تكن سابرىَّ العِرْض محتشما ... من القليل فلستُ الدهر مُحتفلا[٦]

ودعا برِطل ، ودخل شيخ من جِلّة الفقهاء فمدّ يده إليه ، فقال : والله يا أمير

(١) يريد بالكأس الخمر بعينها . وفى الأصول : « بين الأثافى » صوابه من الكامل ٧٢ ليبسك . وانظر البيان (٣ : ٣٤٨) من مكتبة الجاحظ . وقذى العين مثل فى الصغر والقلة والخفاء .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة . وفى البيان : « وبداء خود » .

(٣) فى الأغانى (١٦ : ٨٤) والبيان (٣ : ٣٤٧) أن البيتين لأبى عطاء السندى .

(٤) فى المصدرين السابقين : « كل هنيئا وما شربت مريئا » .

(٥) ن : « يومض أحيانا » .

(٦) السابرى : ضرب من الثياب رقيق .

المؤمنين ، ما شربتُها ناشئا ، فلا تَسقِنيها شيخا . فردّ يده إلى عمرو بن مسعدة ، فأخذها منه وقال : يا أمير المؤمنين ، فإنّى عاهدتُ الله فى الكعبة ألّا أشربَها أيضا . ففكّر طويلا والكأسُ فى يد عمرو بن مسعدة ، فقال :

رُدّا علىّ الكأسَ إنكما ... لاتعلمان الكأسَ ما تُجدى
لو ذقتُما ما ذقتُ ما امتزجت ... إلّا بدمعكما من الوَجْد
خوّفتمانى اللهَ ربَّكما ... وكخِيفتيهِ رجاؤُه عندى
٤٠٥ / ٣ إن كنتُما لا تَشربان معى ... خوفَ العقاب شربتُها وحدى

احتيال المأمون لإسكار يحيى بن أكثم

شرب المأمون ويحيى بن أكثم القاضى وعبد الله بن طاهر ، فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى ، فغمز يد السّاقى فأسكره ، وكان بين أيديهم رِزَم من ورد ورياحين[1] ، فأمر المأمون فشُقّ له لَحدٌ فى الورد والرياحين ، وصيّروه فيه ، وعمل بيتَىْ شعر ، ودعا قَينةً ، فجلست عند رأسه وحرّكت العود وغنّت :

دعوته وهو حَىٌّ لا حَراكَ به ... مكفَّنٌ فى ثِياب من رياحين
فقلت قم قال رِجلى لا تُطاوعنى ... فقلت خُذ قال كفّى لا تُواتينى

فانتبه يحيى لرنّة العود ، وقال مجيباً لها :

يا سيّدى وأميرَ الناس كلّهم ... قد جار فى حُكمه مَن كان يَسقينى
إنّى غفلت عن الساقى فصيّرنى ... كما ترانى سليبَ العقل والدين
لاأستطيعُ نُهوضا قد وَهَى جَسدى ... ولا أُجيب المنادى حين يدعونى[2]
فاختر لبغدادَ قاضٍ إنّنى رجلٌ ... الراحُ تَقتلنى والعُود يُحيينى

هجاء أحد النباذين لرهط من الشراب

حدّثنا أبو جعفر البغدادى قال : كان بالجزيرة رجلٌ يبيع نبيذاً فى ماخُور[3] له ، وكان بيتُه من قَصَب ، وكان يأتيه قومٌ يشربون عنده ، فإذا عَمِل فيهم

---

(١) الرزم : جمع رزمة بالكسر ، عنى بها الطاقات .
(٢) هذا البيت وتاليه ليسا فى ن .
(٣) ن : « ماجود » وفى سائر النسخ « ناجود » ، صوابهما ما أثبتنا . والماخور : بيت الخمار ، ومجلس الريبة والفسق . وأما الناجود فهو كل إناء يجعل فيه الخمر .

الشراب قال بعضُهم لبعض : أما تَرون بيتَ هذا النّبّاذِ من قَصب ؟ فيقول بعضهم : علىّ الآجُرّ ، ويقول الآخر : علىّ الجِصّ ، ويقول الآخر : علىّ أجرة العامل . فإذا أصبحوا لم يعملوا شيئا ، فلما طال ذلك على النبّاذ قال فيهم :

لنا بيتٌ يهــدَّم كلّ يوم ويُصبح حين يُصبح جِذْم خُصّ[1]
إذا ما دارت الأقـداح قالوا غـداً نَبنى بآجُرّ وجصّ
وكيف يُشيِّد البنيان قومٌ يمرُّون الشتاء بغـير قُمْص

حارثة بن بدر وزياد

ودخل حارثةُ بن بدر على زياد ، وبوجهه أثر ، فقال له : ما هـذا ؟ قال : ركبت فرسى الأشقر فصرَعَنى . قال : أما إنّك لو ركبت الأشهبَ ما صرعَك . أراد حارثة بالأشقر النبيذَ ، وأراد زيادٌ بالأشهب اللبن .

إسراف قيس بن عاصم فى الشراب

وكان قيس بن عاصم يأتيه فى الجاهلية تاجرُ خمر ، فيبتاع منه ، ولا يزال الخمّار فى جِواره حتى ينفدَ ما عنده . فشرب قيسٌ ذات يوم فسكر سُكراً قبيحا ، فجذب ابنتَه وتناول قَرنَها[2] ، ورأى القمرَ فتكلّم بشىء ، ثم نهب ما له ومالَ الخمار ، وأنشأ يقول :

مِن تاجرٍ فاجر جاء الإلـه به كأنّ لحيته أذناب أجمال
جاء الخبيثُ ببَيسانيّةٍ تركت صحبى وأهلى بلا عقل ولا مالِ[3]

فلما صحا أُخبِر بما صنع وما قال ، فآلى ألاّ يذوق خمراً أبدا .

أثر الوراثة فى نسل الشاربين

وربّما بلغت جناية الـكأس إلى عقِب الرجل ونَجْله . قال المأمون : « يا نُطَف الخمّار ، ونَزائـع الظؤور ، وأشباهَ الخؤولة » .

لبعضهم

وقال الشاعر :

لما رأيت الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أر المَغبونَ غـيرَ العاقل

(١) الجذم : الأصل . والخص بيت من قصب أو شجر . ن : « جرم خص » .
(٢) فى بعض النسخ وكذا كتاب الأشربة ٢٥ : « ثوبها » . والقرن : الذؤابة والضفيرة .
(٣) البيسانية : الخمر المنسوبة إلى بيسان ، مدينة بالأردن .

رحلتُ عَنْساً من كروم بابل فبتُّ من عقلى على مَرَاحل(١)

لبعضهم فى صف السكر

وقال آخر يصف السكر(٢) :

٤٠٦/٣ أقبلت من عند زيادٍ كالخَرِف أجــرُّ رجلىَّ بِخَطٍّ مختلفْ

كأنّما يكتّبان لامَ أَلِف

وقال آخر يصف السكر :

شربنـا شَربةً من ذاتِ عِرقٍ بأطراف الزُّجاج من العَصير(٣)
وأخرى بالمــروَّح ، ثم رُحنا نرى العُصفورَ أعظمَ من بعير(٤)
كأنّ الدِّيكَ ديكَ بنى تميم أمــيرُ المؤمنين على السرير(٥)
كأنّ دجاجَهم فى الدارِ رُقْطا بناتُ الروم فى قُمُص الحرير
فبتُّ أرى الـكواكبَ دانياتٍ ينَلْنَ أناملَ الرجـل القَصير
أدافعهن بالـكفّين مــنّى وألثَمُ لَبَّــة القمر المُنير(٦)

هجاء النبيذ

وقال الشاعر(٧) :

دَع النبيذَ تـكن عَدْلاً ، وإن كثُرت فيك العيوبُ ، وقل ما شئت يُحتملُ
هو المُشِيد بأخبار الرِّجال فمـــا يَخفى على النـاس ما قالوا وما فعلوا
كم زَلّةٍ من كـريم ظَلَّ يسترها من دونها سُـتُر الأبواب والـكِلَلُ
أضحتْ كنارٍ على علياء مُوقَدةٍ ما يمتَنِعُ لهـــا سهل ولا جبل

(١) العنس : الناقة الشديدة الصلبة . ورحل البعير : شد عليه الرحل .
(٢) كتب بعده فى ن بخط صغير : « هو جرير » . والصواب أن الرجز لأبى النجم العجلى . انظر الموشح ١٧٧ وخزانة الأدب (١ : ٤٩) .
(٣) انظر الحيوان (٢ : ٢٦٠ ، ٣٥٦) وديوان المعانى (١ : ٣٣٠) والأشربة ١٠٤ — ١٠٥ ونثار الأزهار ٩٧ ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٨ .
(٤) الرواية فى معظم هذه المصادر : « وأخرى بالعقنقل » . وفى الأشربة : « بالمروق » .
(٥) يروى : « ديك بنى نمير » .
(٦) يروى : « عنى » بدل « منى » . واللبة ، بالفتح : موضع القلادة من النحر .
(٧) هو العتبى ، كما فى كتاب الأشربة ٣٥ .

والعقلُ عِلقٌ مصونٌ لو يُباع لقد ... ألفيت بُيّاعه يُعطَونَ ما سألوا
فأعجَب لقوم مُناهم فى عقولهم ... أنْ يُذهبوها بعَلٍّ بعده نَهَل
قدعُقِدتْ بخُمَارِ الكأسِ ألسُنُهم ... عن الصّواب ولم يُصبِح بها عِلل
وزُرِّرت بسِنات النّوم أعيُنُهم ... كأنّ أحداقَها حُولٌ وما حَولوا
تخال راحِمَهم من بعد غُدوته ... حُبلَى أضرَّ بها فى مَشيِها الحَبَلُ
فإن تَكلَّمَ لم يَقصِد لحاجته ... وإنْ مَشَى قلت مجنونٌ به خَبَل

فى هجاء الشراب

وقال :

أخُو الشراب ضائعُ الصَّلاةِ ... وضائع الحُرمة والحاجاتِ
وحالُه مِن أقبح الحالات ... فى نَفسه والعِرْس والبنات
أفٍّ له أفٍّ إلى أفَّات ... خمسةَ آلافٍ مؤلَّفاتِ

من حُدّ من الأشراف فى الخمر وشُهِر بها

يزيد بن معاوية

منهم يزيد بن معاوية ، وكان يقال له : يزيد الخمور[1] ، وبلغه أن مِسْوَرَ بنَ مَخرمةَ يرميه بشُرب الخمر ، فكتب إلى عامله بالمدينة : أن يجلِدَ مِسوراً حدَّ القَذف[2] ، ففعل . فقال مِسور :

أيشربُها صِرفاً بِطِينِ دِنانِها ... أبو خالدٍ ويُضربَ الحدَّ مِسْوَرُ[3]

الوليد بن عقبة

وممن حُدّ فى الشراب الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعيط ، أخو عثمانَ بنِ عفّانَ لأُمّه . شَهِد أهلُ الكوفة عليه أنّه صلّى بهم الصُّبحَ ثلاثَ رَكَعات وهو سكران . ثم ألتفت إليهم فقال : إن شئتم زِدْتكم ! فجلده علىٌّ بن أبى طالب بين يدى عثمان. وفيه يقول الحطيئة ، وكان نديمه أبو زُبيد الطائى :

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعُذر

(١) ن : « يزيد الخمر » .
(٢) فى بعض النسخ : « حد الخمر » تحريف .
(٣) طين الدن ، أي الطين الذى يختم به وعاء الخمر .

٤٠٧/٣

نادى وقد تَمَّت صلاتُهم ليزيدَهم خيرًا ولا يَدرى[١]
ليزيدهم خيرًا ولو قبلوا لقرنْتَ بين الشَّفع والوَتر
كَبحوا عنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانَك لم تَزل تجرى[٢]

عبيد الله بن عمر — ومنهم عبيدُ الله بن عمر بن الخطاب ، شربَ بمصر ، فحدَّه هناك عَمرو بن العاص سرًّا . فلما قدِم على عمرَ جلده حدًّا آخر علانية .

العباس بن عبد الله — ومنهم العبّاس بن عبد الله بن عبّاس ، كان ممن شهرَ بالشراب ومُنادمة الأخطل الشّاعر . وفيه يقول الأخطل :

ولقد غدوتُ على التِّجارِ بمِسمَحٍ هَرّتْ عواذلُه هَريرَ الأكلُبِ[٣]
لبّاس أرديةِ الملوك تَرُوقه من كُل مُرتقَبٍ عيونُ الرَّبرَبِ

قدامة بن مظعون — ومنهم قُدامة بن مَظعون ، من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حدَّه عمر بن الخطّاب بشهادة عَلْقمةَ الخَصِىّ وغيره ، فى الشراب .

عبد الرحمن بن عمر — ومنهم عبدُ الرحمن بن عمر بن الخطّاب المعروف بأبى شَحْمة ، حدّه أبوه فى الشراب ، وفى أمرٍ أنكره عليه .

عبد الله بن عروة — ومنهم عبدُ الله بن عُروة بن الزبير ، حدّه هشام بن إسماعيل المخزومىّ فى الشراب .

عاصم بن عمر — ومنهم عاصمُ بن عمر بن الخطّاب ، حدّه بعض ولاة المدينة فى الشراب .

عبد العزيز بن مروان — ومنهم عبدُ العزيز بن مروان ، حدّه عَمرٌو الأشدق .

بلال بن أبى بردة — وممن فُضح بالشَّراب بلالُ بن أبى بُردة الأشعرى ، وفيه يقول يحيى ابن نوفل الحِميرى :

وأمّا بلالٌ فذاك الذى يَميل الشرابُ به حيث مالا

(١) فى الأغانى (٤ : ١٧٦) : « أأزيدكم سكرا » .
(٢) فى الأغانى : « كفوا عنانك » .
(٣) المسمح : السمح الجواد . والشعر فى كتاب الأشربة ٣١ .

يَبيت يَمَصُّ عتيقَ الشراب كمصّ الوليد يخاف الفِصالا[١]
ويُصبح مُضطربا ناعساً تخال من السُّكر فيه احولالاً
ويَمشى ضعيفاً كَمَشى النّزيف تَخال به حينَ يمشى شِكالا[٢]

عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى

وممن شُهر بالشَّراب عبدُ الرحمن بن عبد الله الثَّقفى ، القاضى بالكوفة . وفُضِح بمُنادمة سعد بن هَبّار . وفيه يقول حارثةُ بن بدر :

نهارُه فى قَضايا غـيرِ عادلة وليلُه فى هوَى سعدِ بن هبّار
مايَسمع الناسُ أصواتاًلهم عرضت إلا دَوِيّا ، دوِىّ النحل فى الغار
يَدين أصحـابَه فيما يَدينهم كأساً بكأس وتَكراراً بتكرار
فأصبح النّاس أطلاحاً أضرّبهم حَثُّ المطىّ وما كانوا بسُمّار[٣]

أبو محجن الثقفى

ومنهم أبو محجن الثَّقفى ، وكان مُغرَما بالشراب ، وقد حدّه سعدُ ابن أبى وقّاصٍ فى الخمر مرارا . وشهد القادسيّة مع سعد ، وأبلى فيها بلاء حسناء . وهو القائل :

إذا متّ فادفِنّى إلى ظلّ كَرمة تُروِّى عِظامى بعد موتى عروقُها[٤]
ولا تدفنّنى بالفــلاة فإننى أخاف إذا مامِتّ ألاّ أذوقُها

ثم حلف بالقادسية ألاّ يشرب خمراً أبدا ، وأنشأ يقول :

إن كانت الخمر قد عزّت وقد مُنِعت وحال من دونها الإسلامُ والحَرجُ
فقد أباكرُها صهباءَ صافيـةً طَـوراً وأشربُها صِرفاً وأمتزِج
وقد تقوم على رأسى مغنّيـة فيها إذا رفَعَتْ من صوتها غَنَجُ
فتَخفِض الصـوتَ أحياناً وتَرفعه كما يطِنّ ذُباب الرّوضـة الهَزِجُ

عبد الملك بن مروان

ومنهم عبدُ الملك بن مروان ، وكان يُسمى « حمامة المسجد » ، لاُجتهاده فى ٤٠٨/٣

(١) الفصال : الفطام : والأبيات فى كتاب الأشربة ٣٢ .
(٢) الشكال ، بالكسر : حبل تشد به قوائم الدابة .
(٣) الأطلاح : جمع الطلح بكسر الطاء وفتحها ، وهو المعيي الذى أدركه الكلال .
(٤) فى الأشربة ٣٤ : « إلى أصل كرمة » .

العبادة قبلَ الخلافة . فلمـا أفضت إليه الخلافةُ شَرِب الطِّلاء ، وقال له سَعيد ابن المسيِّب : بلغنى يا أمير المؤمنين أنك شربت بَعـدى الطِّلاء ؟ فقال : إى والله ، والدِّماء !

الوليد بن يزيد

ومنهم الوليد بن يزيد ، ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع ، وقُتِل . وهو القائل :

خُذوا ملـكـكم لاثبَّت اللهُ ملـكَـكم ثباتاً يُساوِى ما حييتُ عِقـالاَ[1]
دَعُوا لِىَ سَـلْمَى والنبيذَ وقينـةً وكأساً ألاَ حَسبِى بذلك مالا[2]
أبِالمُلك أرجـو أن أخلَّد فيكم ألا رُبَّ مُلك قد أزيل فَزالا

امرأة أعرابية

وسقى قومٌ أعرابيّةً مسكراً ، فقالت : أيشرب نساؤُكم هذا الشَّراب ؟ قالوا : نعم . قالت : فما يَدرى أحدكم من أبوه[3] !

إبراهيم بن هرمة

ومنهم إبراهيم بن هَرْمة ، وكان مُغْرَما بالشَّراب ، وحدّه عليه جماعةٌ من عُمّال المدينة ؛ فلما ألحُّوا عليه وضاق ذرعُه بهم ، دخل إلى المهدىّ بشعره الذى يقول فيه[4] :

له لحظاتٌ عن حِفافَىْ سريرِهِ إذا كرَّها فيهـا عِقابٌ ونائلُ
لهم طينةٌ بيضاء من آل هاشم إذا أُسودَّ من لؤم التراب القبائلُ
إذا ما أتى شيئاً مضَى كالذى أتى وإن قال إنى فاعل فهو فاعل

فأعجب المهدىَّ بشعره ، وقال له : سل حاجتَك . قال : تأمرُ لى بكتابٍ إلى

(١) الأبيات فى كتاب الأشربة ٦١ والأغانى (٦ : ١٣٤) . قالها وغنى بها حين أحيط بقصره يوم أن قتل .

(٢) فى بعض النسخ ، وكذا فى الأغانى (٦ : ١٣٤) : « دعوا لى سليمى » ، فقد يكون صغر اسمها ، وهى سلمى بنت سعيد بن خالد ، امرأة الوليد . وفى هذا الشعر يقول :

إذا ما صفا عيش برملة عالج وعانقت سلمى لا أريد بدالا

(٣) الخبر فى كتاب الأشربة ٣٠ .

(٤) فى الحيوان (٣ : ١٣٤) أن الشعر فى مديح المنصور . كما أن بقية القصة يرويها ابن قتيبة فى الأشربة ٢٨ – ٢٩ والخليفة فيها المنصور لا المهدى .

عامل المدينة أن لا يحدّنى على شراب . فقال له : ويلك ، كيف نأمر بذلك ؟ لو سألتنى عَزْل عامل المدينة وتوليتَك مكانَه لفعلت . قال : يا أمير المؤمنين : ولو عزلتَ عامل المدينة ووليَّتنى مكانَه ، أمَا كنتَ تعزلنى أيضا وتولّى غيرى ؟ قال : بلى . قال : فكنت أرجع إلى سيرتى الأولى . فقال المهدىّ لوزرائه : ما تقولون فى حاجةِ ابن هَرْمة وما عندكم فيها من التلطّف ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين ، إنّه يطلب مالا سبيلَ إليه : إسقاطَ حدٍّ من حدود الله . قال المهدى : إنّ عندى له حيلةً ، إذْ أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا له إلى عامل المدينة : مَن أتاك بابن هَرْمة سكرانَ فيُضرب ابن هرمة ثمانين ، ويضرب الذى يأتيك به مائة .

فكان ابن هرمة إذا مشى فى أزِقّة المدينة يقول : مَن يشترى مائة بثمانين ؟

حميد الأمجى

وكان بأمَج رجلٌ يقال له : حُميد ، وكان مفتوناً بالخمر ، فهجاه ابنُ عمٍّ له ، وقال فيه[1] :

حُميدُ الذى أمَجٌ داره أخو الخمر ذو الشَّيبة الأصلعُ
علاهُ المشيبُ على شُربها وكان كريمًا ، فما يَنزِعُ

ودخلُ حميدٌ يوما على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حميد . قال : « حميدُ الذى[2] » ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما شربت مُسكِراً منذ عشرين سنة . فصدَّقه بعضُ جلسائه فقال له : إنما داعبناك .

الفرق بين الخمر والنبيذ

أوّل ذلك أن تحريم الخمر مُجمَع عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الأئمة والعلماء . وتحريم النبيذ مختلف فيه بين الأكابر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتابعين بإحسان . حتى لقد اضطرّ محمد بن سيرين فى علمه وورعه أن يسأل عَبِيدة السَّلْمانى[3] عن النبيذ . فقال له عَبيدة : اختُلف علينا فى النبيذ . وعَبيدة

(١) فى معجم البلدان وبعض نسخ معجم ما استعجم ، أن الشعر لحميد نفسه . ويبدو أن الصواب نسبتها الى ابن عمه . (٢) يشير الى الشعر السابق .

(٣) عبيدة هذا ، بفتح العين ، كما فى تهذيب التهذيب (٧ : ٨٤) .

ممن أدرك أبا بكر وعمر . فما ظنُّك بشىء اختلف فيه الناس وأصحاب النبى عليه الصلاة والسلام متوافرون ، فمن بين مُطلِق له ومحظِّرٍ عليه ؟ وكلٌّ واحدٍ منهم يقيمُ الحججَ لمذهبه ، والشواهدَ على قوله . ٤٠٩/٣

النبيذ

والنبيذ كل ما نُبِذ فى الدُّبَّاء[1] والمزفَّت ، فاشتدَّ حتَّى يُسكر كثيره . ومالم يشتد فليس يسمَّى نَبيذا ، كما أنه مالم يَغلِ من عصير العنب حتى يشتد فليس يسمَّى خمرا ، كما قال الشاعر :

نبيذٌ إذا مرَّ الذُّباب بدَنِّهِ تَقَطَّرَ أو خَـرَّ الذباب وقيذَا[2]

سفيان الثورى والنبيذ

وقيل لسُفيانَ الثَّورى ، وقد دعا بنبيذٍ فشرب منه ، ووضعه بين يديه : يا أبا عبد الله ، أخشى الذباب أن يَقع فى النبيذ . قال : قَبحه الله ، إذا لم يذبَّ عن نفسه .

الأعمش والنبيذ

وقال حفص بن غِياث[3] : كنتُ عند الأعمش و بين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قومٌ من طلبة الحديث ، فسترتُه ، فقال لى : لم سترتَه ؟ فكرهتُ أن أقول : لئلاَّ يراه مَن يدخل ، فقلت : كرهتُ أن يقع فيه الذُّباب . فقال لى : هيهات ، إنَّه أمنعُ من ذلك جانبا .

ولو كان النبيذ هو الخمر التى حرَّمها الله فى كتابه ما اختلَفَ فى تحريمه اثنان من الأمّة .

الخلاف فى الخمر

حدَّث محمد بن وضَّاح قال : سألت سحنون ، فقلت : ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته ، إنّ المطبوخ من عصير العنب هو الخمر ، التى حرمها الله فى كتابه ؟ قال : بانت زوجتُه منه .

الفرق بين الخمر والسكر

وذكر ابن قتيبة فى كتاب الأشربة[4] : إنَّ الله تعالى حرم علينا الخمر

(١) الدباء : القرع . وكانوا ينتبذون فيه .
(٢) تقطر : صرع وسقط . والوقيذ : المضروب حتى يموت .
(٣) الخبر فى كتاب الأشربة ٨٤ .
(٤) كتاب الأشربة ٩٥ .

بالكتاب ، والمسكِر بالسنّة ، فكان فيه فُسحة ، فما كان محرما بالكتاب فلا يحلّ منه لا قليل ولا كثير ، وما كان محرّما بالسنة فإنّ فيه فسحةً أو فى بعضه ، كالقليل من الدِّيباج والحرير يكون فى الثوب ، والحرير محرّم بالسنة . وكالتّفريط فى صلاة الوِتر ، وركعتى الفجر ، وهما سنة . فلا نقول : إنّ تاركهما كتارك الفرائض من الظهر والعصر . وقد استأذن عبدُ الرحمن بن عوف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى لباس الحرير لبليّةٍ كانت به ، وأذِنَ لعَرفجةَ بن سعد ، وكان أصيب أنفُه يوم الكُلاب ، باتّخاذ أنفٍ من الذهب . وقد جعل الله فيما أحلّ عِوضاً مما حَرّم ، فحرّم الربا وأحلّ البيع ، وحرّم السفاح وأحلّ النكاح ، وحرّم الديباج وأحلّ الوشْى ، وحرّم الخمر وأحلّ النبيذَ غيرَ المسكِر . والمسكر منه ما أسكرك .

مناقضة ابن قتيبة فى قوله فى الأشربة

قال فى كتابه : فإن قال قائل : إنّ المنكرَ هو الشَّربة المسكرة[1]، أكذَبه النظر . لأنّ القدح الأخيرَ إنّما أسكر بالأوّل ، وكذلك اللُّقمة الأخيرة إنّما أشبعت بالأولى . ومن قال : السَّكَر حرام ، فإنما ذلك مجازٌ من القول ، وإنما يريد ما يكون منه السُّكر حرام . وكذلك التُّخمَة حرام .

وهذا الشاهد الذى استشهد به فى تحريمه « قليلَ ما أسكر كثيره » وتشبيهُه ذلك بالتُّخمة شاهدٌ عليه لا شاهدٌ له ؛ لأنّ الناس مُجمِعون أنّ قليلَ الطعام الذى تكون منه التُّخَمة حلال ، وكثيره حرام . وكذلك ينبغى أن يكون قليلُ النبيذ الذى يُسكر كثيرُه حلالاً ، وكثيره حراما ، وأنّ الشّربة الآخِرة المسكرة هى المحرّمة . ومَثَل الأربعة الأقداحِ التى يُسكر منها القدح الرابع ، مَثَلُ أربعةِ رجال اجتمعوا على رجل ، فشجّه أحدُهم مُوضِحَة ، ثم شجّه الثانى مُنَقِّلة ، ثم

(١) فى الأصول : « الأشربة المسكرة » صوابه من الأشربة ٩١ . وفيها « الشربة المسكرة والقدح المنيم » .

شجّه الثالث مأمومة[١] ، ثم أقبل الرّابعُ فأجهزَ عليه . فلا نقول : إنّ الأول هو قاتله ، ولا الثانى ، ولا الثالث ، وإنما قتله الرابع الذى أجهَزَ عليه . وعليه القَوَد .

وذكر ابن قتيبة فى كتابه ، بعد أن ذكر اختلاف النّاس فى النبيذ ، وما أدلى به كلُّ قوم من الحجّة . فقال[٢] :

وأعدل القول عندى أنّ تحريم الخمر بالكتاب وتحريم النبيذ بالسنّة ، وكراهية ما أفتَرَ وأخدَرَ من الأشربة تأديب .

٤١٠/٣ ثم زعم فى هذا الباب بعينه أنّ الخمر نوعان : فنوعٌ منهما مجتمع على تحريمه، وهو خمر العِنب من غير أن تمسّه نار ، لا يحلّ منه لا قليل ولا كثير . ونوع آخر مختلَف فيه ، وهو نبيذ الزّبيب إذا اشتد ، ونبيذ التّمر إذا صلب ، وهو يسمّى السّكَر ، ولا يسمى السكر إلاّ نبيذ التمر خاصّة .

وقال بعض الناس : ليس نبيذ التمر خمراً . ويحتجّون بقول عمر : ما انتزع بالماء فهو حلال ، وما انتزع بغير الماء فهو حرام[٣] .

قال ابن قتيبة : وقال آخرون : هو خمر حرامٌ كله . وهذا هو القولُ عندى ؛ لأنّ تحريمَ الخمر نزل وجمهورُ الناس مختلفة ، وكلّها يقع عليها هذا الاسم فى ذلك الوقت .

اختلاف الخمور باختلاف البلدان

وذكر أن أبا موسى قال : خمر المدينة من البُسر والتّمر ، وخمر أهل فارسَ من العنب ، وخمر أهل اليمن من البِتْع ، وهو نبيذ العسل . وخمر الحبشة السُّكُرْكَة وهى من الذرة ، وخمر التّمر يقال له : البِتْع والفضيخ .

(١) الموضحة : التى توضح عن العظم . والمنقلة ، بتشديد القاف : التى تنقل العظم ، أى تكسره . والمأمومة : التى تبلغ أم الدماغ حتى يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق .

(٢) الأشربة ص ٩٥ .

(٣) كتاب الأشربة ٩٨ .

ما يصنع منه الخمر

وذَكَر أن عمر قال : الخمر من خمسة أشياء : من البر ، والشَّعير ، والتمر ، والزَّبيب ، والعسل .

والخمر ما خامر العقل . ولأهل اليمن أيضا شرابٌ من الشعير ، يقال له المِزْر .

فزعم هاهنا ابن قتيبة أنّ هذه الأشربةَ كلها خمر . وقال : هذا هو القولُ وقد تقدَّم له فى صدر الكتاب أنّ النبيذ لا يسمَّى نبيذاً حتى يشتدّ ويُسكر كثيرُه ، كما أنّ عصير العنب لا يسمَّى خمرا حتى يشتد[1] ، وأنّ صدر هذه الأمّة وأئمّة الدين لم يختلفوا فى شىء اختلافَهم فى النبيذ ، وكيفيّته .

ثم قال فيما حكم به بين الفريقين :

أمّا الذين يذهبون إلى تحريمه كلّه ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر ، وبين ما طبخ وبين ما نقع ، فإنّهم غَلَوا فى القول جِدًّا ، ونَحَلوا قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريِّين ، وقوماً من خيار التابعين ، وأئمةً من السلف المتقدِّمين شُربَ الخمر . وزينوا ذلك بأن قالوا : شربُوها على التأويل . وغَلِطوا فى ذلك ، فاتَّهموا القوم ، ولم يتهموا نظرهم ، ونَحَلوهم الخطأ ، وبرّءوا أنفسَهم منه .

فعجبت منه ، كيف يعيب هذا المذهبَ ثم يتقلّدُه ، ويطعن على قائله ثم يقول به . إلاّ أنى نظرت فى كتابه فرأيتُه قد طال جدًّا ، فأحسبه أُنسِيَ فى آخره ما ذَهَبَ إليه فى أوّله .

والقول الأول من قوله هو المذهب الصحيح الذى تأنس إليه القلوب ، وتقبلُه العقول ، لا قوله الآخِرُ الذى غلط فيه .

احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره

ذهبوا أجمعون أنّ جميع ما أسكر كثيرُه من الشراب فقليله حرام ، كتحريم الخمر . وقال بعضهم : بل هو الخمر بعينها ، ولم يفرقوا بين ما طُبِخ وبين

(١) انظر ص ٣٥٣ .

ما نُقِـع . وقَضَوا عليه كلِّه أنّه حرام . وذهبوا من الأثر إلى حديثٍ رواه عبد الله ابن قتيبة عن محمد بن خالد بن خِداش ، عن أبيه ، عن حمّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ مسكرٍ حرام وكلُّ مسكر خمر »[1] . وحديثٍ رواه ابن قتيبة[2] عن إسحاق بن راهَويه ، عن المعتمر بن سليمان ، عن ميمون بن مهدىّ ، عن أبى عثمان الأنصارى ، عن القاسم عن عائشة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ مسكر حرام . وما أسكر منه الفَرْق فالحسوة منه حرام » .

أشهر مكاييل العرب

والفَرْق[3] : ستة عشر رطلا . وللعرب أربعة مكاييلَ مشهورة : فأصغرها المُدُّ ، وهو رِطل وثلُث فى قول الحجازيِّين ، ورِطلان فى قول العراقيّين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضّأ بالمُدّ .

والصاع : أربعةُ أمدادٍ ، خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ ، فى قول الحجازيين ، وثمانيـة أرطال فى قول العراقيين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يغتسل بالصّاع .

والقسط وهو رطلان وثلثان ، فى قول الناس جميعا . والفرق ، وهو ستةَ عشرَ
٤١١/٣ رطلا ، ستة أقساط فى قول الناس جميعاً .

وذهبوا إلى حديثٍ رواه ابن قتيبة[4] عن محمد بن عُبيد عن ابن عُيينة عن الزُّهرى عن أبى سلمة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ شرابٍ أسكر فهو حرام » ، مع أشباهٍ لهذا من الحديث يطول الـكتابُ باستقصائها ، إلاّ أنّ هذهِ أغلظُها فى التحريم ، وأبعدُها من حيلة المتأوِّل .

---

(١) فى كتاب الأشربة ٢٣ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » .
(٢) فى كتاب الأشربة ٢٣ .
(٣) يقال بالفتح وبالتحريك أيضا .
(٤) كتاب الأشربة ٢٣ .

قالوا : والشّاهد على ذلك من النظر : أنّ الخمر إنّما حُرّمت لإسكارها وجِنايتها على شاربها[١] ، ولأنّها رجس ، كما قال الله .

ثم ذكروا من جنايات الخمر ماقد ذكرناه فى صدر كتابنا هذا ، فى باب آفات الخمر وجناياتها .

ثم قالوا : فالعلّة التى لها حُرّمت الخمر من الإسكار ، ومن الصداع والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، قائمةٌ بعينها فى النبيذ كلِّه المسكر . فسبيلُه سبيل الخمر ، لا فرق بينهما فى الدّليل الواضح ، والقياسِ الصحيح . كما أنّ حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى الفأرة إذا وقعت فى السمن ، إنّه إن كان جامداً أُلقِيَتْ وأُلقى ما حولها[٢] ، وإن كان ذائبا أُريق السّمن . فحملت العلماء الزيتَ وغيره[٣] مَحْمَل السّمن ، بالدليل الواضح .

وعلمت أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصِد إلى السّمن خاصة بنجس الفأرة ، وإنما سئل عن الفأرة تقع فى السمن فأفتى به ، فقاس العلماء الزيتَ وغيرَه بالسمن . وكما أمر فى الاستنجاء بثلاثة أحجار ، فعلم أهلُ العلم أنه إنما أراد صلى الله عليه وسلم بالثلاثة الأحجار للتنقية من الأذى ، فأجازُوا كلَّ ما أَنْقَى : من الخزَف ، والخِرق ، وغيرِ ذلك ، وحملوه محمل ثلاثة الأحجار . ولمّا حرّمت الخمر لِعلّةٍ قائمةٍ فى النبيذ المسكِر حُمل النبيذ محمَل الخمرِ فى التحريم .

قالوا : ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غَنَثُ النَّفس[٤] وصداعُ الرّأس من الخمر : مخمور ، وبه خُمار . ويقولون مثل ذلك فى شارب النبيذ ، ولا يقولون : منبوذ ، ولا به نباذ . والخمار مأخوذ من الخمر ، كما يقال : الكُباد فى وجع الكبد ، والصُّدار فى وجع الصدر .

(١) ولجنايتها على شاربها ، ساقطة من ن .
(٢) ن : « يلقى ما حولها » فقط .
(٣) فى بعض النسخ : « ونحوه » .
(٤) يقال غنثت نفسه ، أى لقست ومالت إلى الشىء . ن : « غلث » وفى غيرها : « غلب » ، صوابها بالنون والثاء .

وذهبوا فى تحريم النَّبيذ إلى حديثِ أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، « أنّه نهى عن أن يُنبَذ فى الدُّبّاء والمزفَّت » ، وقالوا : لمن أجاز قليلَ ما أسكَرَ كثيرُه : إنّه ليس بين شارب المسكر وموافقتِه السُّكرَ حدٌّ يُنتهَى إليه ، ولا يُوقَف عنده ، ولا يَعلم شارب من شاربى المسكر متى يسكر حتى يسكر كما لا يعلم النّاعس متى يرقُد حتى يرقُد . وقد يشرب الرجل من الشراب المسكِر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر . ويشرب منه غيرُه قدحا واحدا فيسكر ، لا ، بل قد يختلف طبعُ الرجل فى نفسه ، فيسكر مرّةً من القدحين ويشرب مرّةً أخرى ثلاثة أقداح فلا يسكر .

رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار فى الأنبذة

« أمّا بعدُ فإنّ الناس كان منهم فى هذا الشراب المحرَّم أمرٌ ساءت فيه رغبةُ كثير منهم ، حتى سفِه أحلامَهم ، وأذهبَ عقولَهم ، فاستُحلّ به الدّمُ الحرام ، والفرج الحرام[(١)] ، وإنّ رجالاً منهم ممن يصيب ذلك الشّرابَ يقولون : شربنا طِلاء ، فلا بأسَ علينا فى شُربه . ولعمرى إنّ فيما قرّب مما حرم اللهُ بأسا ، وإنّ فى الأشربة التى أحلّ الله : من العسل ، والسويق ، والنّبيذ من الزبيب والتمر[(٢)] لمندوحةً عن الأشربة الحرام ، غير أنّ كلَّ ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ إلاّ فى أسقيةِ الأدَم التى لازِفْتَ فيها ، ولا يُشرب منها ما يسكر[(٣)] ؛ فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جعل فى الجِرار ، والدُّبّاء ، والظُّروف المزفّتة . وقال : « كل مُسْكِرٍ حرام » . فاستغنُوا بما أحل الله لكم عمّا حرَّم عليكم . وقد أردتُ بالذى نهيتُ عنه من شُرب الخمر وما ضارع الخمرَ من الطِّلاء ، وما جُعل فى الدُّبّاء والجرارِ والظُّروف

---

(١) فى بعض النسخ : « وفروج الحرائر » .
(٢) الكلام بعده إلى كلمة « والزبيب » ساقط من ن .
(٣) ن : « ما يسكر » .

المزفّتة ، وكلّ مسكر — اتّخاذَ الحجّة عليكم . فمن يُطِعْ منكم فهو خيرٌ له . ومن يخالفْ إلى ما نُهِي عنه نعاقبْه على العلانية ، ويَكفِنا الله ما أسرَّ . فإنّه على كلّ ٤١٢/٣ شيء رقيب . ومَن استخفَى بذلك عنّا فإنّ الله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا » .

احتجاج المحلِّلين للنبيذ

قال المحلِّلون لكلّ ما أسكر كثيره من النّبيذ :

إنما حَرُمت الخمرُ بعينها خمرُ العنب خاصّةً بالكتاب ، وهى معقولة مفهومة ، لا يمترى فيها أحدٌ من المسلمين ، وإنما حرّمها الله تعبُّدا لا لعلّة الإسكار كما ذكرتم ، ولا لأنها رِجْس كما زعمتم . ولو كان ذلك كذلك لما أحلّها الله للأنبياء المتقدّمين ، والأمم السالفين ، ولا شرِبها نوحٌ بعد خروجه من السّفينة ، ولا عيسى ليلةَ رُفِع ، ولا شرِبَها أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم فى صدر الإسلام .

وأما قولكم : إنها رجس ، فقد صدقتم فى اللفظ ، وغَلِطتم فى المعنى ، إذْ كنتم أردتم أنها منتنة(١) ؛ فإن الخمر ليست بمنتنةٍ ولا قذرة ، ولا وصَفَها أحدٌ بنتن ولا قذَر ، وإنما جعلها الله رِجْساً بالتّحريم ، كما جعل الزّنا فاحشة ومَقْتا ، أى معصيةً وإثما ، بالتحريم ، وإنما هو جماع كجماع النّكاح ، وهو عن تراضٍ وبذل ، كما أن النكاح عن تراضٍ وبذل . وقد يُبذَل فى السِّفاح ما لا يُبذَل فى النكاح ، ولذلك سمّى الله تبارك وتعالى المحرمات كلها خبائث . فقال تعالى : (ويُحرِّم عليهم الخبائث(٢)) . وسمى المحلّلاتِ كلّها طيّبات ، فقال : (يسألُونَكَ ماذا أُحِلّ لهم قل أُحِلّ لكم الطيِّبات) ، وسمّى كلّ ما جاوز أمرَه أو قصَّر عنه سرَفا ، وإن اقتصد فيه . وقد ذَكر الخمرَ فيما امتنّ به على عباده

(١) ن : « نتن » .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية الآية التالية ساقط من ن .

قبلَ تحريمها ، فقال تعالى : (ومِن ثَمَراتِ النَّخيل والأعنابِ تتّخِذون منه سَكَراً ورزقاً حسنا) . ولو أنّها رجسٌ على ما تأوّلتم ما جَعَلها الله فى جنته ، وسمّاها لذّةً للشاربين .

وإن قلتم : إنّ خمرَ الجنة ليست كخمر الدنيا ؛ لأنّ الله نَفَى عنها عُيوبَ خمرِ الدنيا ، فقال تعالى : (لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزَفون) ؛ وكذلك قوله فى فاكهة الجنة : (لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ) ، فنفى عنها عيوبَ فواكهِ الدنيا ؛ لأنها تأتى فى وقتٍ وتنقطع فى وقت ، ولأنها ممنوعةٌ إلاّ بالثمن ، ولها آفاتٌ كثيرة ، وليس فى فواكه الجنة آفة . وما سمِعنا أحداً وصَفَ الخمر إلاّ بضِدِّ ما ذكرتم من طِيب النّسيم ، وذَكاء الرائحة .

للأخطل

قال الأخطل :

كأنّما المسكُ نُهبَى بينَ أرحُلِنا ... وقد تضوّع من ناجُودِها الجارِى(١)

وقال آخَر :

فتنفّسَت فى البيت إذ مُزِجت ... كتنفُّس الرَّيحان فى الأنفِ

لأبى نواس

وقال أبو نُواس :

نحنُ نخفيها ويأبَى ... طيبُ ريحٍ فتفوح(٢)

وإنما قوله فيها (رِجسٌ) كقوله تعالى : (وأما الذين فى قلوبهم مَرَضٌ فزادَتْهُم رِجساً إلى رِجْسِهِم) ، أى كُفراً إلى كفرهم .

منافع الخمر وأضرارها

وأمّا منافعُها التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (يَسألونك عن الخمر والمَيسر قُلْ فيهما إثمٌ كَبِيرٌ ومَنافعُ للنّاس وإثمهما أكبرُ من نَفعِهما) ، فإنها كثيرةٌ لا تُحصَى : فمنها أنها تُدِرّ الدم ، وتقوّى المُعّة(٣) وتصفِّى اللّون ، وتبعثُ النّشاط ، وتفتق

(١) النهبى : اسم ما ينهب . والناجود : أول ما يخرج من الخمر إذا شق دنها . ورواية الديوان ١١٩ واللسان (نجد) : « مما تضوع » .

(٢) البيت لم يرو فى خمريات أبى نواس .

(٣) فى بعض النسخ : « المعدة » .

الأسنان ، ما أُخذ منها بقدر الحاجة ، ولم يُجاوِزِ المقدار . فإذا جاوَزَ ذلك عاد نفعُها ضَرًّا .

وقال ابن قتيبة ، فى كتاب الأشربة[1] :

تسمية الخمر روحا — كانت الأوائل[2] تقول : الخمر حبيبة الروح ، ولذلك اشتُقّ لها اسمٌ من الرُّوح فسمِّيت راحا ، وربَّما سميت رُوحاً .

لإبراهيم النظام — وقال إبراهيمُ النَّظَّام :

مازلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقّ فى لَطَفٍ ... وأستبيحُ دماً من غير مذبوحِ[3]

حَتَّى انثنيتُ ولى روحانِ فى جسدى ... والزق مطَّرَحٌ جسمٌ بلا رُوحِ[4] ٤١٣/٣

تسمية الخمر دما — وقد تسمَّى دماً لأنها تزيد فى الدم . قال مسلم بن الوليد الأنصارى :

مَزَجنا دماً من كرمةٍ بدمائنا ... فأظهرَ فى الألوان منا الدَّمَ الدمُ[5]

للأعشى — قال ابن قتيبة : وحدَّثنى الرياشى أنّ عبيداً راويةَ الأعشى قال : سألتُ الأعشى عن قوله :

وسُلافةٍ ممـــا تُعتِّق بابِلٌ ... كدم الذَّبيح سلبتُها جِريالَها[6]

فقال : «شربتُها حمراء ، وبلتُها بيضاء» . يريد أنّ حمرتها صارت دما .

من منافع الخمر — ومن منافع الخمر أنها تزيد فى الهمة ، وتولد الجرأة[7] ، وتَهيج الأنفَة ، وتسخِّى البخيل ، وتُشجِّع الجبان . قال حسّانُ بن ثابت :

ونشربها فتتركُنا ملوكاً ... وأُسْـــداً ما ينهنهنا اللقاء

---

(١) كتاب الأشربة ٦٦ — ٦٧ .

(٢) فى بعض النسخ : « بنو وائل » ، وليس بشىء .

(٣) فى بعض النسخ : « روح الدن » . وفى كتاب الأشربة وبعض النسخ : « من غير مجروح » .

(٤) فى بعض النسخ : « والدن مطرح » .

(٥) فى ديوان مسلم ٨١ طبع ١٩٠٧ وكتاب الأشربة ٦٧ : « خلطنا دما » .

(٦) الجريال : لون الخمر ، معرب من الرومية .

(٧) فى بعض النسخ : « تزيد فى القوة وتولد الحرارة » .

لطرفة

وقال طرَفة :

فإذا ما شربُوها وانتشَوا ... وهَبُوا كلَّ أَمُونٍ وطِمِرّ(١)
ثم راحوا عَبَق المسكِ بهم ... يَلْحَفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد :

تَصُدُّ بنفس المرء عمّا يغُمّه ... وتُنْطِقُ بالمعروف ألسنةَ البُخْلِ(٢)

لأبى نواس

وقال الحسن بن هانئ :

إذا ما أتَتْ دون اللَّهاة من الفتى ... دعا هَمَّه من صَدره برحيل(٣)

لبعض المحدثين

ومِن تسخيتها للبخيل على البذل قول بعض المُحدَثين :

كسانى قميصاً مرّتين إذا انتشَى ... وينزعه منّى إذا كان صاحيا(٤)
فلى فَرحةٌ فى سكره بقميصه ... وفى الصَّحو رَوعاتٌ تُشيب النّواصيا
فياليتَ حظّى من سرورى وترحتى ... ومِن جوده ألاّ علىَّ ولا ليا(٥)

القول فى أن الخمر سيدة الأشربة

قالوا : ولولا أن الله تعالى حرّم الخمر فى كتابه لكانت سيّدةَ الأشربة . وما ظنُّك بشراب الشربة الثانية منه أطيبُ من الأولى ، والثالثة أطيب من الثانية ، حتى يؤدِّيَك إلى أرفق الأشياء وهو النوم . وكلُّ شرابٍ سواها فالشربة الأولى أطيب من الثانية ، والثانية أطيب من الثالثة حتى تملّه وتكرهه .

لأعرابى فى نشوته

وسقى قومٌ أعرابيا كؤوسا ، ثم قالوا : كيف تجدك ؟ قال أجِدُنى أبْشَرُ(٦) وأجدُكم تُحبَّبون إلىّ(٧) .

---

(١) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق التى يؤمن عثارها . والطمر : الجواد المتوثب . وهذه الرواية تطابق رواية ديوان طرفة ٦٨ . وفى الأشربة : « كل جواد وطمر » .

(٢) أى تحمل على الجود . والبيت فى ديوان مسلم ٦٤ .

(٣) ديوان أبى نواس ٣١٠ . (٤) بعض النسخ : « وينزعه عنى » .

(٥) بعض النسخ : « من سرورى وفرحتى » . وما أثبتنا من ن يطابق ما فى الأشربة ٦٩ .

(٦) بشر يبشر ، كفرح يفرح ، وزنا ومعنى . فى بعض النسخ : « أسر » . وفى الأشربة ٦٩ : « أشرا » .

(٧) فى بعض النسخ : « تحسنون إلى » .

وقالوا : ما حرم الله شيئاً إلا عوّضنا ما هو خيرٌ منه أو مثلُه ، وقد جَعَل الله النبيذَ عوضاً من الخمر نأخـذُ منه ما يطيِّب النفس ، ويصفِّى اللون ، ويَهضِم الطعام ، ولا نبلغُ منه إلى ما يُذهِب العقل ، ويُصَدِّع الرأس ، ويغثِى النفس ، ويشْرَكُ الخمرَ فى آفاتها وعظيم جناياتها .

ما يسمى خمرا

قالوا : وأمّا قولـكم : إنّ الخمر كلُّ ما خُمِّر ، والنبيذ كلّه يخمَّر ، فهو خمر — فإن الأسماء قد تتشاكلُ فى بعض المعانى ، فتسمَّى ببعضها لعلّةٍ فيهـا ، وهى فى آخَر ولا يطلق ذلك الاسمُ على الآخر . ألا ترى أن اللبنَ قد يخمِّرونه برُوبةٍ تُلقَى فيه ولا يسمَّى خمرا ، وأنّ العجينَ قد يخمَّر فيسمَّى خميرا ولا يسمى خَمْرا ، وأن نقيع التمر يسمى سَـكَرا لإسكاره ولا يسمى غيرُه من النبيذ سَـكَراً وإن كان مسكرا . وهذا أكثرُ فى كلام العرب من أن يحاطَ به .

ورائبُ اللبنِ يُسكر إسكاراً كسكر النبيذ . ويقال : قوم ملبونون ، وقومٌ رَوْبى ، إذا شربوا الرّائب فسكِرُوا منه . وقال بشر بن أبى خازم :

٤١٤/٣

فأمّا تميمٌ تميمُ بن مرٍّ فألفاهم القومُ رَوبَى نياما

وأما قولـكم[1] للرجل : مخمور ، وبه خُمار ، إذا أصابه صُداعٌ من الخمر ، وقد يقال مثلُ ذلك لمن أصابه صُداع من النَّبيذ ، فيقال : به خمار ، ولا يقال به نُباذ — فإنّ حجّتنا فى ذلك أن الخُمار إنما يعرِض ممـا أسكر من النبيذ ، وذلك حرامٌ لا فرق بينه وبين الخمر عندنا ، فيقال فيه ما يقال فى الخمر . وإنما كان شَرَبةُ النبيذ من أسلافنا يشربون منه اليسيرَ[2] على الغَـداء والعشاء ، ومما لا يعرِض منه خُمار .

تفرقة الشعراء بين النبيذ والخمر

وقد فرّقت الشعراء بين النّبيذ والخمر ، فقال الأقيشر ، وكان مُغرَما بالشّراب :

(١) كتاب الأشربة ٥٨ .

(٢) شربة : جمع شارب ، مثل كاتب وكتبة . فى بعض النسخ : « وإنما كان شرب النبيذ من أسلافنا ما يشربون من اليسير » .

وَصهباءَ جُرجانيّة لم يُطِفْ بها حنيفٌ ، ولم تَنغَر بها ساعةً قِدرُ(١)
أتانى بها يحيى ، وقد نِمتُ نومةً وقدغارتِ الشِّعرى ، وقدخَفَق النَّسر
فقلت : اصْطَبِحْها أولغيرى فاسقِها فما أنا بعدَ الشيب ، ويحكَ ، والخمرُ(٢)
إذا المرءُ وافى الأربعينَ ، ولم يكن له دونَ ما يأتى حياءٌ ولا سِتر
فدَعْه ، ولا تُنكِر عليه الذى أتى وإنْ جرَّ أرسانَ الحياةِ له الدّهرُ(٣)

فأعلَمكَ أنّ الخمر هى التى لم تَغلِ بها القدور .

عيب شراب النبيذ بقلة الوفاء

وأما قولُ بعض الشعراء فى شاربى النبيذ(٤) ، وما عابوهم به من قلة الوَفاء ، ونقض العهود فقد قالوا أقبح من ذلك فى تاركِ النبيذ ، وقال ابن بِيض(٥) :

ألاَ لا يغرّنْك ذو سجدةٍ يظلُّ بها دائباً يخدعُ(٦)
وما للتُّقى لزِمت وجهَه ولكن ليأتىَ مُستودِعُ(٧)
ثلاثون ألفاً حواها السُّجود فليست إلى ربِّها ترجع
وردَّ أخو الكأس ما عندَه وما كنت فى ردِّه أطمعُ(٨)

(١) نغرت القدر : غلت ، وفعله من باب فتح وفرح . والشعر فى أمالى القالى (١ : ٧٨) منسوب إلى أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى .

(٢) فى كتاب الأشربة وبعض النسخ : « لغيرى فأهدها » . وفى الأشربة والأمالى : « ويبك والخمر » .

(٣) هذا البيت ساقط من الأشربة .

(٤) الأشربة ٧٦ — ٧٧ .

(٥) هو حمزة بن بيض ، بكسر الباء . فى بعض النسخ : « حيص بيص » وفى ن : « ابن أبيض » ، صوابه ما أثبتنا من كتاب الأشربة ٧٦ والأغانى (١٥ : ١٧) ، وقد روى أبو الفرج للشعر قصة طريفة .

(٦) روى أبو الفرج أنه كان لابن بيض صديق من عمال ابن هبيرة ، فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم ، واستودع مثلها رجلا نبيذيا ، فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج النساء وأنفقها وجحدها ، وأما النبيذى فأدى إليه الأمانة فى ماله ، فقال ابن بيض فيهما هذا الشعر .

(٧) بين البيتين بيت آخر ، روايته ضرورية لالتئام الكلام . وهو :
كأن بجبهته حلبة يسبح طورا ويسترجع

(٨) البيت ساقط من ن فقط . وفى الأغانى : « وأدى أبو الكأس ماعنده » .

وقال آخر :

أمّا النبيذ فلا يَذْعَرْكَ شاربُه ... واحفَظْ ثيابَك ممن يشرب الماء[١]

قوم يورُّون عمّا فى نفوسهم ... حتّى إذا استمكنوا كانوا هم الداء[٢]

مشمِّرين إلى أنصاف سُوقِهم ... هم الذِّئابُ وقد يُدعَون قُرّاء

وقال أعرابىّ :

صَلّى فأعجبنى وصام فرابنى ... نَحِّ القَلوصَ عن المصلِّى الصائمِ[٣]

وقال غيره :

شَمِّر ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ ... واحكُكْ جبينَك للقضاء بثُومِ[٤]

وامشِ الدَّبيبَ إذا مشيت لحاجةٍ ... حتّى تُصيبَ وديعةً ليتيم

وقال بعض الظرفاء[٥] :

أظهروا لله سمتاً ... وعلى المنقوش داروا

وله صلّوا وصاموا ... وله حَجّوا وزاروا

لو يُرَى فوقَ الثُّريا ... ولهم ريشٌ لطاروا

تفضيل شربة النبيذ

وهؤلاء المراءون بأعمالهم، العاملون للناس والتّاركون للناس، هم شِرارُ الخَلْق وأراذِل البرِيّة[٦] . وقد فُضِّل شَربَة النبيذ عليهم بإرسال الأنفس على السجيّة، ٤١٥/٣ وإظهار المروءة . ولسنا نَصِف بهذا منهم إلاّ الأدنياء، فليس فى النـاس صِنفٌ إلاّ ولهم حُشوة .

احتجاج محلى النبيذ

ومن احتجاج المحلِّين للنبيذ ما رواه مالك وأثبته فى موطّئه ، من حديث

---

(١) الأبيات فى الأشربة ٧٧ . ن : « فلا يدعوك » .

(٢) فى بعض النسخ : « قوم يداوون » ، محرف .

(٣) البيت فى الأشربة ٧٧ . وقد ذكر الجاحظ له قصة فى البيان (٣ : ١٦٩) .

(٤) البيتان فى الأشربة ٧٧ والحيوان (٣ : ٤٦٧) والبيان (٣ : ١٧٥) . وقد سبق نسبتهما فى (٣ : ٢١٦) إلى مساور الوراق .

(٥) عبارة الإنشاد وما بعدها من الشعر ساقط من ن . وهى فى الأشربة ٧٧ . وقد سبق نسبة الشعر فى (٣ : ٢١٦) إلى محمود الوراق .

(٦) ن : « وأرذل البرية » .

أبى سعيدٍ الخدرىّ : أنّه قدِم من سفرٍ فقُدِّم إليه لحمٌ من لحوم الأضاحى ، فقال : ألم يكنْ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر . فخَرَج إلى الناس فسألهم ، فأخبروه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نهيتُكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام ، فكلوا وادَّخروا وتصدَّقوا . وكنت نهيتُكم عن الانتباذ فى الدُّبّاء والمزفّت ، فانتبذوا ، وكلُّ مسكرٍ حرام . وكنت نهيتُكم عن زِيارة القبور ، فزوروها ولا تقولوا هُجْرا » .

والحديثان صحيحانِ رواهما مالك بن أنس وأثبتَهما فى موطّئه ، وإنما هو ناسخٌ ومنسوخ ، وإنّما كان نَهيُه أن ينتبذ فى الدّبّاء والمزفّت نهياً عن النبيذ الشديد ؛ لأنّ الأشربة التى تُعتَمل فيها تشتدّ . ولا معنى للدّبّاء والمزفّت غيرُ هذا .

وقوله بعد هذا : « كنت نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا ، وكلُّ مسكر حرام » ، إباحةٌ لما كان حَظَر عليه من النّبيذ الشديد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ مسكرٍ حرام » فنهاهم بذلك أن يشربوا حتّى يسكروا . وإنما المسكر ما أسْكَر ، ولا يسمّى القليلُ الذى لا يسكر مُسْكرا . ولو كان ما يُسكر كثيرُه يسمّى قليلُه مُسْكرا ما أباح لنا منه شيئاً . والدليل على ذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم إذْ شرب من سِقاية العبّاس ، فوجده شديدا ، قطّب بين حاجبيه ، ثم دعا بذَنوبٍ من ماء زمزم فصبَّ عليه ، ثم قال : « إذا اغتلمت أشربتكم فاكسِروها بالماء[1] » . ولو كان حرامًا لأراقه وما صب عليه ماء ثم شربه .

واحتجوا[2] : فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام[3] »

---

(١) اغتلمت : جاوزت حدها الذى لا يسكر إلى حدها الذى يسكر . بذا فسر الحديث فى اللسان (غلم) . ن : «عملتم أشربتكم» . وفى كتاب الأشربة ٤٧ : «انظروا هذه الأشربة ، إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

(٢) فى بعض النسخ : « وقالوا » .

(٣) فى بعض النسخ : « كل خمر مسكر » .

وما أسكر الفَرَق منه[1] فملء الكف حرام ، فإنّ هذا كله منسوخٌ ، نَسَخه شُربه للصُّلب يوم حَجّة الوداع[2] .

قالوا : ومن الدليل على ذلك أنّه كان نهى وفدَ عبدِ القيس عن شُرب المسكر ، ثم وفدوا إليه بعد ، فرآهم مصفرّةً ألوانُهم ، سيّئةً حالهم ، فسألهم عن قِصّتهم فأعلموه أنّه كان لهم شرابٌ فيه قِوام أبدانهم فمنعهم من ذلك ، فأذِن لهم فى شُربه . وأنّ ابنَ مسعودٍ قال : « شهِدْنا التحريم وشهدتم ، وشهدنا التحليل وغِبتم » . وأنه كان يشرب الصُّلب من نبيذ الجر[3] حتى كثُرت الروايات به عنه وشُهرت وأذيعت ، واتّبعه عليه عامّة التابعين من الكوفيّين ، وجعلوه أعظمَ حُججهم ، وقال فى ذلك شاعرهم :

مَن ذا يحرِّم ماءَ المزن خالَطهُ ... فى جوف خابيةٍ ماءُ العناقيدِ
إنى لأَكْرَهُ تشديدَ الرُّواة لنا ... فيه ، ويعجبنى قولُ ابنِ مسعود

وإنما أراد : أنّهم كانوا يَعمِدون إلى الرُّبّ الذى قد ذهب ثلثاه وبقى ثلثُه ، فيردُّون عليه من الماء قدرَ ما ذَهَب منه ، ثم يتركونه حتى يغلىَ ويسكنَ جأشُه ثم يشربونه . وكان عمر يشرب على طعامه الصُّلب ، ويقول : يقطِّع هذا اللحمَ فى بطوننا .

واحتجوا بحديث زيد بن أخزم ، عن أبى داود ، عن شُعبة ، عن مِسعر ابن كِدام ، عن ابن عون الثقفى ، عن عبد الله بن شدّاد ، عن ابن عباس ، أنّه قال : « حُرِّمت الخمر بعينها ، والسُّكر من كلّ شراب » .

وبحديثٍ رواه عبد الرحمن بن سليمان[4] ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن

(١) الفرق ، بالفتح وبالتحريك مكيال ضخم ، قيل يكون فيه ستة عشر رطلا .
(٢) كتاب الأشربة ٤٨ . والمراد بالصلب الذى قد اشتد . انظر ما سيأتى من حديث زيد بن على .
(٣) الجر : جمع جرة . وفى بعض النسخ : « نبيذ التمر » وما أثبتنا من ن يطابق ما فى الأشربة ٤٨ .
(٤) وكذا فى الأشربة ٤٦ . وفى بعض النسخ : « عبد الرحيم بن سليمان » .

شربه صلى الله عليه وسلم من نبيذ السقاية

عِكرمة عن ابن عباس : « أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ على بعير ، ومعه مِحجَن ، كلما مرّ بالحجر استلمه بالمِحجن ، حتى إذا انقضى طوافُه نزل فصلَّى ركعتين ، ثم أتى السِّقاية[1] فقال : « اسقُونى من هذا » . فقال له العباس : ألا
٤١٦ ٣ نسقيك مما يُصنَع فى البيوت ؟ قال : « لا ، ولكن اسقونى ممّا يَشرب الناس » . فأُتِيَ بقدحٍ من نبيذ ، فذاقَه فقطَّب ، وقال : « هلُمّوا فصبُّوا فيه الماء » . ثم قال : « زد فيه » مرّةً ، أو مرّتين ، أو ثلاثا . ثم قال : « إذا صَنَع بكم هذا فاصنعوا به هكذا » .

وبحديثٍ رواه يحيى بن اليمانِ ، عن الثَّورى ، عن منصور بن خالد ، عن سعيد بن مسعود الأنصارى : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم عَطِش وهو يطوف بالبيت ، فأُتى بنبيذٍ من السِّقاية فشمّه فقطَّب ، ثم دعا بذَنوبٍ من ماء زمزمَ فصبّ عليه وشرب ، فقال له رجلٌ : أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال : « لا » .

الحد للسكر

وقال الشَّعبى : شرِب أعرابىٌّ من إداوة عُمر ، فانتشَى ، فحدّه عمر . وإنما حدّه للسُّكر لا للشراب .

عمر والشراب

ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قومٍ يشربون ويُوقِدون فى الأخصاص[2] ، فقال : « نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم ، وعن الإيقاد فى الأخصاص فأوقدتم » . وهمّ بتأديبهم ، فقالوا : مهلاً يا أمير المؤمنين ، نهاك الله عن التجسُّس فتجسَّست ، ونهاك عن الدخول بغير إذنٍ فدخلت . فقال : هاتان بهاتين . وانصرف ، وهو يقول : « كلُّ الناس أفقهُ منك يا عمر » .

وإنما نهاهم عن المعاقرة وعن إدمان الشراب حتى يسكروا ، ولم ينههم عن الشراب .

---

(١) السقاية : هى ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء .

(٢) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من قصب . وانظر الأشربة ٥٠ .

وأصل المعاقرة من عُقْر الحوض ، وهو مَقام الشَّاربة .

ولو كان عنده ماشربوا خمراً لحدّهم .

وبلغه عن عامل له بمَيْسان[1] أنه قال :

ألاَ أبلغ الحسناء أنّ حليلَها ... بمَيْسَانَ يُسقَى فى زُجاجٍ وحَنْتم[2]
إذا شئتُ غنّتنى دهاقينُ قَريةٍ ... وصَنّاجة تجذُو على كلّ مَنْسِم[3]
فإن كنتَ نَدمانِي فبالأكبر اسقِنِي ... ولا تَسقِنى بالأصغر المتثلّم
لعلّ أميرَ المؤمنين يسوؤُه ... تنادُمُنا فى الجَوسق المتهدّم

فقال : إى والله ، إنه ليسوؤنى ذلك . فعزله وقال : والله لاعَمِل لى عملاً أبدا .

وإنما أنكر عليه المُدام ، وشربَه بالكبير ، والصَّنج والرقص ، وشُغْلَه باللهو عما فوّض إليه من أمور الرعيّة . ولو كان ما شرب عنده خمراً لحدّه .

قول مالك بن دينار فى النبيذ

حدّث محمد بن داود ، عن سعيد بن نُصَير ، عن يَسارٍ[4] ، عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار ، وسُئل عن النّبيذ ، أحرام هو ؟ فقال : انظر ثمن التمْر ، من أين هو ، ولا تَسَلْ عن النبيذ أحلالٌ هو أم حَرام ؟

قول سعيد بن زيد

وعُوتِب سعيد بن زيد[5] فى النَّبيذ ، فقال : أمّا أنا فلا أدَعُه حتى يكون شرّ عملى .

قول محمد بن واسع

وقيل لمحمد بن واسع[6] : أتشربُ النّبيذ ؟ قال : نعم . فقيل : وكيف تشربُه ؟ فقال : على غَدائى وعَشائى ، وعند ظمئى . قيل : فما تركتَ منه ؟ قال : التُّكأة ومحادثة الإخوان .

---

(١) هو النعمان بن نضلة العدوى ، كما فى اللسان (جذا) . والخبر فى الأشربة ٥٠ .
(٢) فى اللسان : «فمن مبلغ الحسناء» . ن : «فى إناء وحنتم» . اللسان : «فى قلال» .
(٣) تجذو : تقف على أطراف أصابعها . فى الأصل : «تشدو على كل ميسم» ، صوابه من اللسان والأشربة .
(٤) ن : «سعيد بن يزيد» . وفى الأشربة ٥١ : «شعيب بن يزيد» .
(٥) فى الأشربة ٥١ : «عن سنان» .
(٦) الأشربة ٥٢ .

قول المأمون

وقال المأمون: « اشرب النبيذ ما استبشعتَه، فإذا سَهُل عليك فدَعْه[1] ». وإنما أراد به أنّه يسهل على شاربه إذا أخَذَ فى الإسكار.

قول سعيد بن أسلم

وقيل لسعيد بن أسلم: أتشرب النبيذ؟ فقال: لا. قيل: ولم؟ قال: تركتُ كثيرَه لله، وقليله للناس.

شرب الثورى النبيذ

وكان سفيانُ الثّوريُّ يشرب النبيذ الصُّلب الذى تحمرُّ منه وجنتاه.

الاحتجاج النظرى لتحليل النبيذ

واحتجُّوا من جهة النّظر أنّ الأشياء كلّها مباحةٌ إلاّ ما حرّم الله. قالوا: فلا نُزيل نفسَ الحلال بالاختلاف، ولو كان المحللون[2] فرقة من الناس، فكيف وهم أكثر الفرق؟ وأهل الكوفة أجمعون[3] على التحليل، لا يختلفون فيه. وتلوا قول الله عزّ وجل: (قل أرأيتُم ما أنزَل الله لكم مِن رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آللهُ أذِنَ لكم أم على الله تفترون).

قول وكيع فى النبيذ

حدّث إسحاق بن راهَويه قال: سمعت وَكيعاً يقول: « النَّبيذ أحلّ من الماء ».

وعابه بعضُ الناس فى ذلك، وقالوا: كيف يكون أحلّ من الماء؟ وهو وإن كان
٤١٧/٣ حلالاً فهو بمنزلة الماء. وليس على وكيعٍ فى هذا الموضع عَيب، ولا يرجع عليه فيه كَذِب، لأنّ كلمته خرجت مخرجَ كلامِ العرب فى مُبالغتهم، كما يقولون: « هو أشهر من الصباح »، و « أسرع من البرق »، و « أبعد من النجم »، و « أحلى من العسل »، و « أحرُّ من النار». ولم يكن أحدٌ من الكوفيين يحرم النبيذَ غير عبد الله بن إدريس. وكان بذلك معيبا[4].

قول ابن إدريس

وقيل لابن إدريس[5]: مَن خيارُ أهل الكوفة؟ فقال: هؤلاء الذين

(١) فى الأشربة ٥٢: « فإذا سهل فاتركه ».

(٢) ن: « المختلفون ». وما أثبتنا من سائر النسخ مطابق للأشربة ٥٣.

(٣) فى الأشربة: « جميعا ». وفى بعض النسخ: « أجمعوا ».

(٤) الأشربة ٥٤. (٥) الأشربة ٥٣.

يشربون النّبيذ . قيل : وكيف وهم يشربون ما يحرِّم عندك ؟ قال : ذلك مبلغُهم من العلم .

كره ابن المبارك لشرب النبيذ

وكان ابن المبارك يكره شُربَ النبيذ ، ويخالف فيه رأيَ المشايخ وأهلِ البصرة .

قال أبو بكر بن عَيّاش : مِن أين جئتَ بهذا القول فى كراهيتك النَّبيذ ، ومخالفتك أهلَ بلدِك ؟ قال : هو شىء اخترتُه لنفسى قلت : فتَعيب مَن شرِبَه ؟ قال : لا . قلت : فأنت وما اخترت .

قول عبد الله بن داود

وكان عبد الله بن داود يقول : ماهو عندى وماء الفُرات إلاّ سواء . وكان يقول : أكرَه إدارةَ القدَح ، وأكرهُ نقيعَ الزّبيب ، وأكره المعتَّق .

وقال : مَن أدار القَدَح لم تجز شهادتُه .

ردسوّار القاضى لشارب النبيذ

وشهد رجلٌ عند سوّارٍ القاضى ، فردَّ شهادته لأنّه كان يشرب النبيذ . فقال :

أما النّبيذُ فإنِّى غيرُ تاركه ولا شهادةَ لى ماعاش سوّارُ[1]

شرب زيد بن على للنبيذ

حَدَّث شَبابة قال : حدّثنى غَسّان بن أبى الصَّباح الكوفى ، عن أبى سلمة يحيى بن دينار ، عن أبى المطهِّر الورّاق قال : بينما زيد بن علىّ فى بعض أزقّة الكوفة إذ بَصُر به رجلٌ من الشِّيعة ، فدعاه إلى منزله ، فأحضرهُ طعاماً ، فتسامعت به الشِّيعة ، فدخلوا عليه حتى غصَّ المجلس بهم ، فأكلوا معه ، ثم استسقى ، فقيل له : أىَّ الشراب نسقيك يا ابنَ رسول الله ؟ قال : أصلبُه أو أشدُّه . فأتَوْه بعُسٍّ من نبيذ فشرب ، ودارَ العسُّ عليهم فشربوا . ثم قالوا : يا ابنَ رسول الله لو حدَّثتَنا فى هذا النبيذ بحديثٍ رويتَه عن أبيك عن جدّك ، فإنّ العلماء يختلفون فيه ؟ قال : نعم ، حدثنى أبى عن جدِّى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لتركَبُنّ طبقةَ بنى إسرائيل حَذْوَ القُذّة بالقذّة ، والنّعل بالنعل[2] . ألاَ وإنّ الله

(١) ن : « عند ابن سوار » ، والقصة تقتضى ما أثبتنا من سائر النسخ . وكان سوار قاضيا هو وولده عبد الله ، وحفيده سوار بن عبد الله ، كما فى تهذيب التهذيب .

(٢) القذة : واحدة القذذ ، وهى ريش السهم . والخبر فى الأشربة ٥٦ .

ابتلَى بنى إسرائيل بنهر طالوت ، أحَلَّ منه الغُرفة والغُرْفَتين ، وحَرَّم منه الرِّىّ ، وقد ابتلاكم بهذا النبيذ ، أحل منه القليل وحرَّمَ منه الكثير » .

تسمية النبيذ نهر طالوت

وكان أهل الكوفة يسمُّون النبيذ « نهر طالوت » . وقال فيه شاعرهم :

اشرَبْ علىطربٍ من نهرطالوتِ حمــراء صافيةً فى لون ياقوتِ
من كفِّ ساحرةِ العينين شاطرةٍ تُرْبِى على سحر هاروتٍ وماروت
لهــا تماوُت ألحاظٍ إذا نظرت فنار قلبكَ من تلك التّماويت

قصة الحارث بن كَلَدة طبيب العرب
مع كسرى أنوشروان الفارسى

حكى الفرغانى عن بعض رجاله قال :

وفدَ على كسرى ملك الفرس الحارث بن كلدة طبيب العرب ، فأذن له بالدُّخول ، فمثَل بين يديه[1] فقال له كسرى : مَن أنت ؟ قال : أنا الحارث ابن كلَدة . قال : أعرابى أنت ؟ قال : نعم مِن صميمِها . قال : فما صناعتُك ؟ قال : طبيب . قال : فما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وقلّة قَبولها ، وسُوء غِذائها ؟ فقال : ذلك أجدَرُ أيُّها الملك ، إذْ كانت بهذه الصفة ، أن تحتاجَ إلى من يصلح جهلَها ، ويقيم عِوَجها ، ويَسُوس أبدانَها ، ويعدِّل أمشاجها[2] . قال الملك : كيف لها أن تعرف ما تَرَوِّره عليها ، لو عرفَتِ الحقَّ لم تُنسَب إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك ، إن الله جلَّ اسمه قسَم العقولَ بين العباد كما قسَم الأرزاق ،
٤١٨ / ٣ وأخــذ القومُ نصيبهم ، ففيهم ما فى الناس من جاهلٍ وعالم ، وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذى يُحمَد من أخلاقهم ، ويُحفظ من مذاهبهم ؟ قال الحارث : لهم أنفسٌ سخيّة ، وقلوب جرِيّة ، وعقول صحيحــة مرضيّة ، وأحسابٌ نقية ، يمرُق الكلامُ من أفواههم مُروقَ السّهم العائر[3] ، ألينَ من الماء ، وأعذبَ من

(١) فى بعض النسخ : « فانتصب بين يديه » .
(٢) الأمشاج : أخلاط البدن ، من المرة الصفراء ، والمرة السوداء ، والدم ، والبلغم .
(٣) فيما عدا ن : « السهم من الوتر » . والعائر من السهام : الذى لايدرى من رماه .

الهواء ، يُطعِمون الطعام ، ويَضربون الهام ، وعزُّهم لا يُرام ، وجارُهم لا يُضام ، ولا يُروَّع إذا نام ، لا يُقرُّون بفضل أحدٍ من الأنام ، ماخلا الملكَ الهمام ، الذى لايقاس به أحدٌ من الأنام .

قال : فاستوى كسرى جالساً ، ثم التفت إلى من حوله ؛ فقال : أطرى قومه ، فلولا أن تداركه عقله لذمّ قومه[1] ، على أنى أراه راجحاً[2] . ثم أذِن له بالجلوس فقال : كيف بصرُك بالطّب ؟ قال : ناهيك . قال : فما أصل الطبّ ؟ قال : ضبط الشّفتَين ، والرِّفق باليدين . قال : أصبت الدواء ، فما الداء ؟ قال : إدخال الطّعام على الطعام ، هو الذى أفنى البريّة ، وقتَل السباع فى البرّيّة . قال : أصبت . ثم قال : فما الجمرة التى تلتهب منها الأدواء ؟ قال : هى التُّخَمة ، إن بقيَتْ فى الجوف قتلَتْ ، وإنْ تحلّلت أسقمَتْ . قال : فما تقول فى الحجامة ؟ قال : فى نُقصان الهلال ، فى يومٍ صحوٍ لا غيمَ فيه ، والنَّفس طيّبة ، والسرور حاضر . قال : فما تقول فى الحمّام ؟ قال : لا تدخل الحمام شبعانَ ، ولا تغْشَ أهلك سكران ، ولا تنم باللّيل عُريان ، وارفُقْ بجسمك يكن أرجَى لنسلك[3] . قال : فما تقول فى شُرب الدّواء ؟ قال : اجتنب الدّواء ما لزِمَتْك الصحة ، دعْهُ فإذا أحسستَ بحركة الدّاء فاحبِسْه بما يردعه من الدواء ؛ فإنّ البدنَ بمنزلة الأرض ، إن أصلحتها عَمَرت ، وإن أفسدتها خربت . قال : فما تقول فى الشّراب ؟ قال : أطيبه أهناه ، وأرقّه أمراه ، ولا تشربْ صِرفًا يورثْك صداعا[4] ويُثِرْ عليك من الدّاء أنواعا[5] . قال : فأىُّ اللُّحمان أحمَد ؟ قال : الضّأن الفتىّ وأدسمه أمرؤه ، واجتنب أكلَ القديدِ المالح ، من الجزور ، والبقر . قال : فما تقول فى الفاكهة ؟ قال : كُلْها فى إقبال دولتها ، وحين أوانها ، واتركْها إذا أدبرت

(١) ن : « ولولا أن تداركه عقله لذم يومه » .
(٢) فى بعض النسخ : « ذا حمى » .
(٣) بدله فى ن : « وارتفق بعينك آمنا لقيلك » .
(٤) ن : « ولا تشرب صرفا فيؤذيك » .
(٥) ن : « وينتشر عليك من الداء أنواعه » .

وتولّت وانقضى زمانُها . وأفضل الفاكهة الرمّان والأترُجّ ، وأفضلُ البقولِ الهندبا والخسّ ، وأفضل الرّياحين الورد والبنَفسج . قال : فما تقول فى شرب الماء ؟ قال : هو حياةُ البدَن ، وبه قوّتُه ، وينفع ما شُرِب منه بقدر ، وشُربُه بعد النّوم ضَرَر ، وأفضل المياه مياه الأنهار العظام ، أبرده وأصفاه . قال : فما طعمه ؟ قال : شىءٌ لا يوصف ، مشتقٌّ من الحياة . قال : فما لونه ؟ قال : اشتَبَه على الأبصار لونُه ، يحكى لونَ كلِّ شىء يكون فيه . قال : فأخبرنى عن أصل الإنسان ما هو؟ قال : أصله من حيث يشرب الماء . يعنى رأسه .

قال : فما هذا النور الذى تُبصَر به الأشياء ؟ قال : العين مركبة من أشياء ، فالبياض شَحمة ، والسّواد ماء[1] .

قال : فعلى كم طبعُ هذا البدن ؟ قال : على أربع طبائع : على المرة السّوداء ، وهى باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهى حارّة يابسة ؛ والدم ، وهو حار رطب ؛ والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فلم لم يكنْ من طبع واحد ؟ قال : لو خُلق من شىء واحد لم ينحلّ ولم يمرَضْ ولم يمت . قال : فمِن طبعين ما حالُ الاقتصار عليهما ؟ قال : لو اقتصر عليهما لم يجُزْ ؛ لأنهما ضدّانِ يقتتلان ، ولذلك لم يجز من ثلاثة : موافقان ومخالف . قال : فأجمِلْ لى الحارّ والبارد فى أحرف جامعة . قال : كلُّ حلوٍ حارٌّ ، وكلُّ حامضٍ بارد ، وكلُّ حِرّيف حارّ ، وكلُّ مُزٍّ معتدل ، وفى المُرّ حارٌّ وبارد . قال : فما أفضل ما عولج به المِرّة السّوداء ؟ قال : بكلّ حارٍّ ليّن . قال : فالرِّياح ؟ قال : الحُقَن الليِّنة والأدهان الحارّة الليِّنة . قال : أفتأمر بالحُقَن ؟ قال : نعم ، قرأتُ فى بعض الكتب : أنّ الحقنة تُنقِى الجوف ،
٤١٩/٣ وتَكسح الأدواء عنه ، وعجباً لمن احتقَن كيف يهرم أو يعدَم الولد ، وإن الجاهلَ كلّ الجاهلِ مَن أكل ما قد عرف مَضرّتَه ، فيؤثِر شهوتَه على راحة بدنِه . قال :

(١) فى بعض النسخ : « مائع » .

فما الحِمْية ؟ قال : الاقتصاد فى كلّ شىء ؛ فإنّه إذا أكل فوق المقدار ضَيّق على الرُّوح ساحته[1] .

قال : فما تقول فى إتيان النساء ؟ قال : كثرةُ غِشيانهنّ ردىء ، وإتيان المرأة المولّية[2] فإنها كالشّنّ البالى ، تُسقِم بدنَك ، وتَجذِب قوّتك ، ماؤها سُمّ قاتل ، ونَفَسها موت عاجل ، تأخذُ منك ولا تُعطيك . عليك بإتيان الشّباب ، فإنّ الشابّةَ ملؤها عذبٌ زلال[3] ، ومعانقَتُها غُنْج ودلال ، فُوها بارد ، وريحها طيّب ، ورحمها حَرِج[4] ، تزيدك قوّةً ونشاطا . قال : فأىُّ النّساء القلبُ لها أبسط ، والعينُ برؤيتها آنَسُ وأقصد ؟ قال : إن أصبتَها مديدةَ القامة ، عظيمة الهامة ، واسعةَ الجبين ، عريضةَ الصدر ، مليحةَ النحر ، ناهدةَ الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرعاء ، جَعدةً غضّة ، حسنة الثّغر ، تخالها فى الظلمة بدرا زاهراً[5] ، تبسم عن أقحوان باهر ، وإن تكشّف تكشف عن بَيضةٍ مكنونة ، وإن تُعانِق تعانق ما هو ألينُ من الزبد ، وأحلى من الشّهد ، وأعذب من القَند[6] ، وأبرد من الفردوس والخُلْد ، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد .

قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه ، قال : فأىُّ الأوقات أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلَى ، والنفس أشهى ، والرّحِمُ أدفا . قال : فأىُّ الأوقات ألذّ وأطرَبُ ؟ قال : نهاراً ، يزيدك النظر انتشاراً . قال كسرى : لله درُّك من أعرابىّ ، لقد أُعطيتَ علما ، وخُصِصتَ بفطنة وفهم . ثم أمر له بجائزة وكُسًى ، وقضى حوائجه[7] .

* * *

(١) كلمة « ساحته » ساقطة من ن . والروح يذكر ويؤنث .
(٢) المولية : التى قد أدبر شبابها .
(٣) ن : « فإنما ماء الشابة عذب زلال » .
(٤) الحرج ، بالتحريك وبفتح فكسر : الضيق .
(٥) ن : « نورا باهرا » . (٦) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .
(٧) بعده فى بعض النسخ : « وجدت فى بعض النسخ زيادة فأوردتها ، وهى » .

خبر ابن أبى الحوارى

وحضر ابن أبى الحَوارِى(١) بالشّام — وكان معروفاً بالرّقائق والزهد — مائدةَ صالحٍ العبّاسى ، مع فقهاء البلد ، فحدَّثنى البحترى بن عبادة(٢)، وكان ممّن حضر المجلس : أنه بعث إليه بقدح نبيذ(٣) فشربه ، ثم بعث إليه بثانٍ فامتنع من شُربه ، فأخذه الناس بألسنتهم ، وقالوا : شربتَ المُسكِر على أعين هؤلاء(٤) وصرتَ لهم حجّة . قال : أحسَبكم أردتم أنْ أكون ممّن قال الله تعالى فيه(٥) (يَسْتَخْفُونَ من النّاس ولايستَخفُون من الله وهو معَهم) ، فكيف كنت أدعُه لكم وأشربه بعَين الله .

بين قاض وشارب نبيذ

وقال بعضُ القضاة لرجُل كان يعذُله : بلغَنى أنك تشرب المُسكر . فقال : ما أشرب المسكر ، ولكنى أشرب النبيذ الصُّلب .

أمثلة من الزهد

فأين هؤلاء فى ترك الرِّياء والتصنُّع مِن رجلٍ سُرقت نعلُه فلم يشترِ نعلا حتى مات ، فعُوتب فى ذلك فقال : أخشى أن أشترىَ نعلاً فيسرقَها أحدٌ فيأثم .

وآخرَ لمّا نظر إلى أهل عرفاتٍ قال : ما أظنُّ اللهَ إلا وقد غفر لهم ، لولا أنِّى كنتُ فيهم .

وآخرَ أمر له عمر بن الخطّاب بكِيسٍ ، فقال : آخذُ الكيسَ والخيط ؟ فقال له عمر : دع الكِيس .

ورجلٍ سأل ابنَالمبارك فقال : إنِّى قاسمت إخوتى ، و بيننا مُبْرَز غير مقسوم ، وفىَّ بطر(٦) ، أفترى لى أن أدخلَه أكثَرَ مما يَدْخُله شركائى ؟

---

(١) هو أحمد بن أبى الحوارى ، كما فى القاموس . وضبطه كسكارى وسمانى . واسم أبى الحوارى ميمون ، كما فى صفة الصفوة (٤: ٢١٢) . وكان هو وأبوه من أهل الورع والزهد . والخبر فى كتاب الأشربة ٨٤ — ٨٥ .

(٢) فى بعض النسخ : « البحترى عن عبادة » . وفى ن : « البحترى بن عبادة » ولعل صوابه « البحترى أبو عبادة » ، وهى كنية الشاعر المعروف الوليد بن عبيد البحترى .

(٣) الكلام بعده إلى « من شربه » ساقط من ن .

(٤) فى كتاب الأشربة : « على أخاوين هؤلاء » . والأخاوين : جمع إخوان ، وهو لغة فى الخوان الذى يؤكل عليه .

(٥) فى بعض النسخ : « فيهم » .

(٦) البطر : النشاط . وبدله فى بعض النسخ : « إنى قاسمت إخوتى مقسما فى بطن » .

وآخرَ قال : أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف ، أو زيتونة وثلث ، أو زيتونة ورُبع ، أو ما علم اللهُ من زيتونةٍ أخرى . فقال له بعضُ من حضر المجلس : يافتى ، إنّه بلغنا أنّ من الورع ما يُبغضه الله ، وأحسبه ورعَك هذا(١) .

بين عبد الله بن سعد ورجل يطلب المرض

الأعمش قال : أتانى عبد الله بن سعد(٢) فقال لى : ألا تعجَب ؟ جاءنى رجلٌ فقال : دُلَّنى على شىء إذا أكلتُه أمرضَنى ، فقد استبطأتُ العِلّة ، وأحببتُ أن أعتلّ فأوجَر . فقلت له : سلِ اللهَ العافية ، واستَدِم النّعمة ؛ فإنّ مَن شَكر على النّعمة كمن صبر على البليّة . فألحّ علىّ فقلت له : كُل السمك ، واشربْ نبيذَ الزبيب ، ونَمْ فى الشّمس ، واستمرض الله يُمرِضك إن شاء الله !

تهمة خمار نصرانى

هارون بن داود قال(٣) : شرب رجلٌ عند خَمّار نصرانىّ ، فأصبح ميّتا ، ٤٢٠/٣
فاجتمعَ عليه الناس ، وقالوا للخمّار : أنتَ قتلتَه . قال : لا والله ، ولكنْ قتله استعماله قوله :

* وأخرَى تداويتُ منها بها(٤) *

---

(١) انظر الخبر بصورة مفصلة فى الحيوان (٣ : ٤٣ — ٤٤) .
(٢) هذا ما فى ن . وفى سائر النسخ : « عبد الله بن مسعود بن أبى بكر » .
(٣) الخبر ساقط من ن .
(٤) البيت لأبى نواس ، كما فى الحيوان (٧ : ١٦٤) . وصدره :
* وكأس شربت على لذة *

كتاب اللؤلؤة الثانية

فى الفكاهات والملح

قال الفقيه أبو عُمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، رحمه الله :

قد مضى قولُنا فى الطَّعام والشَّراب وما يتولَّد منهما ، ويُنسَب إليهما . ونحنُ قائلون بما ألفناه فى كتابنا هـذا ، من الفُـكاهات والمُلَح التى هى نُزهةُ النَّفس ، ورَبيعُ القلب ، ومَرتَع السَّمع ، ومَجلَب الرَّاحة ، ومَعدِن السُّرور .

للرسول الكريم فى الترويح عن النفس

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « روِّحوا القلوبَ ساعةً بعـد ساعة ، فإنَّ القلوب إذا كَلّت عَمِيت » .

لعلى بن أبى طالب

وقال علىُّ بن أبى طالبٍ رضوانُ الله عليه : أجِمُّوا هذه القلوبَ ، والتمِسوا لها طُرَفَ الحكمة ، فإنَّها تَمَلُّ كما تملّ الأبدان . والنفس مُؤْثِرة للهوى ، آخذةٌ بالهوينى ، جانِحة إلى اللَّهو ، أمَّارة بالسُّوء ، مستوطِنةٌ للعجْز ، طالبةٌ للراحة ، نافرة عن العمل ، فإنْ أكرهتَها أنضيتَها[1] ، وإن أهملتَها أرديتَها .

لعمر بن عبد العزيز

ودخل عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر ، وهو ينام نَومة الضحى ، فقال : يا أبتِ ، أتنامُ وأصحابُ الحوائج راكدُون ببابك ؟ قال : يا بنىّ ، إنّ نفسى مطيّتى ، فإن أنضَيْتُها[1] قطعتُها ، ومن قَطَع المطىّ لم يبلُغ الغاية .

أخبار وأحاديث فى الضحك

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يضحَك حتى تبدو نواجذه .

وكان محمّد بن سِيرينَ يضحك حتى يسيل لعابه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ فيمن لا يطرب » .

وقال : « كلُّ كريمٍ طَروب » .

كلمة لهشام

وقال هشامُ بن عبد الملك : أكلت الحلو والحامضَ حتى ما أجِدُ لواحدٍ

---

(١) الإنضاء : الإبلاء والإخلاق . ن : « أنصبتها » ، أى أتعبتها .

منهما طعما ، وشممت الطِّيب حتى ما أجد له رائحة ، وأتيتُ النساء حتى ما أبالى امرأةً أتيتُ أم حائطا ، ما وجدتُ شيئاً ألذَّ إلىَّ من جليسٍ تَسقُط بينى و بينه مَؤُونة التحفُّظ .

لعمرو بن العاصى

وقيل لعمرو بن العاصى : ما ألذّ الأشياء ؟ قال : ليَخرجْ مَنْ هاهنا من الأحداث . فخرجوا ، فقال : ألذُّ الأشياء إسقاط المروءة .

لمسلمة بن عبد الملك

وقيل لمسلمة بن عبد الملك : ما ألذّ الأشياء ؟ فقال : هَتْك الحياء ، واتِّباع الهوى .

مدح التوسط فى الأمور

وهذه المنزلةُ من إهمال النفس (١) وهَتْكِ الحياء قبيحةٌ ، كما أنَّ المنزلة الأخرى من الغلوّ فى الدِّين ، والتقشف فى الهيئة قبيحة أيضا ، وإنما المحمودُ منها التوسُّط ، وأن يكون لهذا موضعُه وهذا موضعُه .

وقال مُطَرِّف بن عبد الله لولده : « يا بنى إنَّ الحسنة بين السيِّئتين ، — يريد بين المجاوزة والتقصير — وخير الأمور أوساطُها ، وشرُّ السَّير الحقحقة (٢) » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّ هذا الدينَ متينٌ فأوغِلْ فيه برِفق ، فإنّ المنبتّ (٣) لا أرضاً قطَع ، ولا ظهراً أبْقَى » .

خبر يحنا وشمعون

وفى بعض الكتب المترجمة : إن يُحَنّا وشَمْعون ، كانا من الحواريِّين ، وكان يُحَنّا لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلاّ بكى وأبكى من حوله ، فقال شَمعون ليُحَنّا : ما أكثرَ ضَحِكَك ، كأنّك قد فرَغْتَ من عملك ؟ فقال له يُحنّا : ما أكثرَ بكاءك ، كأنك قد يئِسْت من ربِّك ؟ فأوحى الله إلى المَسيح : أنّ أحبَّ السِّيرتين إلىَّ سيرةُ يحنّا .

خبر عيسى بن مريم ويحيى عليهما السلام

وفى بعض الكتب أيضاً أنّ عيسى بن مريم لقى يحيى بن زكريا فتبسّم

(١) إهمال النفس ، هو من قولهم أهمل الإبل ، أى تركها ترعى ليلا بلا راع .
(٢) الحقحقة : شدة السير . وانظر الخبر مفصلا فى اللسان (حقق) .
(٣) المنبت : الذى أتعب دابته حتى عطبت وانقطع بذلك عن مواصلة السير .

إليه يحيى ، فقال له عيسى : إنّك لتَبْسِمُ تبسُّمَ آمِن ! فقال له يحيى : إنك لتَعبِس عُبوسَ قانط ! فأوحى الله إلى عيسى : « إنّ الذى يفعلُ يحيى أحبُّ إلىّ » .

مزاح نعيمان

وقال النبي صلى الله عليه وسلم دخل نُعَيمان[1] الجنّةَ ضاحكا ، لأنَّه كان يُضحِكنى » . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخَلَ عليه وهو أرمدُ ، فوجده ٤٢١/٣ وهو يأكل تمراً ، فقال له : أتأكل تمراً وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكلُ من الجانب الآخر . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتّى بدت نواجذُه .

مضحكة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة

وكانت سويداء لبعض الأنصار تختلفُ إلى عائشة ، فتلعب بين يديها وتُضحِكُها ، وربّما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فيجدُها عندها فيضحكان جميعاً ، ثم إنّ النبي صلى الله علية وسلم فَقَدها ، فقال : يا عائشة ، ما فعلت السُّويداء ؟ قالت له : إنّها مريضة . فجاءها النبي صلى الله عليه وسلم يعودُها ، فوجدها فى الموت ، فقال لأهلها : إذا تُوفِّيَتْ فآذِنونى . فلما توُفّيت آذَنوه ، فشهدها وصلَّى عليها ، وقال : « اللهم إنها كانت حريصةً على أن تضحكَنى ، فأضْحِكْها فرحا » .

قول أبى نواس فى أبى عبيدة والأصمعى

وقيل لأبى نواس : قد بعثوا إلى أبى عبيدةَ والأصمعىّ ليجمعوا بينهما ، فقال : أما أبو عبيدة فإنْ خَلَّوه وسِفرَه[2] قرأ عليهم أساطيرَ الأوّلين والآخِرين ، وأمّا الأصمعىّ فبلبلٌ فى قفص يطربهم بصَفيره .

قول العرب فى مدح الضحوك

قال ابن إسحاق : وقد طرِب الصّالحون وضحكوا ومَزَحوا . وإذا مدحت العرب رجلا قالوا : هو ضَحوك السنّ ، بَسّام العَشيّات[3] ، هشٌّ إلى الضيف . وإذا ذمّته قالت : هو عَبوس الوجه ، جهم المُحيّا ، كريه المنظر ، حامض الوجنة[4] كأنما وجهُه بالخلّ منضوح ، وكأنما أسعط خَيشومُهُ بالخردل .

(١) هو نعيمان بن عمرو بن رفاعة ، أحد أصحاب الفكاهة من صحابة الرسول . توفى فى زمن معاوية . الإصابة ٨٧٨٩ . فى بعض النسخ : « يدخل عثمان » ، تحريف .

(٢) فى بعض النسخ : « وسفرا » .

(٣) فى بعض النسخ : « الثنيات » .

(٤) فى بعض النسخ : « جاحظ الوجه » .

وصية يحيى بن خالد ابنه بالكسل

وكتب يحيى بن خالد إلى الفضل ابنه وهو بخراسان : « يا بنى ، لا تُغفِلْ نصيبَك من الكسل » .

وهذا حرفٌ جامع لما قصدناه من هذا المعنى[1] ، لأنّ بالكسل تكون الرّاحة ، وبالرّاحة يثوب النشاط[2] ، وبالنّشاط يصفُو الذّهن ، ويصدُق الحِسّ ويكثر الصّواب . قال الشاعر :

إنّما للنّاسِ منّا حُسنُ خلْقٍ ومزاحْ
ولنا ما كان فينا من فسادٍ وصَلاحْ

ضن هشام بن عروة بعلمه

الهيثم بن عدىّ[3] قال : رأيت هشام بن عروة قد اجْتمع إليه أصحاب الحديث يسألونه ، فقال لهم : يا قوم ، أما ما كان عندى من الحلال والحرام والسنّة فإنى لا أستحل أن أمنعكوه ، وأمّا مُلَحِى فلا أعطيكموها ولا كرامة .

باب من المفاكهات

حديث عباس بن الأحنف

حدّث أبو العبّاس النحوىّ المعروف بالمبرّد قال : حدثنا محمد بن عامر الحنفىّ ، وكان من سادات بكر بن وائل ، وأدركته شيخاً كبيراً مملقا[4] ، وكان إذا أفاد على إملاقه شيئًا جاد به ، وقد كان قديماً ولِيَ شُرطة البَصرة ، فحدّثنى هذا الحديثَ الذى نَذكره . ووقع إلىّ من غير ناحيته ، ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنُّقصان ، إلّا أنّ معانىَ الحديث مجموعةٌ فيما أذكر لك :

ذكر أن فتياناً كانوا مجتمعين فى نظامٍ واحد ، كلهم ابنُ نعمة ، وكلُّهم قد شَرَد عن أهله ، وقَنِع بأصحابه ، فذكر ذاكرٌ منهم قال : كنّا قد اكترينا

(١) فى بعض النسخ : « وهذا جزء جامع لكل ما قصدناه إليه من هذا المعنى » .
(٢) يثوب : يرجع . وفى بعض النسخ : « يكون ثبات النشاط » .
(٣) هذا الخبر من ن فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ن .

داراً شارعةً على أحد طرق بغداد المعمورةِ بالناس ، فكنا نُفْلِس أحياناً ونُوسِر أحيانا ، على مقدار ما يمكن الواحدَ من أهله ، وكنا لا نستكثر(١) أن تقع مؤونتنا على واحدٍ منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحدُ منا لا يقدر على شىء فيقوم به أصحابه الدّهرَ الأطول . وكنا إذا أيسَرْنا أكلْنا من الطّعام ألْيَنَه ، ودَعوْنا الملهين والملهيات . وكان جلوسُنا فى أسفل الدار ، فإذا عَدِمنا الطربَ فمجلسنا غرفةٌ لنا(٢) نتمتّع منها بالنظر إلى الناس ، وكنا لا نُخِلُّ بالنّبيذ فى عُسر ولا يُسر . فإنا لكذلك يوماً إذا بفتًى يستأذِن علينا ، فقلنا له : اصعَد . فإذا رجلٌ نظيفٌ حلو الوجه ، سرىُّ الهيئة ، ينبىء رُواؤُه على أنّه من أبناء النِّعَم ، فأقبل علينا فقال : إنِّى سمعت مجتَمَعكم ، وحسنَ منادمتكم ، وصحة ألفتِكم ، حتّى كأنّكم أدرجتم جميعاً فى قالب واحد(٣) ، فأحببتُ أن أكون واحداً منكم ، فلا تحتشموا(٤) . قال : وصادَفَ ذلك منا إقتاراً من القوت ، وكثرةً من النّبيذ . وقد كان قال لغلام له أوّلَ ما يأذنون لى أن أكونَ كأحدهم : هاتِ ما عندك . فغاب الغلام عنّا غيرَ كثير ، ٤٢٢/٣ ثم إذا هو قد أتانا بسلّة خيزُران ، فيها طعام المَطبخ : من جدىٍ ، ودَجاج ، وفراخ ، ورُقاق(٥) ، وأشنان ، ومَحْلَب(٦) ، وأخِلّة(٧) ، فأصبْنا من ذلك ثم أفَضْنا فى شرابنا ؛ وانبَسَط الرجل ؛ فإذا أحلى خَلْق الله إذا حَدّث ؛ وأحسنُهم استماعاً إذا حُدِّث ، وأمسَكُهم عن مُلاحاةٍ إذا خولف . ثم أفضَيْنا منه إلى أكرم مُخالفة ، وأجمل مساعَدة . وكنّا ربّما امتحنّاه بأن ندعوَه إلى الشىء الذى نعلم أنّه يكرهه ، فيُظهِر لنا أنّه لا يحبُّ غيره ، ويُرى ذلك فى إشراق وجهه ، فكنّا

(١) فى بعض النسخ : « لا تتكبر » .

(٢) فى بعض النسخ : « جلسنا فى غرفة لنا » .

(٣) ن : « فى قلب واحد » .

(٤) فى بعض النسخ : « فلا تحتشمونى » ، وفى اللسان : « ولا يقال احتشمه » .

(٥) الرقاق ، بالضم : الخبز المنبسط الرقيق .

(٦) المحلب ، كمسكن : شجر له حب يجعل فى الطيب . اللسان (حلب) .

(٧) الأخلة : جمع خلال ، وهو ما تخلل به الأسنان .

تغنّى به عن حسن الغناء، ونتدارسُ أخبارَه وآدابه، فشغلنا ذلك عن تعرُّف اسمه ونسبِه، فلم يكن منا إلا تعرُّف الكنية[1]، فإنا سألناهُ عنها فقال: «أبو الفضل».

فقال لنا يوماً بعد اتّصال الأنس: ألا أخبركم كيف عرفتكم؟ قلنا: نعم إنّا لنحبُّ ذلك. قال: أحببتُ جاريةً في جواركم، وكانت سيِّدتُها ذاتَ حبائب، فكنت أجلسُ لها في الطريق[2] ألتمِس اجتيازَها فأراها، حتَّى أخلقَني الجلوسُ على الطَّريق، ورأيتُ غرفتَكم هذه، فسألتُ عن خبرها، فخُبِّرت عن ائتلافكم ومساعدةِ بعضكم بعضا، فكان الدُّخول فيما أنتم فيه آثَرَ[3] عندى من الجارية. فسألناه عنها فخبَّرَنا، فقلنا له: فإنا نختدعُها حتى نُظفِرك بها. فقال: يا إخوانى[4] إنِّى والله، على ماترَون منِّى من شِدّة الشَّغَف والكَلَف بها، ماقدَرت فيها حَراماً قطّ، ولا تقديرى إلا مطاولتَها ومصابرتَها إلى أن يمُنَّ الله بثروةٍ فأشتريَها. فأقام معنا شهرين ونحنُ على غاية الاغتباط بقُربه، والسرور بصحبته، إلى أن اختُلِس منّا، فنالنا بفراقه ثُكلٌ مُمِضّ، ولوعة مؤلمة، ولم نعرفْ له منزِلاً نلتمسه فيه. فكدُر علينا من العيش ما كان طاب لنا به، وقَبُح عندنا ما كان حَسُن بقُربه وجعلْنا لانرى سروراً ولا غمَّاً إلاّ ذكرناه؛ لاتِّصال السُّرور بصحبته وحضوره[5]، والغمِّ بمفارقته، فكنّا فيه كما قال القائل[6]:

يذكِّرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيتُه ... وشَرٍّ، فما انفكُّ منهم على ذُكر

فغابَ عنّا زُهاء عشرين يوما، ثم بينا نحن مجتازون يوماً من الرُّصافة إذا به

---

(١) ن: «معرفة الكنية».
(٢) الكلام بعده إلى كلمة «الطريق» التالية ساقط من ن.
(٣) فى بعض النسخ: «أسر»، وليس بشىء.
(٤) ن: «يا إخوتى».
(٥) ن: «الاتصال السرور بحضوره».
(٦) هو عكرشة العبسى، يرثى بنيه، كما فى الحماسة (١: ٣٤٦ — ٣٤٧). وانظر مجالس ثعلب ٢٤٢.

قد طلَع فى مَركَبٍ نبيل[١] ، وزِيٍّ جليل ، فحيث بصُر بنا انحطَّ عن دابّته ، وانحطَّ غلمانُه ، ثمّ قال : يا إخوانى[٢] ، والله ما هَنَأنِى عيشٌ بعدكم ، ولست أُماطِلكم بخَبَرى حتى آتىَ المنزل ، ولكن ميلُوا بنا إلى المسجد . فمِلْنا معه ، فقال :

أعرِّفكم أوّلاً بنفسى ، أنا العباس بن الأحنف ، وكان من خبرى بعدكم أنِّى خرجتُ إلى منزلى من عِندكم ، فإذا المسوِّدة محيطةٌ بى ، تمُضِى بى إلى دار أمير المؤمنين ، فصرتُ إلى يحيى بن خالد ، فقال لى : ويحك ياعبّاس ، إنما اخترتُك من ظُرفاء الشُّعراء لقُرْبِ مأخذِك ، وحسن تأتّيك ، وإنّ الذى ندبتُك له من شأنك ، وقد عرفْتَ خَطَرات الخلفاء ، وإنِّى أخبرك أنّ « ماردة » هى الغالبة على أمير المؤمنين ، وأنه جرَى بينهما عَتْب ، فهى بِدَالّةِ المعشوقِ تأبى أن تعتذِر ، وهو بعزِّ الخلافة وشرفِ الملك يأبى ذلك ، وقد رُمت الأمر من قِبَلِها فأعيانى ، وهو أحْرَى أن تستعزّهُ الصَّبابة[٣] ، فقلْ شعراً يسهِّل عليه هذه السبيل . فقضى كلامَه ، ثم دعاهُ أميرُ المؤمنين فصار إليه ، وأُعْطِيتُ قرطاساً ودواة ، فاعترانى الزَّمَع[٤] ، وأذهَب عنّى ماأريد الاستحثاثُ ، فتعذَّرتْ علىَّ كلُّ عَروض[٥] ، ونفرتْ عنِّى كلُّ قافية ، ثم انفتحَ لى شىء والرّسل تُعْنِتُنى ، فجاءتنى أربعةُ أبيات رضِيتُها ، وقعَتْ صحيحةَ المعنى ، سهلةَ الألفاظ ، ملائمةَ لما طُلِب منى ، فقلت لأحد الرُّسل : أبلِغْ الوزيرَ أنِّى قلت أربعةَ أبيات ، فإن كان فيها مقنع وَجَّهت بها . فرجع إلىَّ الرسول بأنْ هاتِها ، فى أقلّ منها مَقنَع وفى ذَهاب ٤٢٣/٣ الرسول ورُجوعه قلتُ بيتين من غير ذلك الروىّ ، فكتبت الأبياتَ الأربعةَ فى صدر الرُّقعة ، وعقّبت بالبيتين ، فقلت :

(١) فى بعض النسخ : « موكب نبيل » .
(٢) ن : « يا إخوتى » .
(٣) تستعزه : تغلبه . وفى بعض النسخ : « تستعبده » .
(٤) الزمع : الدهش والخوف ، وشبه الرعدة تأخذ الإنسان .
(٥) العروض : ميزان الشعر ، مؤنثة .

العاشقانِ كلاهما متغضّبُ وكِلاهما متوجِّــــد متعتّبُ
صدّت مغاضِبةً وصدَّ مغاضِبا وكلاهما ممـــا يعالج مُتعَبُ
راجِعْ أحبّتَك الذين هجرتَهم إنّ المتيم قَلّمــا يتجنّبُ
إنّ التجنُّب إنْ تطاوَلَ منكما دبَّ السلوُّ فعزَّ منه المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لابدَّ للعاشق من وَقفــةٍ تكونُ بين الهَجر والصَّرمِ
حتى إذا الهجرُ تمـادَى به راجَعَ مَن يهوَى على رَغْمِ (١)

ثم وجّهتُ بالـكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعَه إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيتُ شعراً أشبَهَ بما نحن فيه من هـذا ، والله لـكأنّى قُصِدتُ به . فقال له يحيى : فأنت والله يا أميرَ المؤمنينَ المقصودُ به ، هذا يقوله العباس بن الأحنف فى هذه القصّة . فلمّا قرأ البيتين وأفضَى إلى قوله :

* راجَعَ مَن يهوى على رَغمِ *

استغربَ ضحكاً (٢) حتى سمِعت ضَحِكَه ، ثم قال : إى والله ، أُراجِـع على رَغم ، يا غـلام هات نعلىَّ . فنَهضَ وأذهله السّرورُ عن أن يأمر لى بشىء ، فدعانى يحيى ، وقال : إنّ شعركَ قد وقَعَ بغـاية الموافقة ، وأذهَلَ أميرَ المؤمنين السرورُ عن أن يأمر لك بشىء . قلت : لـكنّ هـذا الخبرَ ما وقع منى بغـاية الموافقة . ثم جاء غلامٌ فسارَّه فنهض وثبتُّ مكانى ، ثم نهضت بنهوضه ، فقال لى : يا عباس ، أمسيتَ أملأَ الناس (٣) ، أتدرى ما سارَّنى

(١) فى الأغانى (٦ : ٦٨) : « حتى إذا ما مضه هجره » . وبين هذا البيت وسابقه فى الأغانى :

يعتب أحيانا وفى عتبه إظهار ما يخفى من السقم
إشفاقه داع إلى ظنــه وظنــه داع إلى الظلم

(٢) استغرب فى الضحك : أكثر منه وبالغ فيه . ما عدا ن : «استغرق ضاحكا» ؛ واستغرق مثل استغرب .

(٣) أملأ ، هو من قولهم ملؤ الرجل يملؤ ملاءة فهو مليء ، صار ثقة غنيا .

به هذا الرسول ؟ قلت : لا . وقال : ذكر لى أن « ماردة » تلقّت أمير المؤمنين لمّا علمت بمجيئه ثم قالت له : يا أمير المؤمنين ، كيف كان هذا ؟ فأعطاها الشعر وقال : هذا الذى أتى بى إليك . قالت : فمَنْ يقوله ؟ قال : عبّاس بن الأحنف . قالت : فبم كوفئ ؟ قال : ما فعلتُ شيئاً بعدُ . قالت : إذاً والله لا أجلس حتى يكافأ . قال : فأمير المؤمنين قائمٌ لقيامها ، وأنا قائمٌ لقيام أمير المؤمنين ، وهما يتناظران فى صِلتك ، فهذا كلّه لك . قلتُ : ما لى من هذا إلّا الصّلة ثمّ . قال : هذا أحسنُ من شعرك . قال : فأمر لى أمير المؤمنين بمالٍ كثير ، وأمرتْ لى ماردةُ بمالٍ دونَه . وأمر لى الوزيرُ بمال دونَ ما أمرَتْ به ، وحُمِلتُ على ما ترون من الظّهر . ثم قال الوزير : من تمام اليد عندى ألّا تخرج من الدار حتّى نُؤَثِّلَ لك بهذا المال ضياعا[1] . فاشتُريت لى ضياعٌ بعشرين ألف درهم ، ودفع إلىّ بقية المال . فهذا الخبرُ الذى عاقنى عنكم ، فهلمُّوا حتى أقاسمَكم الضياع ، وأفرّق فيكم المال . قلنا له : هَنأك الله مالَك[2] ، فكلٌّ منا[3] يرجع إلى نعمةٍ من أبيه وأهله . فأقسَمَ وأقسَمْنا ، قال : فأنتم فيه أسوتى . فقلنا : أما هذا فنعَمْ ، قال : فامضُوا بنا إلى الجارية حتى نشتريَها . فمشينا إلى صاحبتها وكانت جاريةً جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثرُ ما فيها ظَرف اللسان ، وتأدية الرّسائل ، وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائةَ دينار . فلما رأى مولاها مَيْلَ المشترى استامَ بها خمسمائة ، فأجبناه بالعَجَب فحطّ مائةً ، ثم حط مائة . فقال العبّاس يا فتيانُ ، إنّى والله احتشمُ أن أقولَ بعد ما قلتم ، ولكنها حاجةٌ فى نفسى بها يتمُّ سرورى ، فإن ساعدتم فعلتُ . قلنا له : قلْ . قال : هذه الجاريةُ أنا أعاينُها منذ دهر ، وأريدُ إيثارَ نفسى بها ، فأكرهُ أن تنظرَ إلىّ بعينِ مَن قد ماكَسَ فى ثمنها ، دعُونى أُعطِهِ بها خمسمائة دينار ، كما سأل . قلنا له : وإنّه قد حطّ

(١) التأثيل : التهيئة والتأصيل والاتخاذ .

(٢) نظيره قولهم : « هنأتنيه العافية » .

(٣) ن : « فكلنا » .

مائتين ، قال : و إنْ فعل . قال : فصادفتُ من مولاها رجلاً حرًّا ، فأخذ ثلاثمائة وجهّزها بالمائتين . فما زال إلينا محسناً حتى فرّق الموتُ بيننا . ٤٢٤/٣

حديث المجرّد

قال إسحاق بن إبراهيم : قال لى ابن وهب الشاعر : واللهِ لأحدثنّك حديثاً ما سمعه منّى أحدٌ قطُّ ، وهو بأمانةٍ أن يسمعه أحدٌ منكَ ما دمتُ حيـا . قلت : (إنّا عَرضـنا الأمانةَ على السّمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقْن منها وحَمَلها الإنسانُ إنه كان ظلوما جهولاً) . قال : يا أبا محمد ، إنّه حديثٌ ما طَنّ فى أذنك أعجبُ منه . قلت : كم هذا التعقيد بالأمانة ؟ آخُذُه على ما أحببت . قال:

بينا أنا بسوق الـكَيل(١) بمكة بعـد أيام الموسم ، إذا أنا بامرأةٍ من نساء مكة ، معها صبيٌّ يبكى ، وهى تُسكِته فيأبى أن يسكت ، فسَفَرتْ وأخرجتْ من فيهـا كسرة درهم ، فدفعَتْها إلى الصبىّ ، فسكتَ ؛ فإذا وجهٌ رقيقٌ كأنّه كوكبٌ درّىّ ، و إذا شكلٌ رطب ، ولسانٌ فصيح ، فلما رأتنى أُحِدُّ النظر إليها قالت : اتبعنى . فقلت : إنّ شريطتى الحلال . قالت : ارجع فى حَرَامِكَ ، ومَن يريدك على حرام ؟ فخَجِلْتُ وغلبتْنى نفسى على رأيى ، فتبعتُها فدخلَتْ زُقاق العطّارين ، فصعِدَتْ درَجة وقالت : اصعد . فصعِدتُ ، فقالت : أنا مشغولة وزوجى رجلٌ من بنى مخزوم ، وأنا امرأةٌ من زُهْرة ، ولـكن عندى حِرٌ ضيِّق عليه وجهٌ أحسنُ من العافية ، فى مثل خُلُق ابن سُرَيج(٢) ، وترنُّم مَعبَد ، وتيه ابن عائشة . أجمع لك هذا كلّه فى بدنٍ واحد بأصْفَر سُلَيم(٣) ! قلت : وما أصفر

(١) فى بعض النسخ : « بسوق الليل » .

(٢) هو عبيد الله بن سريج المغنى . انظر الأغانى (١ : ٩٤ — ٩٥) .

(٣) تكنى بأصفر سليم عن الدينار . وأصفر سليم كان يطلق على دواء أصفر ، صنعه صيدلانى بالبصرة يدعى « سليما » ، وكان يشرب لـكل داء فيستشفى به المبرود والمحرور . ثمار القلوب ١١٩ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان لعبيد الله بن أبى بكرة ثلاثة وكلاء يقال لهم : سليم الناصح ، وسليم الغاش ، وسليم الساحر . وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » .

سُليم ؟ قالت : بدينارٍ واحد يومَك وليلتك ، فإذا قمتَ جعلتَ الدِّينار وظيفةً وتزويجا صحيحا . قلت : فذلك لكِ إن اجتمع لى ما ذكرت . قال : فصفّقَتْ بيدها إلى جاريتها فاستجابت لهـا . قالت : قُولى لفلانة : البَسى عليك ثيابَك وعجِّلى ، وبحياتى لا تمسى غُمراً[1] ، ولا طيبا ، فحسْبُنا بدلالك وعِطرك . قال : فإذا جاريةٌ أقبلت ما أحسب الشمسَ وقعت عليها ، كأنها دُمْيةٌ[2] ، فسلّمَتْ وقعدَتْ كالخجلة . فقالت لهـا الأولى : إن هذا الذى ذكرتك له[3] ، وهو فى هـذه الهيئة التى ترَيْن . قالت : حيّاه الله ، وقرَّب داره . قالت : وقد بَذَل لك من الصَّداق ديناراً . فقالت : أىْ أمِّ ، أخبرتِه بشريطتى ؟ قالت : لا ، والله يا بُنيَّة ، لقد أُنسيتُها . ثم نظرت إلىَّ فغمزَتْنى ، وقالت : أتدرى ما شريطتُها ؟ قلتُ : لا . قالت : أقول لكَ بحضرتها ما إخالهُا تكرهُه ، هى والله أفتكُ من عَمرو بن معد يكرب ، وأشجع من ربيعةَ بن مكدَّم ، ولستَ بواصلٍ إليها حتّى تَسكرَ وتُغلَبَ على عقلها ، فإذا بلغت تلك الحالَ ففيها مطمع . فقلت : ما أهونَ هذا وأسهلَه . قالت الجارية : وتركتِ شيئاً أيضاً . قالت : نعم واللهِ ، اعلمْ أنك لن تصلَ إليها حتى تتجرّد لها فتراك مجرّداً ، مُقبلا ومدبراً . قلت : وهذا أيضاً أفعله . قالت : هلمَّ دينارَك . فأخرجْتُ ديناراً فنبذتُه إليها ، فصَفَقَتْ صفقةً أخرى فأجابتها امرأةٌ ، قالت : قولى لأبى الحسن وأبى الحسين : هلمَّا الساعةَ . فقلتُ فى نفسى : أبو الحسن وأبو الحسين هو على بن أبى طالب . قال : فإذا شيخانِ خاضبان نبيلان قد أقبلا فصعدا ، فقصّت المرأة عليهما القصة ، فخطب أحدُهما وأجاب الآخر . وأقررتُ بالتَّزويج وأقرّت المرأة ، فدعَوَا بالبركة ، ثم نهضا فاستحييت أن أحمِّل المرأة شيئا من المؤونة ، فأخرجْت ديناراً آخر ، فدفعته

---

(١) الغمر والغمرة بضم الغين فيهما : طلاء تطلى به العروس يتخذ من الورس . والغمرة أيضا : تمر ولبن يطلى به وجه المرأة ويداها حتى ترق بشرتها . ن : « غمرة » .

(٢) ن : « صورة » .

(٣) فى بعض النسخ : « ذكرته لك » .

إليها. وقلت: اجعَلِي هذا لطيبك. قالت: يا أخي، لستُ ممن يَمَسُّ طيبا لرجل، إنما أتطيّب لنفسي إذا خلوت. قلت: فاجعلي هذا لغَدَائنا اليوم. قالت: أمّا هذا فنعم. فنهضت الجارية، وأمرَتْ بإصلاح ما يُحتاج إليه، ثم عادت وتغدّينا، وجاءت بدواةٍ وقضيب، وقعدت تجاهي، ودعتْ بنبيذ، فأعدّته واندفعت تغنى بصوتٍ لم أسمع مثلَه قطُّ؛ فإني ألفتُ بيوتَ القيان نحواً من ثلاثين سنة، فما سمعت مثلَ ترنُّمها قط، فكدت أجَنُّ سروراً وطربا، فجعلت أُريغُ أن تدنوَ ٤٢٥ / ٣ منّي فتأبى[1]، إلى أن غنّت بشعرٍ لم أعرفه، وهو:

راحُوا يصيدون الظِّباء، وإنني ... لأرى تصيُّدَها عليّ حراما

أعزِزْ عليّ بأن أروعَ شبيهها ... أو أنْ تذوقَ على يديّ حِماما

فقلت: جعلت فداكِ، مَنْ تَغَنَّى بهذا؟ قالت: اشتَرَكَ فيه جماعة، هو لمعبد، وتغنى به ابن سرَيج وابنُ عائشة. فلمّا نُعِيَ إلينا النّهار وجاءت المغرب، تغنّتْ بصوتٍ لم أفهمْه، للشّقاء الذي كُتِب عليّ، فقالت:

كأني بالمجرّدِ قد علته ... نِعالُ القوم أو خَشَبُ السّوارِى

قلت: جُعِلتُ فداكِ، ما أفهم هذا البيتَ، ولا أحسبه مما يُتغنّى به. قالت: أنا أوّلُ من تغنى به. قلتُ: فإنما هو بيتٌ عائر لا صاحبَ له[2]. قالت: معه آخرُ ليس هذا وقتَه، وهو آخِر ما أتغنى به. قال: فجعلت لا أنازِعُها في شيء إجلالاً لها. فلما أمسينا وصلّينا المغرب، وجاءت العشاء الآخرة، وضعَت القضيب، فقمت وصلّيت العِشاء وما أدرى كم صلّيت عجَلةً وشوقا[3]، فلما سلّمت قلت: تأذنين جُعِلت فداكِ في الدنوّ منك؟ قالت: تجرّدْ. وأشارت إلى ثيابها كأنّها تريد أن تتجرّد، فكدتُ أن أشقّ ثيابى عجلةً للخروج عنها،

(١) أريغ: أحاول. وفي بعض النسخ: «أريع» وهذا صوابه. وفي ن: «أريد».

(٢) هو من قولهم: سهم عائر: لا يدرى من رماه.

(٣) ن: «خجلا وشوقا».

فتجرّدتُ وقمتُ بين يديها مُكَفِّراً لها[1]. قالت: امض إلى زاوية البيت، وأقبِلْ وأدبر حتى أراك مقبلاً ومدبرا. قال: وإذا حَصيرٌ فى الغرفة عليه طريقٌ إلى زاوية البيت، فأخطِر عليه، وإذا تحتَه خَرْقٌ إلى السُّوق، فإذا أنا فى السُّوق قائما متجرِّدا مُنعِظا، وإذا الشَّيخانِ الشاهدان قد أعدَّا لى نِعالَهما، وكمنا لى فى ناحيةٍ، فلما هبطت عليهما بادرَا إلىّ فقطّعا نعالها على قَفَاى، واستعانا بأهل السُّوق، فضُرِبتُ والله يا أبا محمد حتى نسِيت اسمى، فبينا أنا أُضرَبُ بنعالٍ مخصوفةٍ وأيدٍ شديدة[2]، فإذا صوتٌ من فوق البيت يغنى به، وهو:

ولو علم المجرّد ما أردنا   لخاضَ لنا المجرّدُ بالصّحارى

فقلت فى نفسى: هذا والله وقتُ هذا البيت، فنجَوت إلى رحلى، وما فىَّ عظمٌ صحيح، فلما انقضى حجُّنا وانصرفنا جعلتُ طريقى على ذلك الموضع فسألتُ عنها فقيل لى: إنها امرأةٌ من آل أبى لهَب. فقلت: لعنَها الله ولعن الذى هى منه.

حديث صاحبة الرَّبِّ[3]

قال إسحاق: حدّثنى أبو السّمراء قال:

حججت فبدأتُ بالمدينة، فإنى لمنصرفٌ من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امرأةٌ بفِناء المسجد تبيع من طرائف المدينة، وإذا هى فى ناحيةٍ وحدَها، قد قام عنها مَن كان يَجلس إليها، وإذا هى ترجّع بصوتٍ خفىٍّ شجىٍّ، فالتفتُّ فرأيتُها، فقالت: هل مِن حاجة؟ قلت: تَزِيدين فى السّماع. قالت: وأنت قائم؟ لو قعدت! فقعدتُ كالخجل فقالت: كيف عِلْمك بالغناء؟ قلت: علمٌ لا أحمَده.

(١) التكفير: إظهار الخضوع والتعظيم. (٢) فى بعض النسخ: «مشدودة».
(٣) انفردت نسخة ن بإثبات هذا الحديث. وقد سبق فى ص ٦٩ من هذا الجزء. ولكنا آثرنا إثباته مع تكرره لما تقتضيه أمانة النشر، ولما به من بعض الخلاف لما سبق، وما أضفنا إليه من التعليقات.

قالت : فعلامَ أنفُخ بلا نار ؟ وما منَعَك من معرفته ، فوالله إنّه لسَحُوري وفَطُوري . قلت : وكيف وضعتِه بهـذا الموضع العالى ؟ قالت : يا عَير ، وله موضع يوضع به وهو من عُلوّه فى السماء الشاهقة ؟ قلت : وكلُّ هؤلاء النسوة التى أرى على مثلِ رأيك وفى مثلِ حالِك ؟ قالت : فيهنّ وفيهنّ ، ولى من بينهنّ قِصّــة . قلت : وما هى ؟ قالت : كنت أيّامَ شبابى وأنا فى مثل هذه الخِلقة التى تَرى من القُبح والدمامة والأُدْمة[(١)] ، وكنت أشتهى النَّيك شهوةً شديدة ، وكان زوجى شابًّا وضيًّا، وكان لا ينتشر علىّ حتى أتحِفَه وأطيّبه وأُسكره ، فأضرّ ذلك بى ، وكانت عِلقَته امرأةُ قصّارٍ تجاورنى ، فزاد ذلك فى غمّى ، فشكوت إلى جارةٍ لى ما أنافيه وغلَبةَ امرأةِ القصّار على زوجى فقالت : أدلُّكِ على ما يُنهِضُه عليك و يردُّ قلبَه إليك ؟ قلت : وابأبى أنت ، إذاً تكونى أعظمَ الخلق مِنّةً علىّ . قالت : اختلفى إلى « مُجمِّع » مولى آل الزُّبير فإنّه حسن الغناء ، فاعلَقِى من أغانيه أصواتا عشرة ، ثم غنِّى بها زوجك فإنّه ينيكك بجوارحه كلها . قالت : فألظظت بمجمِّع[(٢)] فلم أفارقه حتى رضينى حَذاقةً ومعرِفة ، فكنت إذا أقبل زوجى من مَهنته اضطجعتُ فرفعتُ عقيرتى ، فإذا غنَّيت صوتا بتَّ على زبّ ، وإن غنيت صوتين بتُّ على زُبّين ، وإن ثلاثةً فثلاثة .

فكنا كندَمانَىْ جَذِيمة حِقبــةً ... من الدّهر حتى قيل لن يتصدّعا[(٣)]

قال : فضحكتُ والله حتى أمسكتُ على بطنى وقلت : يا هذه ، ما أظنّ الله خلَقَ مثلَك . قالت : اخفِضْ من صوتك . قلت : ما كان أعظمَ منّةَ صاحبة الشُّورى عليك . قالت : حسبى بها منّةً ، وحسبُك بى شاكرةً . قلت : ففى قلبك من تلك اللَّوعة شىء ؟ قالت لَذْعٌ فى الفؤاد ، فأمّا تلك الغُلْمة التى كانت

(١) الأدمة : السمرة ؛ رجل آدم وامرأة أدماء .

(٢) الإلظاظ : الملازمة .

(٣) الرواية فيه : « وكنا كندمانى » . والبيت من قصيدة متمم بن نويرة التى يرثى بها أخاه مالك بن نويرة . المفضليات (٢ : ٦٣ — ٧٠) طبع المعارف .

تُنسينى الفريضة وتقطعُنى عن النّافلة ، فقد ذَهبَ تسعةُ أعشارها . قال : فوقفتُ عليها وقلت : ألك حاجة أن أرُمّ بعضَ حالك[1] ؟ قالت : أنا فى قائتٍ من العيش[2] . فلما نهضتُ لأقومَ قالت : على رِسْلك ، لاتنصرفْ خائبا . ثم ترنّمتْ بصوتٍ تُخفيه من جاراتها :

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَن يبيعنى   بها كبداً ليست بذات قروح[3]
أبى الناسُ أن يرضَوْا بها يشترُونها   ومَن يشترِى ذا عُرّة بصحيح[4]

ثم قالت : انطلق لطِيّتك ، صحبتك السّلامة .

خبر الهاشمى مع المضحك[5]

وحــدث أبو عبد الله بن عبد البرّ المزَنىّ بمصر ، قال : حدّثنى إسحاق ابن إبراهيم الموصلى ، عن الهيثم بن عدىّ ، قال :

كان بالمدينة رجلٌ من بنى هاشم ، وكان له قينتانِ يقال لإحداها جُؤذَر ، وللأخرى رشَأ ، وكان يعجبه السماع ، وكان بالمدينة مُضحِك يُغِبُّ مجالس المتظرّفين ، ومواضعَ المُلْهِين ، فأرسل إليه الهاشمىُّ ذاتَ يوم ليضحك منه ، فلما جاءه قال له المضحِك : إنك أصلحك الله فى لذّتك ، ولا لذّة لى . قال له : وما لذّتك ؟ قال تُحضرنى نبيذاً فإنه لا يطيب لى عيشٌ إلا به . فأمر الهاشمىّ بإحضار نبيذ ، وأمر أن يطرح فيه سكَّر العُشَر[6] ، فلما شرِبه المُضحك تحرّك عليه بطنُه وتناوم

(١) رم حاله : أصلحها .
(٢) القائت : القوت ، وهو المسكة من العيش والبلغة .
(٣) البيتان لابن الدمينة فى ديوانه ٢٥ وأمالى القالى (٢ : ٢٥) . وهما من أصوات الأغانى (٥ : ٣٥) .
(٤) العرة : الجرب . والرواية المشهورة : « ذا علة » .
(٥) سبق هذا الخبر أيضا فى ص ٧١ . ورأينا تكراره مساوقة للنسخة ن ، ولعل صاحب العقد قصد أن يجعل القصة فى باب الغناء ، ثم يعيدها فى باب الملح . ويرى القارئ بين هذا النص وسابقه بعض الخلاف .
(٦) العشر : من العضاه وكبار الشجر ، له صمغ حلو ، وسكر يخرج من شعبه وزهره ، وفى سكره شىء من مرارة .

الهاشميّ وغمزَ جواريَه عليه ، فلما ضاق عليه الأمر واضطُرّ إلى التبرّز قال فى نفسه : ما أظنّ هاتين المغنيتين إلا يمانيَّتين ، وأهل اليمن يسمُّون الكُنُف المراحيض . قال لهما : يا حبيبتىّ أينَ المرحاض ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يقول : غنّيانى :

رحضتِ فؤادى فمنّيتِنى أهيمُ من الحبِّ فى كلِّ وادِ

فاندفعتا تغنّتاه فقال فى نفسه : لم تفهما والله عنّى ، أظنّهما شاميّتين ، وأهلُ الشام يسمُّونها المَذَاهب . قال : ياحبيبتىّ ، أينَ المَذْهب ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن يغنَّى :

ذهبتَ من الهِجران فى كلِّ مذهبِ ولم يك حقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ [1]

فغنتاه الصوتَ فقال فى نفسه : لم يَفهما عنى ، ما أظنهما إلا مدنيَّتين ، وأهلُ المدينة يسمونها بيت الخلاء . قال : يا حبيبتىّ ، أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن يغنَّى :

خلَّى علىّ جوَى الأحزان إذ ظَعَنا من بَطْنِ مكّة والتسهيدَ والحزَنا

قال : فغنتاه فقال فى نفسه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسبهما الفاسقتَين إلا بصريتين ، وأهل البَصرة يسمونها الحُشوش . قال : يا حبيبتىّ أين بيت الحُشّ ؟ قالت إحداهما للأخرى : ويلكِ مايقول ؟ قالت : يسأل أن يُغنى :

أوحَشَ الحِشّانُ فالرَّبعُ منها فمناها فالمنزل المعمورُ [2]

فرفعا عقيرتَيهما تغنّيانه فقال : ما أراهما إلا كوفيّتين ، وأهل الكوفة يسمُّونها الكُنُف . فقال : يا حبيبتىّ ، أين يكون الكنيف ؟ قالت إحداهما للأخرى : يعيش سيِّدنا ، هل رأيتَ أكثرَ اقتراحًا من هذا الرجُل أفهميني مايقول ؟ قالت : يقول غنّيانى :

(١) مطلع قصيدة لعلقمة الفحل فى ديوانه ١٣٣ من مجموع خمسة دواوين .
(٢) الحشان ، بكسر الحاء : جمع حش بالضم ، وهو أطم بالمدينة . ياقوت .

تكنَّفنى الهوى طفلا   فشيَّبنى وما اكتهلا

قال : فغلبه بطنُه ، وعلم أنهما تَوَلَّعان به(١) ، والهاشمى يتقطَّع ضحكا ، فقال : كذبتما يا زانيتان ، ولكنى أُعلمكما ما هو ؟ فرفع ثيابه فسلَحَ عليهما ، فانتبه الهاشمىّ فقال : سبحان الله ، أتُحدِث على وِطائى(٢) ؟ فقال : الذى خرج من جَوفى أعزُّ علىّ من وطائك ، إنّ هاتين القَحْبتين حَسبتا أنما أسأل عن الحُشِّ للضُّراط ، فأردتُ أنْ أعْلمهما ما هو ؟

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق : وأصابنا بالبَصرة ليلاً مطرٌ جَود ، فلما أصبحتُ ركبت بغلةً لى وسرت إلى المِربد ، فإذا أنا بآثار دوابٍّ قد خرجَتْ إلى ناحية البرّيّة ، فظننتُ أنّهم قومٌ خرجوا للنُّزهة ، وهم خُلقاء أن تكون معهم سُفرة ، فاتّبعت آثارَهم حتى انتهيتُ إلى بغالٍ عليها رحائل ، موقوفةٍ على غدير ، فأسرعت إلى الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقِعاتٌ فى الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قطُّ ، ولا يومَ دارةِ جُلجُل . وانصرفتُ مستحيًا ، فنادينَنى : يا صاحبَ البغلة ، ارجعْ نسألْك عن شيء . فرجَعت إليهنّ فقعَدْن فى الماء إلى حلوقهنّ ، ثم قلن : بالله إلاّ ما أخبرتَنا ما كان من حديث دارةِ جلجل . قلت :

حدّثنى جدِّى ، وأنا يومئذ غلامٌ حافظ ، أنّ امرأ القيس كان عاشقًا لابنة عمٍّ ، ويقال لها : عُنيزة ، وأنه طلبها زمانًا فلم يصل إليها ، حتى كان يومُ الغدير ، وهو يوم دارة جُلجُل . وذلك أنّ الحىّ تحملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخَدَم والثَّقَل(٣) . فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعد ما سار مع رجالِ

---

(١) يقال ولع به يولع ، إذا لج فى أمره وحرص على إيذائه .

(٢) الوطاء ككتاب وسحاب : خلاف الغطاء ، أى ما يفترشه النائم ، كنى به عن جاريته .

(٣) الثقل ، بالتحريك : متاع المسافر وحشمه .

قومِه غَلْوة ، فكمن فى غَيابة من الأرض ، حتى مرّ به النساء وفيهنّ عنيزة ، فلمّا ورَدْن الغدير قلن : لو نزلْنا فاعتسلْنا فى هذا الغدير ، فيذهب عنا بعضُ الكلال ! فنزَلْن فى الغدير ، ونحّين العبيد ، ثم تجرّدْن فوقعن فيه(١) ، فأتاهنّ ٤٢٦/٣ امرؤ القيس فأخَذَ ثيابَهنّ ، فجمَعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أُعطى جاريةً منكنّ ثوبَها ، ولو قعدَتْ فى الغدير يومَها ، حتى تخرجَ متجرّدةً فتأخذَ ثوبها . فأَبَيْنَ ذلك عليه حتى تعالَى النّهار ، وخَشِين أن يقصّرن عن المنزل الذى يُرِدْنه(٢) فخرجْنَ جميعاً ، غيرَ عنيزة : فناشدَتْه الله أن يطرَح ثوبَها فأبى ، فخرجَتْ فنظر إليها مُقبلةً ومدبرة ، وأقبَلْن عليه ، فقلن له : إنّك عذّبْتَنا وحبستنا وأجَعتنا . قال : فإنْ نحرتُ لكنّ ناقتى أتأكلْن منها(٣) ؟ قلن : نعم . فجرّد سيفَه فعرقَبها(٤) ونحرَها ثم كشَطَها ، وجمع الخدمُ حطباً كثيراً ، فأجَّجن ناراً عظيمة فجعل يقطع أطايبَها ويُلقِى على الجمر ، ويأكلْن ويأكلُ معهنّ ، ويشرب من فضلةٍ كانت معه ويَسقِيهن(٥) ، وينبذ إلى العبيد من الكباب . فلمّا أرادوا الرّحيلَ قالت إحداهنّ : أنا أحمِل طنفستِه . وقالت الأخرى : أنا أحمل رَحْلَه وأنساعه(٦) ، فتقسّمْن متاعَه وزاده . وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً(٧) . فقال لها : يا ابنة الكرام ، لا بدّ أن تحمليني معك ، فإني لا أُطيق المشي . فحملَتْه على غاربِ بعيرها ، فكان يجنَح إليها فيُدخِل رأسَه فى خِدرها فيقبّلها ، فإذا امتنعَتْ مال حِدجُها ، فتقول : عقرتَ بعيرى فانزل ! ففى ذلك يقول :

ويومَ عَقرتُ للعذارَى مطيّتى فيا عجبا من رَحْلها المتحمّلِ

---

(١) فى بعض النسخ : « توقفن فيه » .
(٢) الكلام بعده إلى « ثوبها » ساقط من ن .
(٣) فى بعض النسخ : « أتأكلن معى » .
(٤) ن : « فخرط سيفه » ، وإنما يقال : « اخترط » .
(٥) ن : « ويغنيهن » .
(٦) الأنساع : جمع نسع ، بالكسر ، وهو سير ينسج عريضا تشد به الرحال .
(٧) ن : « لم يحملها شيئا » .

فظلّ العذارَى يرتمين بلحمها ... وشحمٍ كهُدّاب الدّمَقس المفتّلِ
ويومَ دخلتُ الخدرَ خدرَ عنيزةٍ ... فقالت لك الويلاتُ إنّك مُرجِلِى
تقول وقد مال الغَبيط بنا معاً ... عقرتَ بعيرى يا امرأ القَيس فانزل
فقلت لها سيرى وأرخى زِمامَه ... ولا تُبعدينى من جَناك المُعلَّلِ

وكان الفرزدق أروَى الناس لأخبار امرئ القيس وأشعاره . وذلك أنّ امرأ القيس رأى من أبيه جَفوة ، فلحق بعمّه شُرَحْبيلَ(١) بن الحارث ، وكان مُسترضَعا فى بنى دارم ، فأقام فيهم ، وهم رَهطُ الفرزدق .

خبر دعبل وصريع الغوانى

حدّثنا أبو سُويد بن أبى عَتاهية ، عن دِعبل بن علىّ الشّاعر ، قال :

بينا أناذاتَ يوم بباب الكَرخ وأنا سائرٌ ، وقد احتوى الفِكر على قلبى فى أبيات شعر ، قد نَطق بها اللّسان ، عَلَى غير اعتقادِ جَنان ، فقلت :

دُموع عينى لها انبساطُ ... ونومُ عينى به انقباضُ

فإذا أنا بجارية رائعة الجمال فائقة الكمال ، حَوراء الطَّرف ، يَقصُر عن نعتها الوصف ؛ لها وجهٌ زاهر ، ونُورٌ باهر ، فهى كما قال الشّاعر :

كأنّما أُفرغت فى قِشر لُؤلؤة ... فى كُل جارحةٍ منها لها قَمرُ

وهى تسمع قولى ، فاعترضت فقالت(٢) :

هــذا قليلٌ لمن دهتْه ... بلحظها الأعينُ المِراضُ

فأجبتُها فقلت :

فهــل لمولاىَ عطفُ قلبٍ ... أو للّذى فى الحَشا انقراضُ

فأجابتنى ، فقالت :

(١) فى بعض النسخ : « شراحيل » .
(٢) فى بعض النسخ : « وهى تسمعنى فقالت » .

إنْ كنتَ تبغِي الودادَ منَّا فالودُّ فى دِيننا قِــــراضُ(١)

قال دِعبل : فلا أعلمنى خاطبتُ جاريةً تقطِّع الأنفاسَ بعُذوبة ألفاظها ، وتختلس الأرواحَ ببراعة مَنطقها ، وتُذهِل الألباب برخيم نَغمتها ؛ مع ملاحة خدّ(٢) ، ورشاقة قد ، وكمال عقل ، و براعة شَكل ، واعتدال خَلْق . فحار البصر ، وذهبَ اللُّبّ ، وجلّ الخَطب ، وتَلجلَج اللِّسان ، وتعلّقت الرِّجلان(٣) ، وما ظنك بالحَلْفاء إذْ دنَتْ من النار(٤) . ثم ثاب إلىّ عقلى ، وراجعَنى حلمى ، فذكرتُ قول بشّار : ٤٢٧/٣

لا يمنعنَّك من مخــــدَّرة قولٌ تُغلِّظه وإن جرَحا(٥)

عُسْر النساء إلى مُيـاسرة والصَّعبُ يمكن بعدما جَمحا

هذا لمن حاولَ مادونَ الطَّمع فيه اليأس منه ، فكيف بمن وعد قبل المسألة ، وبَذَل قبل الطَّلبة . فقلت مُسمِعاً لها :

أترى الزَّمان يسُرُّنا بتلاق ويضُم مُشتاقاً إلى مُشتاق

فقالت مُجيبةً لى فى أسرع من نَفَس(٦) :

ما للزَّمان يُقال فيــه وإنما أنت الزَّمان فسُرّنا بتلاقِ

قال دِعبل : فلحظتُها فتبعتْنى وذلك فى أيّام إملاقى ، فقلت : مالى إلاّ منزل مُسلِم صريع الغوانى ، فسِرتُ إلى بابه ، فاستوقفتُها وناديته ، فخرج ، فقلت له: أجِل لك الخبَر : معى وجهٌ صبيحٌ يَعدِل الدنيا بما فيها(٧) ، وقد حصل علىّ

(١) أى مقارضة ومجازاة . ن : فى « ودنا قراض » .

(٢) بدله فى بعض النسخ : « مع تلاعة جيد » . والتلاعة : الطول .

(٣) فى بعض النسخ : « وتعلت الرجلان » .

(٤) ن : « أدنيت » .

(٥) كان هذان البيتان سببا فى مقتل بشار . انظر القصــة فى المختار من شعر بشار ١٠٦ ، ١١٤ .

(٦) ن : « من نفسى » .

(٧) ن : « وجه تقلى له الدنيا بما فيها » .

ضيقةٌ وعسر . فقال : لقد شكوتَ ما كدتُ أبادرُك بشكواه ، ايت بها . فلمّا دخلت قال : لا والله ما أملك غير هذا المنديل . فقلت : هو البغية فناولنيه . فقال : خُذهُ لا باركَ الله لك فيه . فأخذتُه ، فبعتُه بدينارٍ عينٍ وكَسر ، فاشتريتُ لحماً وخُبزاً ونَبيذا ، وصرت إليه ، فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه قطع الرّوض المطور . قال : ما صنعتَ ؟ فأخبرته . قال : كيف يَصلُح طعامٌ وشراب وجلوسٌ مع وجه نظيف بلا نُقْل ولا رَيحان ولا طِيب ؟ أذهبْ فألطِف لتمام ما جئت به . قال : فخرجتُ فاضطربتُ فى ذلك حتّى أتيتُ به ، فألفيت بابَ الدّار مفتوحا ، فدخلتُ فإذا لا أرى لهما ولا لشىء مما أتيتُ به أثراً ، فسُقِط فى يدىّ وقلت : أرى صاحبَ الرّبع أخذهما . فبقيتُ متلهّفاً حائراً أرجُم الظُّنون ، وأُجيل الفكر سائرَ يومى . فلما أمسيتُ ، قلت يا نفسى(١) : أفلاَ أدور فى البيت لعلّ الطلب يُوقفنى على أثر ؟ ففعلت ، فوقفتُ على باب سردابٍ له ، وإذا هما قد هَبطا فيه ، وأنزلا معهما جميعَ ما يحتاجان إليه ، فأكلا وشربا وتنعّما . فلما أحسستُهما دلّيت رأسى ، ثم ناديت : مسلم ، ويلك ! فلم يُجبنى حتى ناديت ثلاثا . فكان من إجابته لى أن غرّد بصوتٍ يقول فيه :

بتُّ فى دِرعها وباتَ رفيقى جُنُبَ القَلْب طاهرَ الأطرافِ

ثم قال دعبل : ويلك ! مَن يقول هذا ؟ قلت :

مَن له فى حِرِ امّهِ ألفُ قرن قد أنافت على عُلوٍّ منافِ

قال : فضحِكا ثم سكتا ، واستجلبتُ كلامهما فلم يُجيبانى ، وأخذا فى لذّتهما ، وبتُّ بليلةٍ يقصر عمرُ الدهر عن ساعةٍ منها طولاً وغمّا وهمًّا ، حتى إذا أصبحت ولم أكَدْ خرج إلىّ مسلمٌ ، فجعلت أؤنّبه ، فقال لى : يا صفيقَ الوجه ، منزلى ومنديلى وطعامى وشرابى ، فما شأنُك فى الوَسط ؟ قلت له : حق القيادة والفُضول والله لا غير ! فولّى وجهَه إليها ، وقال : بحياتى إلاّ أعطيته حقّ قيادته

(١) فى بعض النسخ : « فى نفسى » .

ونُضوله . فقالت : أما حق قيادته فَمرْكُ أذنه ، وأما حق فضوله فصَفْع قفاه . فأستقبلنى مسلم فعرك أذنى وصَفَعنى . فقلت : ما هذا ؟ فقال : جرى الحكمُ ٤٢٨/٣ عليك بما جَرى لك من العذْل والاستحقاق .

***

حدثنا عيسى بنُ أحمد الكاتب قال : قال لى الحسين بن الضّحاك :

خبر الحسين بن الضحاك وشفيع خادم المتوكل

دخلتُ على جعفرٍ المتوكّل ، وشفيعٌ الخادم ينضّد ورداً بين يديه ، ولم نَعرِف فى ذلك الزمان خادماً كان أحسنَ منــه ولا أجمل ، وعليه ثياب مورّدة ، فأمره أن يسقينى ويَغمزَ كفّى . ثم قال لى : يا حُسين ، قُل فى شَفيع . وكان قد حيّا المتوكّل بوردة ، فجعل المتوكّل يشرب ويَشَمّ الوردة ، فقلت :

فيا وردةً جاءت إلينــا بحمرةٍ ... مِن الورد تمشى فى قَراطقَ كالوَرْدِ[1]
ويَغمِز كـفّى عند كُلِ تحيّةٍ ... بكفّيه يستدعى الشّجىّ إلى الورد
سقـانى بكفّيه وعَينيه شربةً ... فأذكَرنى ما قد نَسيتُ من العهدِ
سقَى الله دهراً لم أبِتْ فيــه ليلةً ... من الدّهر إلا مِنْ حبيب على وعد

فأمر المتوكل شفيعاً أن يسقينى وخاصّة ، وبعث معــه إلىّ بتحايا فى عبير وشمّامات[2] .

خبر محمد بن عبد الملك مع خادم المتوكل شفيع

وذكروا أنّ محمد بن عبــد الملك الزيات وزيرِ المتوكل كان يعشَق خادماً للمتوكّل يقال له شَفيع ، وكان الحسنُ بن وَهب كاتبُه كلِفاً بذلك الخادم ، فلقيه الحسنُ بن وهب يوماً ، فسأله عن خبره ، فأخبره أنّه يُريد أن يَحتجم ، فلم تَبقَ بالعراق غريبةٌ إلاّ بعث بها إليــه ، ولا طَريفاً من الأشربة إلّا أدخله عليه ، وكتب إليه بهذه الأبيات :

ليت شِعرى يا أملحَ الناسِ عِندى ... هل تَعالجتَ بالحِجامة بعــدى

(١) القراطق : جمع قرطق ، بضم القاف وفتح الطاء وضمها ، وهو القباء .
(٢) فى القاموس : « الشمامات : ما يتشمم من الروائح الطيبة » . وفى بعض النسخ : « تحافا فى عنبر وسماها » ، تحريف .

دفع الله عنك لى كل سوء   باكر رائح وإن خنت عهدى[(١)]
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جُهدى   فَفَشا منه بعضُ ما كنت أبدى
وخلعتُ العِذار فليعلم النا   سُ بأنى إيّاكَ أصفى بودّى
مَن عذيرى من مُقلتيك ومن إشْ   راق وجهٍ من حولِ حُمرة خدٍّ

فصادف رسولَه رسول محمد بن الزيات الوزير ، فرأى رقعة الحسن ، فاحتال حتّى أخذها ، وأوصلها إلى الوزير محمد بن عبد الملك . فلمّا قرأها كتب إلى كاتبه الحسنِ بن وَهب :

ليت شِعرى عن ليت شِعْرك هذا   أبهَزْل تقولُه أم بجِدّ
فلئن كان ما تقولُ بجِدٍّ   يا ابن وهب لقد تفتّيت بعدى
وتشبّهتُ بى وكُنتُ أرى أنْ   ى أنا الهائم المتيّم وَحْدى
أتركُ القصدَ فى الأمور ولولا   غَمَرات الصِّبا لأبصرتُ قَصْدى[(٢)]
سيّدى سيّدى ومَولاى ومَن أل   بسنى ذلّةً وأضرع خدّى[(٣)]
لا أحبُّ الذى يلوم وإن كا   ن حريصاً على صَلاحى ورُشدى
وأحبُّ الأخ المُشارِك فى الحُبّ   وإن لم يكن به مِثلُ وَجْدى
كصديقى أبى علىّ وحاشَى   لصديقى مِن مِثل شِقْوة جَدّى[(٤)]
إنّ مولاى عبدُ غيرِى ولولا   شُؤم جدّى لكان مولاى عَبْدى

فلما التقى ابن الزيات الوزيرُ وكاتبُه الحسن بن وهب فى بيت الديوان تداعبا فى ذلك[(٥)] ، وسأله ابنُ الزيات أن يتجافَى له عنه ، فقال له الحسن : طاعتك

(١) هذا البيت من ن فقط .
(٢) فى بعض النسخ : « لا أرى القصد » ، وما أثبتنا من ن يطابق رواية ديوان محمد ابن عبد الملك الزيات ص ١٩ طبع مطبعة نهضة مصر ١٩٤٩ .
(٣) فى بعض النسخ : « وأخلف وعدى » . وما أثبتنا عن ن يطابق رواية الديوان .
(٤) ن : « كصديق آتى » وما أثبتنا من سائر النسخ يطابق رواية الديوان .
(٥) ن : « اعبا كذلك » بدون إعجام .

واجبة فى المحبوب والمكروه، ولكن الرئيس أدام الله عزّه كان أولى بالتفضل . فقال له ابنُ الزيات : هيهاتَ ، هذه علّة نفسانية تؤدّى إلى التّلف ، فتنحّ عن نَصيبك منّى . فقال الحسن : إن كان هذا هكذا سمعنا وأطعنا . وأنشد :

٤٢٩/٣ شَهيدى على ما فى فؤادى من هَوًى دُموعٌ تُبارِى المُستهلَّ من القَطْرِ
وأسلمَنى من كان بالأمس مُسْعِدى وصار الهوى عوناً علىّ مع الدهر

المتوكل وعلى بن الجهم

قال علىُّ بن الجهم : دخلتُ يوماً على المتوكّل ، فقال لى : يا علىّ . قلت : لبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : دخلتُ الساعةَ على قَبيحة ، وقد كتبت بالمسك فى خدِّها اسمى[1] ، فوالله ما رأيتُ سواداً فى بياض أحسنَ منه فى ذلك الخدّ ، فقل فيه شعرا . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أمظلومةٌ معى ؟ قال : نعم ، ومظلومةٌ خلف سِتارةٍ ، فدعت بدواة و بدرت بالقول ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمِسك فى الخدّ جَعفرا بنفسىَ خطُّ المِسك من حيث أثّرا
لئن أودعت سطراً من المِسك خدَّها لقد أودعَتْ قلبى من الحُبّ أسطُرا
فيامَن لمملوك تملَّك مالكاً مُطيعا له فيما أسرّ وأظهرا
ويامَن مُناها فى السرائر جعفر سَقى اللهُ مِن صَوْبِ الغَمامة جعفرا

قال : فأُفحِمتُ فلم أنطق ، وتغلّبت علىّ خواطرى[2] فما قدَرت على حَرفٍ أقوله ، وضحك أمير المؤمنين .

بين الرشيد والأصمعى

الأصمعىّ قال : دخلت على هارون الرشيد ، و بين يديه جاريةٌ حَسناء ، عليها لِمّة جعدة ، وذُؤابة تَضرب الحِقْوَ منها ، وهلالٌ بين عَينيها مكتوبٌ عليه بالذهب : « هذا ما عُمِل فى طِراز الله » . فقال : يا أصمعىُّ ، صِفْها . فأنشأتُ أقول :

كِنانيّة الأطراف سَعْديّة الحشَا هِلاليّة العَينين طائيّة الفَم

(١) فى بعض النسخ : « كتبت على خدها بالمسك » .
(٢) فى ن : « وتلفت على خواطرى » .

لها حُكم لقمان وصُورة يُوسف ونغمة داود وعِفّـــة مَريَمِ

فقال : أحسنتَ والله يا أصمعى . فهل عرفتَ اسمها ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين . فقال : اسمها دنيا . قال : فأطرقت ساعة ثم قلت :

إنَّ دُنيا هى التى تسحر العين سافره[1]

ظلموها شطر إسمها فهى دُنيا وآخِـرَه

قال الأصمعى : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

الرشيد وإسحاق الموصلى

إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : دخلتُ على الرشيد ، وعنده جارية قد أُهديت إليه ، ماجنة شاعرة أديبة ، و بين يديه طَبق فيه ورد ، فقال : يا إسحاق ، أما ترى ، ما أحسن هـذا الورد ونُضرةَ لونه ! قلت : بلى والله حَسُن ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : قل فيه بيتاً يشبهه . فأطرقتُ ساعة ، ثم قلت :

كأنه خَدّ مَوْموقٍ يُقَبِّله فَمُ الحبيب وقد أبدى به خَجلا[2]

فاعترضتنى الجارية فقالت :

كأنّه لونُ خدِّى حين تَدفعنى كفُّ الرّشيد لأمرٍ يُوجب الغُسُلاَ

فقال الرّشيد : قم يا إسحاق ، فقد حرّكتنى هذه الفاسقة .

وحدثنا أيضا قال : كان هارون الرّشيد جالساً بين جاريتين من جواريه ، فقال لهما : من يَبيت عندى هذه الليلة منكما ؟ فقالت إحداها : أنا . فقالت الأخرى : لا ، بل أنا . فقال للأولى : ما حُجّتك فيما أدعيت ؟ قالت : قولُ الله يا أمير المؤمنين : (والسّابقون السابقون . أولئك المُقرّبون) . ثم قال للثانيـة : وما حُجّتك أنت ؟ قالت : قول الله : (وللآخرة خيرٌ لك من الأولى) . فقال : لتقُل كل واحدة منكما شـعراً فى الغزَل ، فمن كانت أرق شـعراً باتت عندى . فقالت الأولى :

(١) فى بعض النسخ : « تملك القلب قاهره » .

(٢) ن : « فم المحب فما أبقى به خجلا » .

٤٣٠/٣

أنا التى أمشى كما يمشى الوَجِى   يكاد أن يَصرعَنى تغنُّجى[(١)]
مِن جنّــة الفِردوس كان مَخرجى

وقالت الأخرى :

أنا التى لم يَر مثــلى بَشرُ   كلامىَ اللؤلؤُ حين يُنثَرُ
أسحَرُ من شئتُ ولستُ أُسحَر   لو سمع النــاسُ كلامى كَفَّروا[(٢)]

فقال لهما : قد أحسنتما وأجَدْتُما ، وما لواحدةٍ منكما فَضيلةٌ على صاحبتها ، ولــكنِّى أبيت بينكما[(٣)] .

قصة الرشيد وجاريتيه

أخبرنا أبو الطَّيِّب الكاتب أنّ أمير المؤمنين هارون الرشــيد كان ليلة بين جاريتين : مدنيّةٍ وكوفية ، فجعلت الــكُوفية تَغمز يديه ، والمدنيَّة تغمز رجليه ، فجعلت المدنيــة ترتفع إلى فخذيه حتّى ضربت بيدها إلى متاعه ، وحرّكته حتى أنعظ ، فقالت لها الــكوفية : وَيحكِ نحنُ شركاؤكِ فى البضاعة ، وأراك قد أنفردتِ دوننا برأس المال وحدك ، فأديلينى منه . قال : فقالت المدنية : حدثنا مالك عن هشام بن عُروة عن أبيه أنه قال «من أحيا مَواتاً فهو له ولعقبه» . قال : فاستغفلتها الــكوفيّةُ ودفعتْها ، ثم أخذته بيديها جميعاً ، وقالت : حدثنا الأعمش عن خَيثمة عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : « الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » .

المتوكل وجارية محمود الوراق

أخبرنا الأنطاكى[(٤)] أنّ المتوكل على الله طلب من محمودٍ الورّاقِ جاريةً مُغنّية ، وأعطاه بها عشرة آلاف دينار فأبى ، فلما مات محمود أشتراها فى ميراثه بخمسة آلاف ، وقال لهــا : كُنّا قد أعطينا مولاكِ بك عشرة آلاف ، وقد أشتريناك مِن ميراثه بخمسة آلاف . قالت : يا أمير المؤمنين ، إذا كانت الخلفاء

---

(١) التفنج : الشكل والدل . فى بعض النسخ : « تفحجى » .
(٢) التكفير : إظهار التعظيم والإجلال .
(٣) فى بعض النسخ : « ولــكن أبيت معكما » .
(٤) فى بعض النسخ : « الأنماطى » .

تتربّص بلذّاتها الوَاريث فسنشترى بأرخص مما أشتريت .

الرشيد وجارية من جواريه

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : لاعب هارون الرشيد جاريةً من جواريه على إمرة مُطاعة ، فقمرتْه فقال لها : تمنَّىْ . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرتْه فقال لها : تمنَّىْ . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ثم لاعبها فقمرتْه فقال لها : تمنَّىْ . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته فقال : تمنَّىْ . فقالت : المُعاودة . فغَشيها ، ثم لاعبته فقمرته ، فقالت : قم لميعادك . فقال : لا أقدر على ذلك . قالت : فاكتبْ لى به عليك كتاباً أن آخذك به متى شئت . قال : ذلك لك . فدعتْ بدواة وقرطاس وكتبت : « هذا كتاب فُلانةَ على مولاها أمير المؤمنين : إنّ لى عليك فرضاً آخذه متى شئت وأنّى شئت من ليل أو نهار » . وكان على رأسها وصيفة لها ، فقالت : تزيّدى ياسيدتى فى الكتاب ؛ فإنّك لا تأمنين الحِدْثان ، ومن قام له بهذا الذِّكر حقٌّ فهو ولىُّ ما فيه . فضحك الرّشيد حتى استلقى على فراشه ، واستطرفها ، وأمر أن تُنزل مقصورة ، وأن يُجرَى لها رزقٌ سنىٌّ ، وشُغف بها . ويقال : إنها « مَراجل » أمُّ المأمون .

بين الأمين وجلسائه

تنفّس محمد بن هارون الأمين يوماً فى مجلسه أيام الحِصار ، فالتفتَ إلى جليسٍ له ، وهو محمد بن سلاّم صاحب المظالم ، فقال له : ويحك يا محمد ، أتدرى[1] ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرتَ قول الشاعر :

ذَكر الهوى فتَنفّسَ المُشتاقُ ‏ ‏ وبدا عليه الذّلّ والإطراقُ

يا مَن يُصبِّرنى لأصبر بعده ‏ ‏ الصبرُ ليس يُطيقُهُ العشّاق

فقال : لا والله ما نكأْتها[2] . ثم التفت إلى جليس له آخر ، فقال له : ويحك أتدرى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ذكرتَ قولَ [ابن] الأحنف[3] :

(١) فى بعض النسخ : « أترى » .

(٢) يقال : نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ . أراد : لم تقع على القرحة .

(٣) هو العباس بن الأحنف . انظر ديوانه ص ٢٧ .

تذكَّرت بالرَّيحان منــكِ شمائلاً وبالرَّاح عذْبا من مُقبَّلكِ العَذْبِ

فقال : لا والله مانكأْتَها ، ثم التفت إلى كوثر الخادم ، فقال له : ويحك ! أتدرى ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرتَ قول أبن نُفيلة الغسّانى : ٤٣١/٣

إن كان دهرٌ بنى ساسان فرّقهمْ فإنما الدهر أطــــوارٌ دهارير[1]
ورُبما أَصبحوا يوماً بمــــنزلة تَهاب صَولَهم الأُسدُ المَهاصــير[2] *

قال : صدقت .

على بن الجهم وجارية

وكتبت جاريةٌ إلى على بن الجهم[3] رقعة ، فأجاب فيها :

ما رُقعة جاءتك مكتوبة كأنها خــــدٌّ على خدّ[4]
تَبدو سواداً فى بياضٍ كما ذُرَّ فَتيت المِسك فى الوَرْد[5]
ساهمةُ الأسطر مَصْروفة عن جهــة الهزل إلى الجــدّ
يا كاتباً أَســــلمنى عَتبه إليه حَسْبِى منك ما عِنْدى

وكتبتْ أيضا :

قَلب يُملّ على لسانٍ ناطقٍ ويدٌ تخطّ رسالةً من عاشــــقِ
مُزِجَ المِدادُ بعَبْرةٍ شهــدتْ له من كل جارحــة بحبٍّ صادق[6]
فيمينُه تحت الوساد وخـــدِّه ويساره فوق الفُــــؤاد الخافق

المهدى وجارية أهدته تفاحة

أهدت جاريةٌ من جوارى المهدىّ تُفاحةً إلى المهــدى وطيَّبتْها ، وكتبت فيها :

هديّة منى إلى المَهْدِى تفّاحة تُقطف من خدّى

(١) دهارير : مختلفة .
(٢) الصول ، بالفتح : الصولة .
(٣) فى بعض النسخ : « وكتبت جارية على بن الجهم له » .
(٤) فى بعض النسخ : « مختومة » .
(٥) ن : « ذرسواد فى بياض » .
(٦) فى بعض النسخ : « بقلب صادق » .

مُحمــرّة مُصفرة طُيِّبت ... كأنها من جنّة الخُلدِ

فأجاب المهدىّ :

تُفاحة من عنــــد تفّاحة ... جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدرى أأبصرتُهـا ... يقظانَ أم أبصرتُها فى الرُّقاد

بين بعض الكتّاب ومدام جارية المازنى

وكتب بعضُ الكتّاب إلى مُدام ، جاريةِ المازنى ، وبعث إليها بقنّينة من مُدام[1] :

قُل لمن يَملك المـلو ... كَ وإن كان قد مُلِك[2]

قد شَرِبنـاك مَرّة ... وبعثنا إليـــك بك

بين على بن الجهم وجارية المازنى

وقال علىّ بن الجهم : دخلتُ على أبى عثمان المازنىّ ، وعنده جارية له كأنها شِقّة قمر ، وبيدها تفّاحة مَعْضُوضة ، فقالت : عرفتَ ما أراد الشاعر بقوله :

خبِّرينى مَن الرسول إليــكِ ... وأجعليه مَن لا ينمّ عليكِ

قلت : ما أعرفه . قالت : هو هذه ، ورمتْ إلىّ بالتفاحة ، فوالله ماوجدتُ لها جواباً من نظير كلامها .

وصف الحسن بن وهب لتفاحة

وقال شيخٌ من أهل البصرة : لقيت الحسَن بن وهب ، فأردتُ أن أمتحن سلامةَ طَبعه ، ومعى تفّاحة ، فأريتُه إياها وسألته أن يَصفها ، فقال لى : نحن على الطَّريق ، ولكن مِلْ بنا إلى المسجد . فملْنا إليه ، فأخذها وقلّبها بيده شيئاً ، وقال :

يا رُبَّ تُفّاحة خـــلوتُ بها ... تشعل نار الهوى على كَبِدى

قد بت فى لَيلتى أقلّبها ... أشكو إليها تطاوُلَ الكَمدِ

لو أنّ تُفاحةً بكتْ لبكتْ ... مِن رحمةٍ هــذه التى بيدى

(١) ن : « بقيمة من مدام » .

(٢) فى بعض النسخ : « لمن يملك الفؤاد » .

المأمون وجارية

وعَد المأمون جاريةً أن يَبيت عندها ، وأخلفها الوعد ، فكتبت إليه :

أَرِقتْ عينى ونامَتْ   عينُ من هُنْت عليه

إنّ نَفْسى فأعذُرَنْها   أصبحتْ فى راحتَيْه[1] ٤٣٢/٣

رَحِم اللهُ رحيماً   دلّ عَيْنىّ عليه

فلما قرأ رُقعتها ضحك ، ولم يَبِت ليلتَه إلّا عندها[2] .

عتب المأمون على جارية

عَتَب المأمون على جاريةٍ من جواريه ، وكان كَلِفاً بها فأعرض عنها ، وأعرضت عنه ، ثم أسلمه العَزاء[3] ، وأقلقه الشّوق ، حتى أرسل يَطلب مراجعتَها وأبطأ عليه الرّسول ، فلما رجع إليه أنشأ يقول :

بَعثتُك مرتاداً فَفُزتَ بنَظرة   وأغفلتَنى حتى أسأتُ بك الظَّنَّا

وناجيتَ مَن أهوى وكُنت مقرّبا   فياليتَ شِعْرى عن دنوّك ما أغنَى[4]

ونَزّهت طَرفًا فى محاسن وَجهها   ومتّعت باستظراف نغمتها أذنا

أرى أثراً منها بعينيك لم يَكُن   لقد سَرقتْ عيناك من وجهها حُسنا[5]

ثم إنّ المأمون أقبل مُسترضيا لها فسلّم عليها ، فلم ترد عليه ، وكلّمها فلم تُجبه ، فأنشأ يقول :

تكلَّمْ ليس يُوجِعُك الكلامُ   ولا يُؤذى محاسنَك السّلام

أنا المأمون والملِكُ الهُمام   ولكنى بحُبّكِ مُستهام

يَحِقُّ عليكِ ألاّ تَقتلينى   فيبقى الناسُ ليس لهم إمام

---

(١) ن : « فاعذروها » .
(٢) هذه العبارة ساقطة من ن .
(٣) أى فارقه العزاء . وفى بعض النسخ : « ثم أسلمه الهوى » .
(٤) وكنت مقربا ، أى صرت مقربا ، وفى كتاب الله : « وفتحت السماء فكانت أبوابا . وسيرت الجبال فكانت سرابا » . فى بعض النسخ : « وكنت مبعدا » .
(٥) بعده فيا عدا ن : « زيادة من غير الأم :

فياليتنى كنت الرسول وكنتنى   وكنت الذى يقصى وكنت أنا المدنى » .

كتاب امرأة عمر بن عبد العزيز إليه

كتبت أمرأةُ عمر بن عبد العزيز إلى عمر ، لما أشتغل عنها بالعبادة :

ألا يأيُّها الملكُ الذى قـد سَبى عقلى وهام به فُؤادى
أراك وسعتَ كُلَّ الناس عدلًا وجُرت علىَّ مِن بين العباد
وأعطيتَ الرعيّة كلَّ فضل وما أعطيتَنى غيرَ السُّهاد

فصرف وجهَه إليها .

بين الرشيد وجارية زبيدة

وقعد الرّشيدُ يوماً عند زبيدة ، وعندها جواريها ، فنظر إلى جاريَة واقفةٍ عند رأسها فأشار إليها أن تُقبّله ، فاعتلّت بشَفتيها ، فدعا بدواة وقرطاس فوقّع فيه :

قبّلتُه من بعيد فاُعتلّ من شَفتيه

ثم ناولها القرطاسَ فوقّعتْ فيه :

فما برحتُ مكانى حتى وثبتُ عليه

فلمّا قرأ ما كتبت أستوهبها من زُبيدة ، فوهبتها له . فمضى بها وأقام معها أسبوعا لا يُدرى مكانُهما ، فكتبت إليه زُبيدة :

وعاشقٍ صبٍّ بمعشوقِهِ كأنّما قلباهما قَلْب
رُوحاهما رُوح ونفساهما نفسٌ، كذا فليكن الحُبُّ

الأمين وجارية له سكرى

حدّث أبو جعفر قال : بينا محمّد بن زُبيدة الأمينُ يطوف فى قصرٍ له ، إذ مرّ بجاريةٍ له سكرى ، وعليها كِسلة خزٍّ تسحب أذيالَه ، فراوَدَها عن نفسها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على حال ما ترَى ، ولكن إذا كان من غد إن شاء الله . فلما كان من الغد مَضى إليها ، فقال لها : الوعد . فقالت له : يا أمير المؤمنين : أمَا علمت أنّ كلام الليل يمحوه النهار ؟ فضحك ، وخرج إلى مجلسه ، فقال : مَن بالباب من شعراء الكوفة ؟ فقيل له : مُصعبٌ والرّقاشى ٤٣٣/٣
وأبو نواس . فأمر بهم فأدخلوا عليه ، فلمّا جلسوا بين يديه قال : ليقلْ كلٌّ واحد منكم شعراً يكون آخره :

* كلام الليل يمحوه النّهار *

فأنشأ الرّقاشي يقول :

مَتى تصحو وقلبك مُستطار ... وقد مُنع القَرار فلا قرار
وقد تركَتْك صبًّا مُستهاماً ... فتاةٌ لا تزور ولا تُزار
إذا أستنجزتَ منها الوعدَ قالت ... كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال مُصعب :

أتعذُلنى وقلبك مُستطارُ ... كئيب لا يَقرّ له قَرار[1]
بحُبٍّ مليحة صادت فؤادى ... بألحاظٍ يُخالطها أحورار[2]
ولما أن مددتُ يدى إليها ... لألمسَها بدا منها نِفارُ
فقلت لها عِدينى منك وعداً ... فقالت فى غدٍ منك المَزار
فلما جئتُ مُقتضياً أجابت ... كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال أبو نُواس :

وخَودٍ أقبلت فى القصر سكْرَى ... ولكن زيَّن السكرَ الوقارُ[3]
وهزَّ المشىُ أردافاً ثِقالا ... وغُصنا فيه رُمّان صِغار
وقد سَقط الرِّدا عن مَنكِبيها ... من التَّجْميش وأنحلَّ الإزار[4]
فقلت: الوعدَ سيدتى. فقالت : ... كلامُ الليل يمحوه النهار

فقال له : أخزاك الله ، أكنتَ معنا ومُطَّلعا علينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين عرفتُ ما فى نفسك فأعربتُ عما فى ضميرك . فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها .

لبعض العراقيين

وقال بعض العراقيّين[5] :

غضبتِ من قُبلة بالكُره جُدتِ بها ... فها أنا جئتُ فاقتصِّيه أضعافا[6]

(١) ن : « لا يقر به قرار » .
(٢) الاحورار : شدة سواد سواد العين ، وشدة بياض بياضها .
(٣) الخود : الحسنة الخلق الشابة . بدلها فى ن : « وليل » .
(٤) التجميش : المغازلة والتقريص والملاعبة .
(٥) فى بعض النسخ : « الوراقين » .
(٦) اقتصه من الاقتصاص ، وهو القصاص .

لم يأمر الله إلا بالقِصاص فلا   تَستجورى ما رآه الله إنصافا(١)

الرشيد فى ماردة

عتبت ماردةُ على هارون الرشيد ، فكانت تُظهر الكراهة وتُضمر له المحبة ، فقال فيها :

تُبدى صُدوداً وتُخفى تحته صِلةً   فالنفسُ راضيةٌ والطَّرف غَضبان
يا مَن وضعتُ له خدِّى فذَلّله   وليس فوقى سوى الرّحمن سلطان

خبر الحسن بن هانئ مع الأسود

أبو بكر الورّاق قال : قال لى الحسن بن هانئ :

حججتُ مع الفضل بن الربيع حتّى إذا كنا ببلاد فَزارة ، وذلك إبّانَ الربيع ، نزلنا منزلاً بإزاء ماء لبنى تميم(٢) ، ذا روض أريض ، ونَبت غَريض(٣) ، تخضع لبهجته الزرابىُّ المبثوثة(٤) ، والنّمارق المصفوفة(٥) ، فقرّت بنضرتها العيون ، وأرتاحت إلى حُسنها القلوب ، وانفرجت ببهائها الصدور ، فلم نلبث أن أقبلت السماء ، فأسفَّ غمامها(٦) ، وتدانى من الأرض رُكامها ، حتى إذا كان كما قال أوس بن حَجر حيث يقول :

دانٍ مُسِفٍّ فُويق الأرض هَيدبُه   يكاد يدفعه مَن قام بالرّاح

همّتْ برذاذ ، ثم بطَشّ ، ثم برَشّ ، ثم بوابل ، ثم أقلعت وقد غادرت ٤٣٤/٣ الغدران مُترعة تتدفّق ، والقِيعان تتألّق ، رياض مُونقة ، ونوافح من ريحها عَبِقة ، فسرّحت طرفى راتعاً منها فى أحسن منظر ، وانتشقتُ من ريّاها أطيبَ من المسك الأذفر . قال : فلما انتهينا إلى أوائلها ؛ إذا نحن بخباء على بابه جارية

(١) لا تستجوريه : أراد لا تعديه جورا ، أى ظلما .
(٢) ن : « بازاء باديتهم » .
(٣) الأريض : الزكى المعجب للعين . والغريض : الطرى .
(٤) الزرابى : جمع زربى ، وهو كل ما بسط واتكئ عليه . المبثوثة : المفرقة .
(٥) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل .
(٦) أسف : دنا من الأرض .

متبرقعة[١] ، ترنو بطرفٍ مريضِ الجفون ، وَسْنانِ النظر ، قد أُشعِرت حماليقُه فتورا ومُلئت سحراً ، فقلت لزميلي : استنطقها . قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت : استسقِها ماء . فاستسقاها فقالت : نَعم ونُعْمَى عين[٢] ، وإن نزلتم ففي الرَّحب والسعة . ثم مضت تتهادَى كأنها خُوط بان[٣] ، أو قضيب خيزُران ، فراعني ما رأيتُ منها ، ثم أتتْ بالماء فشربتُ منه ، وصببتُ باقيَه على يدى ، ثم قلت : وصاحبى أيضا عطشان . فأخذتِ الإناء فذهبتْ ، فقلتُ لصاحبى : من الذى يقول :

إذا بارك الله فى مَلْبس ... فلا بارك الله فى البُرقع
يُريك عيونَ الدُّمى غِرَّةً ... ويكشف عن مَنظرٍ أشنعِ

قال : وسمعتْ كلامى ، فأتتْ وقد نزعت البرقع ، ولبست خماراً أسود ، وهى تقول :

ألا حىِّ رَكْبَىْ مَعشرٍ قد أراهما ... أطالا ولمّا يعرفا مُبتغاهما[٤]
هما استسقيا ماء على غير ظمأة ... ليستقيا باللحظ ممّن سقاهما[٥]

فشبّهتُ كلامها بعقد درّ وَهَى سِلكُه فانتثر ، بنغمة عذبةٍ رقيقة رخيمة ، لو خوطب بها الصُّمّ الصِّلابُ لانبجست ، مع وجهٍ يُظلم لنوره ضياء العقول ، وتتلف فى روعته مُهَج النفوس ، وتخفّ فى محاسنه رَزانة الحليم ، ويحار فى بهائه طرْف البصير .

فدقَّتْ وجَلّت واسبطرت وأُكمِلَتْ ... فلو جُنَّ إنسان من الحُسن جُنَّتِ[٦]

---

(١) فى بعض النسخ : « مشرقة » .
(٢) أى وقرة عين . وفى هذا التعبير لغات أخرى كثيرة .
(٣) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .
(٤) فيما عدا ى : « ألا حى ربعى » و « أقاما فما إن » .
(٥) فيما عدا ى : « ليستمتعا باللحظ » .
(٦) البيت للشنفرى الأزدى من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦) .

فلم أتمالكْ أن سجدت وخَررت ساجدًا فأطلت من غير تَسبيح ، فقالت : ارفع رأسَك غير مأجور ، ولا تذُمَّ من بعدها بُرقعا ، فلربّما انكشف عما يَصرِف الكَرَى ويَحُلّ القُوى ، ويُطيل الجوى ، من غير بُلوغ إرادة ، ولا دَرَك طَلِبة ، ولا قضاء وطَر ، ليس إلا للحَيْن المجلوب ، والقَـدَر المكتوب ، والأمل المَكذُوب . فبقيتُ واللهِ معقولَ اللسان عن الجواب ، حيرانَ لا أهتدى لصواب ، فالتفت إلىّ صاحبى ، فقال لمّا رأى هلعى ، كالمسلّى لى عن بعض ما أذهلنى : ما هـذه الخِفّةُ لوجهٍ برقَتْ لك منه بارقة لا تدرى ما تحتَه ؟ أما سمعتَ قول ذى الرُّمّة :

على وجه مىٍّ مَسحة من ملاحةٍ ... وتحت الثِّياب العارُ لو كان باديا

فقالت : أمّا ما ذهبت إليه لا أبالك ، فلا والله ، لأنا بقول الشاعر :

مُنعَّمة حَـوراء يَجرِى وشاحُها ... على كَشح مُرتجّ الرَّوادف أهضمِ
لهـا بشرٌ صافٍ وعينٌ مَريضة ... وأحسن إيماء بأحسنِ معصمِ
خُزاعيّة الأطراف سَـعدية الحشا ... فَزاريّة العينين طائيّــة الفم[1]

أشبهُ من قولك الآخَر . ثم رفعت ثيابَها حتّى بلغت بها نَحرها ، وجاوزت مَنكِبيها فإذا قضيبُ فضّة قد شِيبَ بماء الذّهب ، يهتزّ على مثل كثيب النَّقا ، وصدرٍ كالوَذيلة[2] ، عليه كالرُّمانتين ، وخَصرٍ لو رُمْتَ عَقدَه لانعقد ، مطوىّ الأندماج ، على كفَل رَجراج ، وسُرّة مُستديرة ، يقصُر فهمى عن بُلوغ نَعتِها ، من تحتها أرنبٌ جاثم ، أو جبهةُ أسدٍ خادر ، وفَخِذان لفّاوان[3] ، وساقان خَدلجَان[4] يخرِسان الخلاخيل ، وقدمان كأنهما لسانان . ثم قالت : أعارًا ترى لا أبالك ؟ قلتُ : لا والله ، ولـكنْ سَببَ القـدرِ المُتاح ، ومقرِبى من الموت الذَّبّاح ،

(١) ن : « مرية الحشا » .
(٢) الوذيلة : المرآة .
(٣) لفاوان : ضخمتان ، مثنى لفاء . والفخذ مؤنثة .
(٤) خدلجان : ممتلئتان ، والساق يذكر ويؤنث ، كما فى المزهر للسيوطى .

يُطبقُ عليَّ الضريح ، ويتركنى جَسدًا بغير روح . فخرجتْ عجوزٌ من الخبَاء ، ٤٣٥/٣
فقالت له : أُمض لشأنك ، فإنَّ قتيلها مطاول لا يُودَى ، وأسيرَها مَكبول لا يُفدَى . فقلت لها : دَعيه فإنّ له مثل قول غَيلان :

فإلاّ يكن إلاّ تَعلُّلُ ساعــــة قليــلاً فإنى نافع لى قليلُها

فولّت العجوز وهى تقول :

وما لك منها غير أنك نائك بعينيك عينيها وأيرك جانب[1]

فنحن كذلك حتى ضُرب الطَّبلُ للرّحيل ، فانصرفتُ بكمدٍ قاتل ، وكَرب خابل ، وأنا أقول :

ياحَسرتَى ممـــا يُجِنّ فؤادى أَزِفَ الرحيلُ بغُربتى وبِعادى

فلما قضَينا حجَّنا وانصرفْنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل ، وقد تضاعف حُسنُه وتمّت بهجتُه ، فقلت لصاحبى : أُمض بنا إلى صاحبتنا . فلما أشرفْنا على الخِيام ، فصعدنا رَبوة ونزلنا وَهدة ، إذا هى تتهادى بين خمسٍ ماتصلُح أن تكون خادماً لأدناهن ، وهنّ يجنين من نَور ذلك الزّهر ، فلمّا رأيننــا وقفنَ فقلنا : السلام عليكنّ . فقالت من بينهن : وعليكَ السلام ، ألستَ صاحبى ؟ قلتُ : بلى . قُلْن : وتعرفينَه ؟ قالت : نعم ، وقصّت عليهن القصّة ما خَرمت حرفا . قُلن لها : ويحك ، فما زوّدتِه شيئاً يتعلّل به ؟ قالت : بلَى ، زوّدته لحداً ضامرا ، ومَوتا حاضرا . فانبرَتْ لها أنضرُهنّ خدّا ، وأرشقُهُنّ قدّا ، وأسحرهن طَرفا ، وأبرعهنّ شكلا[2] ، فقالت : والله ما أحسنتِ بَدْءاً ، ولا أجملتِ عَوْدا ، ولقد أسأتِ فى الرّد ، ولم تُـكافئيه فى الوُد ، فما عليكِ لو أسعفتِه بطَلِبَتِه ، وأنصفتِه فى مَودته ، وإنَّ المـكانَ لخالٍ ، وإنّ معك من لا يَنِمّ عليك . فقالت : أمَا والله لا أفعلُ من ذلك شيئاً أو تَشرَكينى فى حُلوه ومُرّه . قالت لها : تلك إذاً قِسْمة

(١) الجانب : المجتنب المحقور . فى بعض النسخ : « خائب » . وانظر الحيوان (٦ : ٢٦٢) .
(٢) ن : « وأبدعهن شكلا » .

ضِيزى ، أتعشقين أنت وأناك أنا ؟ قالت أخرى منهن : قد أطلتنّ الخطاب فى غير أَرَب ، فسَلْن الرجل عن نِيّته ، وقصده وبُغيته[١] ، فلعلّه لغير ما أنتنّ فيه قَصَد[٢] . فقلن : حيّاكَ الله ، وأنعمَ بك علينا ، مَنْ تكون ، وممن أنت ، وما تُعانى ، و إلامَ قصـدت ؟ فقلت : أمّا الأسم فالحسن بن هانئ ، رجلٌ من اليمن ، ثم من سَعد العَشيرة ، وأحَد شعراء السلطان الأعظم[٣] ، ومَن يُدنَى مجلسُه ، ويُتّقى لسانه ، ويُرهَب جانبه . وأمّا قصدى فَتبريد غُلّة ، و إطفاء لَوعةٍ ، قد أحرقت الـكبدَ وأذابتها[٤] . قالت : لقد أضَفتَ إلى حُسن المنظر كرم المَخبر ، وأرجو أن يُبلغك الله أُمنيّتك ، وتنالَ بغيتَك . ثم أقبلتْ عليهنّ ، فقالت : ما بواحدةٍ منكن عن مثله مَرغَب[٥] ، فتعالَين نَشترك فيه ، ونقترعْ عليه ، فمن واقعَتها القُرعة منّا تكون هى البادية . فاقترعن فوقعت القُرعة على المَليحة التى قامت بأمرى ، فعلّقن إزاراً على باب مغار يجاورهنّ وأدخلتُ فيـه ، وأبطأنَ عنّى وجعلت أتشوّف لدخول إحداهن علىّ ، إذ دخل علىّ أسود كأنه سارية ، و بيده شىء كالهِراوة ، قد أنعظ بمثل رأس الخَفَيدد[٦] ، قلتُ : ما تريد ؟ قال : أنيكك . فهمّنى والله نفسى ثم صحتُ بصاحبى ، وكان أيِّداً[٧] ، فبالحرَى والله ما تخلّصت منه حتّى خرجنا من الغار ، و إذا هنّ يتضاحكن ويَتهادَيْن إلى الخَيمات ؛ فقلتُ لصاحبى : من أينَ أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنماً إلى جانب الغار فدعونه ، فوسوسن إليه شيئاً فدخل عليك ! فقلت أبا علىّ : أتُراه كان يفعل فىّ شيئاً ؟ فقال : أتراك خَلَصتَ منه . فانصرفت وأنا أخزى الناس .

(١) ن : « عن قصته وبغيته » .
(٢) هذه الـكلمة ليست فى ن .
(٣) فى بعض النسخ : « وخير » بدل « وأحد » .
(٤) ن : « وأذابته » . والـكبد مما يذكر ويؤنث .
(٥) فى بعض النسخ : « ما الواحدة منكن غير ملتمسة مرغبة » .
(٦) الخفيدد : الظليم ، وهو ذكر النعام . فى بعض النسخ : « الجنيذ » ، تحريف .
(٧) الأيد : القوى ذو الأيد . فى بعض النسخ « متدانيا » ، صوابه من ن .

قال إسماعيل : فقلتُ : نا كَّكَ والله الأسود . فقال : مالكَ أبعدك الله ، فوالله لقد كتمتُ هذا الحديثَ مخافةَ هذا التأويل حتى ضاق به ذرعى[1] ، ٤٣٦/٣ ورأيتك موضعاً له ، فبحقّى عليك إن أذعته . قال إسماعيل : فما فُهت به حتى مات[2] .

خبر ذى الرمة

قال أبو صالح الفَزارىّ : ذكرنا ذا الرُّمة ، فقال عِصمة بن عبد الملك[3] شيخ منّا ، قد بلغ عشرينَ ومائة سنة : لإيّاى فاسألوا عنه ، كان من أظرف الناس ، آدمَ خفيفَ العارضين ، حسن المَضحك ، حُلو المنطق ، وإذا أنشد بَربَرَ وجَشَّ صوتُه[4] ، وإذا راجعك لم تَسأم من حديثه وكلامه ، وكان له إخوةٌ يقولون الشعر ، منهم مَسعود ، وهشام ، وأوفَى[5] ، كانوا يقولون القصيدة فيزيد عليها الأبياتَ ، فيغلب عليها فتذهب له ، فجَمعنى وإيّاه مربعٌ[6] فأتانى يوماً ، فقال لى يا عصمة : إن مَيّة مِنقَرية وبنو مِنقر أخبث حَىٍّ ، وأقوفُه لأثر ، وأعطفه بشَرٍ[7] ، فهل عندك ناقةٌ نزدار عليها مية ؟ قلت : والله إن عندى للجؤذر قال : علىّ بها . فركبنا جميعاً وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحى فإذا هم خُلوف[8] ،

---

(١) فى بعض النسخ : « صدرى » .

(٢) انظر الخبر التالى فى مجالس ثعلب ٣٩ والأغانى (١٦ : ١٢٤) ومصارع العشاق ١٣٧ وتزيين الأسواق ٧٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٠ .

(٣) ن : « عصمة بن الملك » ، وفى معظم المراجع : « عصمة بن مالك » .

(٤) بربر ، من البربرة ، وهى كثرة الكلام والجلبة باللسان . وجش ، من الجشش ، وهو صوت غليظ فيه بحة . وفى الأصول : « بزيغة حسن صوته » ، صوابه فى مجالس ثعلب والأغانى .

(٥) هذا ساقط من ن .

(٦) المربع : المنزل فى الربيع . وفى المجالس : « فجمعنى وإياهم » .

(٧) وأعطفه بشر ، من ن . وفى المجالس : « وأعلمه بشر » .

(٨) الخلوف : جمع خلف ، بالفتح ، وهم القوم الذين ذهبوا من الحى يستقون وخلفوا أثقالهم . ابن الأعرابى : الخلوف : الحى إذا خرج الرجال وبقى النساء .

وإذا بيتُ ميّة ناحيةً ، فعرفن ذا الرمة فتقوّض النساء إلى ميّ[١] ، وجئنا حتى أنخنا ، ثم دنونا فسلّمنا وقعدنا نتحدّث ، فإذا هى جاريةٌ أملودٌ واردة الشَّعر[٢] بيضاء تغمُرها صُفرة ، وعليها ثوبٌ أصفر ، وطاقٌ أخضر ، فقلن : أنشدنا ياذا الرُّمة . فقال : أنشدهنّ ياعِصمة . فأنشدتُهن :

نظرتُ إلى أظعان ميّ كأنها ... ذُرى النّخل أو أثل تَميل ذوائبُه

فأعربتِ العينانِ والصدرُ كاتم ... بمغرورِق نَمَّت عليه سَواكبُه[٣]

بُكاً وامقٍ جاء الفراق ولم تَجُل ... جوائلَها أسرارُهُ ومَعَايبه

فقالت ظريفةٌ منهنّ : لكنِ الآن فلتَجُلْ . قال : فنظرتْ إليها ميّةُ متكرّهة ، ثم مضيتُ فى القصيدة ، حتى انتهيت إلى قوله :

إذا سرحت من حُبِّ ميٍّ سوارحٌ ... على القلب لَبَّتْه جميعاً عوازبُه[٤]

فقالت الظريفة : قتلتِه قتلكِ الله . قالت مَيّة : ما أصحّه وهنيئاً له . فتنفّس ذو الرمة تنفّسا ظننت معه أنّ فؤاده قد انصدع ، ومضيت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

وقد حَلفتْ بالله ميّةُ ما الذى ... أقول لها إلّا الذى أنا كاذبُه

إذاً فرمانى الله من حيث لا أرى ... ولا زال فى أرضى عدوٌّ أحاربه

فالتفتتْ إليه فقالت : خَفْ عواقب الله . ومضيتُ فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعَتك القولَ ميّةُ أو بدا ... لك الوجهُ منها أو نضا الثوبَ سالبُه

(١) تقوضن : جئن وذهبن فى غير استقرار كما يتقوض النمل . ن : « فتفرق النساء » وفى سائر النسخ : « فتعرض » صوابهما فى مجالس ثعلب .

(٢) أملود : ناعمة مستوية القامة . والشعر الوارد : المسترسل الطويل .

(٣) فى الديوان ٤٠ : « فأبديت من عينى » . وفى المصارع والتزيين والأغانى وأمالى القالى (٣ : ١٦٣) :

* فأسبلت العينان والقلب كاتم *

(٤) فى المجالس : « آبته » بدل « لبته » .

فيا لك من خدٍّ أسيل ومَنطق رخيم ومن خَلْق تعلّل جادِبُه[١]

فقالت الظريفة : ها هى ذه قد راجَعتْك ، وقد بدا لك الوجهُ منها ، فمَن لك بأن يَنضُوَ الدِّرعَ سالبُه ؟ فالتفتت مَيّة إليها فقالت : قاتلكِ الله ، ما أنكَرَ ما تُجيبين به . فتحدّثْن ساعة ، ثم قالت الظّريفة للنساء : إنّ لهـذين لشأناً ، فقُمن بنا وقمتُ معهن ، فجلستُ فى بيتٍ أراهما منه ، فما رأيتُه بَرِح من مَقعده ، ولا فقدتُه[٢] ، فسمعتُها قالت له : كذبتَ والله . ولا أدرى ما قال لها ، فلبثتُ قليلاً ، ثم جاءنى ومعه قارورةٌ فيها دُهن ومعه قلائد للجوْذر ، فقال : هذا دُهنُ طِيبٍ أتحفِنا به ، وهـذه قلائدُ للجوْذر ، ولا والله ما أقلّدهنّ بعيراً أبداً ! وشدّ بهنّ ذوائبَ سيفه وانصرفنا . فكُنا نختلف إليها حتى انقضى الرَّبيع ، ودعا النّاسَ المَصِيفُ ، فأتانى فقال : هيا عِصمة ، قد رحلَتْ مىّ ولم يبقَ إلّا الآثار ، ورسومُ الدّيار . وأنشدَنى :

ألا يا أسلمى يا دار مىّ على البلى ولا زال منهلاً بجَرْعائك القَطْرُ[٣]

خبر المأمون ويحيى بن أكثم

٤٣٧/٣ خرج[٤] المأمونُ فى يوم عيدٍ وقد ركب الجندُ أمامَه ، ومعه يحيى بن أكثمَ يضاحكه ويحادثُه ، إذ نظر إلى غلامٍ من الجنـد فى غاية الفَراهة ، عليـه ثوبُ حريرٍ أخضر ، وثوبٌ موشّى مزرّر بالذهب ، فالتفت إلى يحيى بن أكثم فقال له : يا يحيى ، ما تقول فى هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا لَقبيحٌ من إمامٍ مثلك مع فقيهٍ مثلى . قال : فمن الذى يقول :

قاضٍ يرى الحدَّ فى الزِّناء ولا يَرى على مَن يلوط من باسِ

فقال : دعبل ، الذى يقول :

ولا أرى الجور ينقضى وعلى الـ أمّة والٍ لآل عبّاسِ

---

(١) الجادب : العائب . فى بعض النسخ « جاذبه » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٢) فى بعض النسخ : « قعدته » .

(٣) البيت لذى الرمة .

(٤) خبر المأمون هذا مما انفردت به نسخة ن .

قال : يُنفَى إلى السِّنْد ، وإما داعَبْناك . ثم أنشأ المأمون يقول :

أيهـا الراكبُ ثوبًا ... هُ حريرٌ وحديدُ
جئتَ للعيد وفى وجـ ... ـهكَ للأعيُن عيـدُ
أنت جندىٌّ ولـكنْ ... فيك للحسن جنودُ[(١)]

الفضل والأمين

الفضل بن الربيع[(٢)] قال : قعد المخلوع للناس يوماً وعليه طيلسانٌ أزرق ، وتحته لِبْد أبيض ، فوقّع فى ثمانمائة قِصَّة ، فوالله لقد أصابَ فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ ، ثم قال لى : يا فضل[(٣)] ، أترانى لا أحسن التدبير والسياسة ، ولـكنِّى وجدت شَمَّ الآسِ ، وشُربَ الـكاسِ ، والاستلقاء من غير نعاس ، أشهى إلىَّ من ذلك .

خبر أبى عيسى وأبى نواس

قال ابن قُتيبة : خرج أبو عيسى جبريلُ بن أبى عيسى إلى متـنزَّه له بالقُفْص[(٤)] ، ومعـه الحسن بن هانئ ، فى آخر شعبان ، فلما كان اليومُ الذى أوفَى به الشَّهر ثلاثين يوما قيل له : إن هذا يومُ شكّ ، و بعضُ أهل العلم يصومُه ، فقال : لا عليك ، ليس الشكُّ حجَّةً على اليقين . حدثنا أبو جعفر[(٥)] عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « صُوموا لرُؤْيته وأفطِرُوا لرؤيته » . ثم قال أبو عيسى[(٦)] :

لو شئتَ لم نَبرحْ من القُفصِ ... نشربُها حمراء كالحُصِّ[(٧)]

---

(١) إلى هنا ينتهى النص الذى انفردت به نسخة ن . وجاء بعده فيها : « تم الجزء التاسع والأربعون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الـكريم نبيه وخيرته من خلقه وصفوته من بريته وعلى آله وصحبه الطيبين وسلم تسليما » .

(٢) بدله فى ن : « الربيع » .

(٣) ن : « يا ربيع » .

(٤) القفص ، بالضم : قرية مشهورة بين بغداد وعكبراء ، كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ، وتنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الـكثيرة .

(٥) ن : « أبو معشر » .

(٦) فى بعض النسخ : « ثم قال لابن أبى عيسى » .

(٧) الحص ، بالضم : الورس ، أو الزعفران .

نَسرِق هذا اليومَ من شَهرنا والله قد يعفو عن اللصِّ

وصف أبى نواس لمجلس شراب

وذكروا أنّ أبا عيسى خرج إلى القُفص متنزِّها ومعه الحسن بن هانئ ، فحمله وخلعَ عليه ، فأقام فيها أسبوعاً ، ثم قال : بحياتى صِفْ مجلسنا والأيّامَ كلَّها . فقال فى ذلك :

يا طيبَنا بقُصور القُفْص مُشرقةً بها الدَّساكر والأنهار تطَّرِدُ(١)
لمّا أخذْنا بها الصهباءَ صافيةً كأنها النارُ وسط الكأس تتّقِدُ
جاءتك من دَنّ خمّارٍ بطينتها صَفراء مثل شُعاعِ الشمس ترتعد(٢)
وقام كالبدر مَشْدوداً قراطقُه ظَبْى يكاد من التّهييف يَنعقد
فسَلّها من فم الإبريق فانبعثت مثل اللّسان جَرَى واستمسك الجسد(٣)
فلم نزلْ فى صَباح السبت نأخذُها والليلُ يأخذنا حتى بدا الأحدُ
واستشرقت غُرّة الاثنين واضحةً والجدى مُعترِضٌ والطَّالع الأسدُ
وفى الثُّلاثاء أعملنا المطِىَّ بها صهباء ما قَرَعتها بالمِزاج يد(٤)
والأربعاء صفا فيه النعيمُ لنا والكأس يَضحك فى حافاتها الزَّبدُ
ثُمَّ الخميس وَصلناهُ بليلته قَصفاً وتَمَّ لنا بالجُمعة العدد(٥)
يا حُسنَنا وبحارُ القُفص تَغمرنا فى لُجّة الليل والأوتار تَجتلدُ
فى مجلسٍ حوله الأشجار مُحْدِقة وفى جَوانبه الأطيار تَفْترد
لا نستخفّ بساقينا لعِزَّته ولا يردّ عليه حكمَه أحد
عند الهُمام أبى عيسى الذى كملت أخلاقُه فهى كالأوراق تُنتَقَدُ

الدمشقى وأبو عيشونة

أبو جعفر البغدادىّ قال : حدّثنا أبو محمد الدمشقى قال : مررتُ ذات ليلة ،

(١) فى بعض النسخ : « ياطيبة » والقصيدة فى ديوان أبى نواس ٢٦٧ .
(٢) فى بعض النسخ : « من بيت خمار » .
(٣) فى بعض النسخ : « فصبها » .
(٤) ن : « للمزاج » .
(٥) فى بعض النسخ : « وتم فيه لنا بالجمعة » .

أيام فتنة المُستعين ، والقمر يزهَرُ بباب الشام ، فإذا أنا بشيخ غليظ ، أصلعَ نَشوان ، قد توشَّحَ فى إزارٍ أحمر ، ومال على شِقِّه الأيمن ، وفى يده خُوصة يَشمّها[1] و يقول :

عشرون ألفَ فتًى ما منهم أحدٌ إلاّ كألف فتى مِقدامةٍ بَطلِ
أضحتْ مَزاودُهم مملوءةً نشَبًا ففرّغوها وأوكَوها على الأملِ[2]

فقلت له : أحسنت ، لله أنت . فقال : أتُحبّ رقيقةً ؟ فقلت : ما أحوجنى إليها . فقال :

٤٣٨/٣ إنما هَيّج البلاَ حينَ عضّ السفرجلاَ
وعلا الوردُ وجنتَيْه فأبدى التخجّلا
يفضح البدر فى الكما ل إذا البدر أكملا
ولقد قام لحظُ عَينى على القَلب بالقِلا[3]

قلت له : أبو من أعزك الله ؟ قال : أبو عيشونة الخيّاط[4]، شهدتُ حروب ابن زُبيدةَ كلَّها ، وجاريْتُ الفِتيان فى غاية كلِّ مَيدان ، واعترفَ لى كلُّ فاتك ، وأذعنَ لى كلُّ شاطر ، ونزلت تلك الدارَ عشرين سنة . وأومأ إلى سجن بغداد ، ثم تنفّس الصُّعَداء . وقال : أنا الذى أقول :

لى فؤاد مُستهامُ وجُفون ما تَنامُ
ودُموعٌ آخرَ الدّهـر بعينىّ سِجَامُ[5]
وحَبيب كلما خا طبتُه قال سلام
فإذا ماقلت : صِلْنى قال لى ذاكَ حَرام

(١) ن : « خوصية يتنسمها » .
(٢) النشب : المال ناطقه وصامته .
(٣) ن : « بالغلا » .
(٤) فى بعض النسخ : « أبو عشيرة » .
(٥) يقال : سجم الدمع سجوما وسجاما ، إذا سال .

ثم بَكى تخالُجاً ، فلما أفاق قلت : ما يُبكيك ؟ قال : وكيف لا أبكى ، ولى حبيبٌ بالبصرة عُلّقته وهو ابنُ سبعَ عشرة سنة ، ثم غِبتْ عنه ثلاثا وثلاثين سنة ، فلما عِيلَ صبرى خرجت إلى البصرة فطُفت فى شوارعها حتى رأيته ، فما رأيتُ وجها أحسن منظرا ولا أزهى منه[1] . ثم أنشأ يقول :

مُرَدّد فى كَمَده[2] مُعذّب فى سُهُده
خلاّ به السُّقم فما أسرعَه فى جَسده
يَرحمه لِمَا بِهِ من ضُرِّه ذو حسده[3]

ثم ودّعنى ومضيتُ .

وحدّثنى أبو الفضل قال :

حديث جارية فى الطواف

إنّى لَفى الطَّوافِ أَمام الحِجْر ، إذ سمعتُ حنيناً يخرج من بينِ الأستار ، وإذا قائل يقول :

عفا الله عمّن يحفظ الودّ جَهدَه ولا كان عفوُ الله للناقض العهدِ
وضعت على الأستار خدّىَ ليلةً ليجمَعنى مع من وضعتُ له خدّى[4]

قال : فرفعت الأستار فإذا جاريةٌ مُنفردة ، كأنّها شمس تجلّت عنها غمامة . فقلت : يا هذه لو سألتِ الله الجنّةَ مع هذا التضرُّع والبكاء ما حَرمك إيّاها . قال : فسترتْ وجهَها ، وقالت : سُبحان مَنْ خلق فسوّى ، ولم يَهتِك العلانية والنّجوى . أما والله إنّى لفقيرة إلى رحمة ربّى ، وقد سألتُه أكبرَ الأمرين عندى ، رجاءَ فضله ، وأتكالاً على عَفوه . ثم ولّت عنى ، فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم .

حديث مسلم ابن عبد الله وزبان

حدّث مُسلم بنُ عبد الله بن مسلم بن جُندب قال : خرجت أنا وزَبّان

(١) ن : « فما رأيت وجها أحسن ولا منظر أزهى منه » .
(٢) ن : « مزرد » .
(٣) فى بعض النسخ : « لما بدا » .
(٤) ن : « خدا ذليلة » ، وتقرأ « ذليلة » فى هذه الرواية حالا .

السَّواق[1] إلى العَقيق ، نلقِينا نسوةً نازلات من العقيق ، لهنّ جمال وشارة ، وفيهن جارية حُسّانة العينين[2] ، فلما رآها زبان قال لى : يابن الكرام دمُ أبيك والله فى ثيابها ، فلا تطلبْ أثراً بعد عين . وأنشد قول أبى مُسلم بن جُندب :

ألا يا عبادَ الله هـــذا أخوكم قتيلاً فهل منكم له اليــومَ ثائر
خُذوا بدَمى إنْ مِتُّ كلَّ مليحة مريضَةِ جفنِ العين والطرفُ ساحرُ

قال : فقالت لى الجارية : أنت أبن جُندب ؟ قلت : نعم . قالت : فاغتنمْ نفسَك وأحتسِب أباك ، فإنّ قتيلنا لا يُودَى ، وأسيرَنا لا يفْدى .

٤٣٩/٣ الزُّبير بن بكّار ، عن عبد الله بنُ مسلم بنُ جندب قال : قلت : لعبد الله بن مسلم

تعالَوْا أعينونى على اللَّيل إنه على كُلِّ عَين لا تنَام طويلُ

قال : فطرقَنى عيسى بنُ طلحة قال : إنّى سمعت قولَك فجئت أعينك . فقلت : يرحمك الله ، أغفلتَ الإجابةَ حتى أتى الله بالفرج .

خبر ميّ صاحبة ذى الرمة

أبو المُهلهل الخُزاعى قال : أرتحلت إلى الدَّهناء[3] ، فسألت عن ميّ صاحبة ذى الرّمة ، فدُفِعت إلى خيمةٍ فيهـا عجوزٌ هيفاء ، فسلّمت عليها ، وقلت : أين منزل ميّ ؟ فقالت : ها أنا ميّ . فقلت : عجباً من ذى الرمّة وكثرة قوله فيك . قالت : لا تعجبْ ، فإنى سأقوم بعُذره . ثم قالت : فلانة ! فخرجتْ من الخيمة جاريةٌ ناهدٌ عليها برقع ، فقالت لها : أسفرى . فلما أسفرت تحيّرتُ لِما رأيتُ من حُسنها وجمالها ، فقالت : عَلِقنى ذو الرمّة وأنا فى سنّ هذه ، وكلُّ جديدٍ إلى بِلى . قلت : عذرتُه والله . واستنشدتُها من شعره ، فأنشدَتْنى .

---

(١) السواق ، نسبة إلى بيع السويق ، كما فى أنساب السمعانى ٣١٦ .

(٢) فى بعض النسخ : « خضابية » تحريف . وحسانة العينين : حسنتهما . وفى قول الشماخ :

دار الفتاة التى كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسانة الجيد

(٣) ن : « إلى الرملة » .

ما يكتب على العصائب وغيرها

أبو الحسن قال : دخلتُ على هارون الرشيد وعلى رأسه جَوارٍ كالتّماثيل ، فرأيت عصابةً منظّمة بالدرّ والياقوت ، مكتوباً عليها فى صفائح الذهب :

ظلمتنى فى الحبّ يا ظالمُ والله فيما بيننا الحاكمُ

قال : ورأيتُ فى عصابةٍ أخرى :

مالى رَميتُ فلم تُصبك سهامى ورميتَنى فأصبتنى يا رامى

قال : ورأيتُ فى عصابةٍ أخرى : « وضع الخدّ للهوى عز » . قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالاً مكتوبا عليه :

أفلتُ من حُـور الجِنانِ وخُلقتُ فتنةَ من يرانى

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت على الأمين محمد بن زُبيدة ، وعلى رأسه وصائفُ فى قراطقَ مفروجة[1] ، بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

بِىَ طابَ العيشُ فى الصَّيـ ـف و بى طاب السرورُ
مُسكى يَنفى أذى الحـ ـرّ إذا اشتد الحرورُ
النَّدى والجود فى وجـ ـه أمين الله نورُ[2]
ملك أسلمه الشّبـ ـه وأخلاه النَّظير

وفى عصابتها :

ألا بالله قُولوا يا رجالُ أشمسٌ فى العصابة أم هلالُ

وفى أخرى :

أَتهوَوْن الحيـاةَ بلا جُنونٍ فكُفّوا عن مُلاحظة العيونِ

وكتبت « ورد » جاريةُ الماهانى على عِصابتها ، وكانت تُجيد الغِناء مع فصاحتها وبراعتها :

(١) القرطق بضم القاف وفتح الطاء وضمها : القباء ، معرب « كرته » .
(٢) هذا البيت ساقط من ن .

تمّت وتمّ الحُسن فى وَجهها ... فكُلُّ شىء ما سواها مُحالُ
للنّاس فى الشَّهر هلالٌ ولى ... فى وَجهها كلَّ صباحٍ هلال(١)

وكتبت فى عِصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانئ ، وهما :

يا راميًا ليس يدرى ما الذى فَعلا ... عليك عَقْلى فإنّ السهم قد قَتَلا(٢)
أجريتَه فى مَجارى الرّوح من بَدَنى ... فالنفسُ فى تَعَبٍ والقلبُ قد شُغِلا

ما كتب على طرة عالج

وقال علىّ بن الجهم : خرجتْ علينا « عالج »(٣) جارية خالصة(٤) ، كأنها خُوط بان ، وهى تَميس فى رُوقةٍ(٥) ، وعلى طُرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مُجّان أهل بغداد مع عِلمها بالغناء :

٤٤٠/٣ يا هلالاً من القُصور تجلَّى ... صام قلبى لمقلتَيْه وصلَّى(٦)
لستُ أدرى أطال ليلىَ أم لا ... كيف يدرى بذاك من يتقلَّى(٧)
لو تفرّغت لاستطالة ليلى ... ولرَعْى النُّجوم كنتُ مُخَلًّا

ما كتب على درع منال

قال : وخرجت إلينا « مَنال »(٨) وعليها دِرع خامٍ(٩) ، على جانبها الأيمن مكتوب :

كَتَب الطرفُ فى فؤادى كِتابًا ... هو بالشّوق والهَوى مَختوم

---

(١) فى بعض النسخ : « فى كل يوم هلال » .
(٢) العقل : الدية . ن : « مهلا عليك فإن السهم » .
(٣) ن : « عسالج » .
(٤) بدل هذه الكلمة فى ن : « سارح » مهملة .
(٥) الروقة : الحسان تروق العين . يقال وصيف روقة ووصفاء روقة ، أى حسان . ن : « ردفه » وفى سائر النسخ « ورقة » .
(٦) فى بعض النسخ : « صام طرفى لمقلتيك » .
(٧) يتقلى : يتقلب فى فراشه ، كأنه على المقلى . والشعر والخبر برواية أخرى فى الموشى للوشاء ١٧٣ ليدن .
(٨) ن : « مثال » بالثاء .
(٩) ن : « خادم » تحريف . والخام ، فسره فى القاموس بأنه الكرباس لم يغسل . والكرباس : ثوب من القطن الأبيض ، فارسى معرب .

وعلى الأيسر مكتوب :

كانَ طَرفى على فُؤادِى بلاءً إنَّ طرفى على فُؤادى مَشوم

قال : وكان على عصابة « ظَبى » جارية سعيد الفارسىّ مكتوبٌ بالذهب :

العينُ قارئةٌ لمَا كتبتْ فى وَجنتىّ أناملُ الشَّجن

ما كتب على قلنسوة شكل

قال : وحدّثنى الحسنُ بن وهب قال : كَتبتْ « شَعبُ » على قَلنسوة جاريتها « شَكْل »(١) :

لم ألق ذا شَجن يبوح بحُبه إلاّ حسِبْتُك ذلك المَحْبوبا

حذراً عليك وإننى بك واثق أن لا ينال سواى منك نَصيبا

ما كتب شفيع على قبائه

وكتب « شفيع » خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن(٢) :

بَدر على غُصن نَضيرْ شَرِقٌ الترائب بالعَبيرْ

وعلى عاتقه الأيسر :

خطّت محاسنُ وجهه فى صَفحة القمر المُنير(٣)

ما كتبت وصيف على عصابتها

وكتبت « وصيفُ » جارية الطائىّ على عِصابتها :

الكُفر والسِّحرُ فى عَينى إذا نَظرت فاغرُب بعَينيك يامَغرور عن عَينى(٤)

فإنّ لى سيفَ لحظ لستُ أُغمده من صَنعة الله لا من صَنعة القَين

ما كتب على عصابة مزاج

وكان على عِصابة « مِزاج » ، وهى من مواجِن أهل بغداد وفُتّاكها :

قالوا عليك دُروع الصبر قلت لهم هيهاتَ إنّ سبيل الصبر قد ضاقا

مايَرجع الطَّرفُ عنها حين يُبصرها حتى يعود إليها الطرفُ مُشتاقا

وعصابة عنان

وكتبت « عنان » جارية الناطفىّ على عصابتها من قولها :

(١) اسمها مشتق من الشكل ، بالفتح والكسر ، وهو غنج المرأة ودلها وغزلها .

(٢) ن : « فى قباء كان على عاتقه الأيمن » .

(٣) فى بعض النسخ : « صفيحة وجهه » .

(٤) جعل هذان البيتان فيا عدا ن مما كتبته جارية الناطفى على عصابتها .

فما زال يشكو الحب حتى حسبتُه … تنفّس فى أحشـــائه وتكلّما[1]

فأبكى لديه رحمـــةً لبُكائه … إذا ما بكى دَمعاً بكيتُ له دما

ما كتبت حدائق فى كفها

وكتبت « حدائق » فى كفها بالحِنّاء :

ليس حُسن الخِضاب زَيْنَ كَفّى … حُسن كفّى زَيْنٌ لكلّ خِضابِ

ما كتبت جارية حمدان على قلنسوتها

قال : وخرجت علينا جارية حَمدان ، وقد تقلّدت سيفاً محلّى ، وعلى رأسها قلنسوةٌ مكتوب عليها :

تأمّل حُسن جاريةٍ … يحار بوجهها البَصر[2]

مؤنثـــة مذكّرة … فهى أنثى وهى ذكر[3]

وعلى حمائل سيفها

وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يَكفه سيفٌ بعينيه … يقتل مَن شاء بحـــدّيه

٤٤١/٣ حتّى تردّى مُرهَفا صارماً … فكيف أبقى بين سيفيه

فلو تراه لابساً دِرْعـــه … يَخْطِر فيها بين صفّيــه

علمتَ أن السّيف من طَرفه … أقتلُ من سَيفٍ بكفّيه

ما كتب على منطقة منصف

وكتبت « واجدُ » على مِنطقة جاريتها « مُنصَف » الكوفيّة :

تـكتّى من غَمـزة المَيْـ … ـن إذا ما مِشتُ تَنحِلّ[4]

وفـــؤادى رقّ حتى … كاد من صَدرىَ ينْسلّ

بعضُ ما بى يَصدع القَلْـ … ـب فما ظنّك بالكلّ

كتابة لابن عبدربه على كأس مذهبة

ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

أشرب على منظرٍ أنيـقٍ … وأمزُجْ بريق الحبيب ريقى

وأحلُلْ وِشاح الكَعاب رِفقاً … واحذَر على خَصرها الدّقيق

(١) جعل هذان البيتان فيما عدا ن مما كتبته وصيف جارية الطائى على عصابتها .

(٢) فى بعض النسخ : « بوصفها » .

(٣) فى بعض النسخ : « مذكرة مؤنثة » .

(٤) ماس يميس : تبختر فى مشيه .

وقُل لمن لام فى التّصابى   إليك خَــلٌّ عن الطريق

لصريع الغوانى فى صفة كأس

وقف صَريعُ الغوانى بباب محمد بن مَنصورٍ فاْستسقَى ، فأمر وصيفاً له فأخرج إليه خَمراً فى كَأس مذهبة ، فلما نظر إليها فى راحته قال :

ذهبٌ فى ذَهب را   ح بها غُصن لُجينِ
فأتت قُرّةَ عَينٍ   من يدَىْ قُرة عَينِ
قمــرٌ يَحمل شمساً   مرحباً بالقمــرين
لا جَرى بينى ولا بيـــنهما طائرُ بين
وبَقينا ما بَقينا   أبدًا ملتقيين(١)
فى غَبوقٍ وصَبــوح   لم نَبع نقداً بدَين

ما كتب على مروحة

محمد بن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الله(٢) قال : رأيت على مِروحة مكتوبا :

الحمدُ لله وحدَه   وللخليفة بعــدَه
وللمحبِّ إذا ما   حَبيبُه بات عنده(٣)

ما كتب على سرير

وقال : ورأيت فى مجلسٍ سريراً مكتوبا عليه بالذهب :

أشهَى وأعذبُ مِن رَاحٍ ومن وَرْدِ   إلفان قد وَضعا خدًّا على خَــدِّ
تضمُّ إحداهما أحشاء صاحبِــه   حتَّى كأنهما للقُرب فى عقــد
هذا يَبوح بما لاقاه من حُرَقٍ   وذاك يُظهر ما يُخفِى من الوَجد(٤)

ما كتب على عصابة

وفى عصابة أخرى :

فإنْ يحجبوها بالنهار فما لهمْ   بأنْ يحجبوا بالليل عنّى خيالَها

ما كتب على عصابة حسناء

قال أبو عَبيدة : ورأيت على [عصابة] حسناء مكتوبا :

(١) فى بعض النسخ : « متفقين » .
(٢) فى بعض النسخ : « بن عبد الله » .
(٣) ن : « كان عنده » .
(٤) فى بعض النسخ : « من حزن » .

كَتبتْ فى جَبينها بعَبيرٍ على قَمر
فى سُطور ثلاثةٍ : لعن اللهُ مَن غَدر
وتناولتُ كفَّها ثم قلتُ أسمعى الخَبر[(١)]
كلُّ شىء سوى الخيا نة فى الحُب يُغتَفرْ
فإذا خانك الحبيـ ـبُ فذرْه إلى سَقَر[(٢)]

٤٤٢/٣ قال الأصمعىّ : رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة كلٍّ واحدة منهن مكتوب : — ما كُتب على عصائب وصائف الرشيد

نحن حُورٌ نَواعِمٌ من أراضٍ مُقدّسهْ
أحسنَ اللهُ رِزقَنا ليس فينا مُنحَّسه[(٣)]
فاتق الله يا فتى لا تَدعنى مُوسوسَه

السكرمانى والمأمون

وقال أبو جعفر الكَرْمانىّ يوماً للمأمون : أتأذن لى فى دُعابة ؟ قال : هاتِها ويحك فما العيشُ إلاّ فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنك ظلمتَنى وظلمت غسّان بن عباد . قال : وكيف ذلك ويْلَك ؟ قال : رفعتَ غسّانَ فوق قدرِه ، ووضعتَنى دون قدرى ، إلاّ أنّك لغسّانَ أشدُّ ظُلما . قال : وكيف ؟ قال : لأنك أقمتَه مقام هزء ، وأقمتنى مقام رَحْمَة . فاستظرف ذلك منه ورفع درجته .

دعابة عبد الملك لعطاء

أبو زيد قال : كان عطاء بن أبى رَبَاح مع ابن الزُّبير ، وكان أملحَ الناس جواباً ، فلما قُتل ابن الزُّبير أمّنه عبدُ الملك بن مروان ؛ فقدم عليه ، فسأل الأذن ، فقال عبدُ الملك : لا أريده يُضحِكنى ، قد أمّنتُه فلينصرف . قال أصحابه : فنحن نتقدَّم إليه أن لا يفعل . فأذن له عبدُ الملك ، فدخل وسلَّم عليه ، وبايعه ، ثم ولّى ، فلم يَصبر عبدُ الملك أن صاح به : ياعطاء ، أمَا وجدَتْ أُمُّك أسماً إلاّ عطاء ؟

(١) هذا البيت ساقط من ن .
(٢) هذا البيت من ن فقط .
(٣) ن : « منجسه » بالجيم .

قال : قد والله أُستنكرتُ من ذلك ما أُستنكرتَه يا أمير المؤمنين ، لو كانت سمّتنى بأمّىْ المباركة صلوات الله عليها مَريم . فضحك عبد الملك ، وقال : أُخرج .

بين هارون ولاعب شطرنج

لعب رجلٌ بين يدَىْ هارونَ بالشِّطرنج ، فلما رآه قد استجاد لعبَه وفاوضه الـكلام قال له : ولِّنى نهر بوق . قال : بل أوَلّيك نصفه ، اكتبوا عهده على بُوق . قال : فولِّنى على أرمينية . قال : أخشى أن يبطئ علىَّ خبرُك . قال : فغيِّرها . قال : لا أريد أن أبعدَك من نفسى[1] .

حكم سعد بين بنى راسب وبنى طفاوة

وأُختصم إلى زيادٍ بنو راسب و بنو طُفاوة[2] فى غلام ادّعوه ، وأقاموا جميعاً البيِّنةَ عند زياد . فأشكلَ على زيادٍ أمرُه ، فقال سعدُ الرابية[3] ، من بنى عمرو بن يَربوع : أصلح الله الأمير ، قد تبيّن لى فى هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البيّنةُ لبنى راسب والطّفاوة ، فولِّنى الحـكمَ بينهم . قال : وما عندك فى ذلك ؟ قال : أرى أن يُلقى فى النَّهر ، فان رَسب فهو لبنى راسب ، وإن طَفا فهو للطُّفاوة . فأخذ زيادٌ نعليه وقام وقد غَلبه الضحك ، ثم أرسل إليه فقال[4] : ألم أنْهَكَ عن المُزاح فى مجلسى ؟ قال : أصلح الله الأمير ، حَضرنى أمرٌ خِفت أن أنساه . فضحك زياد وقال : لا تعودنّ .

أفصح أهل البصرة وأجملهم

أبو زيد قال : لم يكن بالبَصرة أفصحُ لسانا ولا أظهرُ جمالاً من الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وزُرعة بن أبى حَمزة الهلالىّ .

قال : وأخبرنى الوليد بن عُبيد البُحترى الشاعر قال :

المتوكل وعبادة المخنث

كنا عند المتوكِّل على الله يوما ، و بين يديه عُبادة المخنّث[5] ، فأمَر به

(١) هذا الخبر من ن فقط .

(٢) راسب : حى من جرم . المعارف ٥١ . وبنو الطفاوة ، بالضم : حى من قيس عيلان . القاموس .

(٣) فى عيون الأخبار (٢ : ٦٠) أن الحـكم هو « ابن عرباض » .

(٤) بعده فى ن زيادة محرفة ، وهى : « فقال معاوية إذا أبو سفيان قطرة ، ويتركان ماجم من مائه نزيفا وما اشتد من منيته ضعيفا . فكان زرعة إذا ذكر بعد ذلك يقول : ما كان شأنى وشأن معاوية » .

(٥) ن : « المؤنث » .

فأُلقى فى بعض البِرك فى أيام الشتاء ، فأُبتلّ وكاد يموت بردًا ، قال : ثم أخرج من البركة وكُسى ، وجُعل فى ناحية من المجلس . فقيل له : ياعُبادة ، كيف أنت وما حالك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، جئتُ من الآخرة . فقال له : كيف تركت أخى الواثق ؟ قال : لم أَجُزْ بجهنّم . فضحك المتوكّل وأمر له بصلة .

نوادر أشعب[1]

قال أشعب : فىّ وفى أبى الزِّناد عجب ، كنتُ أنا وهو فى كَفالة عائشة بنت عثمان[2] فما زال يعلو وأسفل حتّى بلغنا غايتنا هذه .

قيل لأشعب : لو أنّك حفِظتَ الحديث حِفْظكَ هذه النوادر ، لكان أولى بك . قال : قد فعلتُ . قالوا له : فما حفظتَ من الحديث ؟ قال : حدّثنى نافع عن أبن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من كان فيه خصلتان كُتب عند الله خالصا مُخلصا» . قالوا : إن هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان ؟ قال : نَسى نافع واحدة ونَسيت أنا الأخرى .

وقال أشعب : رأيت رُؤيا نِصفُها حقّ ونِصفها باطل . قالوا له : كيف ذلك ؟ قال : رأيتُنى أحمل بَدرةً ، فمن شدّة ثِقلها علىّ كنت أسلَحُ فى ثيابى ، ثم أُنتبهت فإذا أنا بالسَّلح ولا بَدرة .

ساوم[3] أشعبُ رجلاً بقوس ، فقال له : أقلُّ ثمنها دينار . قال أشعبُ :
٤٤٣/٣ والله لو أنّك إذا رميت بها طائراً فى جوّ السماء فوقع مَشويّا بين رغيفين ما أشتريتها منك بدينارٍ أبدا .

وقيل لأشعب : خفّفتَ صلاتَك . قال : إنّه لم يُخالطها رِياء[4] .

(١) انظر الأغانى (١٧ : ٨٣ — ١٠٥) وجمع الجواهر للحصرى ٥٤ — ٥٦ .
(٢) فى الأصول : « فاطمة بنت عثمان » ، صوابه فى الأغانى وجمع الجواهر .
(٣) ن : « وسام » .
(٤) فى بعض النسخ : « لأنها صلاة لا يخالطها رياء » .

وضرب الحجّاجُ أعرابيًّا سبعَمائة سوط ، وهو يقول عند كلّ سوط : شكراً لك يارب . فلقيه أشعبُ ، فقال : أتدرى لم ضربك الحجّاجُ سبعَمائة سوط ؟ قال : ما أدرى . قال : لكثرة شكرك لله . يقول الله : (لئن شكرتم لأزيدنّكم) فقال الأعرابىّ :

يارب لا شُكراً فلا تزِدْنى أسأتُ فى شكركَ فاعفُ عنّى
* باعِدْ ثَوابَ الشاكرين منّى *

وسأل رجلٌ من أشعبَ أن يُسلفه ويُؤخّره فقال : هاتان حاجتان ، فإذا قضيتُ لك إحداهما فقد أنصفت . قال له الرجل : رضيتُ . قال : فأنا أُؤخرك ما شئتَ ولا أُسلِفك .

أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى القعقاع . قال : رأيت أشعبَ فى السُّوق يَبيع قطيفة ، ويقول للمشترى : أريد أن أبرأ إليك من عَيب . قال : وما ذاك ؟ قال : يحترق تحتها مَن دُفِن فيها .

قال أشعب : مَن بال ولم يَضْرط كُتب من الكاظِمين الغيظ[1] .

وقيل لأشعب : هل خُلِق خَلْق أَطمع منك ؟ قال : بلى ، أُمّى ؛ فإنّى كنت إذا جئتها بفائدةٍ قد أُعطِيتُها قالت : ما جئتَ به ؟ فأتهجّى لها الشىء حرفا حرفا . ولقد أُهدِى لنا مرّةً غلام فقالت : ما أُهدى لنا ؟ قلت : غين . قالت : ثم ماذا ؟ قلت : لام ألف ميم . فأُغمى عليها ، وجعلَت تَضرِط[2] . ولو أخبرتها به جملةً لطار قلبُها فَرَحا[3] .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظرْ إلى اثنين يتسارّان إلاّ حسبت أنّهما يأمران لى بشىء .

(١) نسب هذا القول فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) إلى ابن شبابة مولى بنى أسد .
(٢) الكلام بعد « حرفا حرفا » إلى هنا ساقط من ن .
(٣) فى بعض النسخ : « ولو أكلت لها الحروف لماتت فرحا » .

ونظر أشعبُ إلى رجل قَبيح الوجه ، فقال : ألم يَنهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنّهار .

ومرّ أشعب برجلٍ نجّار يعمل طبقا(١) فقال له : زد فيه طوقا واحدا تتفضّل به علىّ . قال : وما يدخل عليك من ذلك ؟ قال : لعلّ يوماً يُهدى إلىّ فيه شىء .

قال الأصمعى : أخبرنى هارون بن زكريا عن أشعب قال : أدركتُ الناس يقولون : قُتِل عثمان . قال الأصمعى : وعاش أشعبُ إلى زمان المهدىّ ورأيته .

من نوادر الأعمش

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة ، فردّ عليه فلم يَسمع ، قال له : زدنى فى السماع يرحمك الله . قال : ما ذلك لك ، ولا كَرامة . قال : فبينى و بينك رجلٌ من المسلمين . قال : فخرجا إلى الطّريق ، فمرّ بهما شَريك القاضى فقال : إنى حدّثت هذا بحديثٍ فلم يسمَعْ ، فسألنى أن أزيده فى السماع لأنّه ثقيل السمع وزَعم أنّ ذلك واجبٌ له ، فأبيتُ . قال له شريك : عليك أن تزيدَه ، لأنّك تقدر أن تزيد فى صوتك ، ولا يقدر أن يزيد فى سمعه .

أتت ليلةُ الشكّ من رمضان ، فكثُر الناس على الأعمش يسألونه عن الصّوم ، فضَجر ، ثم بعث إلى بيته فى رُمّانة(٢) فشقّها ووضعَها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبلَ يريد أن يسأله تناول حبّة فأكلها ، فكفَى الرّجلَ السؤالَ ونفسَه الردّ .

قال رَقَبة بن مَصقلة : سفِهُ علينا الأعمش يوماً ، فقالت امرأته من وراء السِّتر : أحلِموا عنه ، فوالله ما يَمنعه من الحجّ منذ ثلاثين سنةً إلاّ مخافةُ أن يَلطِم كَرِيّه(٣) ، أو يشتم رفيقَه .

طلبت بنتُ الأعمش من الأعمش حاجةً ، فحجبها بالردّ(٤) ، فقالت : والله

(١) فى الأغانى (١٧ : ٩٠) أنه وقف على امرأة تعمل طبق خوص .
(٢) فى بعض النسخ : « فجىء إليه برمانة » .
(٣) الكرى : المكارى ، وهو من يعير دابته بأجر .
(٤) كلمة « بالرد » ليست فى ن .

ما أعجبُ منك، ولكنّى أعجب من قوم زوّجوك .

ودخل رَقَبَة بن مَصقلةَ على الأعمش ، فقال : إنّا والله لنأتيك فما تنفعُنا ، ونتخلّف عنك فما تضرُّنا ، و إنّ الوقوف إليك لذُلٌّ ، و إنّ تركَكَ لحسرة ، تُسأل الحكمة فكأنما تُسْعَط الخردل ، وما أشبّهك إلّا بالصاخِيقون(١) ، فإنّه كريه الشّربة ، نافعٌ للمعدة . فرفع رأسَه الأعمش وقال : مَن هذا المتكلم ؟ فقيل له : رقبة بن مَصقلة . فنكّس رأسه .

٤٤٣/٣ وقال رجلٌ من تلاميذ الأعمش : صَنعتُ للأعمش طعاما ، ثم دعوتُه ، فمضى معى وأنا أقوده ، حتّى سقطت رجلُه فى حُفرة يعملها الصِّبيان للكرة ، فقال : ما هذا ؟ قلت : حُفرة يعملها الصبيان للكرة . قال : لا ، ولكنّك حَفرتها لتقع رجلى فيها . والله لا أكلتُ عندك يومى هذا طعاما . قال : فحملت الطعام إليه ، ثم صنعتُ له بعد ذلك طعاما ودعوته إليه ، فقال : ادخل بنا الحمّامَ قبل ذلك . فأدخلته الحمام ، فلما جئت أن أصبّ الماء الحارّ على رأسه قال : ما دعاك إلى هذا ؟ أردت أن تسلُخ قفَاى ، والله لا أكلت عندك يومى هذا طعاما ! قال: فحملتُ الطعام إليه(٢) .

وكثر الشَّعْر على الأعمش فقلنا له : لو أخذْتَ من شَعرك ؟ قال : لا أجد حجّاما يسكت حتّى يفرُغ . قلنا له : فإنا نأتيك بحجّامٍ ونتقدّم إليه أن يسكُت حتّى يفرُغ . قال : فافعلوا . قال : فأتيناه بحجّام وأعذرنا إليه ألا يتكلم حتى ينقضِىَ أمرُه ، فبدأ الحجّام بحلقِه ، فلمّا أمعنَ فى حَلقه سأله عن مسألة ، فنفضَ ثيابَه(٣) وقام بنصف رأسه محلوقا ، حتى دخل بيته ؛ ثم جِئناه بغيره ، فقال :

---

(١) لم نجد له ذكرا فى كتب المفردات الطبية ، إلا أن يكون « السقوطن » وهو ما يطلق عليه « حى العالم » . انظر تذكرة داود .

(٢) قال فحملت الطعام إليه ، ليست فى ن .

(٣) فى بعض النسخ : « فمض بنابه » .

لا والله لا أخرُج إليـه حتى تصوّموه أو تحلّفوه . فحلّفناه ألّا يسأله عن شىء . فخَرَج إليه(١) .

تبرم محمد بن مطروح

ولمحمّد بن مطروح الأعرج من التبرّم المليح ، والضجَر الموقع ، ما هو أحسنُ من هذا وأوقع .

وسأله رجلٌ يوما : ما تقول يرحمك الله فى رجل مات يوم الجمعة ، أيعذَّب عذاب القبر ؟ قال : يُعذَّب يومَ السبت .

وقال له آخر : أتجد فى بعض الحديث أن جهنّم تخرب ؟ قال : ما أشقاك إن أتّكلت على خرابها .

واستسقى بالنّاس يوماً ، فأسرع بالصّلاة قبل أن يتوافى الناسُ ، فلما أنصرف تلقّاه بعض الوزراء ، فقال له : أسرعت أبا عبد الله . قال : ليس علينا أن ننتظر حتى تشربوا وتأكلوا(٢) .

هو وقومس

وكانت لقومس(٣) الكاتب منه منزلة وجِوار ، وكان يُتحفه ويتفقّده بما أمكنه من الهدايا ، وكانت صلاتُه معه فى الجامع والأعرجُ صاحب الصلاة ، فإذا حضرت الصلاةُ ولم يحضُر قومس(٤) قال لبعض القَوَمة : أنت يا شيطان ، كلّم هؤلاء الكلاب لا يقيموا الصـلاةَ حتى يأتى ذا الخنزير . فكان برُّه فى حبس الصلاة عليه برًّا العقوقُ خيرٌ منه .

هو وخصى زرياب

وكان يجلس إليه خَصِىّ لزِرْياب ، قد حجّ وتنسّك ولزِم الجامع ، فيتحدّث فى مجلسه بأخبار زرياب ، ويقول : كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا . فقال له : الأعرج : من أبو الحسن هـذا ؟ قال : زرياب قال : بلغنى عنه أنه كان أخرقَ الناس لاستِ خَصِىّ .

(١) ن : « وكذلك خرج إليه » .
(٢) ن : « أن ننتظر الثمالى حتى يشربوا البنش » .
(٣) فى بعض النسخ : « لفراس » .
(٤) فى بعض النسخ : « فراس » .

وسأله مرّة وقال له : ما تقول فى الكبش الأعرج . أيجوز فى الأُضحِية ؟ قال . نعم والخصىُّ أيضا مثلك .

أبو يعقوب الخريمى ومنصور ابن عمار

وسمع أبو يعقوب الخريمىُّ منصورَ بن عمّار صاحب المجالس[١] ، يقول فى دعائه[٢] : « اللهم اغفر لأعظمنا ذَنبا ، وأقسانا قلبا ، وأقربنا بالخطيئة عهداً ، وأشدّنا على الدنيا حرصا » . فقال له : امرأتى طالق إن كنتَ دعوتَ إلّا لإبليس .

ابن طاوس وابنا عبدالله بن الحسن

الأصمعى قال : حدّثنا بعضُ شيوخنا عن ابن طاوس قال : أقبلت إلى عبد الله بن الحسن ، فأدخلنى بيتاً قد نُجِّد بالرُّهاوىّ والميسانىّ[٣] ، وكل فِرْشة شريفة[٤] . قال : فبسطت نِطْعاً[٥] وجلست عليه ، وابناه محمد وإبراهيم صبيَّان يلعبان ، فلما نظرا إلىّ قال أحدهما لصاحبه : ميم . فقال له الآخر : جيم . فقلت أنا : نون واو نون . فاستغربا ضحكا وخرجا إلى أبيهما .

قصة الحائك وأبى على الأشرس

أبو زيد قال : سكِر حائِكٌ من الزُّطّ[٦] ، فحلفَ بالطلاق ليغنّينه أبو على الأشرس[٧] ، فمضى معه جماعةٌ إلى أبى على ، فأخبروه ، وقالوا : سكِر وامتلأ[٨] وحلف بالطّلاق ليغنّينّه . فأقبل على الحائك ، فقال : يا مُرْد سَبْز[٩] ، يا مُرْد

---

(١) ترجم له ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢ : ١٧٣) والخطيب فى تاريخ بغداد (١٣ : ٧١ — ٧٩) .

(٢) ن : « إصرارا » .

(٣) الرهاوى : نسبة إلى الرها بضم الراء : مدينة بالجزيرة . والميسانى : نسبة إلى ميسان ، وهى كورة بين البصرة وواسط . فى بعض النسخ : « والمبانى » تحريف .

(٤) فى بعض النسخ : « فرشة حرير » .

(٥) ن : « نطعى » .

(٦) الزط ، بالضم : جيل من الهند ، معرب « جت » . انظر القاموس ومفاتيح العلوم ٧٤ ومعجم استينجاس ٣٥٦ .

(٧) فى بعض النسخ : « الأشراسى » .

(٨) فى بعض النسخ : « سكر فابتلى » .

(٩) سبز ، بفتح السين ، معناه بالفارسية الأخضر . ن : « سفرا » وفيما عدا ن : « ياقرد سعد » صوابهما ما أثبتنا .

خُشْ[١] يا مُرْد تَرْ[٢] . إياك أن تعود .

قال أبو زيد : تفسيره : ياسمين أخضر ، ياسمين طيب[٣] ، ياسمين رطب .

ابن المقفع وأحد البخلاء

٤٤٥/٣ وكان شيخ من البُخلاء يأتى إلى ابن المُقَفَّع ، فألحّ عليه يسأله الغداء عنده ، وفى كلّ ذلك يقول له : أترَى أنّك ترانى أتكلّف لك شيئا ؟ لا والله ، لا أقدّم لك إلّا ما عندى . فأجابه يوما ، فلما أتاه إذا ليس عنده ولا فى منزله إلّا كسرةٌ يابسة ومِلح جَرِيشٌ . ووقف سائلٌ بالباب ، فقال له : بُورِك فيك . فألحّ عليه فى السؤال ، فقال له : لئن خرجتُ إليك لأدقّنّ ساقيك ! فقال ابن المقفّع للسائل : أنك والله لو علمت من صدق وعيده ما علمتُ من صدق وعده لم تُرادّه كلمة ، ولا وقفتَ طرفةَ عين[٤] .

رقبة بن مصقلة وأحد الزهاد

مرّ برقبةَ بن مَصقلة رجلٌ زاهد غليظ الرّقبة ، فقال : هذا رجلٌ زاهد ، والعلامات فيه بخلاف ذلك . فقال له رجل : أ كلّه بذلك أصلحك الله ، لئلا تكون غِيبة ؟ قال : كلّه حتى تكون نَميمة .

سبع من العجائب

قال شَريك بن عبد الله القاضى : سبعٌ من العجائب : عمياء مُنتقِبة ، وسوداء مختضِبة ، وخَصِيٌّ له امرأة ، ومخنثٌ يؤُمّ قوما ، وأمويٌّ شيعىٌّ ، ونَخَعى مُرجِئىٌّ ، وعَربىٌّ أشقر . ثم قال شريك : من المحال عربىٌّ أشقر .

ما اجتمع فى ضرار بن عمرو

قالوا : كانت فى أبى عمرو ضرارِ بن عمرو ثلاثةٌ من المُحال : كان كوفيا

---

(١) خش بضم الخاء ، هى « خوش » ، ومعناه بالفارسية الطيب . ن « حس » وما عدا ن : « أيام حسا » ، صوابهما ما أثبتنا .

(٢) تر ، بفتح التاء بمعنى رطب فى الفارسية . والكلمة مهملة فى ن . وفى سائر النسخ : « باردبدا » تحريف .

(٣) هذه الكلمات الأربع ساقطة من ن . على أن تفسير « مرد » بمعنى الياسمين غير صحيح . فقد جاء فى كتاب السامى فى الأسامى للميدانى ، فى الباب الرابع (فصل الرياحين) : « الآس والرند والعبار : مورد » بضم الميم . وأما الياسمين فهو بالفارسية « ياسمن » ، أو « ياسَم » أو « يَاسِم » أو « ياسمون » أو « ياسمين » . انظر استينجاس ١٥٢٦ .

(٤) الخبر فى كتاب البخلاء ص ١٠١ .

مُعتزلا ، وكان من بني عبد الله بن غطفان ، ويرى رأى الشعوبية . ومحال أن يكون عربىٌّ شعوبيا ومات وهو ابن سبعين سنة .

من فتاوى شريح

وقيل لشُرَيح القاضى : أيُّهما أطيب : اللَّوز ينق أو الجوز ينق ؟ فقال : لا أحكم على غائب .

فتوى عمر بن قيس

وسأل رجلٌ عُمَرَ بن قَيْسٍ عن الحصاة من حَصَى المسجد يجدها الإنسانُ فى ثوبه أو خُفِّه أو جبهْتِه ؟ فقال : له أرم بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتّى تُرَدَّ إلى المسجد . قال : دعها تَصيح حتى ينشقّ حلقها . قال الرجل : أوَلها حلق[1] ؟ قال : فمن أين تَصيح .

فتوى الشعبى

وسُئل عامرٌ الشعبىُّ عن المسجد الخَرِب أيُجامَع فيه ؟ قال : نعم ، ويُخْرأ فيه .

بين ناس وزوجه

الأصمعىُّ قال : ولى رجل مُقِلٌّ قضاءَ الأهواز ، فابطأت عليه أرزاقُه ، وحضر الأضحى ليس عنده ما يضحِّى به ولا ما يُنفق ، فشكا ذلك إلى امرأته ، وأخبرها بما هو فيه من الضِّيق ، وأنه لا يقدر على الأضحية . فقالت له : لاتغتمّ ، فإنّ عندى ديكا جليلا قد سمنته ، فإذا كان يوم الأضحى ذَبَحناه . فبلغَ جيرانَه الخبرُ ، فأهدَوا له ثلاثين كبشاً وهو فى المصَلَّى لا يَعلم ، فلما صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحى ، قال لامرأته : من أين هـذا ؟ قالت : أهدَى لنـا فلانٌ وفلان وفلان . حتى سمّت جماعتَهم . فقال لهـا : ياهذه تحفَّظى بديكنا هذا ، فلهو أكرمُ على الله من إسحاق بن إبراهيم ، إنه فُدِى بكبشٍ واحد ، وقد فُدِى ديكُنا هذا بثلاثين كبشا .

أبو دلامة والمهدى

خرج أبو دُلامة[2] مع المهدىّ فى مَصادٍ لهم ، فعنّ لهم ظبىٌ فرماه المهدىّ فأصابه ، ورَمى علىّ بن سليمانَ فأخطأ وأصاب الـكلب ، فضحك المهـدىّ وقال لأبى دلامة : قل . فقال :

(١) ن : « ومن أين لها حلق » .

(٢) الخبر فى جمع الجواهر للحصرى ٩٠ — ٩١ .

قد رمى المهديّ ظبياً شكّ بالسّهم فؤاده
وعليّ بنُ سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كُـ لُّ امرئٍ يأكل زاده

لأبى دلامة

وكتب أبو دُلامة إلى عيسى بن موسى ، وهو والى الكوفة ، رقعةً فيها هذه الأبيات :

إذا جئتَ الأميرَ فقل سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرّحيمُ
وأمّا بعدَ ذاكَ فلى غَريمٌ من الأنصار قُبِّح من غَريم[(١)]
لَزومٌ ما علمتُ بباب دارى لزومَ الكلبِ أصحابَ الرقيم[(٢)]
له مائةٌ علىَّ ونصفُ أخرى ونصفُ النّصف فى صكٍّ قَديم
دَراهمُ ما انتفعت بها ولكن حَبوتُ بها شُيوخ بنى تميم[(٣)] ٤٤٦/٣

أبو دلامة والمهدى

ودخل أبو دُلامة على المهدىّ ، وعنده محمّد بن الجهم وزيرُه ، وكان المهدىُّ يَستثقله فقال له : أبا دُلامة ، والله لا تَبرحُ مكانَك حتّى تهجوَ أحدَ الثلاثة . فهمّ أبو دُلامة بهجاء ابن الجهم ، ثم خاف شرّه ، فرأى أنّ هجاء نفسِه أقلُّ ضرراً عليه ، فقال :

ألا أبلغْ لدَيكَ أبا دُلامهْ فليسَ من الكرام ولا كَرامه
إذا لبس العِمامة كان قرداً وخنزيراً إذا وضع العِمامه[(٤)]
وإن لَزِم العمامةَ كان فيها كقردٍ ما تفارقه الدمامه[(٥)]

أبو دلامة ويزيد ابن مزيد

وعرض أبو دُلامة ليزيدَ بن مَزيد ، وهو قادمٌ من الرّىّ ، فأخذ بعنان فرسه وأنشدهُ :

(١) هذا ما فى ن . وفى سائر النسخ : « من الأعراب أقبح » .
(٢) فى بعض النسخ : « لزوم الكهف » .
(٣) ن : « وصلت بها » .
(٤) ن : « إذا نزع العمامه » وكتب إزاءها بالهامش : « إذا جعل العمامة » . وفى ن أيضا : « وخنزيرا إذا نزع العمامه » .
(٥) فى بعض النسخ : « كثور لا تفارقه الكمامه » . والقصة فى جمع الجواهر ٩٠ .

إنّى حلفتُ لئن رأيتُك سالماً بقُرى العِراق وأنت ذو وَفْرِ [١]
لتُصلّينّ على النبىّ محمد ولتمـلأنّ دراهما حِجرى

فقال له : أما الصلاة على النبىّ فصلّى الله عليه وسلّم ، وأمّا الدّراهم فإلى أنْ أرجع إن شاء الله [٢] . فقال له : لا تفرّقْ بينهما ، لا فرّق الله بينك و بين محمّد فى الجنة ! فاستسلفَها [٣] من أصحابه وصبّها فى حجره حتّى أثقله [٤] .

تمنى أبى دلامة على المهدى

ودخل أبو دُلامة [٥] على المهدىّ فأسمعه مديحاً له فيه ، فأعجبه وقال له : سَلْ حاجتَك . قال : كلْب صيدٍ أصطادُ به . قال : قد أمرنا لك بكلب تصطاد به . قال : وغُلامٌ يقود الكلب . قال : وغلام يقود الكلب [٦] . قال : وخادمٌ تطبخ لنا الصّيد . قال : وخادم [٧] . قال : وداراً نسكنها [٨] . قال وداراً تسكنها [٩] . قال : وجارية آوى إليها . قال : وجارية . قال : بقى الآن المعاش . قال : قد أقطعناكَ ألفَ جَريب عامرة ، وألف جريبٍ غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : التى لا تَعْمَر . قال : فأنا أُقطِع أميرَ المؤمنين خَمسين ألفا من فيافِى بنى أسَد . قال : فإنّا نجعلها عامرة كُلَّها . قال : فيأذن أمير المؤمنين فى تقبيل يده . قال : أمّا هذه فدعْها . قال : ما منعتَنى شيئاً أيسرَ على أمّ عيالى فقداً منه [١٠] .

---

(١) فى بعض النسخ : « إنى نذرت » .
(٢) ن : « فسكما نرجع » فقط .
(٣) فى بعض النسخ : « فاقترضها » .
(٤) فى بعض النسخ : « أثقلته » .
(٥) الخبرفى الحيوان (٢ : ١٧٠) والأغانى (٩ : ١١٦) وجمع الجواهر ٩٠ .
(٦) فى بعض النسخ : « قد أمرنا لك بغلام » .
(٧) فى بعض النسخ : « وأمرنا لك بخادم » .
(٨) فى بعض النسخ : « ودار نأوى إليها » .
(٩) فى بعض النسخ : « أمرنا لك بدار » .
(١٠) فى بعض النسخ : « ما تمنعنى شيئاً أحبّ إلىّ منها » .

المضحكات

بين خاطب ووسيط يزكيه

أبو الحسن المدائنى قال : خطبَ رجلٌ من بنى كِلاب امرأةً فقالت أمها : دعنى حتى أسألَ عنك . فانصرف الرّجلُ فسأل عن أكرم الحىّ عليها ، فدُلّ على شيخ منهم كان يُحسن المحضر فى الأمر(١) ، فسأل عنه ، فأتاه فسأل(٢) أن يُحسنَ عليه الثناء ، وانتسب له ، فعرّفه . ثم إنّ العجوز غدت عليه فسألته عن الرجُل ، فقال : أنا أعرفُ الناس به . قالت له : فكيف لسانه ؟ قال : مِدْرهُ قَومه وخَطيبُهم . قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : مَنيع الجار ، حامى الذِّمار(٣) . قالت : فكيف سماحته(٤) ؟ قال . ثِمالُ قومٍ ورِبيعُهم . وأقبل الفتى فقال الشّيخ : ما أحسَنَ والله ما أقبل ، ما أثنى ولا أنحى . ودنا الفتى فسلَّم ، فقال الشيخ ما أحسن والله ما سلّم ، ما فار ولا ثار . ثم جلس فقال الشيخ : ما أحسن والله ما جَلَس ، ما دَنا ولا نأى . ثمّ ذهب الفتى ليتحرّك فضَرط ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما ضَرَط ، ما أطَنّها ولا أغَنّها ، ولا بَرْبَرَها ولا قَرْقرها . ونهض الفتى خجِلاً ، فقال : ما أحسن والله ما نهضَ ، ما أرقدَ ولا أقطَوْطَى(٥) . فقالت العجوز : حسبك يا هذا ، وجِّه إليه مَن يردّه(٦) ، فوالله ولو سَلَح فى ثيابه لزوّجناه .

خاطب ماجن

وخطب رجلٌ امرأةً(٧) فجعل يخطبها ويُنمِظ ، فضرب رأسَ ذكرِه بيده وقال : مَهْ إليك يُساق الحديث .

---

(١) فى بعض النسخ : « التوسط فى الأمر » .
(٢) فى بعض النسخ : « فأتاه يسأله » .
(٣) الكلام بعد : « وخطيبهم » إلى هنا ساقط من ن .
(٤) ن : « سخاؤه » .
(٥) ارقد ارقداداً : أسرع فى السير . واقطوطى : قارب فى خطوه .
(٦) هذه الجملة ساقطة من ن .
(٧) هذا الخبر مما انفردت به نسخة ن .

لأبي تمام في حمار وغلام

أبو سويد قال: كان لحبيب بن أوس حمارٌ حِصان[١]، وغلام مؤنّث، فإذا نزل أخذ الحمار ينهق والغلام يمجُن في كلامه. قلنا له: إنما أنت فضيحة، فهل قلتَ فيهما شيئاً؟ فقال:

لي حمارٌ وغلامٌ وهما مختلفـــانِ
أيرُ ذا يُنعِظ للنَّيـ ـك وذا رِخو العنانِ
لو بهذا عفَّ هـذا لاستراح الثَّقَلانِ

ما قال بشار على لسان حماره

محمد بن الحجاج البزّاز، وكان راوية بشّار قال[٢]: قال بشّار ذاتَ يوم وهو يَعبَث، وكان مات له حمارٌ قبل ذلك، قال: رأيتُ حماري البارحةَ في النَّوم، فقلت له: ويلك مالكَ متَّ؟ قال: إنّك ركبتني يوم كذا وكذا فمررْنا على باب الأصبهاني، فرأيت أتاناً عند بابه، فعشقتُها فمتُّ. وأنشدني:

سيّدي مِلْ بعناني نحو باب الأصبهاني[٣]
إنّ بالباب أتاناً فضَلَت كلَّ أتان
٤٤٧/٣
تيّمتْني يوم رُحنا بثناياها الحِسان
وبغُنــج ودَلال سلَّ جسمي وبَراني
ولها خدٌّ أسيــل مثل خدّ الشيقران[٤]
فبهـا مِتّ ولو عِشْ ـتُ إذاً طال هَواني

فقال له رجل من القوم: يا أبا معاذ. ما الشَّيْقران[٤]؟ قال: هذا من غريب الحمير[٥]. فإذا لقيتم حماراً فسلوه[٦].

---

(١) أصل الحصان الفحل من الخيل.
(٢) الخبر في الأغاني (٣: ٦٢/٨: ٧٤).
(٣) في بعض النسخ: «خذ لي أمانا من أمان»
(٤) في بعض النسخ: «الشنقراني» وفي الأغاني: «الشيفران».
(٥) في بعض النسخ: «هو شيء يتحدث به الحمير».
(٦) في بعض النسخ: «فاذا لقيت حمارا فاسأله».

لأعرابى فى صفة ركية

وقيل لأعرابىّ وهو واقفٌ على رَكِيّة مالحة(١) : كيف هـذا الماء ؟ قال : يُخْطِىءُ القلب ، ويصيب الاست .

نادرة لأحد الشراب

وأخذ رجل شُرِب ، فأُتى به الوالى فقال : أستَنْكِهوه . فقالوا : إن نكهته لا تُبين عنه . قال : فقيِّئوه . فقال الشارب : فإن لم أَقِئْ نبيذاً(٢) فمن يضمن لى عشائى ؟

بين رجل وأعرابى

ورافق رجلٌ أعرابياً فى سَفَر فقال له : أنا والله أشتهى كَشْكية(٣) ! ومدّ بها صوتَه فضرط . فقال له صاحبه : ما أسْرَعَ ما نفَخَتْك يا ابن أمّ(٤) .

الأحدب الذى صار آدر

أبو الخطّاب قال : كان عنـدنا رجلٌ أحدب فسقط فى بئر فذهبَتْ حَدَبته وصار آدَر(٥) ، فدخلوا يهنئونه ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب !

الأعورُ الذى انقلب أعمى

أبو حاتم قال : رُمى رجلٌ أعورُ بنُشّابة(٦) ، فأصابت عينَه الصّحيحة فقال : أمسينا وأمسى المُلكُ لله .

الجماز فى امرأته

وقال رجلٌ للجمّاز : ولدت امرأتى لستّة أشهر . فقال : لقد كان إناؤُها ضاريا(٧) .

الحجاج وسفط كسرى

قالوا : أُتِى الحجاجُ بسفَط قد أُصيب فى بعض خزائن كسرى مُقفل ، فأمر بالقُفل فكسر فإذا فيه سفطٌ آخر مُقفل ، فقال الحجاج : مَن يشترى منّى هذا السفط بما فيه ولا أدرى ما فيه ؟ فتزايَدَ فيه أصحابُه ، حتى بلغ خمسةَ آلاف دينار ، فأخذه الحجاج ونظر فيه ، فقال : ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العَجم(٨) ! ثم أنفذ البيعَ وعَزم على المشترى أن يفتحَه ويُريه ما فيه ،

(١) الركية : البئر .
(٢) فى بعض النسخ : « شرابا » .
(٣) الكشكية : نسبة إلى الكشك بالفتح ، وهو ماء الشعير .
(٤) ن : « يا ابن أخى » .
(٥) الآدر : العظيم الخصية . والخبر فى الحيوان (١ : ١٧٧) .
(٦) النشابة : واحدة النشاب ، وهى السهام .
(٧) فى اللسان : « نهى على رضى الله عنه عن الشرب فى الإناء الضارى . قال معناه السائل ، لأنه ينغص الشرب على شاربه » . (٨) ن : « كسرى » .

فقتحه بين يديه فإذا فيه رُقعة مكتوب فيها[١] : من أراد أن تطول لحيتُه فَلْيُمشّطها من أسفل .

اعتذار الزوج الذي يصيب جاريته

الزُّبير بن بكار قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير[٢] تستعدى على زوجها ، وتزعم أنه يُصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما ادّعت ، فقال : هي سوداء ، وخادمُها سوداء[٣] ، وفي بَصرى ضَعف ، ويَضرب الليلُ برُواقه وإنما آخذ مَن دنا مني .

لأعرابي وقد سمع خطبة نكاح

قال : وخطبَ رجلٌ خطبةَ نِكاح ، وأعرابيٌّ حاضر ، فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شَريكَ له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح . فقال الأعرابيّ : لا تُقِم الصلاة فإنّي على غير وضوء .

لأحد العميان

وقال[٤] : سمعت أبا موسى عيسى الضمريّ يقول : دخلت الحمام فإذا بأعمى قد ركب أعمى[٥] فقال له : ما هذا ؟ قال : ظلمات بعضها فوق بعض .

بين العوام بن حوشب وعيسى ابن موسى

وقال العوّام بن حَوشب : قال لي عيسى بن موسى : مَن أرضعتْك ؟ قلت : ما أرضعَني خلقٌ سِوى أمي . قال : قد علمت أنّ ذلك الوجه القبيحَ لا يصبر عليه سوى أمّك .

بين ناسك قبيح ورجل مليح

كان رجل مَقِيتٌ قد تنسّك ، وتشبّه بالحسن البصري ، فشهد جنازة ، فوقف على القبر وإلى جنبه رجلٌ مَليح ، فضحك ، فقال له الناسك : ما أعددتَ لهذه الحُفرة يا فلان ؟ قال : قَذْفَك فيها الساعة[٦] .

---

(١) ن : « رقعة مكتوبة » فقط .
(٢) ن : « أبي الزبير »
(٣) في بعض النسخ : « وجاريتها سوداء » .
(٤) هذا الخبر مما انفردت به نسخة ن .
(٥) بعد هذ الكلمة في ن : « ركب يعامله » !
(٦) ن : « أمك تدفنها الساعة » .

بين أعرابى ونبطى

ودخل أعرابىٌّ الحمام فضرط ، فقال نبطىٌّ كان فى الحمام : سُبحانَ الله ! فقال له الأعرابى : يا ابن اللخناء لـكنّ ضرطتى أفصح من تَسبيحك[1] .

لأعرابى فى الجهاد

وقيل لأعرابىّ : مالك لا تجاهد ؟ قال : والله إنّى لأُبغض الموتَ على فراشى، فـكيف أن أسعى إليه ركضا .

لأعرابى فى شهادة زنا

واستشهدُوا أعرابيًا على رجل وامرأة زنيا فقيل له : أرأيتَه داخلاً وخارجا كالمِرود فى المُـكحُلة ؟ فقال : والله ما كنت أرى هذا لو كنت جلدةَ أُستها .

ما وجد عند رأس منبوذ

وُجد مَنبوذ بضِفّة العراق[2] وعند رأســه مائة دينار ورقعةٌ مكتوب فيها : « أنا الشقىّ ابن الشقية ، وابن القَدح والرطلية[3] ، وابن البغىّ والبَغية ، وابن الأبقال الطرية ، مَن كفلنى فله هذه المائة » .

قصة السندى ابن شاهك والحجام

٤٤٨/٣ السِّندىُّ بن شاهَك قائد الخليفة ، قال : بعث إلىّ المأمونُ بريدًا وأنا بخُراسان ، فطويتُ المراحلَ حتى أتيتُ باب أمير المؤمنين وقد هاج بى الدّم وانصرفت إلى منزلى ، فقلت : أحضروا إلىّ الحَجّام . قالوا : هو محموم . قلت : فهاتوا حجّاما غيرَه ولا يكون فضوليًا . فأتَونى به ، فما هو إلاّ أن دارت يداه على وَجْهى حتّى قال : جُعِلت فداك ، هـذا وجه ما أعرِفه ، فمن أنت ؟ قلت : السّندى بن شاهَك . قال : قال : ومن أين قدِمت فإنّى أرى أثرَ السفر عليك ؟ قلت : مِن خُراسان . قال : وأىّ شىء أقدمَك ؟ قلت : وجّه إلىّ أمير المؤمنين بريدًا ، ولـكن إذا فرغتُ سأُخبرك بالقصّة على وجهها . قال : وتعرِّفُنى بالمنازل والسّكك التى جئتَ عليها ؟ قلت : نعم . قال : فما كان إلّا أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين ومعه كُركىّ ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يُقرئك السلام ، وهو يَعذِرك فيما هاج بك من الدم ، وقد أمرك بالتخلّف فى منزلك هـذا إلى

---

(١) ن : « من لسانك » .

(٢) فى بعض النسخ : « فى بعض العراق » .

(٣) فى بعض النسخ : « والركية » .

أن تغدَو عليه إن شاء الله . ويقول : ما أهدِى إلينا اليومَ غير هذا الكُركىّ ، فشأنَك به . قال : فالتفتَ السندى إلى جُلسائه فقال : ما يُصنع بهذا الكركىّ ؟ فقال الحجّام : يُطبخ سِكْباجا . قال السندىّ : يُصنَع كما قال . وحَلف على الحجّام أن لا يبرح ، فحضَر الغــداء فتغدينا وهو ينظر ، ثم قدّم الشراب فلمّا دارت الأقداح قلت : يعلّق الحجّام فى العُقابَين[1] . ثم قلت : جُعلت فداك ، إنك سألتنى عن المنازل والسِّكك التى قدمتَ عليها ، وأنا مشغولٌ فى ذلك الوقت وأنا أقصها عليك فاسْمَع : خرجتُ من خُراسان وقتَ كذا ، فنزلت بمكان كذا ، يا غلام : اضربْ . فضربه عشرة أسواط ، ثم قلت : وخرجت منهُ إلى مكان كذا ، يا غلام أوْجِــع . فضَرَبه عشرة أسواط أخرى ، ولم يزلْ يضربه لــكلِّ سِكّة عشرةً حتى انتهى إلى سبعين سوطًا ، فالتفتَ إلىَّ الحجّامُ وقال : يا سيدى : سألتُك بالله إلى أين تريد أن تبلغ ؟ قلت : إلى بغداد . قال : لستُ تبلغ بغداد حتى تقتلنى ، قلت : فأتركُك على ألّا تعود ؟ قال : والله لا عدتُ أبداً . قال : فتركته وأمرت له بسبعين ديناراً[2] ، فلما دخلت على المأمون أخبرتُه الخبر فقال : وددت أنّك بلغتَ به إلى أن تأتىَ على نَفْسه .

فتوى أبى ضمضم

أتت جاريةٌ أبا ضمضم فقالت : إنّ هــذا قبّلنى . قال لها : قبِّليه ، فإنّ الله يقول : (والجُروحَ قِصاصٌ) .

وارتفعَ رجلانِ إلى أبى ضَمضم ، فقال أحدُهما : أبقاك الله ، إن هذا قَتل ابنى . قال : هل لابنك أمّ ؟ قال : نعم ، قال : أدفعْها إليه حتّى يُولِدها لك ولداً مثلَ ولدك ، ويُربّيه حتى يبلغ مبلغ ولدك ويبرأ به إليك .

اعتذار أعمى لبس ثيابه مبتلة

وكان بالمدينة أعمى يكنى أبا عبد الله ، أتى يوماً يغتسل من عين[3] ، فدخل

(١) العقابان : خشبتان يشبح الرجل بينهما فيجلد . جنى الجنتين المحبى ص ٨٠ . وفى اللسان : « يشبح الرجل بينهما الجلد » ، تحريف .
(٢) فى بعض النسخ : « درهما » .
(٣) ن : « أتى يوما عينا ليغتسل بها »

بثيابه فقيل له : بلّت ثيابَك . قال : تبتلّ علىَّ أحبُّ إلىَّ من أن تجفّ على غيرى .

قصة الناسك الذى كسر الجرة

وفى كتابِ للهند(١) أنّ ناسكا كان له سَمنٌ فى جَرة معلّقة على سريره ، ففكّر يوماً وهو مُضطجع على السَّرير و بيده عُكّاز ، فقال : أبيع الجرّة بعشرةِ دراهم ، وأشترى بها خمسهَ أعنز ، فأولّدهن فى كل سنة مرّتين ، فيبلغ النتاج فى عشر سنين مائتين(٢) وأبيعهن فأبتاع بكلّ عشرة بقرة ، ثمّ ينمّى المال بيدى ، فأبتاع العَبيد والإماء ، و يُولد لى ولد فآخذ به فى الأدب ، فإنْ عصانى ضربتُه بهذه العصا . وأشار بالعصا ، فأصاب الجرّة فانكسرت ، وصب السمنُ علىّ وجهه ورأسه(٣) .

حديث الرجل الذى كان يجمع بين الرجال والنساء

الزُّبير قال : حدثنا بَكّار بن رَبَاح قال : كان بمكّة رجلٌ يَجمع بين الرجال والنساء ويَحمل لهم الشّراب(٤) فشُكِى إلى عامل مكة فغرّبه إلى عرفات(٥) فبنى بها منزلاً ، وأرسل إلى إخوانه ، فقال : ما يَمنعُكم أن تُعاودوا ما كنتم فيه ؟ قالوا : وأين بك وأنت فى عرفات ؟ فقال : حِمارٌ بدرهم ، وقد صرتم على الأمن والنُّزهة . ففعلوا فكانوا يركبون إليه حتى فسدت(٦) أحداث مكة ، فعادوا

٤٤٩/٣ بشكايته إلى والى مكّة ، فأرسَل فيه فأتى به فقال : ياعدو الله ، طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم(٧) . فقال : يَكذبون علىّ أصلح الله الأمير . فقالوا : دليلنا أصلحك على ما نقول أن تأمر بحمير مكة فتجمع

---

(١) هو كتاب كليلة ودمنة . (انظر باب الناسك وابن عرس) .

(٢) فى بعض النسخ : « حتى تبلغ ثمانين » . وفى كليلة ودمنة : « ثم حزر على هذا الحساب لخمس سنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز » .

(٣) فى كليلة ودمنة : « على رأسه ولحيته » .

(٤) ن : « ويعمل لهن الشراب » .

(٥) فى بعض النسخ : « فنفاه إلى عرفات »

(٦) ن : « أفسد » .

(٧) فى بعض النسخ : « طردتك فصرت تفسد فى المشعر الحرام » .

وتُرسَل بها أُمناء إلى عرفات ويرسلونها ، فإن لم تقصد لمنزلهِ من بين المنازل كعادتها إذا ركبها السفهاء فنحن غير مبطلين . فقال الوالى : إنّ فى هذا لدليلاً وشاهداً عدلا . فأمر بحمير من حمير الكراء فجمعت ثم أرسلت ، فصارت إلى منزله كما هى من غير دليل ، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال : ما بعد هـذا شىء ، جرِّدوه . فلما نظر إلى السياط قال : لا بدّ أصلحك الله من ضَربى ؟ قال : نعم يا عدوّ الله . قال : والله ما فى ذلك شىء هو أشدّ علىّ من أن يَشمت بنا أهلُ العراق ويضحكوا منا ويقولوا : أهل مكة يُجيزون شهادة الحمير . قال : فضحك الوالى وخلّى سبيله .

بين حسناء ومتتبع لها

ولقى رجلٌ امرأةً جميلة فجعل يتعرّضها ، وألحّ عليها ، فدخلت دربا وكشفت عن وجه قد شاطَرَ البدر حسنه وقالت له : انظر إلى ما يسخّن عينك ، ويقوم له أيرُك ، وينيكه غيرك .

تهنئة رجل فى عرسه

وهنأ رجل رجلاً فى عُرسه ، فقال : باليُمن والبركة ، وشِدَّة الحركة ، والظَّفر فى المعركة .

وصف أحد المشترين لحمار يبغيه

الهيثم بن عدى قال : بينا أنا بكُنَاسة الكوفة إذا برجلٍ مكفوف البصر قد وقف على نخَّاس من نخاسى الدواب ، فقال له : أبغِنى حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتَهر ، إذا خلا له الطريق تدفَّق ، وإذا كثر الزِّحام ترفَّق ، وإن أقللتُ علفَه صبَر ، وإن أكثرتُه شكَر ، وإذا ركبتُه هام ، وإن ركبه غيرى نام . قال له النخاس ، يا عبد الله ، اصبر فإذا مَسخ اللهُ القاضى حماراً أصبت به حاجتك إن شاء الله .

وصف فرس

قال : ودخل رجلٌ السُّوق فى شراء فرس ، فقال له النخاس : صِفْه لى . فقال : أريده حَسنَ القَميص(١) ، جيّد القُصوص ، وثيق العصَب ، نقىّ القَصب ،

(١) يعنى بالقميص جلده .

يُشير بأذنيه ، ويَتشوَّف برأسه(١) ، ويَخطِر بيديه ، ويَدحُو برجليه(٢) ، كأنه موجٌ فى لُجة ، أو سَيل فى حَدور ، أو منحطٌّ من جبل . فقال له النخّاس : نعم كذلك كان صلوات الله عليه . قال : إنّما أصف لك فرسا ، قال : ما حسبتُك إلاّ فى وصف نبيٍّ منذ اليوم(٣) .

هجاء أبى نخيلة لليمن

قال : وَدخل أبو نخيلة(٤) اليمن فلم يرَ بها أحداً حَسنا ، ورأى نفسَه وكان قبيحًا أحسن مَن بها ، فقال :

لم أرَ غـــيرى حسناً منـــذُ دخلتُ اليمنا
فِفى حِرِ أمِّ بـــلدةٍ أحسنُ مَن فيهـــا أنا(٥)

نادرة لكناس كوفى

محمد بن إسحاق قال : قال سفيان بن عُيينة : دخلت الكوفةَ فى يوم فيه رَذاذٌ من مطر ، فإذا أنا بكنّاس قدفتح كنيفاً ، ووقف على رأس البئر ، وهو يقول :

بَلدٌ طيّب ويومٌ مَطـير هذه رَوضةٌ وهذا غديرُ

ثم قال لصاحبه : أنزل فيها . فأبى عليه ، فنزل وهو يقول :

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونَزلنـــا وأخو الحرب مَن أطاقَ النُّزولا(٦)

الأصمعى وأحد الكناسين

الأصمعى قال : بينا أنا سائر بالفَيفاء(٧) ، إذ سمعتُ صوتاً يقول :

جنّبونى ديارَ هِنـد وسُعدَى ليس مثلى يَحُل دارَ الهوانِ

قال : فالتفتُّ يمنَةً ويَسْرةً فإذا أنا بالصوت يخرج من حُشّ ، فأقبلت حتى

---

(١) ماعدا ن : « ويشرف برأسه » .

(٢) دحا الفرس يدحو : رمى بيديه رميا ، لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيراً . فى بعض النسخ : « ويدحر » تحريف .

(٣) فى بعض النسخ : «فى وصف فرس نبى هذا اليوم» ، تحريف .

(٤) فى بعض النسخ : « ابن نجيلة » ، تحريف .

(٥) يقول العرب فى هجائهم الموجز : « فى حر ام فلان » ، أى فى هنها .

(٦) البيت لمهلهل ، كما فى الحيوان (٦ : ٤٢٩) .

(٧) الفيفاء هنا : اسم موضع .

وقفت عليه ، فإذا بحشّاش و بيده كأس[1] ، فقلت : يا سبحان الله ، أنت فى بيت عَذِرة[2] وتقول :

* ليس مثلى يحلُّ دار الهوان *

فأنّى ذلك ، وأىُّ هوانٍ أكثر مما أنت فيه ؟ قال : فرفع رأسه إلىّ وقال :

لا تَلُمْنى فإننى نَشْـوانُ   أنا فى المُلك ماسقتنى الدِّنانُ

فقلت : ما هو إلاّ كقول الآخر :

* مَن قرّ عيناً بعيشه نَفعَه[3] *

لعلى بن الجهم

ولعلىّ بن الجهم :

٤٥٠/٣

أعظم ذنبى عنـدكم ودِّى   فليت هـذا ذنبُكم عِندى

يا حَسرتا أهلِك وجـدًا بمن   لا يعرف الشّكوى مِن الوجدِ

خبر الجعد بن مهجع

حمّادٌ الرواية قال : أتيتُ مكةَ فجلستُ فى حَلْقةٍ منها ، فيها عمرُ بن أبى ربيعة القُرشى ، وإذا هم يتذاكرون العُذرِيِّين وعِشقَهم وصبابتهم ، فقال عمر بن أبى ربيعة : أحدِّثكم عن بعض ذلك ، كان لى خليلٌ من عذرة يُكنى أبا مُسهِر[4] وكان مستهتَراً بأحاديث النساء[5] ، يصبو بهنّ ويُنشد فيهنّ ، على أنه كان لا عاهرَ الخلوة ، ولا حديثَ السَّلوة ، وكان يُوافى الموسمَ فى كلّ سنة ، فإذا أبطأ تُرجمتْ له الأخبار ، واستُوقفت له السفّار .

و إنّه راثَ عنّى سـنةً من ذلك خبرُه[6] ، حتى قدم وَفْد عُذرة ، فأتيت

(١) أراد بالحشاش من يعمل فى الحش ، وهو بيت الخلاء . فى بعض النسخ : « بكناس وبيده فأس » .

(٢) فى بعض النسخ : « أنت تكنس عذرة » .

(٣) للأضبط بن قريع ، كما فى كتاب المعمرين للسجستانى ٨ . وصدره :

* واقبل من الدهر ما أتاك به *

(٤) اسمه الجعد بن مهجع ، كما فى الأغانى : (١٠ : ٤٨) حيث وردت القصة .

(٥) المستهتر بالشىء : المولع به . فى بعض النسخ : « مشتهراً » .

(٦) راث : أبطأ . فى بعض النسخ : « غاب على » .

القومَ أنشُدُ صاحبي(١) فإذا رجلٌ يتنفّس الصُّعَداء ، فقال : أعن أبى مُسهِر تسأل ؟ قلت : نعم . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو مُسهِر لا حيًّا فيُرجى ولا ميتا فينسى ، ولكنّه كما قال الشاعر :

لعمرك ما حُبّى لأسماء تاركى صحيحاً ولا أقضى به فأموتُ(٢)

فقلت : وما الذى به ؟ قال : كمثل الذى بك ، من أنهما كِلَكُما فى الضّلال ، وجرِّكما أذيال الخسار(٣) ، كأنكما لم تَسمعا بجنة ولا نار . قلت : فما أنت منه يا ابن أخى ؟ قال : أخوه . قلت : والله إنّك وأخاك كالوَشى والبِجاد ، لا يَرقَعك ولا تَرقَعه(٤) . ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائحــةٌ حُجّاجُ عُذرَة رَوحةً ولما يرُحْ فى القوم قيس بن مِهجع(٥)
خَليلىَ يَشكو ما يُلاقى من الهوى ومَهما يقلْ أسمعْ و إن قلتُ يسمع
ألا ليت شِعرى أى شىء أصابهُ أمِن زَفرات هِجنَ من بين أضلُع(٦)
فلا يُبعدنك الله خِلاًّ فإننى سألقَى كما لاقيتُ فى الحب مَصرعى(٧)

قال : فلما حججتُ ووقفت بعرفات إذا به قد أقبَل ، وقد تغيَّر لونُه وساءت هيئته ، وما عرفتُه إلّا بناقته(٨) ، فأقبل [فأدنى ناقتَه من ناقتى](٩) حتّى خالف بين أعناقهما ، ثم اعتنقنى ، وجعل يَبكى فقلت له : ما الذى دهاك(١٠) ؟ قال : بَرِح الخفاء ، وكشف الغطاء . ثم أنشد يقول :

(١) ن : « أسأل عن صاحبى » .
(٢) فى بعض النسخ : « ما هذا الغرام بتاركى » . وما أثبتنا من ن يطابق رواية الأغانى .
(٣) الخسار : الخسران ، وهو الضلال . فى بعض النسخ : « الخسران » .
(٤) الوشى : ضرب من الثياب رقيق . والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . ن « كالوشى والنجاد لا يرفعك ولا ترفعه » ، تحريف .
(٥) كذا . والصواب « جعد بن مهجع » كما فى الأغانى . وهو اسم « أبى مسهر » كما سبق .
(٦) فى بعض النسخ : « أى خطب أصابه * أمن زفرات الهجر » . وما أثبتنا من ن يطابق رواية الأغانى . (٧) هذا البيت ساقط من ن .
(٨) الكلام بعده إلى « دهاك » ساقط من ن . وبدله فى الأغانى : « فأدنى ناقته من ناقتى حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقنى وبكى حتى اشتد بكاؤه ، فقلت ما وراءك » .
(٩) التكملة من الأغانى . (١٠) إلى هنا ينتهى سقط ن .

لئن كانت عُديلةُ ذاتَ مَطلٍ لقد علمتْ بأنّ الحبَّ داء[1]
وإنّكِ لو تكلّفت الذى بى لزال الظلم وانكشف الغطاء[2]
فإن معاشرى ورجالَ قومى حُتوفهم الصَّبابةُ واللّقاء
إذا العُذرى مات بحَتف أنفٍ فذاك العبد يبكيه الرِّشاء[3]

فقلت : يا أبا مسهر ، إنها ساعة عظيمة تُضرب فيها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها ، فلو دعوتَ الله كنتَ قِمناً أن تظفر بحاجتك ، وتُنصَر على عدوِّك . فجعل يدعو حتى إذا مالت الشمس للغروب ، وهمَّ الناس أن يُفيضوا سمعتُه يُهينِمُ بشىء ، فأصغيتُ إليه مستمعاً فجعل يقول :

يا ربِّ كلِّ غدوة ورَوحهْ من محرم يَشكو الضُّبا ونَوْحه[4]
أنتَ حسيب الخَلْق يومَ الدَّوحهْ

خبر يوم الدوحة

فقلت له : وما يوم الدَّوحة ؟ قال : سأخبرك إن شاء الله ، ولو لم تَسلْنى . فيمّمنا نحوَ المزدلفة فأقبل علىَّ وقال :

إنى رجل ذو مالٍ كثير ، ونَعَم وشاء ، وإنِّى خَشيت على مالى عامَ أوّلَ التّلف ، فأتيت أخوالى كلباً ، فأوسعوا لى عن صدر المجلس ، وسَقونى جُمة البئر[5] وكنت منهم فى خَير أحْوال ، ثم إنِّى عزمتُ على مرافقة أهل ماء لهم يقال له الحوادث[6] ، فركبتُ يوماً فرسى ، وعلّقت معى شراباً أهداه إلىَّ بعضُ الكلبيين ، فانطلقت حتى إذا كنت بين الحىِّ ومرعى النعم ، رُفِعت لى دوحةٌ

٤٥١/٣

(١) فى الأغانى : « لئن كانت عدية ذات لب » .

(٢) فى بعض النسخ : « لزال الستر » وفى الأغانى : « لخف الكلم » فى أصلها « لقف الكلم » .

(٣) يبكيه الرشاء ، أى هو من الذين يمتهنون فى الاستقاء .

(٤) كذا . وفى الأغانى : « يشكو الضحى ولوحه » .

(٥) جمة البئر : ما جم منها وارتفع .

(٦) فى الأغانى : « الحوذان » .

عظيمة ، فقلت : لو نزلتَ تحت هـذه الشجرة ثم تروَّحتَ مُبرِداً ! ففعلت فشددتُ فرسى بغصن من أغصانها ، ثم جلست تحتها ، فإذا بغبارٍ قد سطع من ناحية الحىّ ، ثم تبينْتُ فبدت لى شخوص ثلاثة ، فإذا فارسٌ يطرُد مِسحلا وأتانا[1] ، فلما قرُب منى إذا عليه دِرع أصفر ، وعمامة خَزٍّ سوداء ، فما لبثَ أن لحق المِسحل فطعنه فَصرعه ، ثم ثنَّى طعنةً للأتان ، وأقبل وهو يقول :

نطعنهم سُلْكَى ومخـلوجةً كرَّكَ لأمَـينِ على نابل[2]

فقلت له : إنك قد تعبتَ وأَتعبت ، فلو نزلْت . فثنَى رجله فنزل ، فشدَّ فرسه بغصنٍ من أغصان الشجرة ، ثم أقبل حتى جلس معى ، فجعل يُحَدِّثنى حديثاً ذكرتُ به قول الشاعر[3] :

وإنّ حديثاً منكِ لو تبـذلينه جَنَى النحل فى ألبانِ عُوذٍ مَطافلِ

فبينا هو كذلك ، إذ نكت بالسوط على ثَنِيَّتيه ، فما مَلكتُ نفسى أن قبضت على السَّوط ، فقلت : مَه . قال : ولمَ ؟ قلت : إنّى أخاف أن تكسرهما ، إنّهما رقيقتان عذبتان . قال : فرفع عقيرته وجعل يتغنّى :

إذا قَبَّل الإنسان آخرَ يشتهى ثناياه لم يأثم وكان له أجرَا[4]

وقال : ما الذى تعلقت فى سرجك ؟ قلت : شرابٌ أهداه إلىّ بعض أهلك ، فهل لك فيه ؟ قال : ما نكرهه إذا كُره[5] . فأتيتُه به ، فوضعتُه بينى و بينه ، فلمّا شَرب منه شيئا نظرتُ إلى عينيه كأنّهما عينا مهاةٍ قد أضلّت ولدَها ، ثم رفع عقيرتَه يتغنّى :

---

(١) المسحل : الحمار الوحشى . والأتان : أنثاه .

(٢) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ١٤٩ . السلكى : المستقيمة . والمخلوجة : المعوجة عن يمين وشمال . واللأمان : السهمان عليهما ريشهما .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٤٠) .

(٤) فى بعض النسخ : « أجر » تحريف . وبعده فى الأغانى :

فإن زاد زاد الله فى حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

(٥) ن : « وما أنكر منه إذا كره » .

إنّ العيون التى فى طَرفها مَرَضٌ قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا[١]
يَصرَعن ذا الحِلْم حتى لا حَراكَ به وهنّ أضعفُ خَلْق الله أركانا[٢]

ثم قُمت لأُصلح من أمر فرسى ، فرجعْتُ وقد حَسَر العِمامة عن رأسه ، وإذا غلامٌ كأنّ وجهه دينارٌ هِرَقْلِيّ ، فقلتُ : سبحانك اللهمّ ما أعظمَ قُدرتك . قال : كيف ؟ قلتُ : ذلك لما راعنى من نُورك وبَهَرنى من جمالك . قال : وما الذى يروعك من رِزق الدوابّ ونبيش التراب[٣] ، ثم لا يَدرى أينعَم أم يبؤس ؟ قلت : لا يَصنع الله بك إلّا خيرا . ثم قام إلى فرسه ، فلما أقبل برقَت لى بارقةٌ من تحت الدرع ، فإذا ثَدىٌ كأنه حقّ عاج . قلت : نشدتك الله ، أمرأة ؟ قالت : إى والله ، امرأة ، تَكره العُهر ، وتُحبّ الغَزل . قلت : وأنا والله كذلك . قال : فجلسَتْ والله تُحدّثنى ما أفقد من أ نسها شيئا[٤] ، حتى مالت على « الدَّوحة » سَكْرى . فأستحسنت والله يابن أبى ربيعة الغَدر ، وزُيّن فى عينى ، ثم إنّ اللهَ عصمنى منه ، فما لبثَتْ أن أنتبهتْ مذعورة ، فلاثت عمامتَها برأسها ، وأخذت الرُّمحَ ، وجالت فى مَتن فَرسها ، فقلت : مضيتِ ولم تزوّدينى منك زادا . فأعطتنى بنانَها[٥] فتمسّحتُ والله منها كالنباتِ المطور زُهر الثلج[٦] . ثم قلت : أين الموعِد ؟ قالت : إنّ لى إخوة شُوساً[٧] وأباً غيورا ،

(١) البيتان لجرير فى ديوانه ٥٩٥ والكامل ١٦١ ليبسك . وفى هامش ن إشارة إلى رواية « حور » بدل « مرض » .

(٢) ما عدا ن : « يصرعن ذا اللب » و « إنسانا » بدل « أركانا » .

(٣) كذا فى ن . وفى سائر النسخ : « زرق العيون وحبيس التراب » . وفى الأغانى : « من حبيس التراب وأكيل الدواب » .

(٤) فى بعض النسخ : « ما أنكر من أمرها شيئا » .

(٥) فى بعض النسخ : « ثناياها » .

(٦) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض . ما عدا ن : « لحسست والله منها كالثلج المطور » ، تحريف .

(٧) الشوس : جمع أشوس ، وهو الذى يرفع رأسه تكبرا . ما عدا ن وكذا فى الأغانى : « شرسا » ، وهو جمع أشرس ، وهو العسر الخلق الشديد الخلاف .

والله لأن أمرّك أحبُّ إلىّ من أن أضرك . ثم مضت ، فكان والله آخرَ العهد بها إلى يومى هذا ، وهى التى بلّغتنى هذا المبلغ ، وأحلّتنى هذا المحل .

قال : فدخَلَتنى له رقّة . فلما أنقضى الوسم شددتُ على ناقتى وشَدَّ على ناقته وحملت غلاماً لى على بعير ، وحملت عليه قُبّة حمراء من أَدَم كانت لأبى ربيعة ، وأخذتُ معى ألف دينار ، ومُطرَف خَزّ ، ثم خرجنا حتى أتينا بلادَ كَلب ، فإذا الشيخ فى نادى قومه ، فسلّمت عليه ، فقال : وعليك السلام ، من أنت ؟ (٤٥٢ / ٣) فقلت : عمر بن أبى ربيعة بن المُغيرة المَخزومى . قال : المعروفُ غير المَنكور فما الذى جاء بك ؟ قلت : جئت خاطباً . قال : أنت الكفء الكفىّ ، الذى لا يُرغب عن وَصله[(١)] ، والرجلُ الذى لا يُردّ عن حاجته . قال : قلت : إنى لم آتك لنفْسى وإنْ كنت فى موضع الرّغبة ، ولكنّنى أتيتُكم لأبن أختكم العذْرىّ . قال : والله إنه لكُفْء الحسب ، كريم النّسب ، غيرَ أنّ بناتِى لم يعرفن هذا الحىّ من قريش . قال : فعرَف الجزَعَ من ذلك فى وجهى ، فقال : أما إنى أصنع بك ما لم أصنع لغيرك[(٢)] ، أخيِّرها فى نفسها ، فهى وما أختارت . فقلت : خيِّرها . فأرسل إليها أن من الأمر كذا وكذا ، فرَىْ رأيك . فقالت : ما كنت لأستبدّ برأيى دون رأى القرشى ، خيارى ما أختار . قال : قد ردّت الأمرَ إليك . قال : فحمدتُ الله وصَليت على النبى صَلى الله عليه وسَلم ، وقلت : قد زوّجتها العُذرى[(٣)] ، وأصدقتُها هذه الألف الدينار ، وجعلتُ تَكْرِمتَها العبدَ والبعير والقُبّة ، وكسوتُ الشيخ المُطرف ، فسُرّ به ، وسألته أن يَبنى بها من ليلته ، فأجابنى إلى ذلك ، فضُربتْ القُبة فى وسط الحىّ ، وهَديتْ إليه ليلا ، وبتّ عند الشيخ فى خير مَبيت ، فلما أصبحتُ غدوت فقمت بباب القُبة ، فخرج

(١) ن : « حسبه » .

(٢) ما عدا ن : « أصنع فى ذلك ما لم أصنعه قط لغيرك » .

(٣) فى الأغانى : « قد زوجتها من الجعد بن مهجع » . وفيما عدا ن : « العذرى مهجعاً » تحريف .

إلىّ وقد تبين الجذَل فيه ، فقلت : كيف كنت بَعدى أبا مُشهِر ؟ قال : أبدتْ لى كثيراً مما كانت أخفتْه يوم رأيتُها . فقلت : أقِم على أهلكَ بارك الله لك . ثم انطلقت إلى أهلى وأنا أقول :

كَفيتُ الفتى العُذرىّ ما كان نابَه ومثلى لأثقال النوائب أحمَـلُ[1]
أما استحسنتْ منّى المكارم والعلا إذا صَرّحت أنّى أقول وأفعل[2]

***

مجلس للمأمون وإسحاق الموصلي

حدث أبو محمد الشَّعبي[3] الورّاق ، وكان عند باب خراسان على رأس الجسر الأوّل ، عن حماد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلى ، قال :

بينا أنا ذاتَ يوم عنـد المأمون ، وقد خلا وجهُه ، وطابت نفسُه ، إذْ قال لى : يا إسحاق ، هذا يوم خَلوة وطِيب . فقلت : طيّب الله عيشَ أمير المؤمنين ، وأدام سروره وفرحه . فقال : يا غلمان خُذوا علينا الباب ، وأحضِرُوا الشراب . قال : ثمّ أخذ بيـدى وأدخلنى فى مجالس غير المجالس التى كنّا فيها ، و إذا قد نُصبت الموائد ، وأُصلح كل ما كان يَحتاج إليـه الحال ، حتّى كأنّه شىء قد كان تقدّم فيه[4] . قال : فأكلنا وأخذْنا فى لذّتنا وشربنا ، فأقبلت السّتِيرات[5] من كلّ ناحية بضُروبٍ من الغناء ، وصُنوفٍ من اللهو ، فلم نزلْ على ذلك إلى آخر النهار ، فلما غربت الشمس قال لى : يا إسحاق ، خير أيام الفتى أيامُ الطرب . قلت : هو والله ذاك يا أمير المؤمنين . قال : فإنى قد فـكرت فى شىء ، فهل لك فيـه ؟ قلت : يا سـيّدى أوَأتأخر عن رأى أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه . قال : لعلّنا نُباكر الصَّبوح فى غُدوتنا هذه ، وقد عزمتُ على دَخْلة إلى دار الحرم ، فـكُن

(١) فى الأغانى : « وإنى لأعباء النوائب حامل » .
(٢) الأغانى : « إذا طرحت إنى لمالى بذال » .
(٣) ن : « السبعى » .
(٤) تقدم فى الشىء : أمر به وأوصى .
(٥) الستيرات : المستورات . ن : « الستارات » جمع ستارة .

بمكانك ولا تَرِمْ ، فإنِّى أوافيك عن قريب . قال : قلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين . ثم نهض إلى دار النِّساء ، فما عرفتُ له خبراً إلى أن ذهب من الليل عامته .

قال إسحاق : وكان المأمون من أشغف خلق الله بالنِّساء ، وأشدِّهم ميلاً إليهنّ واستهتاراً بهنّ ، وعلمتُ أن النبيذَ قد غلب عليه ، وأنّهنّ قد أنسينَه أمرى ، وما كان تقدّم إلىّ ووعدنى من سرعة رجوعه ، فقلت فى نفسى : هو أعزّه الله فى لذته وأنا ها هنا فى غير شىء ، وفىّ بقية ، وعندى صَبِيّة كنت قد اشتريتها ، وكانت نفسى متطلعة إلى أفتضاضها ، فنهضتُ مُسرعاً عند ذكرها فقال الخدم : على أىِّ شىء عزمت ؟ وإلى أين تريد ؟ قلت : أريد الانصراف . قالوا : فإنْ طلبك أمير المؤمنين ؟ قلت : إنه أدام الله سُرورَه قد شَغله الطرب ولذة ما هو فيه عن طلبى ، وقد كان بينى وبينه موعدٌ قد جاوز وقته ، ولا وَجهَ لجلوسى . ٤٥٣/٣

قال إسحاق : وكنت مقدّم الأمر فى دار المأمون ، مقبولَ القول فيه ، لا أعارَض فى الشّىء إذا أومأتُ إليه ، فخرجتُ مبادراً إلى باب الدار ، فلقيَنى غِلمان الدار ، وأصحابُ النَّوبة . فقالوا : ياسيِّدنا ، إن غِلمانك قد أنصرفوا وكانوا قد جاءوك بدابّة ، فلما علموا بَمبيتك أنصرفوا . قلت : لا ضيرَ ، فأنا أتمشّى إلى البيت وحدى . قالوا : نُحضِرك دابّة من دواب النّوبة . قلت : لا حاجةَ لى فى ذلك . قالوا : فنمضى بين يديك بمِشعل . قلت : لا ، ولا أريد أيضا ذلك . وأقبلت وحدى نحو البيت ، حتى إذا صرتُ ببعض الطريق أحسست بحركة البول[1] ، فعدلت إلى بعض الأزقّة ، لئلا يجوز بى

(١) فى بعض النسخ : « بحرقة البول » .

أحدٌ من العوام فيرانى أبولُ على الطريق ، فبُلت حتى إذا قمتُ للتمسُّح ببعض الحيطان إذا أنا بشيء معلّق من تلك الدُّور إلى الزقاق فما تمالكت أن تمسحت ثم دنوت إلى ذلك الشيء لأعرفَ ما هو ، فإذا بزِنبيل كبير معلّق بأربع آذان ، وإذا هو ملبس ديباجاً ، وفيه أربعة أحبُل إبريسم ، فلما نظرتُ إليه وتبيّنته قلت : والله إن لهذا لسبباً ، وإن له لأمراً . فأقمتُ ساعة أروِّى فى أمره وأفكّر فيه ، حتى إذا طال ذلك بى قلتُ : والله لأتجاسرَنَّ ولأجلِسنَّ فيه كائناً فى ذلك ما كان . ثم لففتُ رأسى بردائى وجلستُ فى جَوف الزّنبيل ، فلما أحسّ مَن كان على ظهر الحائط بثقله جذبوا الزنبيل إليهم ، حتى انتهَوْا إلى رأس الحائط ، فإذا بأربع جوار[1] ، وإذا هنّ يقلنَ : انزل بالرُّحب والسعة ، أصديقٌ أم جديد ؟ فقلت : لا بل جَديد . فقلن : أنت يا جارية بين يديه الشمعة . فابتدرت إحداهن إلى طَست فيه شمعةٌ وأقبلتْ بين يدىَّ ، حتى نزلتُ إلى دار نظيفة بها من الُحسن والظرف والنّظافة ما حِزتُ له ، ثم أدخلتْنى إلى مجالس مَفروشة ، ومناصَّ مَرصوصة[2] ، بصنوفٍ من الفَرش الذى لم أر مثله إلّا فى دار ملك أو خليفة ، فجلستُ فى أدنَى مجلسٍ من تلك المجالس ، فما شعرتُ بعد ساعة إلا بضجّة وجَلَبة وسُتُور قد رُفِعت فى ناحيةٍ من نواحى الدار ، وإذا بوصائف يتساعَيْن[3] فى أيدى بعضهنّ الشمع ، وبعضهنّ المَجامر ، يُسجَر فيها العُود والندّ ، وإذا بينهنّ جاريةٌ كأنها تمثالُ عاج ، تتهادى بينهن كالبدر الطالع ، بقدٍّ يُزْرى على الغصون ، ودَلّ وشكل ، فما تمالكت عند رؤيتها أن نهضت فقالت : مرحباً بك من زائرٍ أتى ، وليست تلك عادتَه[4] . وجلستُ ورفعت مجلسى عن

(١) ن : « جوار عقار » .
(٢) مناص : جمع منصة . ن : « ومناصب موضوعة » .
(٣) ماعدا ن : « يتسابقن » .
(٤) ن : « عادتك » .

الموضع الذى كنت فيه . فقالت : كيف كان ذا والله لى ولك . ولا علم كان وقع لى ، فما السبب ؟ قال : قلت : انصرفتُ من عند بعض إخوانى وظننتُ أنّى على وقت ، فخرجتُ فى وقت ضيّق وأخذَنى البول (١) ، فأخذتُ إلى هذا الطريق ، فعدلت إلى هذا الزقاق ، فوجدتُ زنبيلا معلّقا ، فحملنى النبيذ على أن جلستُ فيه ، فإن كان خطأً فالنبيذ أكسبَنيه ، وإن كان صوابًا فالله ألهمَنيه . قالت : لا ضيرَ إن شاء الله ، وأرجو أن تحمَد عواقبَ أمرك ، فما صناعتُك ؟ قلت : بزّاز . قالت : وأين مولدُك ؟ قلت : بغداد . قالت : ومن أيّ الناس أنت ؟ قلت : من أفنائهم وأوساطهم (٢) . قالت : حيّاك الله وقرّب دارك ، فهل رويت من الأشعار شيئا ؟ قلت : شيئًا يسيرا (٣) . قالت : فذا كِرْنا بشىء مما حفظت . قلت : جُعِلتُ فداك إنّ للداخل دَهشةً ، وفىّ انقباض ، ولكنْ تبتدئين بشىء من ذلك ، فالشّىء يأتى بالمذاكرة . قالت : لعمرى لقد صدقت ، فهل تحفظ لفلان قصيدته التى يقول فيها كذا وكذا ؟ ثم أنشدتنى لجماعة من الشعراء القدماء والمحدَثين من أحسن

٤٥٤/٣ أشعارهم ، وأجود أقاويلهم ، وأنا مُستمعٌ أنظر من أىّ أحوالها أعجب : من ضَبْطها ، أم من حُسن لفظها ، أم من حسن أدبها ، أم من حُسن جودة ضبطها للغريب ، أم من اقتدارها على النّحو ومعرفةِ أوزان الشعر ؟ ثم قالت : أرجو أن يكون ذهبَ عنك بعضُ ما كان من الحصَر والانقباض والحِشمة . فقلت : إن شاء الله ، لقد كان ذلك . قالت : فإن رأيتَ أن تنشدَنا من بعض ما تحفظ فافعلْ . قال : فاندفعتُ أنشد لجماعة من الشعراء ، فاستحسنَتْ نشيدى ، وأقبلت تسألنى عن أشياء تمرُّ فى شعرى كالمختبرة لى ، وأنا أجيبُها بما أعرف فى ذلك (٤) ، وهى

(١) ن : « وحركنى البول » .

(٢) يقال رجل من أفناء القبائل : لا يدرى من أى قبيلة هو . فى بعض النسخ : « من أمنائهم » تحريف .

(٣) ن : « شىء ضعيف » .

(٤) ن : « فأجبتها بما عرفت فى ذلك » .

مُصغية إلىّ ، ومُستحسنة لما آتى به ، حتى إذا أتيتُ على ما فيه مَقنعٌ قالت : والله ما قَصَّرت ، وما توهمت فيك ما ألفيت ، وما رأيت فى أبناء التّجار وأبناء السُّوقة مثلَ ما معك ، فكيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس ؟ قلت : قد نظرت فى شىء من ذلك . فقالت : يا جارية أحضرينا ما عندك . فما غابت عنا شيئاً حتى قدّمت إلينا مائدة لطيفة ، قد جمع عليها غرائبُ الطعام السرىّ ، فقالت : إن المالحة أوّل الرضاع[1] ، فدونَك . فتقدّمت ، فأقبلت أعتذر بعض الاعتذار وهى مع ذلك تحشِى وتضعُ بين يدىّ ، وإنى لمتقسَّم القلب لِمَا أرى من ظرفها وعقلها ، وحسن خفَرِها ، وكثرة أدبها ، حتى رُفعت المائدة ، وأحضرت آنيةُ النبيذ ، فوُضِعت بين يدى صينية وقنينة وقدَح ومِغْسَل ، وبين يديها مثلُ ذلك ، وفى وسَط المجلس من صُنوف الرياحين وغرائب الفواكه ما لم أرَه اجتمع لأحدٍ ، إلا لولىّ عهدٍ أو سلطانٍ ؛ قد عُبِّئ أحسن تعبئة ، وهُيِّئ بأحسن تهيئة .

قال إسحاق : فتثاقلت عن الشّرب لتكون هى التى تبتدئ . فقالت : مالى أراك متوقّفا عن الشّرب ؟ قلت : انتظاراً لكِ ، جُعِلتُ فداكِ . فسكبتْ قدحاً فشربتْ ثم سكبتْ قدحاً آخَر فشربتْه ، ثم قالت : هذا أوانُ المُذاكرة فإنّ المذاكرةَ بالأخبارِ وذكرِ أيام الناس مما يُطْرِب . قلت : لعمرى أن هذا لمن أوقاته . فاندفعت فقلت : بلغنى أنه كان كذا وكذا ، وكان رجلٌ من الملوك يقال له فلان بن فلان ، وكان من قصّته كذا وكذا ، حتى مررتُ بعدة أخبار حِسان من أخبار الملوك وما لا يُتحدّث به إلاّ عند ملكٍ أو خليفة ، فسُرّت بذلك سروراً شديدا ، ثم قالت : والله لقد حدّثتنى بأحاديثَ حِسان ، ولقد كثُر تعجُّبى من أن يكون أحدٌ من التجّار يحفظ مثلها[2] ، وإنما هى من أحاديث الملوك ،

(١) المالحة : المراضعة .

(٢) فى بعض النسخ : « مثل هذا » .

وما لا يُتحدَّث به إلا عند ملك أو خليفة[1] . فقلت لها : جعلت فداك ، إنه كان لى جارٌ ينادم بعض الملوك ، وكان حَسنَ المعرفة ، كثير الحِفظ ، فكان ربما تعطّل عن نوبتــه التى كان يذهب فيها إلى دار صاحبه لشُغلٍ يمنعه من ذلك ، أو لأمر يَقطع ؛ فأمضِى إليه ، وأعزِم عليه وأصيرُ به إلى منزلى ، فربّما أخبرنى من هذه الأحاديث شيئاً ، إلى أن صرتُ من خاصّة أخدانه ، وممّن كان لا يفارقه فما سمعتِ منى فمنه أخذتُه ، وعنه استفدتُه . فقالت : يجب أن يكون هــذا كذا . ولعمرى لقد حفِظتَ فأحسنت الحِفظ ، وما هــذا إلاّ لقريحة جيدة ، وطَبع كريم .

قال إسحاق : وأخذنا فى شىء من الشراب والمُذاكرة أبتدئ الحديث فإذا فرغتُ ابتدأَتْ هى فى آخَرَ أحسنَ منه حتى قطَعنا بذلك عامّة الليل ، والند والعُود وفائق البَخُور فى المجلس يجدَّد ويُسجَر ، وأنا فى حالةٍ لو توهّمها المأمون وتأمّلها لاستطار فرحاً وسروراً . ثم قالت لى : يا أبا فلان — وكنت قد غيَّرت عليها أسمى وكُنيتى — والله إنى لأراك كاملاً ، وفى الرجال فاضــلا ، وإنك لوضىء الوجه ، مليح الشكل ، بارع الأدب ، وما كان بقى عليك إلاّ شىء واحد حتى تكونَ قد برعت وبرّزت . فقلت : وما هو يا سـيدتى دفع الله عنكِ الأسواء ؟
٤٥٥/٣ قالت : لو كنت تحرِّك بعضَ الملاهى ، أو تترنم ببعض الأشـعار . فقلت : والله لقِدماً أشتهيتُه ، وطالما كَلِفتُ به ، وحَرَصت عليه ، فلم أُرْزَقْه ، ولا وجدتُنى ممّن تعلّق بشىء منه ، فلما طال عنــائى به ، وكلّما تقدّمت فى طلبه كنتُ منه أبعَدَ وعنه أذهَبَ ، تركتُه وأعرضتُ عنه ، وإنّ فى قلبى من ذلك لُحرقة وحرارة ، وإنى لَمُستهتَرٌ به مائلٌ إليه ، وما أكره أن أسمع فى مجلسى هذا من جيّده شيئاً لتكمل ليلتى ، ويَطيبَ عيشى . قالت : كأنك قد عرّضت بنا . فقلت : لا والله ، ما هو تعريضٌ ، ولا هو إلا تصريح ، وقد بدأتِ بالفضل ، وأنت حرّية باستتمام

(١) هذه العبارة ساقطة من ن .

ما بدأتِ به[١] ، فقالت : يا جاريةُ ، عود . فأحضرت العود فأخذَتْه ، فما هو إلاّ أن جَسّته حتى ظننت أنّ الدار قد سارت بى و بمَن فيها ، واندفعتْ تغنى بصوت ما ظننت أحداً يغنى به ، مع صحّة إيماء[٢] ، وجَودة ضرب ، فقلت : والله لقد أكمل الله فيك خلال الفضل[٣] ، وحَبَاك بالكمال الرائع ، والعقل الوافر ، والأخلاق المرضيّة ، والأفعال السنية . فقالت : هل تعرف لمن هذا الصوت ، ومَن غنّى به ؟ فقلت : لا والله . قالت : الغناء لفلان[٤] ، والشعرُ لفلان ، وكان من سببه كذا وكذا . فقلت : هذا والله أحسَنُ من الغناء . فلم تزل تلك حالَها فى كلّ صوتٍ تُغنيه ، وهى مع ذلك تشرب وأشرَبُ حتى إذا كان عند انشقاق الفجر أو قبله جاءت عجوزٌ كأنها دايَةٌ لها[٥] ، فقالت : أىْ بنية ، إن الوقت قد حضر[٦] ، فإذا شئتِ فانهضى .

قال : فلما سمعتْ مقالَها نهضَتْ فقالت : عزمتَ ؟ قلت : إى والله . فقالت : مُصاحَبا ، عليك بستْرِ ما كنتَ فيه ، فإن المجالس بالأمانة . فقلت : جُعلتُ فداك ، أوَ أحتاج إلى وصيّةٍ فى ذلك ؟ فودَّعتُها ، وودّعَتْنى ، وقالت : ياجارية ، بين يديه . فأتى بى بابٌ فى ناحية الدار ، ففُتح لى وخرجت منه إلى طريق مُختَصَرة ، وبادرت البيت ، فصلّيت الصُّبح ووضعت رأسى ، فما انتبهت إلاّ برسُل الخليفة على الباب ، فقمت وقد أُسرِج لى ، فركبت إلى الدّار ، فسرتُ إليه فلما مَثَلْتُ بين يدى المأمون ، قال لى : يا إسحاق ، جفوناك ما كنّا ضمِنّاه لك ،

(١) فى بعض النسخ : « وأنت أولى من أتم ما بدأ به » .
(٢) فى بعض النسخ : « أداء » .
(٣) فى بعض النسخ : « لقد جمع الله لك خلال الفضل » .
(٤) فى بعض النسخ : « لإسحاق » . والكلام بعده إلى كلمة « الغناء » ساقط من ن .
(٥) فى اللسان (دوا) : « الداية : الظئر » .
(٦) ن : « قد حضر الوقت » .

وتشاغَلْنا عنك . فقلت : يا سيدى ، ليس شىء آثر عندى ولا أسرّ إلى قلبى مِن سرور يَدخُل على أمير المؤمنين ، فإذا كَمَل سرورُه وطاب عيشُه ، فعيشنا طيّب وسرورنا بسروره متّصل . ثم قال : ما كانت حالك ؟ قلت : يا سيدى ، كنت قد اشتريت صبيّةً من السُّوق ، وكنت معلّقَ القلب بها ، فلمّا تشاغل أميرُ المؤمنين أطال الله بقاءه ، عنى ، وخلوتُ وقد كانت فىّ بقيةٌ ، طالبتْنِى نفسى بها ، فمضيتُ مُسرعا فأحضرتُها وأحضرت نبيذاً ، فسقيتُها وشربتُ معها ، وغلب علىّ السُّكر ، فقطَعَنى عما أردت ، وذهب بى النومُ إلى أنْ أصبحت . فقال لى : ما أكثر ما يتهيّأ على الناس من هذا ، فهل لك فى مثل ما كُنّا فيه أمس ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أحدٌ يمتنع من ذلك ؟ قال : فإذا شئت . فنهضَ ونهضت ، فصِرْنا إلى المجلس الذى كُنّا فيه بالأمس ، على مثل حالنا تلك وأفضل ، حتّى إذا كان فى الوقت وثب قائماً ، فقال : يا إسحاق ، لا تَرِمْ فإنّى أجيئك ، وقد عزمتُ على الصُّبحة[1] ، فما هو إلّا أن توارى عنّى حتّى ضُرِب بى ، وتأمّلت ما كنت فيه فإذا هو شىء لا يصبر عنه إلاّ جاهل ولو بزوال نعمته . قال : فنهضتُ فقال لى الغلمان : الله الله ، فإنّه البارحةَ قد أنكر علينا تخليتك ، وطالبنا بك ، وقال : لِمَ تركتموه ؟ ولا نَحسبك إلاّ تُحب الإيقاع بنا . فقلت : والله لا نالَ أحدَكم بسببَى مكروهٌ أبداً[2] ، ولكن أبادر الحاجة ، والله لا كان لى حَبس ولا لبثٌ ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه إذا دخل أبطأ ، وأنا مُوافيكم قبل خُروجه إن شاء الله . قال : فنهضتُ ، فما شَعَرْتُ إلاّ وأنا فى الزُّقاق ، فوافيت الزّنبيل على ما كان عليه ، فقعدت فيه ، وصعدت ، وصرتُ إلى الموضع الذى أعرف ، فلم ألبثْ إلاّ هنيهة وإذا بها قد طلعت ، فقالت : ضَيفنَا ؟ قلت : إى والله . قالت : أو قد عاودت ؟

٤٥٦/٣ قلت : نعم ، ولا أظنُّ إلاّ أنى قد ثقّلت . فقالت : مادح نفسه يُقرئك السلام .

(١) الصبحة : نوم الغداة ، وهو بضم الصاد وفتحها .

(٢) ن : « لا أنال أحدا منكم بشىء مكروه أبدا » .

فقلت : هَفوةٌ ، فمُنِّى بالصفح . قالت : قد فعلنا فلا تَعدْ . قلت : إن شاء الله قال : ثم جلسْنَا وأخذنا فيما كُنا فيه من المُذاكرة والإنشاد وأحضرنا النبيذ ، ولم نزلْ على تلك الحال وأفضلَ ، وقد أنِستُ وانبسطت بعضَ الانبساط ، وهى مع ذلك لا تزال تقول لى : أوْهِ ، لو كنتَ الآنَ على ما أنت عليه وأحكمتَ من تلك الصنعة شيئاً ، لقد تناهيتَ و برعت . فقلت : والله لقدحرصت على ذلك وجَهدتُ فيه فما رُزِقتُه ، ولا قَدرت عليه . ثم قلت : يا جُعِلت فداك ، لا تَخلَّينا مما كان من فَضلك البارحة ، لا تخلّينا منه . فتأخذ فى الأغانى ، وكلما مَرّ صوت حسن طيب وجيّد بالغ قالت : يا فتى ، أتدرى لمن هذا ؟ فأقول : لا . فتقول : لإسحاق . فأقول و إسحاق هكذا جعلت فداك فى الحِذق ؟ فتقول : بخ ، إسحاق تاريخ هذا الشأن[1] بديع الصوت ، وعتيق الغناء ! فأقول : سبحانك الله ، لقد أعطى إسحاق هذا ما لم يُعطه أحد . فتقول : ولو سمعتَ هذا منه لكنت أشدّ استحساناً له ، و به أشدّ كلفاً . حتى إذا كان الوقت ، وجاءت العجوز نهضتُ وودعتُها ، و بادرت بين يدىّ جارية ففتحت الباب ، فخرجتُ منه . و بادرت المنزل ، فتوضأتُ للصلاة وصلّيت الصبح ، ووضعت رأسى فنِمت ، فما انتبهت إلا برسل الخليفة يطلبوننى ، فقمت وقد أسرجَ لى فركبت إلى الدار ، فما هو إلاّ أنْ مثَلت بين يدى المأمونِ حتى قال : يا إسحاق أبيت إلا مُكافأةً لنا ، ومعاملةً بمثل ما استعملناه معك ! قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما إلى ذلك ذهبت ، ولا إليه قصدت ، ولكنّى ظننت أن يكون أمير المؤمنين قدْ تَشاغل عنّى بلذّته ، وأغفل أمرى . وجاءنى الشيطان فأذكرنى أمرَ الجارية[2] فبادرت إلى البيت . قال : وكان من أمرك ماذا ؟ قلت : قضيتُ الحاجة ، وفرغ الأمر . فقال : قد أنقضى ما كان بقلبك منها ، وواحدة بواحدة ، والبادِى أظلم . فقلت : بل أنا يا أمير المؤمنين

(١) فى بعض النسخ : « إسحاق فى هذا البيت » .

(٢) ن : « أمر تلك الملعونة » .

ألوم وأظلم ، وإليك المعذرة . فقال : لا تثريب عليك ، هل لك فى مثل حالنا الأوّل ؟ قلت : إى والله . قال : فانهض بنا . وقام وقمت ، حتى إذا صرنا إلى الموضع الذى كنا فيه أخذنا فى لذّتنا وشربنا ، حتى إذا كان فى الوقت قال لى : يا إسحاق ، ما عزمك ؟ قلت : لا عزم لى يا أمير المؤمنين . قال : نعزمت عليك لتجلسنّ حتى أخرُجَ إليك لنصطبح ، فإنى عازم على الصّبوح ، وقد نغّصت علىّ ذلك مُذْ يومان . قلت : فالليلة إن شاء الله . وطرحت الستارات ودخل إلى الحرم ، فما هو إلاّ أن توارى عنى حتى ضرب بى وقمت وقعدت ، وجالت وساوسى ، وجعلت أفكّر فى مجلسى معها ومكانها ومحادثتها والنظر إليها ، وفى الخروج عن طاعة المأمون ، وما يلحقنى فى ذلك من سخطه ومَوجِدته ، فيسهُل علىّ كلُّ صعب إذا فكرت فى أمرها . قال : فوثبت مبادِراً ، فاجتمع علىّ جندُ الدار ، فقالوا لى : أين تريد ؟ فقلت : اللهَ اللهَ ، فإن لى قصّة ، وأنا معلّق القلب ببعض مَن فى منزلى ، وأحتاج إلى مُطالعتهم فى بعض الأمر . فقالوا : ليس إلى تركك من سبيل . قال : فلم أزل أرفق بهذا ، وأطلب إلى هذا ، وأقبّل رأس هذا[1] ، ووهبت خاتمى لواحد ، ورِدائى لآخر ، حتى تركونى ، فلما خرجت عن جملتهم وأنا لا أصدق فلم أزل أعدو حاسرًا ، حتى وافيت الزّنبيل فجلست فيه ، وصعِدت السطح ، وصرت إلى الموضع ، وأقبلَتْ على مثل حالتها تلك ، فلمّا رأتنى قالت : ضيفَنا ؟ قلت : إيهاً لله[2] . قالت : جعلتَها دار مُقام ؟ قلت : جُعلت فداك حقُّ الضيافة ثلاث ، ثم إن رجعت بعدها فأنتِ فى حلٍّ من دمى . قالت : والله لقد أتيتَ بحُجة . قال : ثم جلسنا ، فأخذنا فى مثل حالنا الأوّل من الشُّرب والإنشاد والمذاكرة والمحادثة والغناء حتى إذا علمتُ أنّ الوقت قد قارب فكرتُ فى قضيّتى ، وعلمتُ أنّ المأمون لا يقارُنى[3] على هذا ، وأنّى لا أتخلّص منه إلا بأن

(١) ن : « يد هذا » .
(٢) إيها ، بمعنى حسبك ، كلمة يراد بها الكف والإسكات .
(٣) لا يقارُنى ، بمعنى لا يوافقنى . ن : « لا يقاربنى » وفى سائر النسخ : « لا يفارقنى » ووجههما ما أثبتنا .

أشرح له قصّتى ، وأكشفَ له عن حالى ، وعلمت أنّى إنْ قلت له ذلك طالبنى بمعرفة الموضع والمسير به إليه ، مع ما كان غَلَبَ عليه من الميل إلى النساء ، والاستهتار بهنّ. فقلت لها : أتأذنين فى ذكر شىء خطر ببالى ؟ قالت : قُلْ مابدا لك . قلت : جعلتُ فداكِ ، إنى أراكِ ممن يقول بالغناء ، ويُعجَب به وبالأدب ، ٤٥٧/٣ ولى ابنُ عمّ هو أحسن منى وجهاً ، وأظرفُ قدًّا ، وأكثر أدبا ، وأغزرُ معرفة ، وإنّما أنا تلميذ من تلاميذه ، وحَسنة من حسناته ، وهو أعرفُ الناس بغناء إسحاق وأحفظهم له . قالت : « طفيلى ويقترح » ، لم ترض أن أتيتنا ثلاثة أيام ، حتى احتجت أن تأتى معك بآخر . فقلت لها : جُعلتِ فداكِ ، ذكرتُه لتكونى أنت المحكّمة ، فإنْ أذنتِ وأردت ذلك ، وإلا فلا إكراه . قالت : فإن كان ابنُ عمِّك هذا على ماذكرت فمانكره أن نعرفَه ونشاهده . فقلت : هو والله على أكثر مما وصفتُ . قالت : فإذا شئت . قلت : فالليلة . قالت : والليلة . ثم حضر الوقت فنهضتُ وصرت إلى البيت ، فما وصلت حتى وافيتُ منزلى قد هُجِم عليه ، وإذا برسل الخليفة وأصحاب الشُّرط قد ركبوا إلى بابى ، فلما بصروا بى سُحِبت سحباً على حالتى تلك ، حتى انتهَوا بى إلى الدار ، فإذا المأمون جالسٌ وسَط الدّار على كرسىّ ، وإذا هو مغتاظ حَرِد[1] ، فقال : يا إسحاق ، أخروجاً عن الطاعة ؟ قلت : لا والله يا أميرالمؤمنين . قال : فما قصّتُك وما الذى أظهر ما أرى من الانحراف ، وكثرة الخلاف ؟ فاصدُقْنى حالَك . قلت : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لى قصة أحتاج فيها إلى خلوة . فأومأ إلى من كان واقفا بين يديه فتنحَّوا ، حتى إذا خلونا قلت : كان من خبرى كيت وكيت ، وفعلت وصنعت ورأيت كذا . فوالله ما فرغْتُ من حديثها حتى قال : يا إسحاق ، أتدرى ما تقول ؟ فقلت : إى والله ، إنى لأدرى . فقال : ويحك ، فكيف لى بمشاهدة ماشاهدت ؟ قلت : ماإلى ذلك من سبيل . قال : والله لابدّ أن تَلطُف لى[2] وتوصلنى إليها ، فهذا مالا صبرَ لعاقلٍ عنه . قلت : إى والله ، قد

---

(١) الحرد : الغضبان ، وفعله كضرب وسمع .

(٢) لطف له ، من باب نصر : رفق ودنا .

تفكّرتُ فى قصّتى وفيما قدمت عليه من عصيانك ، وعلمت أنه لا ينجينى إلا الصِّدقُ وكشفُ الحال ، وعلمتُ أنك تطالبنى به أشد المطالبة ، فقدّمت إليها ذِكراً من ذلك ، وقلت لها كيت وكيت ، ووعدتُها فى أمرك بكذا وكذا . قال : قد والله أحسنتَ ، ولولا ذلك لنلتُك بكلِّ مكروه . قلت : فالحمد لله الذى سلّم .

قال : ثم نهض ونهضت حتى صرنا إلى مجلسنا ، وأخذنا فى لذتنا وشربنا ، وهو مع ذلك يقول : يا إسحاق ، حدّثنى عنها ، وصف لى حالها ، واشرح لى أمرها . فوالله ما قطعنا يومنا ذلك إلا بذكرها ، وما وصلنا إلى آخر النهار إلا والمأمون لا يصدِّق من شدة تعلق قلبه بها ، وبما قرّبت عنده من حالها ، حتى إذا كان بعد هدأةٍ من الليل وهو يقول فى كل ساعة : ما جاء الوقت ؟ وأنا أقول : بقى قليل ، والساعةَ . والقلقُ غالبٌ عليه ، حتى إذا جاء الوقت نهضنا فخرجنا من بعض أبواب القصر ، ومعنا غلام ، وهو على حمار وأنا على حمار . فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ثم قلنا للغلام : انصرفْ فإذا كان عند انشقاق الفجر فكن ههنا بالحمارين . وأقبلْنا نمشى متنكِّرَين وأنا أقول : يجب أن تُظهر برِّى بحضرتها وإكرامى ، وتطرح نخوة الخلافة(1) ، وتجبُّر الملك ، وكن كأنك تبع لى . وهو يقول : نعم ، أوترى أنى أجهل وتحتاج إلى أن توصينى ؟ ثم قال لى : ويحك يا إسحاق ، فإن قالت لى : غنِّ ، فكيف أصنع ؟ قال : قلت : أنا أكفيك وأدفعها عن ذلك ، وأصدُّها برفق وحُسنِ مسٍّ(2) . ثم صرنا إلى الزُّقاق ، فإذا بزنبيلين معلَّقَين بثمانية أحبل فقعد فى واحد وقعدت فى آخر ، ثم جذب الجوارى وإذا نحن فى السطح ، وبادرنَ بين أيدينا حتى انتهين بنا إلى المجلس . قال : فأقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزىّ ، ويعجب بذلك إعجابا شديداً ، وقعدت فى موضعى الذى كنت أقعد فيه ، وقعد المأمونُ دونى فى المرتبة . ثم أقبلَتْ فسلّمت ، فما تمالك أن نظرَ إليها فبُهِت من حسنها ، فقالت : حيّا اللهُ

(1) ن : « وتدعى من نخوة الخلافة » . والنخوة : التعظم والافتخار .

(2) هاتان الكلمتان من ن فقط . والكلمة الأولى فى أصلها : « وحش » .

ضيفَنا بالسلام ، والله ما أنصفت ابن عمّك ، ألاّ رفعتَ مجلسه ؟ فقلت : ذلك إليك جعلت فداءك . فقالت : ارتفعْ فديتك ، فأنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ولكلٍّ جديد لذة . فنهض المأمون حتى قعد فى صدر المجلس ، ثم أقبلَتْ عليه تذاكره وتناشده وتمازحه ، وهو آخِذٌ معها فى كل فنّ ، فسكّتها وأفحمها . قال : فالتفتَتْ إلىّ وقالت : وفيت بوعدك ، وصدقت فى قولك ، ووجب شكرُك على صنيعك . قال : ثم أحضرنا النبيذ وأخذْنا فى الشراب ، وهى مع ذلك مقبلة عليه ، وهو ٤٥٨/٣ مقبلٌ عليها ، ومسرورةٌ به ومسرور بها . قال : فالتفتَتْ إلىّ فقالت : وابن عمّك هذا من أبناء التُّجّار ؟ قلت لها : نعم ، فديتُك ، نحن لا نعرف إلاّ التجارة . قالت : و إنكما فيها لغريبان . ثم قالت : موعدك . فقلت : لعمرى إنه ليجب ، ولكن حتى يسمع شيئاً[1] . قالت : وذاك . وأخذت العود ، وغنّت صوتاً ، فشربْنا عليه رطلا ، ثم غنّت بصوت كان المأمون يقترحه علىّ ، فشربنا عليه رطلا . قال : فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال وغلب عليه الفرح ، وتداخله السرور وارتاح وطرب ، قال : يا إسحاق . فوالله لقد رأيته نظَر إلىّ نَظَر الأسد إلى فريسته ، فنهضت وقلت : لبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : غنِّنى هذا الصوت . فلمّا رأتْنى أخذتُ العودَ ووقفتُ بين يديه أغنّيه ، علمتْ أنهُ الخليفة وأنى إسحاق . فنهضتُ وقال : ها هنا . وأومأ إلى كِلّة مضروبة . فدخلتْها ثم فرغت من ذلك الصوت وشربَ رطلا[2] وقال لى : ويحك يا إسحاق ؛ انظر هذه الدار ومن ربُّها ؟ فخرجت فلقيت تلك العجوز ، فقلت لها : من صاحب المنزل ؟ ومن مولاكم ؟ قالت : الحسن بن سهل . قلت : ومَن هذه مِنه ؟ قالت : ابنته بُوران . فرجعتُ وأعلمته فقال : علىّ به السّاعةَ . قال : فقلت لها : امضى فأحضريه وأعلميه أن أمير المؤمنين يطلبه . قال : فغابت عنى هنيهةً ثم جاءت وهو فى إثرها

(١) فى بعض النسخ : « اسمع شيئاً » .

(٢) ن : « وشربت رطلا » .

فوقف بين يديه فقال : ألك بنت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : أزوّجتَها ؟ قال : لا والله . قال : وما اسمها ؟ قال : بوران . قال : فإنّى أخطبُها إليك . قال : هى يا أمير المؤمنين أَمَتُك ، وأمرُها إليك . قال : فإنى قد تزوّجتها على نقد ثلاثين ألف دينار نحملها إليك فى صبيحة ليلتنا هذه ، فإذا قبضتَ المالَ فاحملْها إلينا من ليلتها . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ثم نهض وفتح لنا الباب وخرجنا ، فلما صرنا إلى الدّار قال : يا إسحاق ، لا يقفنّ أحدٌ على ما وقفت عليه ، فإن المجالس بالأمانة . قلت : يا أمير المؤمنين ، ومثلى يحتاج إلى وصية بهذا الأمر .

قال إسحاق : فما أصبحنا حتى أمر بحمل المال ، ونقلت إليه من يومها ، وكانت أحظَى نسائه عنده وآثرَهنّ لديه . وأقمت[1] أستر هذا الحديث إلى أن مات المأمون ، فما اجتمع لأحدٍ ما اجتمع لى فى تلك الأربعة الأيام التى كنت أنصرف من مجلس أمير المؤمنين فى خلافته إلى مجلسها . ووالله ما رأيت من الرجال فى ملوكهم ولا خلفائهم ولا سُوَقِهم[2] أحداً يفى بالمأمون ، ولا شاهدت من النساء امرأةً تقاربُها فهما وعقلا[3] ، وحلاوة وشكلا ، وأما معرفتها وأدبُها فما أظنّ أن فى الأرض امرأةً كان يتهيأ لها أن تقف من العلوم على مثل ماوقفَت عليه . ولقد سألت بعضَ من كان يتولّى خدمتها من عجائزها فقلت لها : وما حملها على ما أرى ؟ فقالت : والله إنها لتفعل هذا منذ كذا وكذا سنة . ولقد عاشَرَت من الظرفاء والأدباء والمِلاح أكثَرَ من أن يقع عليه إحصاء ، وما جرى بينها وبين أحد مكروه ولا خنًا ، ولا لفظة قبيحة ، ولم يكن مذهبها فى ذلك إلا حبّ الأدب والمذاكرة لأهله ، والمعاشرة لأهل المروءة والأقدار ، وذوى النُّبل والأخطار لا لريبةٍ تظهر ، ولا لحالةٍ تنكر .

(١) فى بعض النسخ : « وكنت » ،

(٢) السوق : جمع سوقة ، وهى الرعية . فى بعض النسخ : « وملوكهم وخلفائهم وشرفائهم » .

(٣) فى بعض النسخ : « امرأة كبوران فى عقلها » .

قال : فوالله لقد تضاعف قدرُها عندى ، وعظُم خطرُها فى نفسى ، وعلمتُ شرف همّتها وفضلها .

فهذا خبر بوران صحيحا على الحقيقة ، والسبب الذى تزوّجها المأمون به[1] .

* * *

خبر الفتى الحنفى والجارية

قال هشام بن الكلبى والهيثم بن عدى : إن ناساً من بنى حنيفة خرجُوا يتنزّهون إلى جبلٍ لهم ، فرأى فتًى منهم فى طريقه جاريةً ، فرمَقها فقال لأصحابه : لا أنصرف واللهِ حتى أرسلَ إليها وأخبرَها بحبِّى لها . فطلبوا إليه أن يكفَّ عن ذلك فأبى أن يكفَّ ، وأقبل يُراسِل الجارية ، وتمكن حبُّها من قلبه ، فانصرفَ أصحابه ، وأقام الفتى فى ذلك الجبَل ، فمضى إليها ليلةً متقلّدا سيفاً وهى بين أخوين لها نائمة ، فأيقظها فقالت : أنصرف لا ينتبهْ أخَواىَ فيقتلاك . فقال : الموت والله أهونُ مما أنا فيه ، ولكن إن أعطيتِنِى يدكِ حتّى أضعها على قلبى انصرفت . فأعطته يدَها ، فوضعها على قلبه وصدره وانصرف .

فلما كانت الليلة الثانية أتاها وهى على مثل تلك الحال فأيقظها ، فقالت له مثل مقالها الأول[2] ، فقال : لكِ الله إن أمكنتِنِى من شفَتيكِ أرشفُهما أن
٤٥٩/٣ أنصرف . فأمكنَتْه فرشفهما ساعةً ثم أنصرف ، فوقع فى قلبها من حُبّه مثلُ الذى كان بقلبه منها وفشا خبرُها فى الحىّ ، فقال أهل الجارية : ما مُقام هذا الفاسق فى هذا الجبل ؟ أمضُوا بنا إليه حتى نخرجَه منه . فبعثتْ إليه الجارية آخِرَ النهار : إن القوم سيأتونك الليلة فاحذر على نفسك . فلما أمسى قعد على مرقبٍ ومعه قوسُه وسهمه ، ووقع بالحىّ فى بعض الليل مطر ، فاشتغلوا عنه ، فلما كان فى آخر الليل وأنقشَع السحاب وطلَع القمر ، اشتاقت إليه الجارية ، فخرجت تريده ، ومعها صاحبةٌ لها من الحىّ كانت تثق بها ، فنظر الفتى إليهما فظن أنهما ممن

---

(١) فى بعض النسخ : « وسبب تزوج المأمون بها » .

(٢) ن : « مقالتها الأولى » .

يطلبه ، فرمى فما أخطأ قلبَ الجارية ، فوقعتْ ميّتة وصاحت الأخرى ورجعت . وانحدر الفتى من الجبل فإذا الجاريةُ ميتة ، فقال :

نَعبَ الغراب بما كره ... تُ ولا إزالة للقَدَرْ
تَبكى وأنتَ قتلتَها ... فاصبر وإلّا فانتحر

ثم وجأ بمشاقصه أوداجَه حتّى مات[1] ، فجاء أهلُ المرأة فوجدوها ميتين[2] فدفنوهما فى قبر واحد .

باب اللغز

محاجاة أبى عطاء السندى مع لثغته

كانت فى أبى عَطاء السِّنْدى لُثغة قبيحة[3] فاجتمع يوماً فى مجلس بالكوفة حمادُ الراوية ، وحمّادُ عجرد ، وحمّـاد بن الزِّبرقان ، وبكر بن مُصعب ، فنظر بعضُهم إلى بعض ، فقالوا : ما بقى شىء إلّا قد تهيأ فى مجلسنا هذا ، فلو بعثنا إلى أبى عَطاء السندىّ . فأرسلوا إليه ، فأقبل يقول : مَرهَبا مرهبا ، هَيَّاكم الله . وقد كان قال أحدُهم : من يحتال لأبى عطاء حتى يقول : جَرادة وزُجّ وشـيطان . فقال حمـاد الراوية : أنا . فقال : يا أبا عطاء ، كيف علمك باللّغز ؟ قال : هَسن — يريد حسن — فقال له :

فما صَفراء تُـكنى أمّ عَوف ... كأنّ سُويقتيها مِنْجلانِ[4]

قال : زَرادة . فقال : أصبت[5] . ثم قال :

أتعرف مَسجداً لبنى تميم ... فُويق المِيل دونَ بنى أبانِ

---

(١) المشقص : سهم عريض النصل أو طويله .
(٢) ن : « فجاء أهل الحى وهما ميتان » .
(٣) كلمة « قبيحة » ليست فى ن . والخبر فى خزانة الأدب (٤ : ١٧) والشعر والشعراء ١٧٩ وشرح المقامات للشريشى (٢ : ١٣٢) .
(٤) فى الحيوان (٥ : ٥٥٨) : « كأن رجيلتها » .
(٥) ن : « قال له أصبت » .

قال : هو فى بنى سَيْبتان[1] ، قال . أصبت . ثم قال :

فما اسم حديدةٍ فى الرمح تُسمى ... دُوينَ الصَّدر ليست بالسنان[2]

فقال : زُزّ . فقال : أصبت .

***

ألغاز المأمون فى الخاتم

وقال المأمون يصف خاتماً :

وأبيضَ أمّا جسمُه فمدوَّر ... نقيّ وأمّا رأسهُ فمُعار

ولم يكتسب إلا لتسكن وسطه ... مؤنثة لم تُكس قطُّ خمار[3]

لها أخواتٌ أربعٌ هن مثلُها ... ولكنّها الصُّغرى وهُنّ كبارُ

لغز فى الأرنب

وقال آخر فى أرنب :

لموتٌ بذات رأس ذى التياثِ ... كرَفع الإصبعين على الثلاث[4]

إذا السَّبابةُ ارتفعت مع الخِنـ ... ـصر اجتمع الثلاث بلا انتكاث

لموتٌ بها تطير بلا جَناحٍ ... وتُنسب فى الذُّكور وفى الإناث

ألغاز فى أمور شتى

وقال :

رُبَّ ثور رأيت فى جُحر نملٍ ... وقَطاةٍ تُحمّل الأثقالا

ونُسور تمشى بغير رءوس ... لا ولا ريش تحمـل الأبطالا[5]

وعجوزٍ رأيتُ فى بطن كلب ... جُعل الكلب للأمير جَمالا[6]

وغلامٍ رأيتُـه صار كلباً ... ثم من بعد ذاك صار غَزالا

وأتانٍ رأيت واردةُ المـا ... ء زماناً وما تَذوقُ بِلالا

وعُقابٍ تطير من غير ريش ... وعقابٍ مُقيمةٍ أحوالا

(١) يريد بنى شيطان . وفى الحيوان (١ : ٣٠٠) : « وفى بنو سعد بنو شيطان » .

(٢) فى بعض النسخ : « ترى » بدل « تمسى » .

(٣) كذا ورد القول .

(٤) الالتياث : الالتفاف ، والقوة ، والسمن .

(٥) ن : « يمشين من غير روس » .

(٦) فى الأصول : « حالا » بالحاء المهملة ، ولا وجه له .

الثَّور : النمل الذى يُخرِج التّرابَ من الجُحْر العظيم بفيه(١) . والقَطاة : موضع الرِّدف من الفَرس . والنُّسور : بطون الحوافر والعَجوز : السيف . و بطن الـكلب : الجلد الذى يعمل منه غِمدُ السيف . وصار كلبا : ضمّ كلبا ، أخذه من صار يصور ، من قول الله عزّ وجلّ : (فصُرْهُنَّ إليك) . والأتان : الصخـــرة(٢) . والعُقاب التى تطير مِن غير ريش(٣) : البَـكَرة . والمقيمة أحوالاً : اللواء .

وقال آخر فى البيضة :

ألا قُلْ لأهل الرأى والعلم والأدبْ وكُلٌّ بصيرٍ بالأمور أخى أَرَبْ(٤)

ألاَ خَـــبّرونى أىَّ شىء رأيتمُ من الطَّيرِ فى أرض الأعاجم والعربْ

قَديم حـديث وهو بادٍ وحاضرٌ يُصادُ بلا صَيد و إن جُدّ فى الطلبْ(٥)

ويُؤكَل أحيانا طبيخاً وتارةً قَليًا ومَشويًا إذا دُسّ فى اللهب

وليس له لحَم وليس له دَمٌ وليس له عَظم وليس له عَصب

وليس له رِجْـــل وليس له يد وليس له رأسٌ وليس له ذَنب

ولا هو حَىّ لا ولا هو مَيِّت ألا خبِّرونى إن هذا هو العجب

وقال آخر :

إنّى رأيت عجوزاً بين حاجبها ونابِها حَبشىٌّ قائمٌ رجـــلُ

له ثلاثون عيناً بين مِرفقِه و بين عاتقه فى رِجــله قَزَلُ(٦)

فى ظَهره حية حمـــراء قانية فى ظَهرها رجلٌ فى ظَهره رجلُ

(١) هذا التفسير لم يرد فى المعجمات المتداولة .
(٢) هى الصخرة تكون على فم البئر . ن : « الحجارة » .
(٣) ن : « بغير ريش » .
(٤) فى بعض النسخ : « لدى أرب » .
(٥) فى بعض النسخ : « قد بدا وهو حاضر » .
(٦) القزل : أسوأ العرج وأشده .

العجوز : الناقة . والحبشىّ الذى بين حاجبها ونابها : الأسود الحابس بالخِطام . وقوله : له ثلاثون عينا بين عاتقه و بين مرفقه : مثاقيل كانت مصوّرة فى عضُده . وقوله : فى ظهره حية حمراء قانية : كان عليه بُرنُسٌ فيه تصاوير بعضها داخل فى بعض .

وقال آخر فى القلم :

فلا هو يَمشى لا ولا هو مُقْعَدٌ ... وما إن له رأس ولا كَفٌّ لامِسِ
ولا هو حىٌّ لا ولا هوَ مَيّتٌ ... ولكنّه شخص يُرى فى المجالس
يزيد على سمّ الأفاعى لُعــابه ... يدبّ دبيباً فى الدُّجى والحنادس
يُفرّق أوصالاً بصمتٍ يجيبه ... وتُفرى به الأوداجُ تحت القلانِس
إذا ما رأته العينُ تَحقِرُ شأنه ... وهيهات يبدو النِّقْس عند الكرادِس[1]

وقال آخر فيه :

ضئيل الرُّواء كبير الغَناء ... من البَحرِ فى المَنصِب الأخضرِ
عليــه كَهيئة مَرِّ الشجا ... ع فى دِعص محنيَــةٍ أعفرِ[2]
إذا رأسُــه صحّ لم يَنبعث ... وحار السبيلَ ولم يُبصر ٤٦١ / ٣
وإن مُديةٌ صدعت رأسَه ... جرَى جرْىَ لاهائب مقصِرِ
يقضى لبانتَه مقبــلاً ... ويحسبها هيئــة المِزبرِ[3]
جرىءٌ بكفِّ فتى كفُّه ... تَسُوق الثَّراء إلى المقــترِ

(١) النقس : المداد الذى يكتب به . وفى الأصــول : « النفس » : ن : « يشدو » بدل « يبدو » . والكرادس : جمع كردوس ، وأصله الكراديس ، وحذف الياء من مثله جائز عند الكوفيين . والكردوس : كل عظمين التقيا فى مفصل . عبر به عن القصبة .
(٢) الشجاع : الحية . والدعص : رمل مجتمع .
(٣) البيت من ن فقط . المزبر : القلم .

أبيات من الشعر المحدث

ماء النّعيم بوجهه متحيّرٌ ... والصُّدغ منه كعطفة للرّاء
وكأنّما نُهِكت قُوى أجفانه ... بالرّاح أو قد شيب بالإغفاء
لو باشَر الماء القَراحَ بكفّه ... لجرتْ أنامله بنَبْع الماء

وقال المؤمّل[1] :

عجبتُ لمن يُطيّبنى بمسك ... وبِى يَتطيّب المسكُ الفتيتُ
خَلاخيلُ النساء لها وَجيبٌ ... ووسواسٌ وخَلخالى صَموتُ[2]
ولو أنّ النساء غَنِين يوماً ... عن المسك الذكىّ كما غَنِيت
لأصبح كُلُّ عطّارٍ فقيراً ... قليلاً ماله ما يَستبيتُ[3]

خاتمة نسخة ن

« هذا آخر المجلد السابع من الأم ، وهو آخر الديوان . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه البررة المنتجبين وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وسلم تسليما كثيرا . وكان الفراغ من هذا السفر فى سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة على يدى العبد الفقير إلى ربه ، الراجى عفوه ومغفرته ، يوسف بن على ابن زيد بن مجبر بن محمد بن حسان بن أحمد بن هذيل الزهرى ثم البسطى عفا الله عنه وعن جميع المذنبين . حامدا لله حق حمده ، ومصليا على نبيه محمد المصطفى وعلى آله ، ومسلما » .

---

(١) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربى ، شاعر كوفى من مخضرمى الدولتين . الأغانى (١٩ : ١٤٧) .

(٢) الوجيب : الخفوق والاضطراب . والوسواس : صوت الحلى .

(٣) ما يستبيت ، أى ما يجد بيت ليلة . والبيت ، بالكسر : القوت .

فهرست الموضوعات

كتاب الياقوتة الثانية فى الغناء واختلاف الناس فى ذلك

فضل الصوت الحسن ٤
اختلاف الناس فى الغناء ٦
أخبار عبد الله بن جعفر ١٧
أخبار ابن أبى عتيق ٢٠
أصل الغناء ومعدنه ٢٧
أخبار المغنين ٢٧
من قرع قلبه صوت فات منه أو أشرف ٥٣
أخبار عنان وغيرها من القيان ... ٥٧
خبر الدلفاء ٦٦
حديث أبى السمراء ٦٩
قولهم فى العود ٧٣
قولهم فى المبردين فى الغناء ٧٥
باب من الرقائق ٨٦
باب من رقائق الغناء ٨٠

كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن

قولهم فى المناكح ٨٣
صفات النساء وأخلاقهن ١٠٣
صفة المرأة السوء ١١١
ومن قولهم فى الجارية ١١٧
المنجبات من النساء ١١٧
من أخبار النساء ١١٨
باب الطلاق ١١٨
من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه ... ١٢٢
فى مكر النساء وغدرهن ١٢٦
فى السرارى ١٢٨
الهجناء ١٢٩
مما احتجت به الهجناء ١٢٩
باب فى الأدعياء ١٣٢
فى الباه وما قيل فيه ١٣٩

كتاب الجمانة الثانية فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين

أخبار الممرورين والمجانين ١٤٨
مجانين القصاص ١٥٦
باب نوكى الأشراف ١٥٦
النوكى من نساء الأشراف ١٦١
شعراء المجانين ١٦٤
أخبار البخلاء ١٧٤
طعام البخلاء ١٧٩
ما قالت الشعراء فى طعام البخلاء ١٨٧
باب من أخبار البخلاء ١٩٢
باب ما قيل فى البخلاء ١٩٤
رسالة سهل بن هارون فى البخل ٢٠٠
أخبار الطفيليين ٢٠٤
باب من أخبار المحارفين الظرفاء ٢١٥

فرش كتاب الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان

النفس الملكية ٢١٩
النفس الغضبية ٢١٩
النفس البهيمية ٢٢٠
البنيان ٢٢١
قولهم فى الدار الضيقة ٢٢٢
اللباس ٢٢٣
لباس الصوف... ... ... ٢٢٥
التزين والتطيب ٢٢٦
الرجلة والركوب ٢٢٨
الخيل ٢٢٨

البغال ٢٢٩
الحمير ٢٢٩
طبائع الإنسان وسائر الحيوان ... ٢٢٩
ما نقص من خلقة الحيوان ... ٢٣٤
المشتركات من الحيوان ... ٢٣٤
الأنعام ٢٣٥
النعام ٢٣٧
الطير ٢٣٨
البيض ٢٤٠
السباع ٢٤١
الحيوان الذى لا يصلح إلا بأمير ... ٢٤٢
مصايد الطير ٢٤٦
مصايد السباع ٢٤٧
تفاضل البلدان ٢٤٧
الشامات ٢٥١
الجزيرة ، العراقان ٢٥٢
فارس ، خراسان ٢٥٣
مصر ٢٥٤
صفة المسجد الحرام ٢٥٥
صفة الكعبة ٢٥٥
صفة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ٢٦٠
قبو المحراب ٢٦١
صفة مسجد بيت المقدس ٢٦٣
آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ببيت المقدس ٢٦٤
فضائل بيت المقدس ٢٦٥
نتف من الأخبار ٢٦٦
نتف من الطب ٢٧١
التعويذ والرقى ٢٧٤
الحجامة والكى ٢٧٥
السم والسحر ٢٧٦
العين ٢٧٧
أبيات فى الطب فى كتاب فرج
ابن سلام ٢٨٧
الهدايا ٢٧١

فرش كتاب الفريدة الثانية

فى الطعام والشراب

أطعمة العرب ٢٩٠
أسماء الطعام ٢٩٢
صفة الطعام وفضله ٢٩٣
باب آداب الأكل والطعام ... ٢٩٧
البطنة وقولهم فيها ٢٩٨
الحمية وقولهم فيها ٣٠٣
سياسة الأبدان وما يصلحها ... ٣٠٦
تدبير الصحة ٣٠٧
ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية ٣٠٨
الحركة والنوم مع الطعام ٣١٠ ، ٣١١
تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر ٣١٠
الأوقات التى يصلح فيها الطعام ... ٣١٢
الأطعمة اللطيفة ٣١٤
» اللطيفة فى نفسها الملطفة لغيرها ٣١٤
» الغليظة فى نفسها الملطفة لغيرها ٣١٥
» الغليظة ٣١٦
» المتوسطة ٣١٧
» الحارة ٣١٨
» الباردة ٣١٨
» اليابسة ٣١٩
» الرطبة ٣١٩
» القليلة الفضول ٣٢٠
» الكثيرة الفضول ... ٣٢٠
» التى غذاؤها كثير ... ٣٢٠
» التى غذاؤها قليل ٣٢١
» التى تولد كيموساً جيداً ... ٣٢٢
» التى تولد كيموساً رديئاً ... ٣٢٣
» المتوسطة الكيموس ... ٣٢٥
» السريعة الانهضام ... ٣٢٥
» البطيئة الانهضام ٣٢٧
» الضارة للمعدة ٣٢٧
» التى تفسد فى المعدة ... ٣٢٨
» التى لا يسرع إليها الفساد
فى المعدة ٣٢٨
» اللينة المسهلة للبطن ... ٣٢٨

الأطعمة التي تحبس البطن ٣٢٩
« التي تولد السدد ٣٣٠
« التي تجلو المعدة وتفتح السدد ٣٣٠
« التي تنفخ ٣٣١
ما يذهب النفخ من الأطعمة .. ٣٣١
كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه ٣٣٢
الخمر المحرمة في الكتاب ٣٣٤
من حد من الأشراف في الخمر وشهر بها ٣٤٨
الفرق بين الخمر والنبيذ ٣٥٢
مناقضة ابن قتيبة قوله في الأشربة ٣٥٤
احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره ٣٥٦
رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار في الأنبذة ٣٥٩
احتجاج المحللين للنبيذ ٣٦٠
قصة الحارث بن كلدة طبيب العرب مع كسرى أنوشروان الفارسي ٣٧٣

كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح

باب من المفاكهات ، حديث عباس بن الأحنف ٣٨٢
حديث المجرد ٣٨٨
حديث صاحبة الزب ٣٩١
خبر الهاشمي مع المضحك ٣٩٣
يوم دارة جلجل ٣٩٥
خبر دعبل وصريع الغواني ... ٣٩٧
خبر الحسن بن هانئ مع الأسود ٤١١
خبر ذي الرمة ٤١٦
ما يكتب على العصائب وغيرها ... ٤٢٤
نوادر أشعب ٤٣١
نوادر الأعمش ٤٣٣
المضحكات ٤٤١
خبر يوم الدوحة ٤٥٢
مجلس للمأمون وإسحاق الموصلي ٤٥٦
خبر الفتى الحنفي والجارية ٤٧٠
باب اللغز ٤٧١
أبيات من الشعر المحدث ٤٧٥

تم تحقيق هذا الكتاب وطبعه في أول ذي القعدة سنة ١٣٦٩ (١٥ أغسطس ١٩٥٠) . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



